نظرات في معاجم البلدان

تحقيق مواضع في نجد

عبدالله بن محمد الشايع

الكتاب الثاني

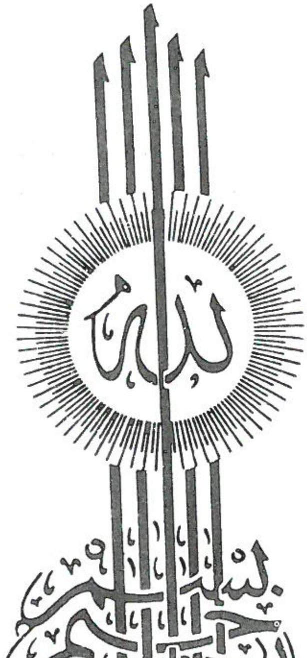
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

نظرات في معاجم البلدان

تحقيق مواضع
في نجد

الكتاب الثاني

عبد الله بن محمد الشايع

٣١١/ ٩٥٣
٦١٧ش
الشايع ، عبدالله بن محمد

نظرات في معاجم البلدان : تحقيق مواضع في نجد /

عبدالله بن محمد الشايع . ـ ط ١ . ـ الرياض : ع . م . الشايع ،

١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م

... ص ؛ سم

ردمك ٥ ـ ٤٨ ـ ٧٣٨ ـ . ٩٩٦

١ ـ السعودية ـ معاجم البلدان ٢ ـ نجد ـ جغرافيا

٣ ـ نجد ـ الجغرافيا التاريخية أ . العنوان

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن الطيب الأنصاري

أستاذ آثار الجزيرة العربية وتاريخها

قبل الإسلام

بجامعة الملك سعود بالرياض

عضو مجلس الشورى حالياً

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

إذن وزارة الإعلام

٢١٦٣ وتاريخ ١٤١٤/٢/٢٧ هـ

لا يسمح بطبع شيء مما يحويه هذا الكتاب بأي وسيلة طبع إلا بإذن
خطي من المؤلف ما عدا الاقتباس المحدود لغرض التأليف أو
الدراسة مع ذكر المصدر .

الخوارط داخل الكتاب من إعداد المؤلف وتنفيذ الأستاذ سعد الماضي

بسم الله الرحمن الرحيم

قَديمٌ وَجُدُد

لعلي أتفق مع الأستاذ عبد الله بن محمد الشايع في الإعجاب بصاحب معجم البلدان؛ وأسباب ذلك الإعجاب هو وضوح الرؤية لديه، وقدرته في عصره على شرح دوافعه وأهدافه؛ وخير دليل على ذلك المقدمة الفضفاضة الممتعة التي قدم بها معجمه.

يقول ياقوت في التعريف بكتابه: " أما بعد فهذا كتاب في أسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان والقرى والجبال والأوطان والبحار والأنهار والغدران والأصنام والأبداد والأوثان، لم أقصد بتأليفه وأصمد نفسي لتصنيفه، لهواً ولا لعباً، ولا رغبة حثتني إليه ولا رهباً، ولا حنيناً استفزني إلى وطن، ولا طرباً حفزني إلى ذي ود وسكن. ولكن رأيت التصدي له واجباً. والانتداب له مع القدرة عليه فرضاً لازماً، وفقني عليه الكتاب العزيز الكريم، وهداني إليه النبأ العظيم، وهو قوله عز وجل حين أراد أن يعرف عباده آياته ومثلاته، ويقيم الحجة عليهم في إنزاله بهم أليم نقماته:

﴿**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾.

فهذا تقريع لمن سار في بلاده ولم يعتبر، ونظر إلى القرون الخالية فلم ينزجر، وقال وهو أصدق القائلين:

﴿**قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين**﴾ أي انظروا إلى ديارهم كيف درست، وإلى آثارهم وأنوارهم كيف انطمست عقوبة لهم على

اطراح أوامره، وارتكاب زواجره، إلى غير ذلك من الآيات المحكمة والأوامر والزواجر المبرمة".

ثم يسير ياقوت في استنباط العظة من آيات القرآن الكريم ومن الأحاديث المأثورة وأقوال الحكماء على ضرورة التعرف على ملكوت الله. ومن بين أهم هذا الملكوت "الأرض ومن عليها" ثم يقول: ومن ذا الذي يستغني من أولي البصائر عن معرفة أسماء الأماكن وتصحيحها، وضبط أصقاعها وتنقيحها، والناس في الافتقار إلى علمها سواسية، وسر دورانها على الألسن في المحافل علانية" ثم يبرر ذلك بقوله "لأن من هذه الأماكن ماهي مواقيت للحجاج والزائرين، ومعالم للصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين...، ومواطن غزوات سرايا سيد المرسلين، وفتوح الأئمة من الخلفاء الراشدين" ثم يذكر سبباً آخر يحض على معرفة الأماكن وهو أنه "وقد فتحت هذه الأماكن صلحاً وعنوة، وأماناً وقوة، ولكل من ذلك حكم في الشريعة، في قسمة الفيء وأخذ الجزية، وتناول الخراج واجتناء المقاطعات والمصالحات، وإنالة التسويفات والإقطاعات.

ثم صنف ياقوت طبقات الناس حسب احتياجهم لهذا العلم، وقد أفاض في مساويء ماقد يخطيء فيه الأديب، فتكون بالنسبة له مما يسفل به قدره، ويجعله هزأة ويخف به وزنه، وساق مثلاً على ذلك ماحصل للحريري صاحب المقامات، وعدد بعضاً من أخطائه.

وينتقل ياقوت بعدئذ ليعرفنا على بواعثه لجمع هذا الكتاب فيقول: "وكان من أول البواعث لجمع هذا الكتاب أنني سئلت بمرو الشاهجان، في سنة خمس عشرة وستمائة في مجلس شيخنا الإمام السعيد الشهيد فخر الدين أبي الظفر عبد الرحيم ابن الإمام الحافظ تاج الإسلام أبي سعد عبد الكريم السمعاني... عن حباشة اسم موضع جاء في الحديث النبوي، وهو سوق من أسواق العرب

في الجاهلية. فقلت: أرى أنه حُباشة بضم الحاء، قياساً على أصل هذه اللفظة في اللغة، لأن الحباشة: الجماعة من الناس من قبائل شتى، وحبشت له حباشة أي جمعت له شيئاً. فانبرى لي رجل من المحدّثين وقال: إنما هو حباشة بالفتح وصمم على ذلك وكابر، وجاهر بالعناد من غير حجة وناظر، فأردت قطع الاحتجاج بالنقل، إذ لا معول في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل، فاستعصى كشفه في كتب غرائب الحديث، ودواوين اللغات مع سعة الكتب التي كانت بمرو يومئذ، وكثرة وجودها في الوقوف وسهولة تناولها، فلم أظفر به إلا بعد إنقضاء ذلك الشغب والمراء، ويأس من وجوده ببحث واقتراء، فكان موافقاً والحمد لله لما قلته، ومكيلاً الصاع الذي كلته، فألقى في روعي افتقار العالم إلى كتاب في هذا الشأن مضبوطاً، وبالإتقان وتصحيح الألفاظ بالتقييد مخطوطاً.... وشرح صدري لنيل هذه المنقبة التي غفل عنها الأولون، ولم يهتد لها الغابرون...".

ثم تحدث ياقوت عمن سبق إلى فضل البحث في هذا الموضوع، فيصفهم على النحو التالي فيقول: "على أنه قد صنف المتقدمون في أسماء الأماكن كتباً وبهم اقتدينا، وبهم اهتدينا، وهي صنفان: منها ماقصد بتصنيفه ذكر المدن المعمورة والبلدان المسكونه المشهورة، ومنها ماقصد به ذكر البوادي والقفار، واقتصر على منازل العرب الواردة في أخبارهم والأشعار.

ثم عدَّد ياقوت من قصد بتصنيفه ذكر العمران؛ وهم جماعة وافرة من القدماء غير المسلمين.

كما عدد طبقة أخرى من الإسلاميين الذين سلكوا قريباً من مسلك أولئك.

إلى أن قال:

وأما الذين قصدوا ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية فطبقة أهل الأدب،

وهم أبو سعيد الأصمعي، ظفرت به رواية لابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه، وأبو عبيد السكوني، والحسن بن أحمد الهمداني له كتاب جزيرة العرب، وأبو الأشعث الكندي في جبال تهامة، وأبو سعيد السيرافي بلغني أن له كتاباً في جزيرة العرب، وأبو محمد الأسود الغندجاني له كتاب في مياه العرب، وأبو زياد الكلابي، ذكر في نوادره من ذلك صدراً صالحاً وقفت على أكثره، ومحمد بن إدريس بن أبي حفصة، وقفت له على كتاب سماه مناهل العرب، وهشام بن محمد الكلبي، وقفت له على كتاب سماه " اشتقاق البلدان " وأبو القاسم الزمخشري، له كتاب لطيف في ذلك، وأبو الحسن العمراني تلميذ الزمخشري، وقف على كتاب شيخه وزاد عليه رأيته، وأبو عبيد البكري الأندلسي، له كتاب سماه معجم ما استعجم من أسماء البقاع لم أره بعد البحث عنه والتطلب له، وأبو بكر محمد بن موسى الحازمي، له كتاب " ما ائتلف واختلف من أسمائها ".

ولعلنا نلاحظ أن الحموي استعرض مصادر بحثه كما نسميها اليوم وأبدى رضا عن كل واحد منهم إما بالاطلاع أو الرواية أو السماع ثم وقف وقفة نقدية تحليلية لواحد من كتب أحد الباحثين، فهو يقول: " ثم وقفني صديقنا الحافظ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمود ابن النجار جزاه الله خيراً على مختصر اختصره الحافظ أبو موسى محمد بن عمر الأصفهاني، من كتاب ألفه أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري النحوي فيما ائتلف واختلف من أسماء البقاع فوجدته تأليف رجل ضابط قد أنفد في تحصيله عمراً وأحسن فيه عيناً وأثراً، ووجدت الحازمي، رحمه الله، قد اختلسه وادعاه، واستجهل الرواة فرواه، ولقد كنت عند وقوفي على كتابه أرفع قدره من علمه، وأرى أن مرماه يقصر عن سهمه، إلى أن كشف الله عن خبيته وتمحض المحض عن زبدته، فأما أنا فكل ما نقلته من كتاب نصر، فقد نسبته إليه وأحلته عليه، ولم أضع نصبه، ولا أخملت ذكره وتعبه والله يثيبه ويرحمه».

وهكذا يسير ياقوت الحموي رحمه الله بعد هذا الاستعراض الممتع لمواطن الضعف والقوة في ماقرأه، يبين لنا في تركيز علمي أصيل المصادر التي اعتمد عليها، وبعد أن نقدها من حيث الضبط والتوثيق، نرى أن العجب بنفسه قد أخذ منه مأخذه فيقول: «إن كتابي هذا أوحد في بابه، مؤمر على أضرابه، لا يقوم بإبراز مثله إلا من أيد بالتوفيق، وركب في طلب فوائده كل طريق، فغار تارة وأنجد، وطوح بنفسه فأبعد، وتفرغ له في عصر الشبيبة وحرارته وساعده العمر بامتداده وكفايته، وظهرت منه أمارات الحرص وحركته... ولقد التمس مني الطلاب اختصار هذا الكتاب مراراً، فأبيت ولم أجد لي على قصر هممهم أولياء ولا أنصاراً، فما انقدت لهم ولا ارعويت، ولي على ناقل هذا الكتاب والمستفيد منه أن لا يضيع نصبي، ونصب نفسي له وتعبي...".

ولعل أمتع ما يمكن أن نلحظه هو رأي الحموي في اختصار الكتب إذ يقول: «ثم اعلم أن المختصر لكتاب كمن أقدم على خلق سويّ قطع أطرافه فتركه أشل اليدين، أبتر الرجلين، أعمى العينين، أصم الأذنين، أو كمن سلب أمرأة حليها فتركها عاطلاً أو كالذي سلب الكميَّ سلاحه فتركه أعزل راجلاً".

بعدئذ تحدث الحموي عن التجربة التي مر بها الجاحظ عندما قام بعض أهل عصره بأخذ كتاب له واختصاره وما شعر به الجاحظ من مرارة لما أصبح عليه الكتاب بعد الاختصار. وكأني بياقوت الحموي - يرحمه الله - توقع ما سيحدث لكتابه من اختصار مُخلٍّ؛ فتوعد من يقدم على ذلك بأنه لم يَبرَّ به، وأن الله حسيبه في عقبى الدار.

فقد أقدم البغدادي - عفا الله عنه - على اختصار «معجم البلدان» لياقوت الحموي بكتاب أسماه «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» غير مكترث بما قاله مؤلفه من وعيد !!

ويختم الحموي مقدمة كتابه بزبدة عمله وهو فهرست الكتاب فقدم له بخمسة أبواب ليصل إلى ما يسميه بالغرض وهو موضوع الكتاب. فيقسم ثمانية وعشرين كتاباً على عدد حروف المعجم....».

وإذا نظرنا الى الأبواب الخمسة تبين لنا أنه إنما يضع مقدمة لابد منها في مفهوم المنهج الحديث في البحث العلمي والباب الثالث من هذه المقدمة هو مايعبر عنه في المنهج العلمي الحديث بكشاف المصطلحات التي سيستعملها الباحث في كتابه فيحدد بذلك مدلول كل مصطلح ولذا تحدث فيه عن:

البريد، الفرسخ، الميل، الإقليم، الكورة، المخلاف، الأستان، الرستاق، الطسوج، الجند، آباذ، السكة، المصر، الطول، العرض، الدرجة والدقيقة، الصلح، السلم، العنوة، الخراج، الفيء والغنيمة.

ولكن هل هذه فقط هي المصطلحات التي تحتاج إلى إيضاح؟ لعل الأمر كذلك بالنسبة لعصر الحموي. وقد استطاع أن يتحدث عن الأبواب الخمسة في مالا يزيد على ٣٣ صفحة بأسلوب علمي رصين.

لقد أطلت الحديث عن ياقوت الحموي موسوعي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) إنه يمثل عصارة أصيلة ومركزة من ثمار الحضارة الإسلامية. وماذا بعد؟

تمر القرون إثر القرون ويصبح التأليف في هذا الباب اجتراراً لما بدأ به الرواد ثم نجد مجموعة من راصدي رحلات الحج وما يمرون من أماكن وقبائل وأحداث ولعل أشهر هؤلاء ابن بطوطة وابن جبير وناصر خسرو وغيرهم وأكثرهم إحاطة وشمولاً الجزيري من أهل القرن العاشر الهجري.

وتأتي النهضة العربية الحديثة لتقابلنا رحلات باحثين متأخرين من أمثال الدكتور محمد حسين هيكل. ولكن هذه الرحلات لا تحقق ولا تدقق ولكنها

تصف ما تشاهد سوى محاولة الدكتور عبد الوهاب عزام تحديد موقع عكاظ ولا أريد أن أقوم تلك المحاولة فقد تناولها كل من الشيخ عبد القدوس الأنصاري والشيخ حمد الجاسر والدكتور ناصر الرشيد وغيرهم كثير.

إننا مع بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر نلتقي بأول رواد الاهتمام بجغرافية الأماكن على مستوى الجزيرة العربية ألا وهو الشيخ محمد بن عبد الله بن بلهيد الذي أظهر لنا عملاً جديداً ومكثفاً باسم "صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار" في خمسة أجزاء وذلك سنة ١٣٧٠هـ الموافق ١٩٥١م ولكن ماالدافع لتأليف هذا الكتاب الضخم؟ يقول الشيخ ابن بليهد:

"أما بعد؛ فإن الدوافع التي أثارت همتي إلى تصنيف هذا الكتاب، والاصطبار على مابذلت من جهد في تحقيق مباحثه، واحتمالي العناء المضني والنصب المبرح في سبيله؛ ترجع إلى ثلاثة أمور:

وقد أوضح يرحمه الله هذه الأمور الثلاثة بما مفاده:

أولها: ماأبداه كثير من رجالات الأدب العربي في المهجر لجلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود أثناء حضوره مؤتمر سان فرانسسكو في عام ١٩٤٥م عندما كان وزيراً لخارجية المملكة العربية السعودية؛ حيث أبدوا له عندما آنسوا فيه صفات العربي النبيل والحرص الشديد على مفاخر العرب ومآثرهم ما يشعرون به من حاجة ملحة إلى معرفة ماورد في الأشعار الجاهلية وخاصة المعلقات من الأودية والجبال والمياه والتلال والرمال والرياض والبلدان العامرة والدارسة ومعرفة ما بقي منها إلى يوم الناس هذا على اسمه الأول وما اعترى اسمه شيء من التغيير وذكروا أن في هذه المعرفة عوناً للأديب الذي يتمرس بدراسة آثار أولئك الشعراء.

وقد ذكر الشيخ محمد بن بليهد: أن جلالته استجاب لرغبة أولئك الأدباء

المهجريين فأمره أن يكتب في هذا الموضوع مبيناً كل ماء أو جبل أو واد أو كثيب.

وأن يبين مع ذلك ما كان منها باقياً باسمه القديم إلى اليوم وما تغير اسمه...

ثم يقول الشيخ ابن بليهد رحمه الله: "على أني لم أكتف بمعلوماتي الخاصة فقد انشأت أسفاراً جديدة حباً في الوقوف على الحقيقة إلى بلاد مختلفة.

الأمر الثاني: أني رأيت كثيراً من الباحثين في الأدب والتاريخ - حينما يتعرضون للكلام على مواضع جزيرة العرب يخطئون في تحديد بعض تلك المواضع، وعذرهم في ذلك واضح؛ لأنهم يعولون على المعاجم العربية القديمة، وتلك المعاجم- مع احترامي لمؤلفيها واعترافي بفضلهم - لا تخلو من نقص؛ لأن أكثر مؤلفيها لم يكتبوا ما كتبوه عن مشاهدة، بل عن نقل.

ويستثني من ذلك:

١ - الأصمعي في كتابه "مياه جزيرة العرب".....

٢- رسالة عرام بن الأصبغ السلمي الأعرابي "جبال تهامة ومحالها".....

٣- كتاب محمد بن ادريس بن أبي حفصة اليمامي عن نجد. .....

٤- كتاب "صفة جزيرة العرب" للهمداني. ......

وأما بقية المعاجم العربية كمعجم البلدان ومعجم أبي عبيد البكري وأمثالهما فمع جلالة قدر مؤلفيها يحتاج الباحث إلى التثبت في النقل منها.

(ولعل الشيخ محمد بن بليهد يعد أول من أشار إلى هذه النقيصة في عمل المعجميين المسلمين وهي أن أكثر مؤلفي المعاجم القديمة لم يكتبوا ماكتبوه عن مشاهدة. فكانت المنطلق الذي شحذ همم الباحثين من بعده إلى أعمال سنتحدث عنها).

والأمر الثالث. أن قوماً ممن أشرب قلوبهم حب العرب والعربية ما فتئوا يثيرون اهتمامي لهذا البحث ويتقاضونني الانقطاع له.

وقـد أشار إلى أفـراد شجعوه على الاستمـرار في نشر مـا بدأ بـه في جريـدة "البلاد السعودية" التي تصدر بمكة المكرمة ثم طبعه في كتاب.

ولكن الشيخ ابن بليهد يرحمه الله رغـم أنه حدد دوافعه للبحث والتقصي إلا أنه لم يفصل طريقته في البحث وماهي مصادره ولم نلحظ عنده كما لاحظنا عند ياقوت نقده لمصـادر بحثه إلا قوله ناقداً: إن بعضهم لم يشاهـد ما يتحدث عنه ولذا فهو يطعن في بعض معلوماتهم.

وقد تناول الباحث في كتابه المعلقات العشر...

وإذا كان علمـاء اللغة والنقـد الأدبي قد تنـاولوا الأمكنـة في هـذه المعلقات بالشرح والتحليل والتقويم والنقد فإن الشيخ ابن بليهد قد تناولها بدراسة المكان التي وردت فيه نـاقلاً عن ياقـوت وغيره ومضيفاً مـالديـه من معرفة وتجـربة في معرفته بالأماكن ومرجحاً إلا أنه يتناول الأسمـاء من الناحية اللغوية ليربط علاقة بين معنى الاسم وصفة المكـان ناقلاً بالتـالي عن ياقوت وغيـره من الجغرافيين المسلمين.

وقد ترجم ابن بليهد ترجمة مختصرة لكل شاعر من شعراء المعلقات ثم تتبع الأماكن التي جاءت في شعرهم شاعراً شـاعراً مبتدئاً بالمعلقات ثم بقية شعرهم مما غطى الجزء الأول وقسطاً من الجزء الثاني لايزيد على (٨١) صفحة.

وحاسة النقد والتدقيق والتصويب واضحـة لدى الشيخ ابن بليهد يرحمه الله؛ فهو يقول في ترجمته لامرىء القيس أول هؤلاء الشعراء:

«ومن عادة الشعراء المتقدمين ذكر المواضع المتباعدة في القصيدة الواحدة. بل في البيت الواحد وقد وفد على قيصر ملك الروم، وهو يقول في هذه الرحلة:

بكى صـاحبي لما رأى الـدرب دونه ... وأيقن أنـــا لاحقـــان بقيصـــرا

وإذا كان الحديث يجر بعضه بعضاً فإني أحب أن أشير إلى غلط وقع فيه كثير

من الباحثين في المواضع، وهو الاعتقاد بأن بلد الشاعر صاحب هذه المعلقة هي «مَرَاة» المعروفة في الوشم وأول من علمته وقع في هذا الخطأ كاتب نشر في جريدة «أم القرى» منذ ثلاث وعشرين سنة تقريباً رحلة بعنوان «الرحلة السلطانية».

ثم أتى كاتب آخر فنشر رحلة أخرى في جريدة «صوت الحجاز» في سنتها الأولى، قال فيها إن «مراة» هي «المقراة» التي وردت في شعر امريء القيس، ثم جاء كاتب ثالث فقال في كتاب مطبوع معروف: إن امرأ القيس ولد في «مراة» وآخر من علمته وقع في هذا الخطأ: الأستاذ أحمد حسين في كتابه «مشاهداتي في جزيرة العرب».

وبعد أن يستعرض من أخطأ من العلماء يشرح أسباب هذا الخطأ فيقول: «ومنشأ هذا الخطأ: أن «مراة» قد نسبت في بعض مؤلفات القدمى إلى امرىء القيس، ولكن اسم امرىء القيس اسم شائع في العهد الجاهلي، واشتهر به كثير من الشعراء وغيرهم، وللأستاذ حسن السندوبي بحث ممتع عن «المراقسة» طبعه مع ديوان امرىء القيس، وفي «المزهر» للسيوطي و «شعراء النصرانية» لليسوعي تفصيل عنهم. والذي وقع في مؤلفات أسلافنا من العلماء صحيح.

ولكن امرأ القيس الذي تنسب إليه «مراة» ليس هو امرؤ القيس بن حُجْر الكندي صاحب المعلقة؛ فقد جاء هذا الخطأ من الاغترار بذكر «امرىء القيس» وإنما هو امرؤ القيس بن زيد بن مناة بن تميم، وتميم هم سكان الوشم في العهد القديم. فمراة لبني امرىء القيس، وثرمداء لبني سعد، وأثيفية لبني يربوع من بني حنظلة الذين منهم بلال الشاعر، وذات غسل لبني العنبر.

وامرؤ القيس بن حجر الشاعر المشهور لم يسكن مراة المعروفة في بلاد الوشم» .

ثم يعرج بعدئذ على كل شاعر ويذكر اسمه وقبيلته وأهم المواضع التي جاءت في معلقته في سطور لاتقل عن تسعة ولا تزيد على عشرين في ثمان صفحات.

وبعدئذ ينتقل إلى دراسة المواضع لكل شاعر حسب تسلسلها في معلقته وفي القصائد الأخرى من شعر الشاعر.

وقد عرض للمواضع التي جاءت في شعر شعراء المعلقات في الجزء الأول والقسم الأول من الجزء الثاني فيما مجموعه حوالي (٣٣٠) صفحة.

أما القسم الثاني من الجزء الثاني فكان في ذكر أماكن وردت في غير المعلقات لشعراء مختلفين أخذت من جهده العلمي حوالي مائة صفحة ثم انتقل إلى موضوع حديث هو كلامه عن موقعة حدثت في الزمان الأخير بين قبيلتي عتيبة ومطير وهو في حديثه عن هذه الوقعة يربط بينها وبين موقعة أخرى حدثت في العصر الجاهلي بين بني قشير وبين بني يربوع من تميم في موقع «المَروُّت».

وبعد حديثه عن المروت وربطه بين حربين جرته الذكرى إلى حديث عن خرجة خرجها الأمير فيصل بن عبد العزيز للقنص ثم يعطف بذكر المواضع التي تقع بين جدة والرياض، ويذكر طرفًا من قصص اللصوص وكيف يتربصون بالحجاج ثم يتحدث عن مواضع في وسط نجد وكان بكل منها موقعة. وبعدئذ يتحدث عن العرب الباقين في أماكنهم منذ العصر الجاهلي إلى اليوم..

ثم ينتقل ابن بليهد يرحمه الله بعد ذكره للقبائل الباقية في أماكنها من العصر الجاهلي إلى الآن لمحديث عن موضوع لاصلة له بالأماكن وهو الشعر الفصيح وشبهه بالشعر النبطي وقد شرح معنى الشعر النبطي ثم أورد جملة من مختارات شعرية فصيحة ذات رابط لفظي أو موضوعي مع أبيات من الشعر النبطي.

ولعله يعتبر الرائد في مجال الاهتمام بالشعر النبطي.

ثم أردف ابن بليهد هـذا بتقريـر عن تحقيقه لموقع عكـاظ تحقيقاً ومشـاهدة وقد أخذ منه ذلك حوالي خمسة عشر سنة من ١٣٥٥هـ وحتى ١٣٦٩هـ.

حيث نشـر ماتـوصل إليه في مجلـة المنهل في ثمـان صفحات من عـدد ذي الحجة سنـة ١٣٦٩هـ. ويبـدو للقارىء أن محمد بن بليهـد يرحمـه الله قد أنهى بحثه عن الأماكن في الجزأين إلا أنه يفاجأ به يقول في مقدمة الجزء الثالث: «أما بعد فإنني كنت على نية أن أكتفي من كتابي «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثـار» بالجـزأين الأول والثاني اللـذين حـررتهما ولم أكتب فيهمـا إلا عن عيـان ومشاهـدة أوخبـر يقطع اليقين بصحته... ولكـن صاحب الفضيلـة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد الـذي تفضل بمراجعة هذين الجزأين عتب عليَّ أنني اقتصرت على هـذا المقدار من الأمـاكن التي بينت مواقعهـا واستثار همتي فيما قدم به الكتاب لأؤدي حق العروبة عليَّ فـأتم ما بدأته.. ففكرت فيما أتخذه من منهج في الجـزء الثالث فـرأيت أن أتكلم عن أسماء الأمـاكن بعد أن أرتبهـا على قدر استطاعتي.»

ثم رأى أن يحدد منهجه فقال:

«... فلمـا رأيت ذلك اعتزمت أن أذكـر من الأماكن مـالم يصب في تحديـده أصحاب المعاجم، وأنبه في كل مكان على ماقالوه، ولا أذكر شيئاً إلا مستنداً على إحدى دعامتين: الأولى المعاينـة والمشاهدة... والدعامة الثانيـة الأخبار الصادقة بأن أكون قـد سمعت ذلك من أفـواه العدد الكثير ممن زار المكـان فتطمئن نفسي إلى صحة أخبارهم.»

ثم دعا للبكري وياقوت بالجنة لما أسدياه لأبناء العرب من فضل عظيم.

ثم يبدأ مقـدمة الجـزء الرابع بقـوله: «فإني قـد سلكت في هذا الجـزء الرابع

مسلكي في الجزء الثالث وهو ماذكره البكري وياقوت من مياه وجبال وتلال وأودية وبقاع ورياض وبلدان عامرة وغامرة وأنبه على تحديدها وأبين خطأ العالمين» فهو قد اعتمد على البكري وياقوت وجعل هدفه:

١ - تحديد الأماكن التي ذكراها. ٢ - تبيين خطئهما وهما العالمان!!!

ثم يعقب على ذلك بذكر ما يعتقده خطأ من البكري مع أن مافعله البكري يعد من أبسط الطرق التي يتبعها أصحاب المنهج السليم إلا أنه لم يرق للشيخ ابن بليهد ربط البكري بين صرخد والنجير، وبين قدس ومبهل.

وهكذا سار المؤلف في الجزء الرابع والخامس السير الذي اتبعه في الجزء الثالث وكثيراً ما ألحظ عدم معرفة المؤلف بكثير من المواضع التي تقع خارج نجد لعدم خبرته بها ولذا فهو يذكرها ويذكر رأي ياقوت أو البكري دون أن يعلق على رأيهما أو يعلق بأن الاسم غير معروف أو لم يسمع به ويبدو واضحاً في كلامه عن «قرية» حيث حددها البكري ولكن الشيخ محمد بن بليهد يقول: «لا أعرف موضعاً يطلق عليه هذا الاسم في تلك الجهة التي حددها البكري» رغم أن الاسم لازال معروفاً بين الناس وهو اسم «قرية الفاو» ومن الملاحظ أن نجد الشيخ ابن بليهد يأتي بأحداث وقعت للبادية وفي البادية ليدلل بها على صحة مكان موضع بعينه من شعر شاعر نبطي فهو مغرم بذكر الحكايات والقصص والذكريات التي حدثت له ولذا أكمل الجزء الخامس بذكر خمسة أحداث من ذكرياته وهي مادة خصبة للدراسات الاجتماعية لشريحة من مجتمع وسط الجزيرة العربية ونجد خاصة.

وبعد فإن الشيخ محمد بن بلهيد لم يوفق في أن ينظم المواضع خلال دراستها على حروف المعجم ليسهل الوصول إليها ولو أنه فعل ذلك لما احتاج لأكثر من فهرس. كما أن ماجاء في هذا السفر الكبير يعد مادة خصبة للدارسين

وخاصة إذا ما أراد البعض تتبع أخطاء البكري وياقوت كما تصورها وأثبت بعضها. كما نلاحظ أن مصادره كانت محصورة في هذين المصدرين فقط رغم توفر المصادر الجغرافية الأخرى في عصره داخل المملكة وخارجها.

ورغم كل ذلك فإن الشيخ محمد بن بليهد يرحمه الله يعد رائداً في هذا الفن من المعاجم الجغرافية في عصرنا الحديث خارج نطاق المنهج العلمي المعروف.

ثم يصل بنا المطاف إلى الدور الكبير الذي اضطلع به الشيخ الجليل حمد الجاسر حيث أثرى المكتبة العربية بما حققه أو أشرف على طبعه من كتب التراث التي لها علاقة بجغرافية الجزيرة العربية وتاريخها حيث علق على الأماكن التي وردت في هذه الكتب وحددها للقارىء مبيناً ما بقي على اسمه حتى الآن أو ذاكراً أسماءها الحالية بعد التغيير ومن هذه الكتب:

١- بلاد العرب: للأصفهاني.
٢- صفة جزيرة العرب: للهمداني.
٣- معالم طابة: للفيروز آبادي.
٤- أبحاث أبي علي الهجري في تحديد المواضع.
٥- كتاب الجوهرتين: للهمداني، وماذيله الشيخ حمد من بحث عن التعدين والمعادن في جزيرة العرب موضحاً أماكنها.

أما الكتب التي ألفها عن جغرافية الجزيرة العربية وتاريخها فلن نعطيها حقها إلا إذا استعرضنا منهجه فيها وهذا ماسنقوم به لاحقاً إن شاء الله. ولعل أهم هذه الكتب:

١- معجم المنطقة الشرقية «البحرين قديماً».
٢- معجم شمال المملكة.

٣- في شمال غرب الجزيرة.

٤- المعجم المختصر للبلاد العربية السعودية الذي يحتوي على أسماء المدن والقرى والهجر وموارد المياه.

٥- مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ.

٦- كتاب «باهلة».

٧- نظرات في كتاب «تاج العروس».

على أننا لاننسى «مجلة العرب» التي يصدرها الشيخ حمد الجاسر ومالهذه المجلة من دور كبير في إبراز ما انطمر من جغرافية الجزيرة العربية وتاريخها وماخفي من معالمها ومواضعها.

ثم يأتي الدور الكبير وذلك باستقطابه عدداً من المهتمين بجغرافية الجزيرة العربية لتأليف «المعجم الجغرافي المطول للبلاد العربية السعودية» حيث تظافرت الجهود وصدر من هذا المعجم حتى الآن الكتب التالية:

١- شمال المملكة: للشيخ حمد الجاسر في أربعة أجزاء.

٢- المنطقة الشرقية: للشيخ حمد الجاسر في أربعة أجزاء.

٣- معجم اليمامة: للأستاذ عبد الله بن خميس في جزئين.

٤- معجم عالية نجد: للأستاذ سعد بن جنيدل في ثلاثة أجزاء.

٥- معجم بلاد القصيم: للأستاذ محمد العبودي في ستة أجزاء.

٦- مقاطعة جازان: للأستاذ محمد بن أحمد العقيلي.

٧- بلاد غامد وزهران: للأستاذ عليّ بن صالح الزهراني.

ولقد بذل مؤلفو هذه الكتب جهوداً مضنية، ولن ينسى القارىء مالاقوه من مشاق وصعاب في تحقيق المواضع التي ضمنوها كتبهم.

ولعلنا نتساءل فنقول:

هل يكتفى بموضـوع تحقيق الأماكن التاريخيـة والجغرافية بمـا تم تأليفه من كتب حتى الآن وهل تشبـع هـذه الكتب نهم البـاحث المتعمـق ويقتنع بمـا ورد فيها؟

أقـول: إنه لازال أمـام البـاحثين الشيء الكثيـر فهنـاك العديـد من المـواضع التاريخية لم تحقق بدقة، وأخرى لم تحدد أماكنها أصلاً.

وبتواضع العـالم العلامـة نجد الشيخ حمـد الجاسـر يقول في مقـدمة كتـابه «معجم المنطقة الشرقية»:

(لن يبلغ المرء الكمـال، في أي عمل من الأعمال، مهما بلغ من القـوة، عقلاً وعلمـاً وعملاً، والأعمـال - في هـذه الحياة - تنمـو وتقـوى بتظـافر العـاملين وتعـاونهم على كـر العصور، ولهـذا فإن على المـرء أن يعمل مـا في استطاعتـه عمله، وأن يدع لغيره من العاملين أسـاساً لذلك العمل، وأن لا يتقاعس عن فعل ما يستطيع فعلـه في سبيل الخير والنفع العام، عندمـا يرى عدم قدرتـه على بلوغ الغاية، فـالعمل النافع - مهما بلغ - ذو فائدة، والعـامل - وإن قصر - خير ممن لاعمل له.

إلى أن قال:

وأعيد القـول بأن هذا الكتـاب ماهو سـوى محاولـة أولى لتحديـد المواضع الجغـرافية المعـروفة، مع الاستنـارة بما ورد في المـؤلفات القـديمة ممـا يتعلق بالموضوع.

وهنـاك مـواضع كثيـرة بحاجـة إلى دراسـة أوفى وأعمق ممـا جـاء في هـذا الكتاب، ومواضع أخرى لم يتعرض لتحديدها...) انتهى.

أقـول: إن على شباب أمتنـا واجب إتمام مـابـدأه الشيوخ فتحقيق المـواضع يحتـاج إلى قدرة الشبـاب وتحملهم مشـاق التنقل والترحـال، وصعود الجبـال ونزول الوهاد، وقدرتهم على الغوص في طيات كتب التراث.

ولْنَطِّرح جانباً المجاملة على حساب التكتم على الحقائق فالحقيقة ضالة المؤمن، والعالم المنصف يسر بإكمال عمل بدأه، أو تصحيح خطأ وقع فيه.

وكثيراً ماتستبين الطريق إلى تحديد بعض المواضع من خلال النقد الهادف إذا توفر حسن النية، وسلامة الطويَّة.

ولن ننسى ما أمتعتنا به «مجلة العرب» التي يصدرها الشيخ حمد الجاسر عندما قرأنا فيها نقد الأستاذ سعد بن جنيدل لبعض الأماكن الواردة في كتاب «المجاز بين اليمامة والحجاز» للأستاذ عبد الله بن خميس.

حيث قدح الناقد زناد فكره فَصَوَّب ماكان رأى أنه خطأ؛ الأمر الذي أثار كوامن المعرفة لدى مؤلف الكتاب فتقبل برحابة صدر ماجاء متمشياً مع الصواب، ورد على النقيض مما أضفى على الكتاب زيادة في الشمولية والاستقصاء ولذا ذيل المؤلف كتابه «المجاز بين اليمامة والحجاز» بما تم نشره من نقد ورده عليه مما أضفى على الكتاب فائدة لقارئه بما أضافه الناقد، ومازاد به المؤلف من إيضاح كان الكتاب مفتقراً إليه.

ولعلي بهذا السرد المختصر عن مسيرة التأليف في مجال جغرافية الجزيرة العربية وتاريخها أصل إلى الهدف من هذه المقدمة وهو الكلام عن الكتاب الذي بين أيدينا «نظرات في معاجم البلدان».

وهو الكتاب الذي يعالج مؤلفه خلافاً بين الجغرافيين المحدثين حول تحديد أماكن اختلفوا فيها وفي تطبيق النصوص بشأنها ويهتدي في عمله هذا بشيئين:

محاولة تفسير نصوص الجغرافيين القدامى والمتأخرين، وبالرحلات الميدانية التي يرى فيها ويشاهد ويطبق ثم يصل إلى ما يعتقد أنه الصواب في تحديد المكان مع مراعاة عوامل الزمن في تغيير صورة المكان أو اسمه أو سكانه.

لقد كان اختيار الأستاذ عبد الله الشايع عنوان مجموعات أبحاثه باسم «نظرات في معاجم البلدان» صائباً. إن هي إلا نظرات ولكنها نظرات فاحصة ودقيقة، وقد حدد مجال بحثه في «تحقيق مواضع هامة في نجد» وأهمية المكان تأتي من حدث تاريخي أو دخوله ضمن صورة جمالية يضعها شاعر كامريء القيس لتأخذ وضعها الطبيعي ضمن مكونات اللوحة الفنية التي رسمها الشاعر وغيابها أو عدم تحديد مكانها يهز من قيمة اللوحة جمالياً وفنياً؛ ولذا فإن الوضع الفني يفرض الوضع المكاني.

ولنا أن نتساءل: ما الذي دفع بالأستاذ عبد الله إلى هذا الاتجاه؟

إنه يقول لنا في كتابه الأول ضمن سلسلة «نظرات في معاجم البلدان» الذي طبع سنة ١٤١٣هـ:

كان اهتمامي بجبال نجد ومواضعها يرجع إلى أيام الدراسة حيث كان مقرراً علينا في «مادة الأدب العربي» حفظ بعض القطع النثرية من أقوال العرب، وبعض النصوص الشعرية، وكان مدرس المادة أستاذاً فاضلاً ممن ولد ونشأ خارج الجزيرة العربية (ولم يقل: «من غير أهل هذه البلاد» كما يحلو للبعض أن يقول) وذات يوم كان يشرح لنا أبياتاً من قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس التي من ضمنها هذا البيت:

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له ... هوى له أحد وانهد ثهلان

وعند شرحه للمواضع الواردة في القصيدة قال: أحد وثهلان: جبلان حول المدينة المنورة. فقلت له هامساً: ياأستاذي أوافقك على أن أحداً جبل من جبال المدينة أما ثهلان فإنه يبعد عنها كثيراً حيث يقع في وسط عالية نجد، فلم يلتفت إلى ماقلته واستمر في شرحه وبعد نهاية الدرس قلت له على انفراد: إني متأكد مما قلته بالنسبة لموقع جبل «ثهلان» وأنه ليس من جبال المدينة، فأصر على قوله الأول.

فقلت لـه: وإذا قلت لك إن جبل ثهـلان الـذي نتكلم عنه يعتبـر من الأعـلام الشهيرة في نجـد وقد أكثر الشعراء من ذكـره، وأنا ولدت في قريـة في سفح هذا الجبل يظلها ظله بعد العصر لقربها منه.

عند ذلك أخذته الدهشة فابتسم وقال: إذاً أنت أدرى.

بعد تلك المنـاقشة صار لدي بعض الاهتمـام بمعرفة مايرد فـي أبيات الشعر العربي من المواضع. ولست هنـا أتكلم بصفتي رائداً من رواد هذا العلم ولكنني أتكلم كتلميذ في تلك المـدرسة، وقد يكـون من المسموح به أن ينـاقش التلميذ أستاذه عسى أن يظفر منه بحصيلة أكبر من المعرفة.

ثم يتحدث عن الجيل الجـديد أو الجغرافيين الجدد من أمثـال رائد هذا الفن الشيخ الجليل حمـد الجـاسـر - أطـال الله عمـره - ومن سـار على طـريقـه من الباحثين ممن أثر فيهم الشيخ الجـاسر فنهجوا نهجه وكانوا تـلاميذ له من أمثال: الشيخ عبـد الله بن خميس، والشيخ محمـد العبـودي، والشيخ سعـد الجنيـدل، والأستـاذ العقيلي، والاستاذ على الـزهرانـي، والأستاذ عـاتق البلادي الـذي لم يـدخل ضمن السلسلـة التي وضع خطتهـا الشيخ حمـد الجـاسـر تحت عنـوان «المعجم الجغرافي المطول للبلاد العربية السعودية» وإنما استقل بكتابه «معجم معالم الحجاز».

ويثني على ما بـذله هؤلاء من جهد، إلا أن الأستـاذ عبد الله يعطف على ذلك قائلاً:

«على أنه يمكنني القول بأن بعض المواضع التاريخية في عالية نجد ولا سيما تلك المـواضع التي حـدثت فيها كبـريـات أيام العـرب، أو ذكـرها الشعـراء في قصائدهـم لم تحدد أمـاكنها بـدقة، وعندمـا تكلم عنها علمـاء البلدان فـي وقتنا الحاضر حصل بينهم خلاف في تحديدها، ويبدو لي أنه رغم هذا الاختلاف فإن الكثير من تلك المواضع لم يحدد مكانها الصحيح».

ثم يقـول: « وهـذا مـا حملني على تحمـل عبء البحث والتحـري عن تلك المـواضع، وقد حـرصت كل الحرص على إلقـاء نظرات فـاحصة ودقيقـة على ماكتبه مؤلفو عصرنـا عن تلك المواضع ووجهة الخلاف بينهم حولها. فتبين لي أن كثيراً من المواضع المختلف بشأنهـا لم تحدد أماكنها بـدقة سواء من قبل من قام بتحديدها أصلاً أو من خالفه الرأي وجاء بتحديد يناقضه».

بعد أن حـدد الأستاذ عبد الله المشكلة بـدأ يستعد لها فتطلب الأمر منـه نظرات متأنية في معـاجم البلدان القـديمة، والمـراجع التاريخية، ومعـاجم اللغة العـربية، ودواوين الشعـراء المعـروف عنهم كثـرة ذكر الـديـار والمـواضع، وبعـد التحليل والمقارنة وجمع الأدلة قام برحلات ميـدانية رسم خططها مسبقاً مستعيناً بالله أولاً ثم بوسائل العلم الحديثة من أجهـزة تحدد المكان حسب خطوط الطول والعرض والارتفاع، واستطاع وضع خرائط علمية دقيقة بمساعدة الأستاذ سعد الماضي كما أضاف إلى أبحاثه صـوراً ملونة واضحة للأماكن، مبيناً الطرق إليهـا بما يؤيد وجهة نظره. ولعله أول باحـث يقوم بوضع جداول لما اختلف فيه العلمـاء حول موضوع معين لتحديـد أوجه الاتفاق وينـاقش أوجه الاختلاف، كمـا فعل بالنسبة لـلأماكن التي كانت تنزل فيها قبيلة عبس وصلتها بداحس والغبراء.

ولعل الأستاذ عبد الله ممن عني بـالأدب، واللغة العربية وتأثر بهـا وببلاغتها؛ فله قـدرة على الإيجاز حيـث أوجز عمله الأول فـي قولـه:(شرقت بــ « ثهمد» وَغَرَّبْتُ بـ « هضب القليب» وأشملت بـ «هضب متالع» وأجنبت بـ «امرَّة» كما أرجعت «قُطَيَّات» إلى افحـوصاتهـا في وضح الحمى «حمى ضريـة» وذلك بعد إجلاء «الخنافس» إلى مكانها في شمال الجزيرة العربية).

وبأسلوب هادئ ورصين يتحدث عن أطـلال خولة فيحلل ويقارن بين آراء الأساتذة ابن بليهد - يرحمه الله- والأستاذين ابن جنيدل والعبودي، ويعزز رأيه

بدراسة لغوية متبصرة في تعريف البرقة. ثم يختم حديثه بقوله:

«وعلى هذا فما دامت «شرْثَة» فقدت برقتها في نظري الخاص فعلى هذا الأساس تفقد وصفها بأنها «ثَهْمَد» ونترك صوت طرفة بن العبد يجلجل تائهاً بين الهضاب حتى نجد له هضبة حولها برقة نرشحها لأن تكون ثهمداً فنكتب مطلع معلقته على رمل برقتها بحجر من أحجار تلك البرقة:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد　　　تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وللمؤلف البحاثة أسلوب أدبي لاذع إذ يقول تحت عنوان «إجلاء الخنافس عن وضح الحمى»:

«هناك مثل يقول: (إن البُغَاثَ بأرضنا يستنسر) فمتى تصبح ضعاف الطير نسوراً؟ إذا اختلت المعايير، وفسدت الأمزجة؛ عندئذ يصبح القوي ضعيفاً، والضعيف نسراً كاسراً، ويبدو لي أنه في زمن مضى بعد ضعف اللغة العربية الفصحى والاستعاضة عنها عند التخاطب باللهجات العامية فسدت الأمزجة بحيث أصبح لا يفرق بين طير القطا وحشرة الخنفس.

وهذا ماحدث بالفعل لِقُطَيَّات امريء القيس الذي ذكرها عند تحديده لغيث نازل حيث قال:

أصاب قطيات فسال اللوى له　　　فوادي البدي فانتحى للأريض

والعرب القدامى هم الذين حددوا أسماء أعلام الجزيرة العربية من جبال وغيرها وأعطوا كل علم ما يليق به حسناً أم قبحاً، ودونوا لنا تلك المسميات بأشعارهم ومن ضمن تلك المسميات هضبات «قطيات» إنه اسم لطيف يدلك على جمال المسمى قبل أن تراه. فأين قطيات هذه؟»

وقد حصر كتابه الأول في ستة مواضع رئيسة هي:

هضب القليب، أطلال خولة، قطيات، خَفَا وخُفَاف، معدن الأحسن، ثم إمَّرَة وجبل متالع.

وبتحقيق هـذه المواضع يمكـن أن نقول: إنـه أبلى بـلاء حسناً وحقق مبتغـاه وجنى ثمرة سوف يستفيد منها الباحثـون فيكون بذلك حقق مالم يستطع تحقيقه من سبقه لظروف علمية.

أمـا الكتاب الثـاني في هـذه السلسلة فقـد خصصـه لمـوضوعين حـول كل موضـوع مواضع عـدة. فالأول هو: «الكُـلاَبُ» والثاني: عن عـدد من المواضع الواقعة بين « ضَارِجٍ» و«العُذَيْب». وقال في نهاية ذلك:

«أقول لكل ماتقدم: إن جميع المواضع التي ذكرها امرؤ القيس في أبياته التي مـرت معنـا كلها تقع فيمـا بين أبـان وقطن، وبين أعـالي وادي الـرُّمة الشمـاليـة والغربيـة وبين صحراء الغبيط شـرقاً. وهذا أمـر واضح وجلي لكل من يمحص ويدقق».

وهو بذلك يقدم زبدة ما وصل إليه في الموضوع الثاني.

أما الموضوع الأول «الكُلاَب» فإنه يقول في نهايته:

«وبعـد القيـام بـرحـلات ميدانيـة إلى جبـال العـرض وإلى بلـدة «نُخَيـلاَن» ومجاري الأوديـة هناك، وبعد تطبيق النصـوص التاريخية وأقوال علمـاء البلدان وأبيات الشعر العربي تبين لي: أن وادي الكلاب الـذي تخفى فيه بنو تميم عندما خـافوا مـن ملك فارس ومن أعـدائهم من العـرب مـاهو إلا مـايسمى في وقتنـا الحاضـر وادي «الخنقة» الذي تبدأ أعـاليه من مرتفعات الشُّـرَيف وجهات جبل «مأسل الجمح» ومأسل جأوة باهلة وغيرها. ولكل فرع من فروعه اسم خاص به كبقية الأوديـة التي تماثلـه في طول المجـرى وكثرة الفـروع، وأن الكلاب يطلق على الـوادي وعلى المكـان الـذي يجري فيـه قبل انحـداره من جبـال العـرض بالقرب من قـرية نخيلان، وقد يطلق على تلك النـاحية «قِدَّة» أيضاً لـوقوعها في وسط جبال القِدّ..»

وللأستاذ عبد الله في بحثه عن الكُلاب موقف راقني وهو إنصافه للجغرافيين القدامى عند مناقشته لأحد الجغرافيين المحدثين في تحديد وادي الكُلاب حيث يقول:

«إنه من غير الملائم أن نتسرع بالقدح في النصوص التي أوردها علماء البلدان القدماء مثل ياقوت والبكري إلا إذا ظهر لنا بما لايدع مجالاً للشك خطؤهم.

ونحن نشأنا في الجزيرة العربية وشاهدنا تلك المواضع ولدينا النصوص التي تتحدث عنها ومع هذا وقعنا في الخطأ فعلينا عدم التسرع بالقدح بأقوال الآخرين خاصة من لهم باع طويل في هذا المجال، وعلى كل ليس هناك أحد معصوم من الخطأ ولكن التشكيك في مقدرتهم على عدم تمييز الشواهد على حقيقتها غير مسلم به. فهم بلا شك أعرف منا بتلك المواضع، والشواهد التي ساقوها سواء كان ذلك شعراً أو نثراً لأنهم أخذوا عن رواة ثقات حديثي عهد بتلك المواضع وهؤلاء الرواة الذين نقل عنهم ياقوت والبكري والأصفهاني هم أهل تلك الديار وأدرى الناس بها. وإنما يقع عدم تمييز الشواهد على حقيقتها منا نحن في هذا الزمن نظراً لما طرأ على المواضع من تغيير وتبديل في مسمياتها.»

لله درك أيها البحاثة المنصف فقد أصبح من سمات عصرنا أن نبدأ دائماً بنقد من سبقونا وإظهار معايبهم لكي نصعد السلم الذي أنزلناهم منه ونرتقي في أعين من يتقبلون كل ما يقال لهم لعدم قدرتهم على التمحيص والتدقيق.

والأستاذ الشايع لم ينصف الجغرافيين القدامى فقط؛ بل أنصف بعض المحدثين في مواقف كثيرة من أمثال الشيخ محمد بن بليهد والشيخ حمد الجاسر.

وإذا كان الشيخ الجليل حمد الجاسر يعتبر رائداً لكوكبة من الباحثين الجغرافيين وصاحب مدرسة متميزة سأتحدث عنها إن شاء الله - في غير هذا الموضع - فإن الأستاذ عبد الله الشايع يعد رائداً لمرحلة جديدة في مجال البحث الجغرافي عن المواضع في المملكة العربية السعودية لأنه استطاع أن يستفيد من مصادر قديمة وحديثة ورسائل علمية متقدمة، ورحلات ميدانية يعد لها الإعداد الكامل ومن هنا فإننا أمام بزوغ فجر مدرسة علمية حديثة سيصبح لها دورها في الوصول إلى المواضع وتحديدها بكل دقة.

وأبحاث كهذه سوف تكون مقدمة لوضع أطلس جغرافي للمواضع في الشعر العربي وفي التاريخ لازلنا في حاجة إلى الوقوف عليها لنشعر بأهمية الحدث التاريخي وتفسير جوانب كبيرة من غوامض التفاصيل الدقيقة التي تكتنف بعض الأحداث، وتفيد في تصور وضع القبائل العربية وحركتها وتأثرها بالمكان، وانعكاس ذلك على الفنون العربية قاطبة وفن الشعر بشكل خاص كيف لا وهو ديوان العرب.

إن الأستاذ عبد الله الشايع يستحق كل الثناء والتقدير لهذا الجهد الذي حفزه إليه شعوره بانتمائه إلى هذه الأرض وحبه للكشف والمعرفة فله علينا حق الدعم والمساندة، ولا أظن إلا أن مراكز البحث العلمي في مملكتنا الحبيبة سوف تجد فيما يقدمه حافزاً لإنشاء لجنة علمية تعنى بأسماء الأماكن في المملكة كجزء من المجمع العلمي الملكي السعودي الذي نرجو أن يتوج مسيرتنا العلمية والحضارية والثقافية في عهد خادم الحرمين الشريفين.

وبالله التوفيق،

أ.د : عبد الرحمن الطيب الأنصاري

البحث الأول :

وادي الكُلاَب

البحث الثاني :

بين ضارج وبين العذيب

(تمهيــد)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

عندما صدر كتابي الأول (نظرات في معاجم البلدان ـ تحقيق مواضع هامة في نجد) لم أتصور أنه سيلقى القبول الذي لقيه من قبل الجهات المختصة، ومن قبل المهتمين بتاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها. وقد نفدت الطبعة الأولى من الكتاب في وقت قصير. لهذا ولما وصلني من خطابات تثني على الكتاب وتحثني على مواصلة البحث والتحقيق، ولأنني لم أقرأ نقداً لأي موضع من المواضع التي قمت بتحقيقها، وكلما قرأته بعض التعليقات المنشورة في بعض الصحف المحلية وكلها بحمد الله تثني على ماورد في الكتاب.

كل هذه الأمور مجتمعة شجعتني على المضي قدماً في تحقيق مزيد من المواضع التاريخية خاصة تلك المواضع المشهورة المختلف في تحقيق أماكنها، وهي لاتقل أهمية عن المواضع التي حققتها في كتابي الأول.

من هذه المواضع ماكان محل خلاف بين علماء البلدان قديماً، وقد زاد بعض الباحثين في وقتنا الحاضر من حجم هذا الخلاف وكل يدعي أنه توصل إلى المكان الصحيح.

ولَمَّا كنت غير مقتنع مما توصلوا إليه، وأن بعض تلك الأماكن التي حدثت فيها أيام العرب وحروبهم، أو جاء ذكرها في أشعارهم مثل المعلقات وغيرها لم تحقق تحقيقاً صائباً؛ لذا قمت برحلات ميدانية للبحث والتحري عن هذه المواضع في الجهات التي حددتها مسبقاً على ضوء النصوص القديمة.

وقد وفقت بعون من الله إلى تحديد أماكنها الصحيحة، ومالم أتأكد منه حاولت فتح الباب على مصراعيه أمام الباحثين لتحقيقه.

ومن المواضع التي قمت بتحقيقها وضمنتها كتابي هذا الذي بين يدي القاريء:

أولاً ـ «الكُلاَب» وهذا المسمى حدث فيه يومان من أشهر أيام العرب .

اليوم الأول : حدث حول ماء «الكُلاَب» الواقع بين الكوفة والبصرة، ويسمى يوم الكُلاب الأول.

واليوم الثاني: وقع قرب موضع «الكُلاب» الموجود في وسط عالية نجد.

ولاشك أن القاريء ستتملكه الدهشة عندما يقرأ ماقيل عن هذين الموضعين وما اعتورهما من تداخلات أدت إلى عدم تحديدهما تحديداً صائباً.

ثانياً ـ في آخر معلقة امريء القيس وصف لنا سحاباً أمطر على منطقة القصيم وماجاورها حيث قعد امرؤ القيس وأصحابه بين «ضارج»، وبين «العُذَيْبِ» يرقب هذا السحاب الذي أمطر أيمنه على جبل «قطن» وأيسره على «السِّتار ـ ويذبل».

فذكر أن السيل دَمَّر بلدة «تيماء»، واقتلع نخيلها، كما اقتلع الأشجار التي حول «كُتَيْفَة»، وأنه غطى جبيل «المُجَيْمِر» بحيث لم يبق منه إلا رأسه الذي بدا مثل فلكة المغزل إلى غير ذلك من المواضع التي ذكرها .

وقد تصدى شراح المعلقات، ومن جاء بعدهم على مر السنين لتحديد تلك المواضع.

ومع هذا فإن أغلب هذه المواضع لم يعرف مكانها الصحيح.

ولذا قمت برحلات ميدانية فكان من نتائج هذه الرحلات تحقيق كثير من المواضع المختلف بشأنها بين علماء البلدان في عصرنا الحاضر .

وقد أوضحت أماكنها على الخرائط التوضيحية التي زودت بها هذا الكتاب

لهذا الغرض كما زودته بصور فوتوغرافية لهذه المواضع ليتمكن القارىء من التعرف عليها ومن ثم الوصول إليها بيسر وسهولة.

وقد ساعدني على الوصول إليها وتحديدها ما أضفاه علماؤنا قديماً وحديثاً من ظلال على تلك المواضع، وذلك بتحليلهم للنصوص الواردة بشأنها، وشرحهم لأبيات الشعر العربي التي تكلمت عنها.

إن هناك كثيراً من المواضع لم تحدد بدقة، والخلاف قائم بشأنها وتحقيقها يتطلب جهداً جماعياً وعزيمة صادقة على أن يكون تحقيقها ميدانياً حيث تجاوزنا مرحلة التحقيق المكتبي فعلماء البلدان قديماً وحديثاً لم يتركوا قولاً لقائل حيث أبانوا النصوص، وحصروها والاستمرار في ترديدها لايعدو أن يكون كمن يدور في حلقة مفرغة لايمكن الخروج منها إلا بالزيارات الميدانية والتحقيق على أرض الواقع.

صحيح أن تلك الرحلات الميدانية تتطلب كثيراً من الجهد والوقت والمال، ولكن إذا أردنا تحقيقاً صائباً للأماكن الجغرافية والتاريخية في بلادنا فلا مندوحة من تظافر الجهود في هذا المجال.

وخير من يقوم بهذا الجهد هي الأقسام المتخصصة في جامعاتنا فمتى تَكَوَّنَ فريق يضم :

عالماً بتاريخ الجزيرة العربية في الجاهلية والإسلام، وآخر بالجغرافيا، وثالثاً في اللغة العربية وآدابها، ورابعاً في قراءة الخرائط ورسمها .

على أن يعرض ما يتوصل إليه هذا الفريق على لجنة من علماء البلدان المتخصصين في وقتنا الحاضر كمحكمين لأعمال هذا الفريق. فلاشك أننا بإذن الله سنحصل على تحديد دقيق للمواضع التاريخية والجغرافية في بلادنا.

أو أن يبرز لنا من جامعاتنا أو غيرها عالم شاب على شاكلة ياقوت الحموي

يكرس جهداً متميزاً ويؤلف معجماً للمواضع عن خبرة ودراية على غرار «معجم البلدان» الذي أَعْتَبِرُه مبرزاً بين المعاجم الأخرى، وقد صدق مؤلفه حينما قال في مقدمته :

(وعلى ذلك فإني أقول ولا أحتشم، وأدعو إلى النزال كل عَلَمٍ في العلم ولا أنهزم: إن كتابي هذا أوحد في بابه مؤمر على أضرابه، لايقوم بإبراز مثله إلا مَنْ أُيِّدَ بالتوفيق، وركب في طلب فوائده كل طريق، فغار تارة وأنجد، وطَوَّحَ بنفسه فأبعد، وتفرغ له في عصر الشبيبة وحرارته، وساعده العمر بامتداده وكفايته، وظهرت منه أمارات الحرص وحركته). انتهى .

وحري أن يبرز من شبابنا من يوفق ـ كما ذكر ياقوت الحموي ـ فيُشرِّق في البلاد ويُغرِّب، ويطوح بنفسه في الفيافي والقفار. بعيداً عن المكاتب والحيطان، وركوب مطية قال فلان وعلان. دون الوصول إلى نتيجة تذكر.

ولعلي بتقديم هذا الجهد المتواضع أوقد جذوة خمدت لدى المتخصصين، أو أستنهض همة استراحت لبرودة قاعات المحاضرات ولين أرائك المكتبات.

ولعل لهؤلاء عذراً وأنا ألوم .

على أني لا أتناسى مابذله علماؤنا في هذا الصدد ولكن أطمع بالمزيد المفيد.

وقبل الختام أقدم شكري لما لقيته بعد صدور كتابي الأول ـ من قِبَل المختصين في «كلية الآداب» بجامعة الملك سعود في الرياض وعلى رأسهم سعادة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن محمد الطيب الأنصاري عميد الكلية، وسعادة الأستاذ الدكتور سعد بن عبدالعزيز الراشد اللذين لقيت منهما كل تشجيع. ذاك التشجيع الذي جعلني أضاعف الجهد حتى أنهيت مادة هذا الكتاب.

وهاهو سعادة الاستاذ الدكتور عبدالرحمن الأنصاري يواصل تشجيعه بتفضله بالتقديم لكتابي هذا فله مني جزيل الشكر والامتنان على مابذله من جهد، رغم كثرة أعماله والمهام المنوطة به.

فبارك الله له في أوقاته ونفع بعلمه طلابه.

سائلاً المولى أن يلهمنا رشدنا ويهدينا إلى الصواب في جميع أعمالنا بما يرضيه عنا إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد .

عبدالله بن محمد الشايع

الكُلاَبُ

الكُلاَبُ : بضم الكاف، اسم لموضعين حدث فيهما يومان من أيام العرب قبل الإسلام ـ يسمى أحدهما: يوم الكُلاب الأول.

ويسمى الآخر: يوم الكُلاَب الثاني .

وهذان اليومان من كبريات أيام العرب التي جرت بينهم، وإذا ما أردنا معرفة موقع «الكُلاَب» من خلال المصادر التاريخية، والجغرافية فلن نظفر منها بتحديد واضح ومقنع. وهذا ماحدا بالمهتمين بتحديد المواضع في وقتنا الحاضر أن يجتهدوا في تحديد موضع الكُلاَب هذا.

ورغم مابذل من مجهودات واجتهادات بشأن تحديده فإن الباحث أو القارىء لن يجد تحديداً مقنعاً، وإنما سيجد تناقضاً في الأقوال.

وإذا ما التمسنا عذراً لمؤلفي معاجم البلدان القديمة الذين خلطوا بين المواضع ولم يتمكنوا من تحديدها تحديداً واضحاً نستدل من خلاله على معرفتها فذلك يعود إلى بعدهم عن تلك المواضع واعتماد الكثير منهم على الرواية فقط.

وإنما اللوم يقع علينا نحن الذين نشأنا وترعرعنا بجوار تلك المواضع.

ولست هنا أقلل من قيمة ماقاله علماء البلدان في وقتنا الحاضر فقد أجاد وأفاد كل من أدلى بدلوه في هذا المضمار.

ولكن يبدو لي أن البعض منهم انساق وراء الخلط العجيب في بعض المؤلفات القديمة عندما حاول أصحابها تحديد موضع «الكُلاب» وهذا الانسياق هو الذي ساهم في الحيلولة بيننا وبين تحديد مسمى «الكُلاب» ولو

بشكل يقرب من الصواب.

ويظهر لي أن تحديد الكُلاب الذي قال به أحد المؤلفين أخيراً أخذ شبه الاستقرار فأصبح المهتمون بتحديد المواضع في الجزيرة العربية، أو شراح الشعر العربي يأخذون بهذا التحديد.

ولما كنت غير مقتنع من هذا التحديد فقد أحببت أن أخوض في مياه وادي الكُلاب مع من خاض عسى أن أستخرج منها دليلاً يهدينا إلى موضعه الصحيح، أو يهدي إلى الجهة التي التقت أمواجها مع أمواج «البدي».

حيث قال لبيد بن ربيعة العامري:

لاقى الكلابُ البَدِيَّ فاعتلجا موج أتييهما لمن غلبا

وكتمهيد قبل الشروع في استعراض أقوال علماء البلدان قديماً وحديثاً عن موضع «الكُلاب» فقد استحسنت أن أورد بين يدي القارىء نبذة مختصرة عن قصة يومي الكلاب الأول، والثاني فأقول :

يوم الكُلاب الأول :

كان الحارث بن عمرو بن حجر (آكل المُرار) ملكاً على العرب في شمال الجزيرة العربية ففرق الحارث بنيه في قبائل العرب .

فكان شرحبيل بن الحارث في قبيلة بكر بن وائل، وطوائف من بني عمرو ابن تميم، والرباب. وكان سلمة بن الحارث في بني تغلب، والنمر بن قاسط، وسعد بن زيد مناة.

فلما هلك أبوهما مشت الوشاة بين شرحبيل، وأخيه سلمة فحصل بين القبائل التي معهما مناوشات فاستفحل بينهما الأمر فأعد كل من الأخوين عدته وزحفت الجيوش فسار شرحبيل بمن معه إلى «الكُلاب» ـ وهو ماء لبني

تميم بين الكوفة والبصرة ـ وتوجه أخوه سلمة ومن معه من قبائل العرب قاصداً الكلاب.

وعندما تواردوا ماء الكلاب جرت المعركة وثبت بعضهم لبعض فاشتد القتال وكثر القتلى وفي آخر النهار انسحبت بنو حنظلة، وبنو عمرو بن تميم، والرباب من بكر بن وائل. ثم انسحبت بنو سعد ومن معهم من بني تغلب.

فانحصر التناحر بين بني بكر، وبني تغلب. وكأن الأمر صار فرصة لتصفية حساب قديم بين القبيلتين. وفي الليل نادى منادي شرحبيل: من أتاني برأس سلمة فله مائة من الإبل.

ونادى منادي سلمة من أتاني برأس شرحبيل فله مائة من الإبل.

وقد انكشف شرحبيل بعد انسحاب بني تميم عنه حيث كان نازلاً فيهم فعرف مكانه وقتل. وقصة يوم الكلاب الأول طويلة ولسنا هنا نتكلم عن تفاصيل تلك المعركة إذ مبتغانا تحديد المكان الذي حدثت فيه ليس إلا.

يوم الكلاب الثاني :

عندما أوقع كسرى ببني تميم يوم «الصَّفْقَة» وقد يسمى يوم «الْمُشَقَّر» ـ والمشقر حصن لعامل كسرى في هجر ـ وكثر القتل في بني تميم نتيجة لخديعة دبرت لهم في هذا المكان. تشاور حكماؤهم فاستقر رأيهم على أن يرحلوا عن منازلهم شرقي الدهناء ـ «نطاع» وماحوله ـ إلى مكان آمن لايعرف أعداؤهم عنه شيئاً حتى لاتستأصل شأفتهم. فارتحلوا إلى «قِدَّة» وقِدَّة ماءة بالكلاب. وقد بقوا في الكلاب دون أن يعلم بهم أحد من أعدائهم حتى إذا تهور القيظ مرَّ بهم رجل من أهل «هجر» فشاهد ما معهم من النعم وسبر غورهم، فأخبر عنهم مذحجاً فبعثوا الرسل في قبائل تلك الناحية وكذا أحلافهم

من قضاعة فاجتمع ثمانية آلاف وقيل اثنا عشر ألف مقاتل، وذكر أنه لايعلم جيش جهز في الجاهلية أكبر منه، ومن جيش كسرى في يوم ذي قار، ومن يوم «جَبَلَةَ». فاتجه هذا الجيش قاصداً بني تميم في الكلاب.

ويقال: إن هذا الجيش نزل «تَيْمُنَ» قريباً من الكلاب. كما قيل: إنه نزل «عَرْوَةَ» قريباً من الكلاب.

وهذان الموضعان تيمن، وعروة، قريبان من بعضهما في وسط عالية نجد. وقد ابتدأ هذا الجيش بسلب نَعَم بني تميم، وعندما علم بنو تميم بذلك هبوا لإنقاذ ما سلب منهم، فجرت بين الطرفين معركة استمرت أكثر من يوم وقد انتصر بنو تميم على تلك القبائل المعتدية فقتل من قتل، وأسر من أسر ونجا من فر بجلده.

وقد أعود لتفصيل أكثر عن أحداث تلك المعركة إذ من خلالها سيتبين لنا الموقع الذي حدثت فيه، وهذا الموضع هو مانريد تحقيقه.

فياترى ماذا قال محققو المواضع في عصرنا الحاضر عن هذا الموضع؟

إذا ألقينا نظرة في المراجع الحديثة نجد أن من بحث في تحديد «الكلاب» بصفة جادة اثنان هما الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ والاستاذ سعد بن جنيدل. فلنستعرض رأي كل منهما:

أولاً ـ رأي الشيخ محمد بن بليهد وتحديده للكلاب:

يقول عند كلامه عن هذا البيت من شعر امرىء القيس :

كما لاقى أبي حجر وجدي ... ولا أنسى قتيلاً بالكلاب

(اختلف أهل التاريخ وأهل المعاجم في موضع وادي الكلاب. قال صاحب معجم البلدان:

قال أبو زياد: «الكُلَابُ واد يسلك بين ظهري ثهلان وثهلان جبل في بلاد بني نمير» والمكان الذي يقارب هذا الاسم واد يقال له «الكلبة» وهو واقع بين ثهلان ومجيرة ينصب سيله في وادي الشَّعْرَاء.. يتفرع سيله من حذنة... وحذنة ومجيرة باقيتان على اسميهما....

أما وادي الكلاب فأغلب الظن أن اسمه في العصر القديم قبل أيام الكلاب شيء غير هذا الاسم وأن هذا الاسم لم يطلق عليه إلا بعد تلك المعارك التي وقعت بين العرب وكانت به وإنما سموه بذلك لما لقوا فيه من التكالب والشر، والذي نعتقده أن اسمه الذي كان قبل ذلك «وادي قحقح» وهذا الوادي، باق بهذا الاسم إلى هذا اليوم. وقد ذكروا في أخبار أيام العرب في اليوم الأخير من أيام الكلاب:

أن مسعود بن القريم فارس بكر بن وائل قتل في وادي الكلاب الذي كانت به الوقعة قتله حشيش بن نمران:

ونحن تركنا ابن القريم بقحقح   *صريعاً مكباً لليدين وللفم*

فإذا قارنت تبين أن وادي الكلاب هو وادي قحقح[1]) انتهى باختصار

ويقول في كتاب «ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه»:

(وادي الكلاب : واد قريب «دمخ» واستعار المتأخرون وسموه وادي قحقح ووادي الكلاب دار فيه معارك عظيمة بين العرب فما سمي وادي الكلاب إلا لتكالبهم فيه، وهذا الوادي هو الذي يقول فيه لبيد بن ربيعة العامري:

لاقى *الكلاب البدي فاعتلجا*   *سيل أتييهما لمن غلبا*[2]

---

(١) صحيح الأخبار ص ٤٣/١ .
(٢) ص ١٠٤ .

تعليقي على رأيه رحمه الله :

١ ـ يفهم من كلامه عن بيت امرىء القيس أنه يذهب إلى الرأي القائل: بأن يوم الكلاب الأول، والكلاب الثاني حدثا في مكان واحد هو وادي الكلاب الذي حدده بوادي «قحقح».

ومعلوم أن امرأ القيس ذكر في أبياته التي من ضمنها هذا البيت من قتل من آبائه وأعمامه فقوله: (ولا أنسى قتيلاً بالكلاب) يقصد به عمه شرحبيل بن الحارث الذي قتل في يوم الكلاب الأول الذي وقعت معركته عند ماء الكلاب الواقع بين الكوفة والبصرة في شمال الجزيرة العربية لا في وسطها.

٢ ـ في قوله الأول في صحيح الأخبار قال: (أما وادي الكلاب فأغلب الظن أن اسمه في العصر القديم قبل أيام الكلاب شيء غير هذا الاسم.. والذي نعتقده أن اسمه الذي كان قبل ذلك «وادي قحقح»).

بينما نجده في قوله الثاني يقول:

(وادي الكلاب: واد قريب دمخ واستعار المتأخرون وسموه وادي قحقح).

وهذان القولان كما فهمت متناقضان .

٣ ـ عندما ذكر رحمه الله وادي «الكلبة» الواقع بين ثهلان ومجيرة، قال: إنه يقارب وادي الكلاب في الاسم. ورغم أنه يعرف أن أحداث معركة الكلاب الثاني وقعت بالقرب من هذا الوادي الذي يشابه اسمه اسم الوادي الذي سميت به المعركة إلا أن ذلك لم يُقنِعْهُ فراح يبحث عن واد اسمه «الكلاب» يتجه سيله جنوباً ويصب في وادي الركاء لئلا يحصل تعارض بين قوله وماجاء في بيت لبيد بن ربيعة العامري.

ويبدو لي أن بعض المواضع التي أطلق عليها اسم الكلاب ومنها وادي «الكلبة» ، ووادي الكلاب الذي يسلك بين ظهري ثهلان، وماء الكلاب أحد مياه ثهلان كل هذه أطلق عليها هذا المسمى بعد حدوث معركة الكلاب الثاني نظراً لقربها من مكان المعركة فقط أما اسمها قبل ذلك فشيء آخر.

أما الكُلاب الذي وقعت فيه معركة الكلاب الأول فهو الماء الواقع بين الكوفة والبصرة، والكلاب الذي سميت به معركة الكلاب الثاني هو مانسعى إلى تحقيقه إذ هو محل الإشكال.

٤ ـ أما القول بأن وادي «قحقح» هو وادي الكلاب فلم أعثر فيما قرأته على مايدل على ذلك، ومايسمى «يوم القحقح» ليس له علاقة بيوم الكلاب فهو يوم مستقل بذاته جرت أحداثه بين بني تميم وبني بكر بن وائل.

فقد أفرد شهاب الدين النويري لهذا اليوم عنواناً مستقلاً حيث قال:

(يوم القحقح وهو يوم المالَّة) لبني يربوع على بكر.

(أغارت بنو أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان على بني يربوع ورئيسهم مُجَبَّة ابن ربيعة بن ذهل فأخذ إبلاً لعاصم بن قرط أحد بني حميد وانطلقوا .

فطلبهم بنو يربوع فناوشوهم فكانت الدائرة على بني ربيعة وقَتَلَ المنهالُ بن عصمة مُجَبَّةَ بن ربيعة فقال في ذلك ابن حمران الرياحي:

وإذا لقيت القوم فاطعن فيهم … يوم اللقاء كطعنة المنْهَالِ

ترك المجَبَّةَ للضباع مجدلاً … والقوم بين سوافل وعوال[1])

وتتفق هذه الرواية مع رواية صاحب العقد الفريد ماعدا ورود اسم «عبيد»

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ص ٣٨٥/١٥ .

بدل حميد، وتسميته لقائل البيتين بأنه نمران الرياحي. ولاشك أن هذا الاختلاف تصحيف في الأسماء فقط. كما وردت كلمة «منكساً في البيت الثاني بدل «مجدلاً». ومن هذا يتبين لنا أن وادي «قحقح» ليس هو وادي الكلاب الذي نبحث عنه.

ثانياً ـ رأي الأستاذ سعد بن جنيدل وتحديده للكُلاب:

لن أثقل على القارىء بإيراد كل ما قاله عن الكلاب، بل سأكتفي بذكر ماله علاقة بموضوعنا الذي نحن بصدده مع الاختصار الشديد وعلى القارىء الرجوع إلى ماقاله المؤلف في رسم «الشَّعْراء» في كتابه «عالية نجد» أحد أقسام المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، من صفحة (٧٦١) إلى صفحة (٨١٢) من الجزء الثاني إذا رغب ذلك.

ويتبين لنا مما قاله أنه يرى أن وادي الكلاب هو وادي الشَّعْرَاء.

وفيما يلي المبررات التي استند عليها في رأيه ومناقشتي لهذا الرأي:

١ ـ يقول عن الكلاب بعد أن أورد بعض النصوص:

(ويفهم مما ذكره المؤرخون وما أوردوه من الشواهد في وصف وادي الكلاب وتحديده أنه هو وادي الشَّعْراءِ، وأنه هو الوادي الذي وقع فيه اليومان الشهيران من أيام العرب الحربية ـ يوم الكلاب الأول ويوم الكلاب الثاني ـ وقد ورد في أخبار هذين اليومين وماقيل فيهما من الشعر ذكر ثهلان وتيمن (تيماء) وحذنة ومجيرات، وهذه الأعلام كلها حافة بوادي الشعراء (الكلاب) وسيلها يدفع فيه[1]).

ثم أورد المؤلف أقوالاً لبعض علماء البلدان القدماء لاداعي لذكرها هنا

(١) عالية نجد ص ٧٦٥/٢

خشية التكرار لأنها سترد معنا عند مناقشة آراء المؤلف. وبعد إيراده لتلك الأقوال أردف قائلاً:

(مما تقدم يتبين لنا بوضوح موقع وادي الكلاب وتحديده، وكذلك صفته الجغرافية وليس فيما ذكره المؤرخون اختلاف في موقع وادي الكلاب، أو وصفه بل إنما ذكروه يؤيد ويكمل بعضه بعضاً في توافق في الوصف والتحديد.

وكلهم يتفقون أنه واد بين ظهري ثهلان، وأنه بين جبلة وشمام، وأن بين أدناه وأقصاه مسيرة يوم، وأن أعلاه مما يلي اليمن وأسفله مما يلي العراق[1]).

إلى أن قال:

(وهذه الصفات التي ذكرها المؤرخون لوادي الكلاب تنطبق تمام الانطباق على وادي الشعراء، غير أنه تغلب عليه اسم الشعراء ـ التي هي أحد موارد مياهه القديمة ـ بعد أن أصبحت بلدة عامرة مأهولة بالسكان[2]).

المناقشة:

ظهر لي من الأقوال المتقدمة أن المؤلف جزم جزماً قاطعاً بأن وادي الكلاب الذي حدث فيه يوم الكلاب الثاني هو وادي «الشّعْراء».

ولست مع المؤلف في رأيه هذا كما أنني لست معه في أنه يفهم من كلام المؤرخين، وما أوردوه من الشواهد في وصف وادي الكُلاب وتحديده أنه هو وادي الشعراء.

---

(١) عالية نجد ص ٢/٧٦٦

(٢) عالية نجد ص ٢/٧٦٧

وأنه ليس فيما ذكروه اختلاف في موقع هذا الوادي أو وصفه، وأنما ذكروه يؤيد ويكمل بعضه بعضاً مع توافق في الوصف والتحديد.

وأنهم كلهم يتفقون أنه واد بين ظهري ثهلان، وأنه بين جبلة وشمام.

وأن الصفات التي ذكروها لوادي الكلاب تنطبق تمام الانطباق على وادي الشعراء.

بل أقول :

إن المؤرخين وكذا علماء البلدان مختلفون تمام الاختلاف في تحديد مكان الكلاب هذا، وأن أي نص ورد بشأنه لايظهر منه بوضوح تحديد موقعه بشكل دقيق. وأعني بذلك موقع الكلاب الذي نسبت إليه معركة «الكلاب الثاني» أما الكلاب الذي حدثت فيه معركة الكلاب الأول فتحديد مكانه واضح لاغبار عليه إلا عند من اختلطت عليه النصوص.

وسأدلل على قولي هذا عند استعراض النصوص الواردة بشأنه سواء تلك التي ذكرها المؤلف أو غيرها من النصوص.

٢ ـ يقول المؤلف :

(إن وادي الشعراء هو وادي الكلاب الذي وقع فيه اليومان الشهيران من أيام العرب الحربية ـ يوم الكلاب الأول ويوم الكلاب الثاني[١])

ويقول في موضع آخر :

(ومما يزيد الأمر وضوحاً ولايدع مجالاً للشك في أن وادي الشعراء هو وادي الكلاب، وأنه هو الموضع الذي وقع فيه اليومان الشهيران من أيام العرب ماجاء في شعر محرز بن المعكبر الضبي في يوم الكلاب الثاني..[٢]).

---

(١) معجم عالية نجد ص ٧٦٥/٢

(٢) معجم عالية نجد ص ٧٦٧/٢

وقال في موضع ثالث :

(وفي هذا الخبر مايثبت أن وادي الكلاب الذي وقع فيه اليومان الشهيران من أيام العرب هو الكلاب الواقع بين ظهري ثهلان[1]).

المناقشة :

من هذه الأقوال الثلاثة يتبين أن المؤلف يرى أن يومي الكلاب الأول والثاني وقعا في مكان واحد حدده بأنه وادي «الشُّعْرَاء» ومما يؤيد القول بأن المؤلف يرى أن معركة الكلاب الأول وقعت في وادي الشعراء قوله: (أما ماذكره بعض المؤرخين من أن الكلاب بين البصرة والكوفة فإن هذا التحديد مقيَّد بقولهم: على سبع ليال أو نحوها من اليمامة[2]).

أقول : لست مع المؤلف من أن هذين اليومين حدثا في موضع واحد هو وادي «الشعراء» فيوم الكلاب الأول وقع عند ماء الكلاب، وهو ماء لبني تميم في شمال الجزيرة العربية وبالتحديد بين الكوفة والبصرة.

أما الكلاب الذي سميت به معركة الكلاب الثاني فهو مانسعى إلى تحقيقه وهو بلاشك واقع في عالية نجد. ولعلنا نتساءل عن السبب الذي أوجد هذا الالتباس عند بعض الباحثين بحيث قالوا إنهما حدثا في مكان واحد، ويمكنني فيما يلي الإجابة عن هذا التساؤل:

أ ـ من المصادفات العجيبة أن تقع المعركة بين شرحبيل وسلمة ابني الحارث ومن معهما من قبائل العرب حول ماء الكلاب الواقع في شمال الجزيرة.

وأن تقع المعركة بين مذحج وأحلافها، وبين بني تميم بالقرب من مكان

(١) معجم عالية نجد ص ٧٦٩/٢ .
(٢) عالية نجد ص ٧٧٩/٢ .

يسمى الكلاب أيضاً. والموضعان متباعدان فالأول بين الكوفة والبصرة والثاني في عالية نجد. وكلنا يعرف تعدد المواضع التي تحمل مسمى واحداً مع اختلاف جهاتها سواء كانت جبالاً، أو أودية، أو موارد مياه.

ب ـ من الأمور التي أوجدت الالتباس، أن كلاً من كندة وبني تميم كانوا طرفاً في معركتي يوم الكلاب الأول والكلاب الثاني مع اختلاف مسبباتهما وتباعد مكان حدوثهما.

ج ـ ومما زاد طين وادي الكلاب بِلَّةً فزاد من صعوبة الوصول إليه أن بني تميم عندما خافوا دوران العرب عليهم بعد يوم «الصفقة» ولجوا في الكلاب على ماء «قِدَّة» الموجود في عالية نجد بينما نسب لهم ماء الكلاب الذي حدثت عنده وقعة الكلاب الأول.

وفي نظري أن تلك الأمور مجتمعة أوجدت عند بعض علماء البلدان خلطاً بين تلك المواضع ولعله يحق لنا أن نسأل فنقول: من أين نشأ القول بأن يومي الكلاب الأول والكلاب الثاني حدثا في مكان واحد؟

وسأحاول أن أتوصل إلى منشأ هذا القول ومن ثم التفريق بين الموضعين لكي نفرغ من يوم الكلاب الأول والحديث عنه لأن بحثنا هنا يدور حول الكلاب الذي نشبت بالقرب منه معركة الكلاب الثاني فنسبت له فأقول:

مما قرأته ظهر لي أن ممن قال بهذا الرأي هم:

١ ـ الميداني: صاحب «مجمع الأمثال» حيث قال في الجزء الرابع مانصه:

(١٧ ـ يوم الكلاب: بالضم والتخفيف: ماء عن يمين جبلة وشمام، وقال: «إن كلاباً ماؤنا فخلوه» وللعرب به يومان مشهوران يقال لهما الكلاب الأول، والكلاب الثاني في أيام أكثم بن صيفي[(١)]).

---

(١) ص ٩/٤.

٢ ـ ابن دريد: في كتابه «الاشتقاق» قال:

(والكلاب: موضع بالدهناء بين اليمامة والبصرة كانت فيه وقعتان إحداهما بين ملوك كندة الإخوة والأخرى بين بني الحارث وبين بني تميم، يذكر ذلك أبو عبيدة في كتابه الأيام، وهما كلابان: الكلاب الأول والكلاب الثاني[١]).

٣ ـ العسكري: يقول في كتابه «شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف»:

(الكلاب: ماء. وقيل: موضع بالدهناء بين اليمامة والبصرة، كان به وقعتان عظيمتان للعرب؛ إحداهما بين ملوك كندة الإخوة، والأخرى بين بني الحارث وبين بني تميم، فقيل الكلاب الأول والكلاب الثاني[٢]).

٤ ـ الحميري: صاحب كتاب« الروض المعطار في خبر الأقطار» قال:

(الكلاب: واد لبني عامر بين العراق واليمن، وكان يوم الكلاب الأول والثاني من مشاهير أيام العرب..[٣]).

قل لي بربك: ماذا نفهم من هذا النص؟ فما أبعد مابين العراق واليمن وما أكثر الأودية !

٥ ـ الأساتذة محمد أبو الفضل إبراهيم وزميلاه: قالوا في كتابهم «أيام العرب في الجاهلية»: وذلك عند كلامهم عن يوم الكلاب الثاني حيث عرفوا لنا «الكلاب» في الهامش بما نصه:

(* لتميم على مذجح، والكلاب اسم ماء بين الكوفة والبصرة[٤]).

---

(١) ص ٢١ .
(٢) ص ٢٢ .
(٣) ص ٤٩٣ .
(٤) ص ١٢٤ .

ولست أدري لماذا التبس على مؤلفي الكتاب موضع الكلاب الأول مع الكلاب الثاني. ويبدو لي أنهم فهموا من قول صاحب لسان العرب: (وكانت فيه وقعة مرتين، وقد يسمى بعضهم يوم الكلاب الأول يوم «جدود لذلك»[1]).

وحقيقة الأمر أن الوقعتين اللتين أشار لهما صاحب اللسان هما: يوم جدود، ويوم الكلاب الأول، وقد يكون حصل لبس عند مؤلفي الكتاب بأن يوم جدود هو يوم الكلاب الثاني والواقع غير ذلك. والذي أوجد الإيهام لدى البعض هو: وجود بني تميم طرفاً في تلك المعارك وهذه المياه لهم.

٦ ـ محمد بن عليّ الأكوع الحوالي: محقق الجزء الأول من كتاب «الإكليل» للهمداني قال تعليقاً ذيل صفحة (١٤٤) شارحاً كلمة «الكُلاَب»:

(الكلاب:.. واد من ديار بني تميم من نجد.. وفيه ماء يسمى قدة بالتخفيف والتشديد وفيه كان يوم الكلاب الأول، ويوم الكلاب الثاني).

٧ ـ أما خير الدين الزركْلي فعند ترجمته لعبد يغوث بن صلاءة الحارثي، وهو قائد قومه في معركة الكلاب الثاني أجده في الهامش من صفحة (١٨٧/٤) من كتابه النفيس «الأعلام» يقول: (وفي سمط اللآلي ٣:٦٣ «عبد يغوث بن معاوية بن صلاءة، وقيل: ابن الحارث بن وقاص بن صلاءة» وأشار إلى قصيدته اليائية، وأنه قالها يوم الكلاب الثاني، والكلاب بضم الكاف ماء لتميم بين الكوفة والبصرة، وهو يوم

(١) انظر هامش ص ١٧٨ من كتاب «أيام العرب في الجاهلية».

«الصفقة» أيضاً لتميم وأحلافهم على أفناء مذحج وأحلافهم من اليمن، وأسروا فيه عبد يغوث وقتلوه).

وإزاء هذا التناقض في الأقوال أرى: أن من قال بهذا القول أخذه عن نص سابق لقوله ولكنه لم يمعن النظر فيه بل أخذه على علاته رغم معارضته للنصوص التاريخية، والجغرافية الموثوقة.

وهنا لابد من تحديد مكان «الكُلاب» الذي حدث فيه يوم الكلاب الأول وهو ماء الكُلاب الواقع في شمال الجزيرة العربية فإليك ماتمكنت من حصره من أقوال علماء التاريخ وعلماء البلدان:

أ ـ قال ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ» وهو يتحدث عن «يوم الكلاب الأول» رواية عن ابن الكلبي.

(جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف إليه بالجيوش فسار شرحبيل فيمن معه من الجيوش فنزل «الكُلاَب» وهو ماء بين البصرة والكوفة. إلخ[1]).

ب ـ قال صاحب «الأغاني» وهو يحكي عن «الكلاب الأول»:

(فنزلوا الكلاب وهو فيما بين الكوفة والبصرة على سبع ليال من اليمامة، وكان أول من ورد الكلاب من جمع سلمة سفيان بن مجاشع[2]).

ج ـ يقول ياقوت الحموي في رسم «جَدُود»:

(جَدُود: اسم موضع في أرض بني تميم قريب من حزن بني يربوع على سمت اليمامة فيه الماء الذي يقال له الكلاب وكانت فيه وقعتان عظيمتان من أعرف أيام العرب وكان اليوم الأول منها غلب عليه يوم جَدُود[3]).

---

(١) كتاب الكامل ص ٣٣١/١

(٢) كتاب الأغاني ص ٢٠٨/١٢ (الثقافة)

(٣) معجم البلدان ص ١١٤/٢

د ـ وفي كتاب «الأمكنة والمياه والجبال» يقول الزمخشري: (الكلاب: ماء بين البصرة والكوفة[1]).

أما عن الكلاب الموجود في عالية نجد فلم يذكره الزمخشري إلا في رسم «قدّة» وذاك مكانه الصحيح.

وكأني بالأمر قد التبس على البعض فظن أن الوقعتين العظيمتين اللتين أشير إلى وقوعهما في الكلاب القريب من حزن بني يربوع هما يوم الكلاب الأول، والكلاب الثاني والصواب أنهما يوم جدود ويوم الكلاب الأول.

ومن يرجع إلى أمهات كتب التاريخ ويقرأ عن يوم الكلاب الأول ويوم جدود يتضح له أنهما واقعان بالفعل في شمال الجزيرة العربية.

ولو لم يُسَمَّ يوم جَدُود بهذا الاسم لكان اسمه «يوم الكلاب» أيضاً ولأصبح لدينا ثلاثة أيام للعرب كلها تدعى «يوم الكلاب» إثنان منها سميت بالكلاب الواقع بين الكوفة والبصرة، والثالث الكلاب الواقع في عالية نجد.

وكما أسلفت فكل المعارك الثلاث: يوم جدود، ويوم الكلاب الأول، ويوم الكلاب الثاني كان بنو تميم طرفاً فيها مع أن لكل معركة ظروفها وأسبابها.

ولست أدعي بأنني أنفرد باستظهار القول بأن يوم الكلاب الأول حصل عند ماء الكلاب الموجود بين الكوفة والبصرة؛ ولكن كل من يقارن بين تلك الأحداث يتكشف له ذلك بوضوح.

فهذا الشيخ حمد الجاسر في كتابه «باهلة» يقول وهو يتكلم عن موضع الكلاب الذي نسب إليه يوم الكلاب الثاني:

(وهناك يوم الكلاب الأول وقع بين شرحبيل وسلمة ابني الحارث بن عمرو

---

(١) ص ١٩٥ .

الكندي في حدود العراق[1]).

ولكل ماتقدم نخلص إلى أن يوم الكلاب الأول وقع هناك في شمال الجزيرة العربية حول ماء بني تميم المسمى بالكلاب، وبهذا يبقى لدينا كُلاَبٌ واحد هو الموجود في وسط عالية نجد وهو مانسعى إلى محاولة معرفة مكانه وهو موضوع بحثنا.

ولنعد إلى مناقشة ما أورده مؤلف معجم «عالية نجد» حياله:

٣ ـ قال مؤلف «عالية نجد» وهو يعلق على رأي الشيخ محمد بن بليهد حول الكلاب مانصه:

(أما ماذكره محمد بن بليهد في تحديده، فمن الملاحظ أنه قال في بداية حديثه: قد اختلف أهل المعاجم وأهل التاريخ في موضع وادي الكلاب ثم أورد بعضاً من أقوال المؤرخين في تحديده وأورد شواهد من الشعر الذي قيل في يوم الكلاب مقرراً بذلك كله أنه هو وادي الشعراء. إلخ[2]).

إلى أن قال: (وقد رأينا أنه ـ رحمه الله ـ بذل جهداً ومحاولات اجتهادية لتقريب وادي الكلاب من وادي السرة وتقريب وادي السرة من الركاء ليوفق بين هذه المواضع وبين مافهمه من شعر لبيد:

لاقى البدي الكلاب فاعتلجا — موج أَتِيِّهِمَا لمن غلبا
فدعدعا سرة الركاء كما — دعدع ساقي الأعاجم الغربا[3])

ـ إلى آخر ماقاله ـ

---

(١) كتاب «باهله» ص ٢٢٨.
(٢) معجم عالية نجد ص ٧٧٥.
(٣) معجم عالية نجد ص ٧٧٩.

المناقشة :

لن أعلق كثيراً على ملاحظات المؤلف حول رأي الشيخ محمد بن بليهد لأنني تكلمت عن هذا الرأي فيما تقدم بما فيه الكفاية، ولأن الاسترسال في ذلك فيه إطالة ويجرنا إلى الخوض في تحديد أماكن وموارد مياه ليس لها علاقة بموضوعنا حسبما ظهر لي مثل: ماء «العويند» وغيره.

وتعليقي على قول مؤلف معجم العالية: (إن الشيخ محمد بن بليهد بعد أن أورد بعضاً من أقوال المؤرخين، وشواهد الشعر الذي قيل في يوم الكلاب مقرراً بذلك كله أنه هو وادي الشعراء).

أقول: إن الشيخ محمد بن بليهد لم يقرر أن وادي الشعراء هو وادي الكلاب كما قال المؤلف وإنما العكس هو الصواب؛ وكلما قاله ـ رحمه الله ـ :

(والمكان الذي يقارب اسمه هذا الاسم واد يقال له وادي «الكلبة» وهو واقع بين ثهلان ومجيرة ينصب سيله في وادي الشعراء).

فلو أنه قرر أن وادي الشعراء هو وادي الكلاب لما قال: إنه وادي قحقح ولكنه رغم تقارب الأسماء ووقوع وادي الكلبة قرب أعلام ورد ذكرها في خبر يوم الكلاب الثاني مثل: تيمن، وحذنة، ومجيرات لم يقتنع أنه وادي الكلاب لأنه فهم من النصوص الكثيرة أن وادي الكلاب يتجه سيله جنوباً ليصب في وادي الركاء، وأهم تلك النصوص بيتا لبيد بن ربيعة العامري المتقدمان وقوله إن وادي قحقح هو وادي الكلاب قد يكون أقرب إلى الصواب من تقريره أن وادي الشعراء أو أحد روافده «الكلبة» هو وادي الكلاب.

ومع أن بعض الأعلام التي ورد ذكرها في الأشعار التي قيلت في يوم الكلاب الثاني قريبة من وادي الشعراء إلا أنه ـ رحمه الله ـ لم يأبه لذلك.

ولكننا نجد مؤلف معجم «عالية نجد» يعول عليها وعلى نص الهجري كثيراً.

حيث أورد نص الهجري القائل: (تيمن: هضبة برأس الذّرو ذرو الشريف. مغرب الشمس من حصن «ابن عصام» بيوم وسيل تيمن يصب على الكلاب..

وحذنة: هضبة عن الكلاب بميلين تدفع في الكلاب).

كما أورد المؤلف قول الهمداني: (ومن مياه ثهلان ذويقن، وذوقلحا، والريان، والكلاب، والشعراء.. إلخ).

إن المؤلف بذل جهداً يشكر عليه وأورد نصوصاً لإثبات تلك الأعلام وأنها باقية على مسمياتها حتى عصرنا الحاضر.

وأقول: إنني اتفق مع المؤلف فيما أثبته من الأعلام، ولكن الكُلاَبَ الذي أشار إليه الهجري رحمه الله حول تلك الأعلام غير الكلاب الذي نسبت إليه المعركة، ولذا لم يرد في تحديد الهجري أو الهمداني أي إشارة إلى معركة الكلاب حينما جاء ذكره. وخلاصة الرأي في هذه الجزئية من تحقيق موضع «الكلاب» هي:

إن معركة الكلاب التي دارت رحاها بين بني تميم، والقبائل التي اعتدت عليهم استمرت أكثر من يوم. وعدد الجيش المعتدي يقدر مابين ثمانية آلاف إلى اثني عشر ألفاً وإذا أضفنا إلى هذا العدد الكبير مقاتلي بني تميم الذين هبوا لاسترداد نَعَمهم، وصد المعتدين على أدبارهم ندرك مدى سعة مساحة ميدان المعركة التي دارت فيها فهي بلاشك جرت في اليوم الأول ضمن مساحة محدودة حتى حجز بينهم الليل دون أن يتبين الغالب من المغلوب، وفي صباح اليوم التالي، استؤنف القتال، وبعد الكر والفر انهزمت مذحج وأحلافها فتتبعهم بنو تميم قتلاً وأسراً.

ومعلوم أن بداية المعركة حدثت قريباً من الكلاب الذي يقطنه بنو تميم،

وانتهت في مكان بالقرب من حُذُنَّةَ، ومجيرات ولذا ورد ذكرهما في الأشعار التي قيلت بعد المعركة. ولأهمية هذا الحدث سميت بعض المواضع القريبة من مكان حدوثه بـ «الكلاب» ؛ مثل: الوادي القريب من حذنة وتيمن، وماء الكلاب ـ أحد مياه ثهلان ـ ووادي بني العرجاء من نمير بثهلان. كل هذه المواضع سميت بالكلاب لهذا السبب، أما الكلاب الذي ولج فيه بنو تميم بعد يوم الصفقة فمكان آخر.

وأرجو أن أوفق إلى مايرشدنا إليه وذلك بعد استقراء ـوص التي أوردها البلدانيون، والمؤرخون حول الكلاب.

٥ ـ يقول المؤلف بعد أن ذكر بعض النصوص ومنها خبر اختيار بني تميم النزول في «قِدَّةَ» وهو موضع بالكلاب:

(ويتضح من هذه العبارات أنهم اختاروا وادي الكلاب وقصدوه لوفرة مياهه وسعة مراعيه ليتسع لهم جميعاً وكذلك وادي الشعراء بوفرة مياهه وجودة مراعيه وكثرتها، فموارد مياهه ممتدة فيه على طول امتداده متعددة الآبار وفيرة المياه وأسفله كله أحساء قريبة المنزع[1]).

وفي موضع آخر قال:

(وقالوا: أقبل أهل اليمن من بني الحارث حتى إذا كانوا بتيمن نزلوا قريباً من الكلاب.. وفي وصف مياهه بالكثرة قال النعمان بن الحسحاس لقومه في يوم الكلاب الثاني:

لا أعلم ماء يجمعكم إلا قدة فارتحلوا وانزلوا قِدة، وهو موضع يقال له الكلاب فارتحلوا حتى نزلوا الكلاب. فهذه الصفات تنطبق على وادي الشعراء لوفرة المياه والمراعي.. إلخ[2]).

(١) عالية نجد ص ٢/٧٧٠ .
(٢) عالية نجد ص ٢/٧٧٧ .

المناقشة :

يظهر لي من كلام المؤلف أنه يرى أن من الأسباب التي جعلت بني تميم ينزلون الكلاب هو كثرة مياهه وجودة مراعيه.

وما اتضح لي من الروايات التاريخية أن بني تميم عندما عقدوا مؤتمرهم على أعقاب ما أصابهم يوم الصفقة قرروا الرحيل إلى «قِدَّة» وهي موضع في الكلاب لأن هذا الموضع الذي اختاروه بعيد عن أعين المارة. ويدل على ذلك: اقتراح النعمان بن الحسحاس حيث قال لقومه:

(ياقوم انظروا ماء يجمعكم، ولا يَعْلَمُ الناس بأي ماء أنتم حتى يقوى ظهركم ويشتد أزركم، وقد جَمَمْتُم وصلحت أحوالكم، وانجبر كسيركم، وقوي ضعيفكم؛ ولا أعلم ماء يجمعكم إلا قِدَّةَ).

كما يدل على ذلك المفهوم أنهم أقاموا في قدة بقية القيظ لايعلم أحد بمكانهم حتى إذا تهور القيظ مرَّ بهم رجل من أهل هجر فأخبر عنهم.

من هذا نعلم أن بني تميم لم يختاروا «قِدَّة» الموجودة في الكلاب لجودة مراعيها وكثرة مياهها، وإنما لأن المكان بعيد عن أعين الناس.

ولذا ولجوا هناك مخافة أعدائهم.

فهل تلك الأوصاف تنطبق على وادي الشعراء حتى نقول إنه «الكلاب» الذي سكنه بنو تميم؟ لا أعتقد ذلك!

إن وادي الشعراء، وما حوله في ذلك الوقت يقطنه بنو نمير، ومياه ثهلان التي عددها لنا الهمداني كانت تردها القبائل المنتشرة حول تلك المراعي الخصبة فهل يعقل أن يقتحم بنو تميم منازل تلك القبائل؟

أضف إلى ذلك أن هذا الوادي المحاذي لجبل «ثهلان» من جهته الشرقية

كان طريقاً للقوافل القادمة من شرق الجزيرة ووسطها إلى الحجاز وبالعكس.

وقبائل بني تميم عندما لجأت إلى الكلاب كان قصدها التخفي، والبعد عن مسالك عابري السبيل.

ومما يثبت أن وادي الشعراء، وماحوله كان ممراً للقوافل: قول مؤلف معجم «عالية نجد» نفسه حيث يقول وهو يتحدث عن الشعراء:

(وكذلك فإنها تقع في طريق القوافل بين بلاد العار ، والوشم، وسدير، وبين بلاد الحجاز، وعليها يمر طريق حاج هذه البلاد[1]).

ويقول في موضع آخر:

(وكذلك كان يمر بها في رحلاته إلى الحجاز ـ يقصد الملك عبدالعزيز رحمه الله ـ بعد أن تم له فتحه ويقيم فيها.. وقد رافقه أمين الريحاني في رحلته إلى الحجاز عام ١٣٤٣ هـ فقال يصف الشعراء:

«هاهنا كانت تندب الشُّعَرَاءُ المنازل والأحباب، وهاهو ذا ريع الريان ذاك الشعب الخصيب الذي نخرج إليه من الشعراء، محط رحال التجار والقوافل بين الحجاز والقصيم والعارض. وما دون الشعب الجبل الذي قال فيه جرير:

ياحبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

وهو الذي حن إلى أهله كذلك الشريف الرضي:

فيا جبل الريان إن تَعْرَ منهم فإني سأكسوك الدموع الجواريا

ولانزال مصعدين من الريان إلى وادي الرِّشا بين جبل ثهلان والْخَوَّار فتبدو أعالي نجد في أبهى الحلل من الاخضرار، تلك البلاد التي يتغنى الشعراء بعرارها وبطيب هوائها، وبفسيح أرجائها[2]) انتهى.

---

(١) عالية نجد ص ٧٦٤/٢.
(٢) عالية نجد ص ٧٨٢/٢.

أقول: مما ذكره المؤلف وكذا الريحاني يتأكد لنا أن «الشَّعْرَاء» وواديها، وجبلها ثهلان كانت ممراً للقوافل قديماً وحديثاً، ومكان هذه صفته لن يختار سكناه من يريد التخفي والبعد عن أعين الأعداء.

على أن لي تعليقاً حول ماقاله الريحاني عن «الرَّيَّانِ» وجبل الريان.

فلست معه في أن الرَّيَّانَ الذي يسلك بين ظهري ثهلان من الشرق إلى الغرب هو «الريان» الذي تغنى فيه جرير، والشريف الرضي، وإنما هو موضع غير هذا وقد ذكر الريحاني أن دون شعب الريان الذي يتحدث عنه جبل الريان الذي تغنى به الشعراء وليس دون شعب الريان سوى هضبة «تيماء» ـ تيمن قديماً ـ وهذه الهضبة محتفظة باسمها هذا حتى وقتنا الحاضر. لذا فهي ليست جبل الريان. انظر الخارطة رقم (١) الموجودة في صفحة (٧٧).

وبما أن الريان ليس له علاقة بموضوعنا فلن أسترسل في الكلام عنه.

ويكفينا من الريحاني قوله: «إن الشَّعْرَاء» محط رحال التجار والقوافل بين الحجاز والقصيم والعارض.

وطرق الجزيرة العربية قديماً معروفة وهذا أحدها. ولذا أكرر القول بأن وادي الشعراء ليس هو وادي الكلاب الذي تخفى فيه بنو تميم ونسبت له المعركة.

النص الواضح الغامض

في معجم البلدان أورد لنا ياقوت الحموي في رسم «الكُلاَب» صفحة ٤٧٢ الجزء الرابع نصاً تضمن أقوالاً تُعَرِّفُ الكُلاب، ونظراً إلى أن الكلاب لم يحتفظ باسمه فقد أصبح هذا النص غامضاً، فكل من تطرق إلى الكلام عن الكلاب أخذ من هذه الأقوال مايعضد رأيه وأغفل الباقي.

ولو أن الكلاب معروف ومحدد المكان حتى وقتنا الحاضر لكان النص واضحاً ولفسر بعضه بعضاً.

وممن أخذ من هذا النص بحظ وافر مؤلف معجم عالية نجد حيث قال عن الكلاب: (قال ياقوت: علم مرتجل غير منقول، وقال عن أبي زياد :

الكلاب واد يسلك بين ظهري ثهلان، وثهلان جبل في ديار بني نمير، وقيل ماء بين جبلة وشمام على سبع ليال من اليمامة وفيه كان الكلاب الأول والكلاب الثاني من أيامهم المشهورة، واسم الماء قِدَة وقيل قِدَّة بالتخفيف والتشديد وإنما سمي الكلاب لما لقوا فيه من الشر.

قال أبو عبيدة: والكلاب عن يمين شمام وجبلة وبين أدناه وأقصاه مسيرة يوم[(١)]). انتهى.

وإذا أمعنا النظر فيما ذكره مؤلف «عالية نجد» من هذا النص نجده ـ عفا الله عنه ـ حذف فقرة من أهم فقراته وهي:

(لاسم موضعين: أحدهما اسم ماء بين الكوفة والبصرة).

فماذا ياترى! يقصد ياقوت بقوله: (لاسم موضعين) ؟

---

(١) عالية نجد ص

نظراً لأهمية النص بجميع فقراته فمن المفيد تحليله تحليلاً دقيقاً عسى أن يتضح لنا منه مايرشدنا إلى جهة «الكلاب» الذي نبحث عنه فأقول:

أ ـ قول أبي زياد: (الكلاب واد يسلك بين ظهري ثهلان).

يوحي أن هذا الوادي يخترق جبل ثهلان من وسطه بدليل قوله: «يسلك» يعني أنه طريق ينفذ من خلال ثهلان.

وقوله: (لاسم موضعين) يفهم منه أن مسمى «الكلاب» يسمى به موضعان اثنان أحدهما اسم ماء بين الكوفة والبصرة. وهذا واضح لاغبار عليه وهو ماء بني تميم الذي حصلت عنده معركة الكلاب الأول، وقد فرغنا منه فيما مرَّ وعرفناه.

ب ـ وقيل: (ماء بين جبلة وشمام على سبع ليال من اليمامة).

هذا القول لم يسنده ياقوت لقائل معين بل بنى روايته لمجهول «وقيل» وهذا النص الذي قاله مجهول قد لايعتد به. فماذا يقصد قائله بعبارة «بين جبلة وشمام» ؟!

جبلة هضبة معروفة في وسط عالية نجد غنية عن التعريف ومحتفظة باسمها قديماً وحديثاً وجرى فيها يوم من أيام العرب المشهورة يسمى «يوم جبلة».

أما «شمام» فهو أحد جبال العرض يقع شرق بلدتي الرويضة وعروى.

والقول الذي أمامنا يتحدث عن «ماء» وليس وادياً، والكلاب الذي نتحرى عنه موضع، أو وادٍ.

ولم أفهم من تلك العبارة شيئاً. فأي ماء يقصد هذا القائل؟

الذين يعرفون المنطقة الواقعة بين جبلة وشمام يدركون مدى البعد بينهما، ولاأشك أنهم سيستغربون معي هذا التحديد لاسيما وأن جبل «ثهلان» وهو من

أكبر الأعلام في نجد واقع بين جبلة وشمام. فلماذا لم يحدد هذا الماء بقربه وبعده من ثهلان مثلاً؟ فعلى كل هذا القول فيه نظر لاسيما وهو مسند إلى مجهول.

ج ـ عبارة: (وفيه كان الكُلاَبُ الأول والكلاب الثاني من أيامهم المشهورة).

لا أدري هل تلك العبارة من قول القائل المجهول؟ أو أنها فقرة جديدة جاء بها ياقوت؟ وعلى كلا الاحتمالين فإن المقصود: أن يومي الكلاب حدثا في ما يسمى بالكلاب. وكلام ياقوت يدور حول مسمى الكلاب لأنه لم يسترسل في الكلام عن موضع واحد بعينه.

ولو أرجعنا الضمير في «فيه» إلى الماء الذي بين جبلة وشمام لأنه أقرب مذكور لما قبل ذلك لكوننا حددنا مكان وقوع هذين اليومين في هذا الماء الواقع بين جبلة وشمام، وهذا فيه مخالفة للنصوص الكثيرة التي تقول: إن يوم الكلاب الأول وقع بين الكوفة والبصرة. ولا أجد تعليلاً لهذا الضمير إلا كما قلت من إعادته إلى كلمة «الكلاب» أي أن هذا المسمى الذي نتحدث عنه وهو الكلاب حدث فيه يومان: الكلاب الأول والكلاب الثاني.

د : وعبارة : (واسم الماء قِدَّة) تفيدنا أن الماء الذي نزله بنو تميم اسمه «قِدَّة» وهو في الكلاب.

أما عبارة: (وإنما سمي الكلاب لما لقوا فيه من الشرّ).

هذه العبارة تفيدنا أن الضمير يعود على مسمى الكلاب، ولكن أي المواضع سميت بهذا الاسم نتيجة لحصول الشرّ فيه؟

الذي أميل إليه: أن الموضع أو المواضع التي سميت بالكلاب نتيجة لهذا الشر الحاصل إنما هي المياه، والأودية التي سميت بهذا الاسم بعد حصول معركة الكلاب الثاني.

أمـا الكلاب الأول الذي حـصلت فـيـه مـعـركـة الكلاب الأول فـاسـمـه «الكلاب» قبل حدوث المعركة وهو ماء بني تميم الواقع بين الكوفة والبصرة.

وكذلك الأمر بالنسبة لموضع «الكلاب» الواقع في وسط عالية نجد وهو الذي سكنه بنو تميم، وحصلت بالقرب منه معركة الكلاب الثاني فاسمه الكلاب أيضاً قبل حدوث المعركة.

إذاً هناك مواضع سميت بالكلاب بعد معركة الكلاب الثاني لوقوعها بالقرب من المكان الذي جرت فيه المعركة.

هـ ـ يقول أبو عبيدة: (والكلاب عن يمين شمام وجبلة، وبين أدناه وأقصاه مسيرة يوم). هذا النص أو هذه العبارة الذي قالها هو أبو عبيدة، ومعروف من هو أبو عبيدة في ضبطه ودرايته لاسيما وهو من ألَّفَ كتابين خاصين بيومي الكلاب ولكنهما لم يصلا إلينا فقوله له وزنه في تحديد الكلاب.

وعبارة أبي عبيدة هذه مغايرة لنص الفقرة السابقة التي نسبت إلى «مجهول» حيث ورد في النص السابق «بين جبلة وشمام» بينما في قول أبي عبيدة «عن يمين شمام وجبلة» وظني أن القول الأول مأخوذ من قول أبي عبيدة هذا؛ فقدم في العبارة وأخر وأبدل حرف «عن» بظرف المكان «بين».

ففي قول أبي عبيدة تقدم لفظ «شمام» على «جبلة» بينما في القول الأول تقدم لفظ جبلة على «شمام».

قد يقول قائل: وماذا يعنينا من هذا التمحك الذي لالزوم له؟

فأقول: إن عبارة غامضة في نص من النصوص نوفق إلى إيضاحها، قد تدلنا إلى مانبحث عنه، ولذا فقد وقفت كثيراً عند هذا التقديم والتأخير في لفظ «جبلة، وشمام»، وعندي أن النص الثاني أدق عبارة من الأول لكونه منسوباً إلى أبي عبيدة. ولذا أقول قد تكون جملة «عن يمين شمام وجبلة» حصل فيها تصحيف وتقديم وتأخير فمن قال النص الأول قدم لفظ «جبلة» على «شمام» وأبدل كلمة «يمين» فقال «بين».

أما في نص أبي عبيدة: فإن عبارة «عن يمين شمام وجبلة» لامعنى لها وهي على ماهي عليه وينطبق عليها المأخذ الذي أخذناه على النص الأول.

ولا أجد محملاً أحمل عليه نص أبي عبيدة إلا أن يكون أساس تلك العبارة «عن يمين شمام وجَبَله» أي عن يمين شمام «القرية» وجبله؛ بدون وضع نقطتين على الهاء.

والجمع بين شمام وهضبة جبلة مستبعد لبعد بعضهما عن بعض كما أسلفت. ولكن قد يقال إن «شماماً» جبل وليس قرية حتى يكون لها جبل فالمعروف والمتعارف عليه عند الناس أنه جبل يسمى «ابني شمام».

والعامة تسميه «شمالات» أو «اذني شمال».

فأقول هذا صحيح ولكن كلمة شمام تطلق على الجبل، وعلى قرية شمام التي حدثنا عنها الهمداني حيث قال وهو يصف سواد باهلة:

(وشمام قرية كانت عظيمة الشأن هي من شط العرض الأيسر إلى المنحدر، وابنا شمام جبلان طويلان جداً مشرفان على سخين وسخينة[1]).

ويفهم من قول الهمداني «قرية كانت عظيمة» أن هذه القرية اندثرت فاقتصر الاسم على جبليها المنسوبين إليها.

و ـ أما الفقرة الأخيرة من نص ياقوت الحموي فهي :

(والكلاب أيضاً: اسم واد بثهلان لبني العرجاء من بني نمير فيه نخل ومياه). فيدل هذا القول على أن هذا الوادي داخل في جبل ثهلان أي شعب من شعابه ومن صفاته أن فيه نخلاً ومياهاً، ولا أعرف وادياً في جبل ثهلان ينطبق عليه هذا الوصف إلاَّ وادي «الشبرمية» فقد يكون هو المقصود حيث لازال هذا الوادي مشهوراً بكثرة مياهه ونخيله حتى وقتنا الحاضر.

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٧٢ (ابن بليهد)

ومن هذا كله أقول: إن نص ياقوت الحموي بجميع فقراته واضح الدلالة حيث حصر لنا فيه أكثر الأقوال التي قيلت حول الكلاب. إلا إذا استثنينا جملتي «ماء بين جبلة وشمام» و«عن يمين شمام وجبلة». وقد اجتهدت في إيضاح مالحق بهما من غموض.

وهذا النص من أهم النصوص التي بين أيدينا، وقد نحتاج إلى الاستدلال في الأقوال التي تضمنها عند محاولة تحديد موقع الكلاب إن شاء الله.

السياج العامري حول الكُلاب

أشكل موضع الكلاب على بعض الباحثين، وكذا شُرَّاح الشعر العربي في الأزمنة الأخيرة. وأعني بالكلاب ذاك الذي تخفى فيه بنو تميم عندما رحلوا من مساكنهم شرقي الدهناء على أعقاب قتل كثير منهم في قصر «المُشَقَّر» تلك الحادثة التي سميت بيوم الصفقة. فمن هؤلاء الباحثين من قال: إنه ماء بين الكوفة والبصرة، ومنهم من قال: إنه وادي «الشَّعْرَاء»، ومن قال: إنه وادي «قحقح»، وأغرب قول قرأته هو قول صاحب كتاب «وفاء الوفاء» حيث قال: الكُلاب: ماء بناحية ضرية.

ومن هذه الأقوال وأقوال غيرها يحتار القاريء في أي منها يأخذ به.

وحيث أنني لم أقتنع بهذه الأقوال جميعها،فسأدلي بدلوي في هذا المجال. وأرجو من الله التوفيق في تحديد هذا الموضع أو القرب منه على أقل تقدير.

والنصوص التي بين أيدينا يفهم منها مرة أن الكلاب بلاد واسعة، ومرة يفهم أنه واد لبني عامر يصب سيله في الرِّكاء.

ولاشك أن أهم نص عول عليه البلدانيون القدماء هو بيتا لبيد بن ربيعة العامري:

لاَقَى البَديُّ الكلابَ فاعتلجا ... مَــوْجُ أَتِيِّيهِمَا لِمَنْ غَلَبَـا

فَدَعْدَعَا سُرَّةَ الـرِّكَاءِ كَمَـا ... دَعْدَعَ ساقي الأَعاجم الغَرِبَا

وممن استشهد بهذين البيتين البكري في كتابه «معجم ما استعجم» في رسم «البدي» وفي رسم «الركاء» وقال: البدي، والكلاب واديان يصبان في الركاء.

وكأني بلبيد العامري رضي الله عنه في مقطوعته الشعرية التي وصف فيها سحاباً جاد بلاد قومه بني عامر، وضمنها ذكر الكلاب والبدي؛ وضع سياجاً قوياً حول مسمى «الكلاب» في بلاد قومه بني عامر في عالية نجد الجنوبية.

فهل ياترى بقي هذا السياج العامري على متانته وقوته؟ أم جاء من أحدث فيه ثغرات؟

قلنا فيما تقدم: إن الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ عندما تكلم عن تحديد الكلاب أدرك قوة هذا السياج فراح يبحث عن واد تنطبق عليه صفات وادي الكلاب فاختار لنا وادي «قحقح» لأن سيله يفضي إلى وادي السُّرَّة، ووادي السرة يصب في الركاء، وذلك على الرغم من أنه ذكر لنا أن هناك وادياً يقارب اسمه مسمى الكلاب وهو وادي «الكلبة» القريب من الشعراء الذي حدثت معركة الكلاب قريباً منه. إلا أنه فهم من قول لبيد: أن الكلاب يتجه سيله جنوباً، ويصب في الركاء، ولذا لم يشده هذا التشابه في الأسماء.

وهذا ماجعل مؤلف «عالية نجد» يقول بعد أن تكلم عن رأي الشيخ محمد بن بليهد:

(وقد رأينا أنه ـ رحمه الله ـ بذل جهداً ومحاولات اجتهادية لتقريب وادي الكلاب من وادي السُّرَّة، وتقريب وادي السرة من الركاء؛ ليوفق بين هذه المواضع وبين مافهمه من شعر لبيد[1]).

ومع أني أضم صوتي إلى صوت مؤلف معجم «عالية نجد» في أن وادي قحقح ليس هو و ادي الكلاب. إلا أنني أرى أن الشيخ محمد بن بليهد في قوله هذا أقرب إلى الصواب من الرأي الآخر. ولايستغرب عليه فهم مايقصده لبيد فهو شاعر.

---

(١) عالية نجد ص ٧٧٩/٢ .

ولعله من المفيد أن أسوق للقارىء أبيات لبيد التي نتكلم عنها حتى نتصور هذا السياج الذي أحكمه حول الكلاب، ولأن تلك الأبيات سترد معنا كثيراً ومناقشتنا ستتم على ضوئها، وتلك الأبيات هي:

يا هل ترى البرقَ بتُّ أرقبُه ... يزجي حبيّاً إذا خبا ثقبا
قعدتُ وحدي له؛ وقال أبو ... ليلى: متى يغتمِنْ فقد دأبا
كأنَّ فيه لما ارتفقتُ له ... ريطاً ومرْ باعَ غانمٍ لجبا
فجادَ رهواً إلى مداخلَ فالصُّحرةِ ... أمستْ نعاجةُ عُصبا
فحدَّرَ العُصْمَ من عمايةَ للسـ ... ـهل وقضَّى بصاحةَ الأربا
فالماء يجلو متونهنَّ كما ... يجلو التلاميذُ لؤلؤاً قشبا
لاقى البَديُّ الكُلابَ فاعتلجا ... موجُ أتيِّيهما لمن غلبا
فدعدعا سُرَّة الرَّكاء كما ... دعدعَ ساقي الأعاجم الغربا
فكلُّ وادٍ هدَّتْ حوالبُه ... يقذفُ خضْرَ الدُّبَّاء فالخُشُبا
مالتْ به نحوها الجنوبُ معاً ... ثم ازدهتْه الشمالُ فانقلبا
فقلتُ صابَ الأعراضَ ريِّقُه ... يسقي بلاداً قد أمحلتْ حقبا
لترعَ منْ نبتِه أسيمُ إذا ... أنبتَ حرَّ البقول والعُشُبا
وليرعَه قومُها فإنَّهمُ ... منْ خيرِ حيٍّ علمتُهمْ حسبا
قومي بنو عامرٍ وإنْ نطقَ الـ ... أعداءُ فيهم مناطقاً كذبا [1]

---

(١) شرح ديوان لبيد ص ٢٩ ـ ٣٣ تحقيق الدكتور إحسان عباس .

سياج لبيد في معجم عالية نجد

لَشَدَّ ما دهشت عندما قرأت كلام المؤلف عن الكُلاَب، والْبَدِيِّ وهما من خلَّدَ ذكرهما لبيد العامري في شعره حيث أصبحا على مر العصور كصنوين متلازمين نظراً لأنه أحاطهما بهذا السياج القوي حتى لايتعدى عليهما أحد فينقلهما عن أرض قومه بني عامر.

ولكن عندما قرأت رأي المؤلف حول هذين الموضعين ألفيته قد أعمل معول بيانه في نقض هذا السياج المتين فنقل ـ الكلاب والبدي ـ من عالية نجد الجنوبية إلى وسط العالية.

وأرجو أن أتمكن من ترميم هذا السياج، وإعادة هذين الموضعين إلى مكانهما القديم ليستمر جريان سيلهما حتى يصبا في وادي الركاء.

ونخلع عنهما الاسمين الجديدين: وادي الشعراء ـ للكلاب ـ ووادي جهام ـ للبدي ـ اللذين يصبان في وادي «التسرير».

إن الكلام عن هذا السياج يطول وسأحاول جاهداً أن أجمع شتاته المبعثر ولن أصلح جميع الثغرات التي أحدثت فيه إذ لو فعلت ذلك لطال بنا الكلام وجرنا إلى متاهات الأودية، والشعاب مما قد يشتت ماجمعناه فنضل الطريق الصحيح إلى «الكُلاب».

فأقول مستعيناً بالله :

أولاً ـ في رسم «الشَّعْرَاءِ» أورد مؤلف معجم عالية نجد أبيات لبيد المتقدمة، ثم قال: (ذكر لبيد في هذه القصيدة أنه اتكأ على مرفقه وبات يرقب

سحاباً متقدماً جاد بصوبه مناجل والصخرة ثم حَدَّرَ سيله العصم من عماية وقضى في صاحة الأربا. وهذه المواضع لاتزال معروفة بأسمائها وكلها واقعة في وسط بلاد قومه بني عامر، وكلها متقاربة. وهي بلاد بني قشيرٍ والحريش والعجلان، ثم ذكر أن ريح الجنوب مالت بالغيث معها صوب الشمال.

ـ ثم أورد المؤلف أربعة أبيات من قصيدة لبيد وقال :

وفي هذه الأبيات ذكر أن الغيث حين مالت به الجنوب أصاب مواضع في شمال بلاد قومه، أصاب البدي في بلاد الضباب، وأصاب الكلاب في بلاد بني نمير، وبلاد هذين الحيين من بني عامر هي شمال بلاد قومه، وبعد أن جاء هذين الواديين ودعدعا بسيلهما سرة الرشاء ازدهت هذا السحاب الممطر ريح شمالية فانقلب صوب الجنوب ليجود ناحيةأخرى من بلاد قومه فجاد الأعراض ريقه فشمل بغيثه بلاد بني عامر....

وتقدم ماذكره المؤرخون في تحديد الكلاب وذكروا أنه بجانب ثهلان وأن أعلاه صوب الجنوب وأسفله صوب الشمال وهذا التحديد يلائم الوضع الطبيعي لوادي الشعراء وهو واد بعيد مابين أعلاه وأسفله وتدفع فيه روافد كثيرة ويدفع في بطن الرشاء من جانبه الجنوبي، ويقابله من الشمال وادي جهام واد عظيم يدفع في بطن الرشاء من جانبه الشمالي فيدعدعان سرة الرشاء، وقد اتضح لي من البحث والتحقيق أن وادي جهام هو وادي البدي وقد استوفيت كل ماورد فيه في رسم «جهام» فانظره.

وينبغي أن أشير ـ الكلام لازال لمؤلف «عالية نجد» ـ إلى أنني قلت فيما تقدم في التعليق على قول لبيد: فدعدعا سرة الركاء. فدعدعا سرة الرشاءِ، وذلك لأدلة منها: أن بطن الرشاء واقع بين هذين الواديين ومدافعهما تلتقي في سرته[1]) . انتهى

(١) معجم عالية نجد ص ٧٧٣/٢ .

ورغبة مني في توحيد أقوال المؤلف في الموضوع الذي نتكلم عنه هنا فقد رجعت إلى ماقاله في رسم «جهام» حيث طلب منا النظر إليه، وبالرجوع إلى ماقاله هناك.

وبمقارنة ماقاله من رأي في رسم جهام وجدت أنه لايختلف كثيراً عما ورد في رسم «الشُّعْرَاءِ» سوى بعض التقديم والتأخير، أو الإضافة المحدودة، وعلى القاريء إذا رغب الرجوع والمقارنة بين ماجاء في الموضعين.

وسأقتصر على مناقشة ما أورده من رأي في رسم «الشعراء» وسأعرج على بعض النقاط التي جاءت في رسم «جهام» حسبما أراه ضرورياً.

المناقشة :

١ ـ يقول المؤلف: «جاد بصوبه مناجل والصخرة ثم حَدَّرَ العصم من عماية وقَضَّى بصاحة الأربا). أقول: هذا هو التصور الصحيح للغيث النازل من السحاب الذي كان يرقبه لبيد.

فقد أمطر أولاً على عالية نجد الجنوبية وكان نزوله بغزارة حيث أسال أعلاماً تحف بوادي الركاء.

ولكن لننظر ماذا حصل لهذا السحاب بعد أن جاد تلك الناحية.

٢ ـ يقول المؤلف: ذكر لبيد أن الغيث حين مالت به الجنوب أصاب مواضع في شمال بلاد قومه، أصاب البدي في بلاد الضباب، وأصاب الكلاب في بلاد بني نمير.. وبعد أن جاد هذين الواديين ودعدعا بسيلهما سرة الرشاء ازدهت هذا السحاب ريح شمالية فانقلب صوب الجنوب.

أقول: لست مع المؤلف في هذا التصور لمسير السحاب الذي ساقته ريح جنوبية بحيث اتجهت به من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي ليسقي فروع

وادي «جهام» أي أنه أمطر على هضاب كبشات الواقعة شرق بلدة ضرية وشمال بلدة القاعية، كما أسال وادي الشعراء في طريقه ولا أدري هل أساله في ذهابه أم في عودته؟!

٣ ـ ويقول: بعد أن جاد هذين الواديين ودعدعا بسيلهما وادي الرشاء ازدهت هذا السحاب ريح شمالية فانقلب صوب الجنوب ليجود ناحية أخرى فجاد «الأعراض» فشمل بذلك بلاد بني عامر.

أقول:إن الله سبحانه وتعالى قادر على تصريف السحاب كيف يشاء، ولكنه سبحانه وضع سنناً كونية يستدل بها الناس ومنها مسير السحاب، واتجاهاته وحسب ما اعتاده الناس في نجد فلم يذكر أن سحاباً جاد بمطره عالية نجد الجنوبية ثم جاءته ريح فاتجهت به نحو الشمال الغربي ليمطر على مواضع تبعد عن الأولى مئات الأكيال.

ثم تأتيه ريح شمالية فتقلبه ليعود من حيث أتى أي إلى جهة الجنوب الشرقي ليسقي «الأعراض».

يعني أن هذا السحاب مر بمراحل عدة مخالفة لما أَلِفَهُ سكان تلك الناحية. ولذلك أقول إن الصورة لم تتضح للمؤلف ففي الحالة التي ذكرها نعتبر طوعنا السحاب حسبما نميل إليه من رأي.

ثانياً ـ في رسم «جهام» يقول المؤلف: (وقد اتضح لي من استقراء شواهد الشعر العربي ومن مشاهدة أعلامه وماحوله من المواضع أنه هو الوادي الذي كان يسمى البدي... أما ماذكروه من شواهد الشعر العربي فإن الكثير منها يؤيد القول بأن وادي جهام هو وادي البدي..

قال البكري: البدي والكلاب واديان لبني عامر يصبان في الركاء قال لبيد:

لاقى البدي الكلاب فاعتلجا   سيل أتييهما لمن غلبا ...

وقال أيضاً:

جعلن حِرَاج القرنتين وعالجاً   يميناً ونكبن البدي شمائلا ..

وقال امرؤ القيس :

أسال قطيات فسال له اللـــوى   فوادي البدي فانتحى لليريض ...

وقال الأعشى :

أتنسين أياماً لنا بدحيضة   وأيامنا بين البدي فثهمد

ـ انتهى ماقاله البكري ـ

قلت :ـ القول لمؤلف معجم العالية ـ :

يتضح مما أورده البكري أنه اعتمد على ما أورده من الشواهد، والواقع أن البدي الوارد في شعر لبيد هو البدي الوارد في شعر امرىء القيس، وهو كذلك الوارد في شعر الأعشى لأن لبيداً ذكره مقروناً بذكر الكلاب، ووادي الشعراء وهو يقابل وادي جهام من الجنوب فيلتقيان معاً في بطن الرشاء.

ويرى شيخنا حمد الجاسر: أن كلمة الركاء محرفة وأن صحته الرشاء...)

المناقشة :

سبق أن مر بنا في «أولاً» قول المؤلف: (إن وادي الشعراء يدفع في بطن الرشاء من جانبه الجنوبي ويقابله من الشمال وادي جهام واد عظيم يدفع في بطن الرشاء من جانبه الشمالي فيدعدعان سرة الرشاء. ـ إلى أن قال:

وينبغي أن أشير إلى أنني قلت فيما تقدم في التعليق على قول لبيد: فدعدعا سرة الركاء. فدعدعا سرة الرشاء وذلك لأدلة منها أن بطن الرشاء واقع بين

هذين الواديين ومدافعهما تلتقي في سرته).

وهنا في «ثانياً» ورد قول المؤلف: (ووادي الشعراء، وهو يقابل وادي جهام من الجنوب فيلتقيان معاً في بطن الرشاء).

أقول:

أوافق المؤلف على أن وادي الشعراء يدفع في وادي الرشاء ولكن من جانبه الشرقي لا الجنوبي كما قال. لأن وادي الرشاء يتجه سيله من الجنوب إلى الشمال ووادي الشعراء يدفع فيه من جانبه الشرقي قبل أن يتجاوز الخط المزفت «طريق الحجاز». وأحب هنا أن أنبه إلى نقطة مهمة وهي:

أننا نتكلم عن أودية بأسمائها القديمة التي سماها بها العرب القدماء ولبيد قال قصيدته التي نتكلم عنها وتلك الأودية تجري في مجاريها وهي تحمل تلك الأسماء.

أما الأسماء التي اطلقت على تلك الأودية في الأزمنة الأخيرة فلا يلتفت إليها في مجال بحثنا هذا. **وانظر إلى الخارطة رقم (١)** لترى مجاري هذه الأودية وأماكن التقائها فيتضح لك الأمر.

أعود فأقول: أما وادي جهام فهو لايدفع في وادي الرشاء كما يقول المؤلف وإنما يدفع في وادي «التسرير» من جهته الشمالية، ووادي التسرير يسمى في وقتنا الحاضر «الرشاء» ومعلوم أن وادي الرشاء فقد مسماه بعد أن دفع في وادي «التسرير» وحكمه حكم وادي الرمادية «الجذاة قديماً» الذي دفع في وادي التسرير قريباً من مدفع وادي الرشاء أو على الأصح في مدفع واحد، ومن قبلهما وادي طينان «ذو بحار قديماً» فتلك الأودية الكبيرة التي تجري من الجنوب إلى الشمال كلها فقدت أسماءها بمجرد أن التقت بوادي التسرير بما فيها وادي الرشاء.

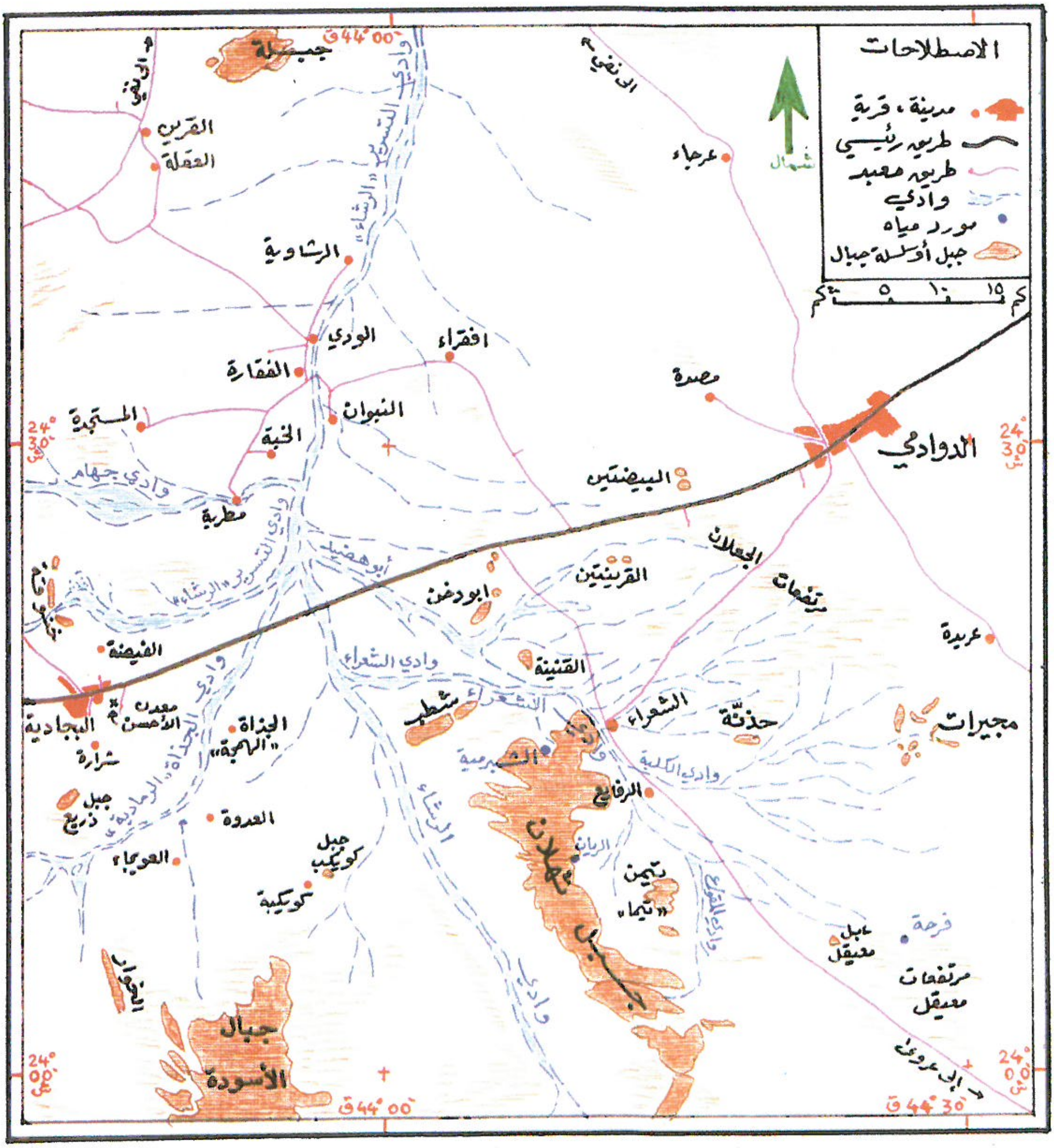

الخارطة رقم (١)

أما تعليق المؤلف على إيراد «البكري» لبيتي لبيد، وبيت امرىء القيس، والبيت الرابع للأعشى. حيث قال:

(إن البكري اعتمد على تلك الشواهد والواقع أن البدي الوارد في شعر لبيد هو البدي الوارد في شعر امرىء القيس وهو كذلك الوارد في شعر الأعشى).

فأقول:

لست مع المؤلف فيما ذهب إليه من رأي في ذلك فاعتماد البكري على تلك الشواهد صحيح. وأفهم مما أورده أنه يرى أن وادي البدي ووادي الكلاب اللذين ذكر لبيد أنهما دعدعا سرة الركاء واقعين في عالية نجد الجنوبية في بلاد بني عامر، ولذا خصصهما. ثم أورد بيتي امرىء القيس والأعشى اللذين ورد فيهما ذكر البدي وهذه عادة البكري رحمه الله فهو إذا ذكر شاهداً لموضع من المواضع ذكر الشواهد الأخرى التي ورد فيها ذكر لمسمى الموضع الذي يتحدث عنه وإن كانت شواهد لمواضع أخرى مماثلة.

وعلى كل فمسمى «البدي» في هذه الشواهد التي أوردها البكري كل واحد منها يتعلق بموضع مغاير للآخر.

وليس القول بتعدد المواضع التي تسمى «البدي» مقتصراً على قول البكري وإنما قال بذلك ياقوت الحموي في معجمه حيث قال: البَدِيُّ: قال أبو زياد: كل ماكان في الجاهلية من الركيّ ينسب عاديًّا، وأما ماحفرَ منذ كان الاسلام محدثاً في جديد الأرض فإنه ينسب إسلامياً، واحدته البَدِيّ وجماعته البديان: وادٍ لبني عامِر بنجد والبدي أيضاً قرية من قرى هَجَر بين الزرائب والحوضى؛ قال لبيد:

غُلْبٌ تَشَذَّر بالذُّحولِ، كأنها — جِنُّ البَدِيِّ رواسياً أقدمُها

وقيل: البديّ في هذا البيت البادية، وقد ذكر لبيد البدي في شعر آخر له (...)[1] ـ إلى آخر النص ـ.

---

(١) معجم البلدان ص ١/ ٣٦٠ .

إذاً هناك في عالية نجد الجنوبية موضع اسمه البدي.

وفي وسط عالية نجد ماء للضباب اسمه «البدي» وقد يسمى الوادي الذي حول هذ الماء «البدي» أو أن الماء سمي باسم الوادي، وفي جهات هجر موضع يسمى بالبدي، كما أن هناك في منطقة القصيم مايسمى بالبدي قد يكون وادياً أو مورد ماء.

وقد تكلمت عن هذه الشواهد في بحثين أحدهما تحت مسمى «برقة خولة» حققت فيه «ثهمد» الوارد في مطلع معلقة طرفة بن العبد.

والبحث الثاني تحت عنوان: «إجلاء الخنافس عن وضح الحمى» حققت فيه «هضاب قطيات». فارجع إلى ماقلته في هذين البحثين في كتابي الأول.

ثالثاً ـ يقول المؤلف:

(ويرى شيخنا حمد الجاسر: إن كلمة الركاء محرفة، وأن صحته الرشاء!!).

أقول:

هذا القول يدعونا إلى أن نقف وقفة فاحصة مادام هناك رأي فيما نتحدث عنه لشيخ البلدانيين فى عصرنا الحاضر وهو الشيخ حمد الجاسر، وماعلينا إلا أن نتحقق من هذا القول فإذا ثبت وتبين لنا صوابه فقد «قطعت جهيزة قول كل خطيب».

مع أني أعلم علم اليقين أن الشيخ حمد تهمه الحقيقة أينما وجدت وإن عارضت له رأياً. والحقيقة -كما يقولون- ضالة المؤمن.

ولكني لم أقرأ للشيخ حمد الجاسر قولاً جازماً حول هذا النص، وكلما اطلعت عليه هو ماورد تهميشاً في مجلة العرب (ج ٥، ٦ س ١١ «ذو القعدة والحجة سنة ١٣٩٦ هـ) حيث تم نشر بحث مستفيض تحت عنوان:

البَدِيُّ: (أو ـ وادي جهام) وهذا البحث من كتاب «عالية نجد» أحد أجزاء المعجم الجغرافي للبلاد السعودية الذي ألفه الاستاذ سعد بن جنيدل ـ وهو مانتكلم حوله الآن .

وإليك نص ماقاله الشيخ حمد الجاسر تعليقاً فى هامش صفحة «٣٥٦» من هذا العدد.

[(ب) قد أثبت الباحث المحقق الأستاذ سعد أن الكلاب والبدي وهو جهام على مايرى ـ من روافد وادي الرشاء، وعلى هذا فلم لاتكون كلمة الركاء الواردة في بيتي لبيد ٠ (فدعدعا سرة الركاء) مصحفة عن الرشاء، ظن الكاتب أن نقطة الشين عرقوة كاف فكتب الشين كافاً، وهذا يحدث كثيراً؟!)] انتهى كلامه.

أقول: إذا كان ماذكره مؤلف معجم «عالية نجد» من أن الشيخ حمد الجاسر يرى أن كلمة الركاء محرفة وأن صحته الرشاء. يقصد به هذا القول فهذا في نظري ليس رأياً جازماً يؤخذ به، وإنما هو مجرد تساؤل واستنباط أحوج إليه القول الجازم الذي قال به كاتب البحث، المتضمن: أن مايسمى بوادي البدي إنما هو وادي جهام. ولو افترضنا مجرد افتراض أن وادي البدي هو وادي «جهام» فإن هذا الوادي لايدعدع سرة الرشاء وإنما يدعدع سرة التسرير.

على أنني أحب أن أنبه هنا إلى أن المؤلف قال: «إن كلمة الركاء محرفة»

وبرجوعي إلى نص قول الشيخ حمد تبين أنه قال «مصحفة» ولم يقل محرفة، وفرق بين التصحيف والتحريف.

لأن التحريف يعني تغيير المعني عمداً، كما قال تعالى «يحرفون الكلم عن مواضعه» أما التصحيف فهو عبارة عن سبقة قلم تغير من معني الكلمة من غير قصد.

ويؤيد ماذهبت إليه من أن الشيخ حمد الجاسر لم يقصد بما همش به رأياً جازماً وإنما هو مجرد استنباط اقتضاه المقام، ولا يعتبر تأييداً لرأي الباحث:

إن الشيخ حمد يرى أن الكلاب الوارد في بيت لبيد العامري مدار البحث ليس هو وادي «الشعراء» وإنما هو الكلاب الذي اعتلج مع وادي البدي فدعدعا سرة الركاء.

والدليل على ذلك ماقاله في كتابه «باهلة» وهو يتكلم عن الباهلي ذي الحمية والنجدة الذي ركب جمل والده «الأرحبي» وسرى ليلته حتى أبلغ بني تميم بقدوم أعدائهم حيث قال في هذا الكتاب مانصه:

(وقد حدثت الوقعة في وادي الكلاب، وهو واد في عالية نجد، يرى بعض الباحثين أنه هو وادي الشعراء المنحدر من ثهلان، لقربه من حُذُنَّة ومُجَيْرات، وهي قُورٌ ورد ذكرها في خبر يوم الكلاب في شعر مُحَرز بن المعكبر الضبي، حيث قال:

ظَلَّت ضِبَاعُ مُجَيْرات يَلُذْنَ بهمْ ... وألحَمُوهُنَّ مِنْهُمْ أيَّ إلحـامِ
سارُوا إلينا وهم صِيدٌ رؤوسهم ... فَقَدْ جَعَلْنا لهم يوماً كأيـّامِ
حتى حُذُنَّة لم نَتْرُكْ بها ضَبُعاً ... إلاَّ لها جَزَرٌ من شِلْوِ مِقْدَامِ

ولكن قول لبيد:

لاقى الكُلابُ البَديَّ فاعْتَلَجَا ... سَيْلُ أَتِيِّيهِمَا لمن غَلَبَا
فَدَعْدَعَا سُرَّةَ الرَّكَاءِ كَمَا ... دَعْدَعَ سَاقي الأَعاجِمِ الغَرَبَا

يدل على أن وادي الكلاب يفيض سيله في وادي السرة وليس كذلك وادي الشعراء.

لهذا فليس من المستبعد أن يكون وادي الكُلابُ هو مايعرف الآن باسم «وادي عُصَيْل».

ويلاحظ أن هذه الوقعة هي يوم الكلاب الثاني، وهناك يوم الكلاب الأول وقع بين شُرَحْبيل وسلمة ابني الحارث بن عمرو الكندي في حدود العراق[1].) انتهى.

من هذا يتضح لنا جلياً رأي الشيخ حمد الجاسر بشأن الكلاب الذي ورد ذكره في بيتي لبيد بن ربيعة العامري.

على أن هذا التساؤل من الشيخ حمد حول تصحيف كلمة «الرشاء» إلى الركاء أخذ به مؤلف معجم عالية نجد على أنه رأي كما أخذ به مؤلف «معجم بلاد القصيم» حيث قال في ذيل صفحة ٢١٥١ معلقا :

(دعدعا: ملآ. والركاء واد بالعالية ويرى أستاذنا حمد الجاسر أن الركاء تصحيف الرشاء الذي هو وادي الرشاء في الوقت الحاضر لأنهما معا يصبان فيه).

رابعاً ـ قال المؤلف: (وقد لاحظنا فيما تقدم من شواهد الشعر العربي أن أصحاب المعاجم الجغرافية ـ رحمهم الله ـ إنما يأخذون باتجاه الشاعر في ترتيب المواضع في القصيدة كما رأينا في شواهد البكري، وشواهد ياقوت على تحديد البدي وهم معذورون ـ رحمهم الله ـ في ذلك لأنهم ألفوا ماألفوه وهم بعيدون عن جزيرة العرب وليس في وسعهم تطبيق مادونوه من الشواهد والنقولات تطبيقاً موضعياً..)

أقول :

إنه من غير الملائم أن نتسرع بالقدح في النصوص التي أوردها علماء البلدان القدماء مثل ياقوت، والبكري؛ إلا إذا ظهر لنا بما لايدع مجالاً للشك خطؤهم.

ونحن نشأنا في الجزيرة العربية وشاهدنا تلك المواضع ولدينا النصوص التي تتحدث عنها ومع هذا وقعنا في الخطأ فعلينا عدم التسرع بالقدح بأقوال الآخرين خاصة من لهم باع طويل في هذا المجال.

وعلى كل ليس هناك أحد معصوم من الخطأ، ولكن التشكيك في مقدرتهم على عدم تمييز الشواهد على حقيقتها غير مسلم به فهم بلاشك أعرف منا بتلك المواضع والشواهد التي ساقوها سواء كان ذلك شعراً أم نثراً لأنهم أخذوا عن رواة ثقات حديثي عهد بتلك المواضع وهؤلاء الرواة الذين نقل عنهم ياقوت، والبكري، والأصفهاني هم أهل تلك الديار وأدرى الناس بها.

وإنما يقع عدم تمييز الشواهد على حقيقتها منا نحن في هذا الزمن نظراً لما طرأ على المواضع من تغيير وتبديل في مسمياتها.

ولذا أقول: إن الشواهد التي ساقها كل من البكري وياقوت واضحة وكل شاهد من الشعر يقصد به موضع غير الموضع الذي ورد في الشاهد الآخر وإن اتفق المسمى ومن يتمعن ويدقق في تلك النصوص يفهم هذا.

كما أنني لست مع المؤلف فيما ذهب إليه من ر أي حول ماتوصل إليه الشيخ محمد بن بليهد حيث قال: (ولكنه رحمه الله يأخذ شواهده من معجم البكري وياقوت دون الرجوع إلي دواوين شعرائها المحققة ومافيها من شروح وروايات مختلفة، وماطرأ على أسماء المواضع في الشعر العربي من التحريف.. إلخ).

قد أكون مع المؤلف لو كان ماتوصل إليه هو الصواب، واتضح له بجلاء ما قال عنه.

ولكني ألمس عند قراءتي في كتاب صحيح الأخبار عكس ما يقال عنه فمؤلفه يدقق ويقارن في سعة من الاطلاع وعمق في فهم الشعر العربي.

أما عن الاعتماد على شروح دواوين الشعراء المحققة، كما يقول المؤلف فلا أرى الانسياق وراء ماقيل في تلك الشروح وخاصة فيما يتعلق بالمواضع، فأحياناً يكون المعنى مشرقاً والشارح مغرباً.

ولأضرب لذلك مثلاً: فعندما نرجع إلى ديوان لبيد بن ربيعة مثلاً نجد الشارح عندما أراد أن يعرف لنا «الأعراض» الواردة في القصيدة التي نحن بصددها قال: (الأعراض: أودية بأرض الحجاز).

فأين الحجاز من عالية نجد؟!

والأمثلة على ذلك كثيرة ليس هذا محل الكلام عنها.

الرأي الآخر لمؤلف معجم عالية نجد حول البدي والكلاب

قد يفاجأ القاريء كما فوجئت إذا عَلِمَ أن لمؤلف معجم «عالية نجد» رأياً يخالف رأيه السابق الذي تكلمنا عنه حول أبيات لبيد بن ربيعة العامري وهذا الرأي الأخير للمؤلف هو الذي يتمشى مع واقع الأمر وفيما يلي رأيه الآخر، وبعبارة أخرى «رأيه الأول» : فقد سبق أن نشر للمؤلف بحث في «مجلة العرب» بعنوان (البدي ـ أو.. وادي جهام) وقد قدمت مجلة العرب لهذا البحث بالأسطر التالية:

(وادي البدي تردد ذكره في الشعر القديم، وتضاربت آراء المتقدمين في تحديد موقعه، ومن المتأخرين من ظنه الموضع المعروف باسم اللبيد، في شمال البلاد، وهذا الظن لايؤيده دليل، وهاهو الأستاذ سعد بن جنيدل يمد قراء «العرب» ببحث ممتع عن واد من أودية بلادنا، يرجح أن يكون هو البدي، وهذا البحث من كتاب «عالية نجد» أحد أجزاء «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» الذي ألفه الأستاذ سعد[1]) . انتهى كلام المجلة.

وحيث أن هذا البحث الذي بين أيدينا الآن قيل إنه من كتاب «عالية نجد» الذى سبق مناقشتنا لما ورد فيه، فهل هناك توافق بين ماورد في المعجم وبين مانشر في مجلة العرب؟

لو أن هناك توافقاً بينهما لاكتفينا بما تم من مناقشة، ولكن الأمر خلاف ذلك، فالرأيان متباينان ومتباعدان كتباعد وادي البدي الذي يدفع سيله في وادي الركاء عن وادي البدي الذي قيل: إنه يدفع في وادي التسرير «الرشاء»

---

(١) العرب : ص ٣٥١ ج ٥، ٦ ـ القعدة والحجة عام ١٣٩٦ هـ .

حالياً. وإليك استعراض ماقاله المؤلف في بحثه المنشور في مجلة العرب:

١ ـ يقول: (جَهَامُ:.. واد يقع في ناحية الجِمْش الجنوبية الغربية، شمالاً من بلدة البجادية وغرباً شمالياً من بلد الدوادمي، وهو أحد روافد وادي الرشاء (التسرير قديماً) الشمالية يبدأ سيله من شمالي شرق كبشات ويتجه جنوباً شرقيا..

ويتضح لي من استقراء شواهد الشعر العربي أن هذا الوادي كان قديماً يسمى «البدي.. ولم أر فيما بين يدي من كتب المعاجم ذكراً لهذا الوادي أو مايدل على تحديده، وكذلك فإن ماذكروه عن البدي لايتضمن تحديداً واضحاً لموضع معين متميز في جهة معروفة.

أما ماذكروه من الشواهد على ذكر البدي فإنه يفهم منها أن هناك ثلاثة مواضع تعرف بهذا الاسم، غير أنهم لم يفرقوا بينها، ولا أياً منها يعني كل شاعر منهم[(١)].

وبعد أن أورد المؤلف قول البكري الذي تقدم معنا المتضمن بيتي لبيد عن البدي والكلاب، وكذا بيت الراعي النميري، وبيت امرىء القيس، وقول الأعشي قال:

(قلت : البديّ: على مايتضح لي من هذه الشواهد، اسم لثلاثة مواضع ورد في شعر لبيد منها ذكر موضعين أحدهما البدي الذي ذكر أنه يلتقي بوادي الكلاب ثم يدفعان في سرة الركاء، وهذا الوادي قد تغير اسمه، ولم أر له ذكراً إلا في شعر لبيد .

---

(١) العرب : ص ٣٥١ ـ ٣٥٣ ـ ج ٥، ٦ ـ القعدة والحجة عام ١٣٩٦ هـ

والموضع الثاني، ذكره مع عدة مواضع وهو الذي يبدو لي أنه هو وادي جهام.

وهناك موضع ثالث، ذكر البكري أنه في بلاد بني سعد وهو المذكور في شعر الراعي، فالبدي اسم لموضعين في وسط نجد، والموضع الثالث في أسفل البلاد.

البدي: هو أحد روافد وادي السرة، ووادي السرة يقع في عالية نجد الجنوبية غرب بلاد العرض ولايزال معروفاً بهذا الاسم وسيله يتجه شرقاً جنوبياً ثم ينعدل جنوباً ويصب في الركاء..

ـ وبعد أن أورد المؤلف ثمانية من أبيات لبيد التي تقدمت معنا ومنها (لاقى البدي الكلاب فاعتلجا) أردف قائلاً: ـ

وهذا الموضع الذي ذكره لبيد واقع في بلاد بني عامر ولابد أن يكون قريباً من عماية وصاحة وروافد الركاء.

ويحتمل أن يكون المقصود بسرة الركاء في شعر لبيد، سرة بطن الركاء أي أوسطه، وليس المقصود به وادي السرة الذي هو من روافد الركاء، فيكون البدي من روافد الركاء نفسه التي تدفع فيه مباشرة وتصب سيولها في سرته وهو فيما أرى أقرب إلى الصواب(١). انتهى.

أقول:

أرى أن كلام المؤلف المنشور في مجلة العرب هو الذي يتمشى مع الصواب بخلاف رأيه حول الموضوع نفسه الموجود في كتابه «عالية نجد» الذي يقول فيه وهو يعلق على إيراد «البكري» لبيتي لبيد، وبيت امرىء القيس، والبيت الرابع للأعشى حيث قال هناك:

---

(١) مجلة العرب ص ٣٥٥ ـ ٣٥٧.

(إن البكري اعتمد على تلك الشواهد والواقع أن البدي الوارد في شعر لبيد هو البدي الوارد في شعر امرىء القيس وهو كذلك الوارد في شعر الأعشى، لأن لبيداً ذكره مقروناً بذكر الكلاب، ووادي الكلاب هو وادي الشعراء، وهو يقابل وادي جهام من الجنوب فيلتقيان معاً في بطن الرشاء[1]) انتهى.

أقول: لو لم يعدل المؤلف عن رأيه المنشور في مجلة «العرب» لسلم من القدح في فهم علماء البلدان القدماء ولما احتاج إلى محاولة الجمع بين الشواهد وتحليلها تحليلاً يخالف ماترمي إليه.

ولن أعلق وأسترسل في الكلام على ماقاله بشأن تلك الشواهد والنصوص التي أوردها وإلا لجرنا ذلك إلى الخروج عن موضوعنا وعلى القاريء أن يقارن بين ماورد في كتاب عالية نجد رسم «جهام» ومانشر في مجلة العرب، وكلا البحثين موضوعهما واحد.

٢ ـ أما عن وادي الكلاب فيقول الأستاذ سعد في بحثه المنشور في مجلة العرب بعد أن أورد ثمانية أبيات من قصيدة لبيد العامري التي منها هذا البيت:

كحاجة يوم قبل ذلك منهمُ　　عشية ردوا بالكلاب الجمائلا

قال:

(ومن إطار هذا الصورة الجغرافية الناصعة يمكن أن يتبين لنا موقع وادي البدي ففيها الكلاب ـ وهو غير وادي الكلاب الذي ذكره في قصيدته البائية ـ إلخ.. ثم أورد قولاً للهجري، وقولاً للهمداني، ثم خلص إلى القول:

(وبهذا يتبين لنا أن هذا الوادي غير وادي الكلاب الذي ذكره لبيد مع ذكر السُّرّة والركاء، ومن هنا يتبين الفرق بينهما فهذا سيله يتجه شمالاً ويلتقي

---

(١) عالية نجد ص ٣٣٧/١ .

بوادي الرشاء وذلك يفيض في الركاء، والركاء يتجه شرقاً ويقطع جبل طويق ويفيض في وادي برك جنوب حوطة بني تميم[1]).

أقول: كان بودي أن مؤلف كتاب «عالية نجد» بقي على قوله هذا لأنه في نظري التفسير الأمثل للنصوص، ولكن لا أعرف السبب الذي حدا به إلى العدول عنه والاستعاضة بما ورد في الكتاب في رسم «الشَّعْرَاءِ» ورسم «جَهَام».

وهذا التغيير في الرأي أوقع المؤلف بالقدح في النصوص الواضحة واعتسافها اعتسافاً لامبرر له حيث قال: إن كلمة «الرِّكَاء» محرفة من كلمة «الرِّشَاء» وهذا التَّحْريف ألجأ بالتالي إلى أن يُحْرَفَ السحاب عن مساره الذي اعتاد أن يسلكه بإرادة الله إلى جهة أخرى!!

---

(١) مجلة العرب ص ٣٥٩ .

الاستدلال على "الكُلاَبِ" من أبيات لبيد

يقول لبيد بن ربيعة العامري:

لاقى البدي الكلاب فاعتلجا   *سـيل أتيهما لمن غلبـا*

فدعدعا سرة الركاء كمـا   *دعدع ساقي الأعاجم الغربـا*

هذان البيتان وردا معنا ضمن قصيدة لبيد البائية التي ذكرنا منها أربعة عشر بيتاً تحت عنوان «السياح العامري».

ولعله من المفيد هنا أن أوجز آراء علماء البلدان حول الكلاب الوارد ذكره في هذه القصيدة:

١ ـ استشهد البكري بهذين البيتين في رسم «البدي» وفي رسم «الركاء» في كتابه «معجم ما استعجم» حيث قال: البدي والكلاب واديان يصبان في الركاء.

٢ ـ الشيخ محمد بن بليهد استشهد بهذين البيتين في كتابه «صحيح الأخبار»، وقال:

إن وادي الكلاب هذا هو وادي «قحقح» الذي يصب في وادي السُّرة ووادي السرة يدفع في الركاء.

٣ ـ الأستاذ سعد بن جنيدل استقر رأيه في كتابه «عالية نجد» على أن وادي الكلاب الوارد في هذين البيتين هو وادي «الشَّعْرَاءِ» الذي يدفع سيله في وادي الرِّشَاءِ وقال: إن كلمة «الرِّكَاءِ» الواردة في البيت محرفة وأصلها «الرشاء».

٤ ـ الشيخ حمد الجاسر قال في معرض كلامه عن وقعة الكلاب في كتابه «باهلة»:

(ولكن قول لبيد :

لاَقَى الكلابُ البَديَّ فَاعْتَلَجَا ... سَيْلُ أَتيّيهِمَا لِمَنْ غَلَبَا

يدل على أن وادي الكلاب يفيض سيله في وادي السرة وليس كذلك وادي الشعراء ولهذا فليس من المستبعد أن يكون وادي الكلاب هو مايعرف الآن باسم وادي عصيل ويلاحظ أن هذه الوقعة هي يوم الكلاب الثاني[(1)]) انتهى.

وعندي أن هذا القول هو أقرب تلك الأقوال نظراً لأن وادي «عُصَّيل» الذي قال الشيخ حمد: إنه لايستبعد أن يكون هو وادي الكلاب. يقرب كثيراً من الأماكن التي حدثت فيها المعركة.

ولما كنت فهمت من قول لبيد مافهمه أصحاب تلك الأقوال من أن سيل الكلاب مع البدي، ينتهي إلى وادي الركاء، باستثناء مؤلف عالية نجد.

أجدني مضطراً إلى الكلام عن أبيات لبيد لأنها في نظري من أهم النصوص التي ترشد إلى جهة الكُلاب. فأقول:

يَاهَلْ ترَى البَرْقَ بتُّ أَرْقبهُ ... يُزْجِي حبِيًّا إذَا خَبَا ثَقَبَا

قَعَدْتُ وَحْدِي لَهُ وقال أبُو ... لَيْلَى: مَتَى يَغْتَمِنْ فَقَدْ دَأَبَا

كَأَنَّ فِيه لَمَّا ارْتَفَقْتُ لَهُ ... رَيْطاً ومِرْبَاعَ غَانِمٍ لَجِبَا

في هذه الأبيات الثلاثة يشعرنا لبيد أنه جلس ذات ليلة يرقب سحاباً مقبلاً من بعد يخبو برقه مرة ويضيء أخرى.

كما أشعرنا أنه كان جالساً وحده ينظر إلى هذا السحاب المقبل، وعندما

(١) كتاب باهله ص ٢٢٩ .

قرب هذا السحاب انضم إليه «أبو ليلى» فسأله: متى يمطر هذا السحاب الذي دأب برقه فأمسى الجميع ينتظرون هطوله؟

وعندما تحقق للشاعر أن هذا البرق القادم ليس برقاً خلباً أطال الجلوس مترقباً وصوله حتى إذا شعر بالتعب من طول الانتظار اتكأ على مرفقه ليشاهد البرق اللامع ويسمع الرعد القاصف مستبشراً خيراً من هذا القادم.

فشبه لنا البرق بالملاحف التي تنفض.

والريط: لباس وأظنه مثل الذي تلبسه الأعرابيات في وقتنا الحاضر ويسمينه «الجلاَل» وقد تختلف تسميته من منطقة إلى أخرى.

وشبه الرعد وتتابع صوته الذي لاينقطع بمرباع الغانم، والمِرْبَاعُ: مايأخذه قائد القوم من الغنيمة، ومعروف أن الغنيمة أو مايأخذه الغالب من المغلوب في تلك الأزمنة فيها: الغنم و الإبل فلا تسمع إلا ثغاء ورغاء

فَجَادَ رَهْواً إلى مَدَاخِلَ فَالصُّحْـ ـرَةَ أَمْسَتْ نِعَاجُهُ عُصَبَا

أفادنا الشاعر أن هذا السحاب أمطر رهواً أي ساكناً.

وقد ورد بدل كلمة «رَهْواً» كلمة «رَهْوى» ورهوى: اسم موضع فقد أورد ابن منظور في لسان العرب هذا البيت في رسم «نجل».

وعلى كل فهذا البيت محل إشكال وأظن أن كلمة «رهوى» أصح لأن الشاعر أورد حرف الجر «إلى» فقال: «فجاد رهوى إلى مداخل» فهو يحدد لنا المكان الذي جاده أول هذا الغيث النازل فحدده: من رهوى إلى مداخل فالصحرة.

كما ورد بدلاً من كلمة مداخل «مناجل» ولما كانت تلك المواضع لاتفيدنا معرفتها هنا كثيراً فلن نستعرض ماقيل عن تحديدها.

وكل ما نفهمه أنه عندما نزل المطر على هذا المكان بغزارة أمست الوحوش الموجودة في هذا المكان تتجمع عُصَباً أي مجموعات وخصص لنا من تلك الوحوش النعاج وهي إناث الظباء.

فَحَدَّرَ الْعُصْمَ من عَمايَةَ للسَّـ ـهْلِ وَقَضَّى بِصاحَـةَ الأَرَبـا
فَالْمـاءُ يَجْلـو مُتونَهنَّ كَمـا يَجْلُو التَّلاميذُ لُؤْلؤاً قَشِبـا

كما تجمعت النعاج في المكان الأول الذي ذكره أفادنا أن المطر أصاب أيضاً «عمَاية» وهي التي تسمى في وقتنا الحاضر «الحصاة» فأنزل الوعول من مكامنها إلى السهل وحيث أصابها المطر أصبحت ظهورها ملساء لامعة كأنها لؤلؤ جديد جلاه ولمعه عمال الصائغ.

وأفادنا الشاعر أن عرض هذا السحاب واسع حيث قضى بصاحة أربه.

وَصَاحَةُ: هضبة تقع جنوب وادي الركاء بينما تقع عماية شمالاً منه.

وهنا نصل إلى بيت القصيد وهو البيت الذي ذكر فيه لبيد «الكُلاَبَ» وهو الموضع الذي تهمنا معرفته حيث قال:

لاقَى البَديُّ الكُلاَبَ فَاعْتَلَجَا مَوْجُ أَتِيِّيهِمَا لِمَـنْ غَلَبـا
فَدَعْدَعا سُرَّة الرَّكَـاءِ كَمَـا دَعْدَعَ ساقي الأَعَاجِمِ الغَرَبَا

سالت الأودية ومن بين تلك الأودية البَديُّ والكُلاب اللذان دعدعا سرة الركاء.

وهذان البيتان هما شاهدنا في هذه القصيدة وسأتكلم عنهما لاحقاً بتفصيل وتحليل أكثر قد نفهم منهما مفهوماً جديداً.

فَكُـلُّ وَادٍ هَدَّتْ حَوَالِبُهُ يَقْذِفُ خُضْرَ الدُّبَّاءِ فَالْخُشُبـا

أفادنا لبيد أن حوالب تلك الأودية وهي الشعاب التي تغذيها جرفت معها

الدُّبَاءَ الأخضر وهو «القَرَع» وكما قذفت تلك الأودية القرع قذفت معها الخشب، وهذا يدلنا على أن تلك المناطق يوجد فيها مزارع وبساتين. وإلا فمن أين يأتي «القرع»؟ فجميع روافد وادي الركاء لايوجد حولها مزارع ماعدا منطقة العرض: الرويضة وماجاورها مما يدل على أن البَديّ وكذا الكُلاَب أتى سيلهما من تلك النواحي والشاعر عندما وصف هطول المطر أفاد أنه أسال مناطق جنوبي وادى الركاء مثل: مناجل وصاحة وغيرهما من المواضع كما أسال ماحول «عماية» القريبة من جانب الركاء الشمالي وتلك الجهات لايوجد فيها مزارع حتى يجرفها السيل معه فحوالب تلك الأودية بعيدة عن المناطق الزراعية. ولذا قال:

مَالَتْ بِهِ نَحْوَها الجنوبُ معاً ... ثم ازْدَهَتْهُ الشَّمَالُ فانْقَلَبَا

أي أن السحاب الذي أمطر على مناجل وصاحة وعماية جاءته ريح جنوبية مالت به نحو الشمال فسالت منه حوالب الأودية الواقعة في المناطق التي توجد بها المزارع والحقول وعندما تجمعت تلك الحوالب في أوديتها الرئيسية واكتظت بالمياه أصبحت تقذف مابطريقها من خشب وغير ذلك ومما زاد جريان تلك الأودية أن ريح الشمال ازدهت السحاب أي قلبته مما زاد من كثرة الماء النازل على تلك الأودية والشعاب التي تغذيها.

ومما يدل على أن لبيداً كان موجوداً بالقرب من مجرى وادي الركاء في عالية نجد الجنوبية عندما كان يرقب السحاب قوله:

فقلتُ صابَ الأَعَرَاضَ رَيِّقُــهُ ... يَسْقِي بِلاَداً قد أَمْحَلَتْ حِقَبَا

كان العربي يحرص على متابعة السحاب ورصد مواضع نزول الغيث، وفي الغالب لايخيب تقديره.

وشاعرنا تحقق من صدق حدسه عندما أصبح الصباح وشاهد الأودية القادمة من منطقة العرض تكتظ بماء المطر الذي أمسى يخيله على منطقة جبال العرض أو الأعراض كما سماها حيث شاهد احتدام الأودية القادمة من الكلاب والبدي عند مكان التقائها حول مقر سكناه.

فياترى؛ أين الكلاب والبدي اللذان ذكرهما؟

هذا هو السؤال الصعب، والإجابة عنه أصعب؛

ولعلي فيما يلي أحاول الإجابة عن هذا السؤال.

محاولة الإجابة عن السؤال الصعب

معاجم البلدان لم توضح لنا موقع كل من الكُلاب والبدي بشكل محدد.

ومؤلفو عصرنا آراؤهم حول ذلك متضاربة، والاختلاف بينهم واضح وإن قربنا البعض منهم إلى الاتجاه الصحيح إلى مجاري تلك الأودية.

وإزاء هذا الغموض لم يبق أمامي إلا أن أستشف من أبيات لبيد بن ربيعة العامري التي مرت معنا، وكذا من النصوص الباهتة التي تحدثت عن هذين الموضعين.

فلبيد «ذكر لنا في قصيدته» : أنه استبشر خيراً عندما مالت ريح الجنوب بالسحاب كله إلى جهة الشمال ليعم الغيث النازل بقية أرض قومه بني عامر، وقد تحقق شاعرنا من شمول الغيث للأعراض وماجاورها عندما شاهد أودية تلك الناحية تدعدع سرة الركاء.

وقد احتاط لبيد لنفسه من انتقاد الناس لقوله؛ لكونه أفاد أن السحاب أمطر عالية نجد الجنوبية: مداخل، والصحرة، ومناجل، وصاحة، وعماية.

وتلك المواضع واقعة جنوباً من أعالي الكلاب والبدي فلذا قال:

مالت به نحوها الجنوب معاً ثم ازدهته الشمال فانقلبا

من هذا المفهوم ومافهمته من النصوص الأخرى بدا لي أن أعالي هذه الأودية واقعة شمالاً من: صاحة، وعماية. وبالتالي من مجرى وادي الركاء.

وإذا ألقينا نظرة على الأودية التي تتجه إلى وادي الركاء من ناحيته الشمالية نجد أن من أكبرها وأهمها واديان كبيران هما: وادي «السِّرْدَاح» ووادي

«السُّرَّة» وأعالي هذين الواديين تسيل من سواد باهلة، وسواد باهلة يطلق على ناحية واسعة واقعة شمالاً من مجرى وادي الركاء.

وجميع الأودية القادمة منها تتحد في مجرى هذين الواديين، ولذا فلابد من إلقاء الأضواء عليهما لعل تلك الأضواء تنير لنا الطريق إلى الكُلاب والبدي فأقول:

وادي السـرداح

السِّرْدَاحُ : من فحول الأودية ذات المجرى الواسع، يدفع فيه العديد من الأودية الكبيرة المنحدرة من غربي جبال العرض، ومن شرقي «شفا العرض» وأودية أخرى تصب فيه على طول مجراه حتي يلتقي مع وادي «السُّرَّة» عند جبل التيس شمال «عماية العليا». ويظهر لي أن تسمية هذا الوادي قديمة، ولعله من المفيد إيراد ماقاله علماء البلدان حوله ومما قرأته من تلك الأقوال:

١ ـ قال البكري :

(سِرْداحُ : ..... موضع في ديار بني تميم قد تقدم في رسم الدارات[١]) .

وبالرجوع إلى رسم الدارات نجد البكري يقول:

(دارة مِحْصَن .... وهي لبني قشير قال دريد :

فإنا بين غَوْلٍ لن تضلوا ... فحائل سُوفَتَيْنِ إلى نِسَاح
فدارة مِحْصَنٍ فبذي طُلُوح ... فسر داح المثامن فالضَّواحي

فأنبأك أن دارة محصن تلقاء ذي طلوح المحدد في موضعه[٢]) .

(السراديح: جمع سرداح، قد يطلق البعض في وقتنا الحاضر على السرداح ومايدفع فيه من أودية اسم «السراديح».

أما السراديح التي ذكرها حسان بن ثابت رضي الله عنه في هذا البيت :

بين السراديح فأُدْمَانَةٍ ... فمدفع الروحاء في حائل

(١) معجم ما استعجم : ص ٧٣١/٣ .
(٢) معجم ما استعجم : ص ٥٣٧/٢ .

فهي بعيدة عن السرداح الذي نحن بصدده، وقد ذكرها حسان بن ثابت مع الروحاء وهذه في بلاد مزينة.

إن قول البكري : (سرداح : موضع في ديار بني تميم) مهم في بحثنا هذا لأنه يتكلم عن موضع اسمه «سرداح» سكنه بنو تميم وهذا قريب من الجهة التي نتحرى فيها عن «الكُلاب» فالبكري يقول: إن سرداحاً موضع في ديار بني تميم، ومن المعروف أن لبني تميم مساكن كثيرة في جميع أنحاء الجزيرة العربية فلهم مساكن في شرقها، وغربها، وشمالها، ووسطها.

ومن هذه الأماكن «السرداح» ومياه مجاورة له. ولكن مع ندرة النصوص التي قد نستعين بها وهذا واحد منها فإنه لم يسلم من القدح فيه.

وممن استغرب ورود هذا النص من الباحثين في وقتنا الحاضر الشيخ محمد ابن بليهد ـ رحمه الله ـ حيث قال: (سرداح : قال البكري.. موضع في ديار بني تميم.. قال المؤلف: قد أخطأ البكري حين قال موضع في بلاد بني تميم فإنه ليس في ديار بني تميم إنه في بلاد باهلة إذا انقطع عنك سوادها وأنت قاصد الغرب هناك تظهر على أودية وفضاء واسع يقال لتلك الأودية السراديح.

ومفردها سرداح وموقعها بين ريع المشعر وبين خنيفسة والجربوعة، وهي تحمل هذه الأسماء إلى هذا العهد[1]) . انتهى

وقد تابعه في هذا القول مؤلف «معجم عالية نجد» حيث قال الأستاذ سعد بن جنيدل في رسم «السرداح» بعد أن أورد قول البكري المتقدم:

(وماقاله ـ يعني البكري ـ عن دارة محصن وبيتي دريد ففيما ذكره تناقض حيث قال: إنه في بلاد بني تميم وأورد شاهداً يدل على أنه في بلاد بني قشير، والواقع أن السرداح واقع في بلاد بني قشير ولباهلة حقوق في أعاليه.[2]) .

---

(١) صحيح الأخبار : ص ٢٢٨/٣ .

(٢) عالية نجد : ص ٦٨٠/٢ .

أقول: ذكر مؤلف «معجم عالية نجد» أن ماذكره البكري فيه تناقض؛ والذي فهمته من النصين مجتمعين أن ماقاله البكري ليس فيه تناقض كما ذكر.

فالقول الأول قال فيه البكري: (إن سرداحاً موضع في ديار بني تميم).

وفي رسم «دارة محصن» لم يقل: إن سرداحاً في ديار بني قشير، وإنما قال: (دارة محصن لبني قشير) فالأمر واضح لاتناقض فيه ولا غموض.

أليس الأمر كذلك؟!

ولهذا سيبقى عندنا قول البكري: (سرداح: من ديار بني تميم) قائماً فقد نجد مايقويه ويعضده.

ولست مع من يتسرع في تخطئة النصوص القديمة والقدح فيها إلا إذا كان التناقض فيها واضحاً، ووجد لدينا من القرائن والحيثيات مايجعلنا نحكم عليها بالخطأ أو التناقض.!

٢ ـ **ويقول الهمداني**: (ثم الفرع وهو يصب في بطن السرداح مقابل للقهاد، وبين شط السرداح وبين القهاد سهب يقال له الملاطيط[١]).

وقال الهمداني في موضع آخر:

(وماء يقال له النهيقة واللقيطة ماء، والقُعْنبيِّة ثم بطن السرداح[٢]).

وفي موضع ثالث قال:

(ومعدن العوسجة من أرض غني فويق المغيراء ببطن السرداح[٣]).

هذا ماتيسر جمعه من النصوص التي ورد فيها ذكر «السرداح». ومنها يتضح لنا أن وادي السرداح لازال محتفظاً بمسماه القديم إلى وقتنا الحاضر.

ومما أكسبه شهرة كثرة الأودية التي تدفع فيه مثل: وادي أبا الجرفان، ووادي الرويضة، والأودية الأخرى القادمة من طحي وسنام وغيرهما، وكذا جميع الأودية التي تدفع فيه من مرتفعات العرض الغربية مثل: الأمار، والفرع، والأودية الأخرى التي تدفع فيه على امتداد مجراه حتى يلتقي مع وادي السرة.

---

(١) صفة جزيرة العرب : ص ٢٩٤ .
(٢) صفة جزيرة العرب : ص ٢٩٧ .
(٣) صفة جزيرة العرب : ص ٢٩٩ .

وادي السُّرَّة

وادي السُّرَّة: يعتبر هذا الوادي من فحول الأودية الموجودة في عالية نجد الجنوبية يتكون مجراه من أودية كبيرة تدفع فيه مثل أودية:

البييضاء، الخاصرة، الجلَّة، قُحقح، عُصَيْل، وكذا الأودية التي تسيل من جبل دمخ وسمراء حلبان وغير ذلك من الأودية في تلك الناحية.

وجميع هذه الأودية تتحد في مجرى واحد هو مايطلق عليه وادي «السُّرَّة» وبعد أن تدفع فيه تلك الأودية يتجه جهة الجنوب الشرقي ثم يعدله «رمل السُّرَّة» إلى جهة الشرق، ويلتقي بوادي السرداح بعد أن يتجاوز هضبة «صبحاء» ـ يذبل قديماً ـ وذلك عند جبل «التيس» ـ تياس قديماً ـ ليكونا مجرى واحداً يستمر حتى يدفع في وادي «الركاء».

ولعلنا نتساءل : ماهي السُّرَّة التي سمي باسمها هذا الوادي؟

أقـول: أطلق العرب القدماء اسم السُّرَّة على المنطقة التي يجري فيها هذا الوادي ويسمونها «سُرَّة نجد» وسرة نجد مساحتها واسعة ويبدو لي أنها تشمل الأرض الواقعة بين جبلي «العَلَم» و«دَمْخ» شمالاً حتى جبال وماء «الدخول» جنوباً وبين جبال الزيدي غرباً وعمايتين العليا والسفلى شرقاً فهي بلاشك أرض واسعة.

وسميت «رمل السُّرَّة» لأن غالبية أرض تلك المنطقة رملية، كما أن النفود الممتد في وسطها من الغرب إلى الشرق سمي «نفود السُّرَّة» وسمي الوادي المحاذي له من جهته الشمالية «وادي السرة» لأن كلاً من النفود والوادي واقعان في وسط «سرة نجد».

ومايعنينا هنا هو الوادي.

وقد ذكر أصحاب معاجم البلدان القديمة «السُّرَّة» وفيما يلي النصوص التي أوردوها:

١ ـ يقول الأصفهاني : (قال : يعني العامري ـ لنا الْمَضْجَعُ والْمَعْطَنُ جميعاً إلا أن أمرأهما المضجع وهما بسرة نجد[١]).

٢ ـ ويقول الهمداني وهو يتحدث عن المياه: (وعماية عِذابٌ كله والقطانية ملح ببطن السُّرَّة[٢]).

٣ ـ ويقول في موضع آخر: (وعن يمين الينكير مياه متقاودة للينكير منها: الرسل ـ رسل تياس ـ وهو قرن أسود ضخم ورمل بطن السُّرَّة من وراء بجاد وهو المنسوب رمل تياس[٣]).

٤ ـ ويقول أبو علي الهجري: (والدخول وهو ماء برمل السُّرَّة إلى بيشة[٤]).

ويقول الهجري في موضع آخر: (وعماية برمل السرة بين سواد باهلة وبيشة[٥]).

ويقول في موضع ثالث: (السُّرَّة: وسألته ـ يعني أبا نافذ الخفاجي ـ عن العظاة، فقال: هي بئر بعيدة القعر، عذبة، والعظاة بالمضجع بكسر الجيم بين رمل السُّرَّة، وبيشة، وإلى جانبها الأروسة[٦]).

ويقول أيضاً :

---

(١) بلاد العرب : ص ١٣٢ .
(٢) صفة جزيرة العرب : ص ٣٠٠ .
(٣) صفة جزيرة العرب : ص ٢٩٧ .
(٤) أبو على الهجري وأبحاثه : ص ٣١٠ .
(٥) أبو على الهجري وأبحاثه : ص ٣٤٢ .
(٦) أبو علي الهجري وأبحاثه : ص ٣٢٣ .

(حُلَيْمَةُ: أنشد لابن أحمر ـ من أبيات :

تتبع أوضاحاً بِسُرةِ يذبـــل وترعى هشيماً من حُلَيْمة باليا

أوضاح النّصي : طرائد منه قليلة . حليمة : ماء بيذبل[1]) .

٥ ـ ويقول البكري: (الركاء: واد بسرة نجد[2]) .

ـ ثم أورد بيتي لبيد ـ

٦ ـ ومما يدل على أن اسم وادي السُّرّة قديم قول ياقوت الحموي في رسم «مُحَجَّر» :

(.. وقـرن في أسـفله جَرْعـة بيـضـاء في ديار أبي بكر بن كـلاب بفـرع السُّرّة[3]) .

٧ ـ وكذا قول البكري في رسم مُحَجَّر أيضاً :

(مُحَجَّر: ... وهو قرن في ديار أبي بكر بن كلاب بفرع السُّرّة.

والسُّرّة: واد يصب بين دمخ والرملات؛ رملات أبي بكر.

ومحجر: قرن في أسفله جَرْعَةٌ بيضاء حجر بها[4]) انتهى ماقاله باختصار.

هذا ما تمكنت من حصره من أقوال البلدانيين القدماء حول «السُّرّة» ويتضح لنا من هذه الأقوال أن السرة أرض واسعة تقع في عالية نجد الجنوبية يجرى فيها عدد من فحول الأودية مثل: الركاء، والسُّرة وفروعهما.

كـما تضم أعلاماً مشـهورة مثل: يذبل، وعمـاية، وذقان، وغير ذلك من الأعلام التي تغنى فيها الشعراء قديماً.

---

(١) أبو علي الهجري وأبحاثه : ص ٢٣٨ .
(٢) معجم ما استعجم : ص ٦٦٨/٢ .
(٣) معجم البلدان : ص ٦٠/٥ .
(٤) معجم ما استعجم : ص ١١٨٨/٤

كما يمتد في وسطها رمل السرة المسمى «نفود السُّرّة» حيث يمتد من جنوب جبل «دَمْخ» إلى قرب جبل «التيس» الواقع شمال «عماية العليا» غير بعيد منها.

ومما تقدم تبين لنا بوضوح أن وادي السُّرّة لازال محتفظاً باسمه القديم إلى وقتنا الحاضر.

ومما يؤكد ذلك أكثر، قول البكري: (والسرة واد يصب بين دمخ والرملات رملات أبي بكر).

والمتتبع لكلام البكري عن البدي في مواضع متعددة من كتابه يلاحظ أنه التبس عليه مسمى «البدي» فقرن البدي الموجود في عالية نجد الجنوبية مع مواضع في شمال الجزيرة العربية مثل: إرمام، وعالج. ومن شواهد الشعر العربي نعرف أن هناك مسمي «البدي» في جنوب نجد، ووسطه، وشماله منها ماهو ماء، وماهو واد، أو مكان.

وقد استشهد في أكثر من موضع ببيتي لبيد اللذين قال فيهما:

لاقى الكلاب البدي فاعتلجا — *سيل أتييهما لمن غلبا*

فدعدعا سرة الركاء كما — *دعدع ساقي الأعاجم الغربا*

مع أن الاستشهاد بهما يجب أن يكون مقتصراً على البدي والكلاب الموجودين في عالية نجد الجنوبية.

وقد حام الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ حول البدي، وحاول أن يحدده لنا أو يقر به لنا على أقل تقدير. فنجده عند كلامه عن «البدي» يقول:

(وشيء آخر يدل على أن هذا البدي هو «الجلّة» وذلك أنهم عثروا في هذا الوادي على بئر قديمة كانت قد طمرت فلما بعثوها قال مشيخة من أعراب

تلك الناحية من بني شيبان: (إن هذه البئر كان يقال لها «البدية» فتسميتها القديمة بهذا الاسم يدل على أنهم أضافوها إلى وادي البدي الذي تقع هي فيه، وأن الوادي كان له هذا الاسم، وأكثر سيول نجد الجنوبية تصب في وادي الركاء[1]). انتهى كلامه.

ومعلوم أن وادي «الجلّة» الذي أشار إليه هو أحد فروع وادي السُّرَّة.

ولكن يبدو لي أن هذه البئر التي عثر عليها ـ كما يقول ـ سميت بهذا الاسم لوقوعها في المكان الذي يسمى البدي وليس في وادي البدي.

على أنه ـ رحمه الله تعالى ـ له رأي آخر: فقد سمى وادي السُّرَّة نفسه بـ «البدي».

حيث قال وهو يعلق على المواضع التي ذكرها الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» الذي قام بتحقيقه ونشره قال معلقاً على جملة «ورمل السُّرَّةِ من وراء بجاد»:

(قال الناشر: رمل السرة وبطنها موجودان يحملان اسميهما إلى عهدنا هذا. رملها مرتكم يبدأ من غربي دمخ وينتهي قرب «الحصاة»، وبطنها واد عظيم في شرقي رملها فيذهب معه إلى أين ذهب، وهذا الوادي هو الذي يقول فيه لبيد بن ربيعة العامري:

لاقى الكلاب البدي فاعتلجا سيل أتييهما لمن غلبا[2])

زبدة الإجابة عن السؤال الصعب :

قمنا بتجميع النصوص من ثنايا معاجم البلدان، ومن ثم تحليلها وغربلتها تلك الغربلة التي أرجو أن نحصل منها على إجابة مقنعة لهذا السؤال الصعب الذي طرحناه على أنفسنا حيث قلنا:

---

(١) صحيح الأخبار: ص ١٨٧/١ .
(٢) صفة جزيرة العرب: ص ٣٨٦ (تقحيق الشيخ ابن بليهد) .

ياترى؛ أين الكلاب والبدي اللذان ذكرهما لبيد بن ربيعة العامري؟

وإجابتي عن هذا السؤال قد يفاجأ بها القاريء خاصة إذا قلت :

إنه ليس هناك واد اسمه «الكلاب» وآخر اسمه «البدي» يتجهان من الشمال إلى الجنوب ليدعدعا سرة الركاء، كما قال البكري ـ رحمه الله تعالى .

فعندما أمعنت النظر في أبيات لبيد، وتعرفت على الأودية التي تدفع في وادي السِّرْدَاح، ووادي السُّرَّة اتضح لي أن لبيداً لم يقصد بالكلاب والبدي واديين بعينهما، وإنما قصد مكاناً اسمه «الكلاب» ومكاناً آخر اسمه «البدي» .

وعندما جاد الغيث هذين المكانين سالت أوديتهما وشعابهما، ولغزارة الماء النازل اكتظت مجاري تلك الأودية والشعاب فأمست في حالة تنافس وتدافع فمن غلب من تلك الأودية استأثر بالمجرى عن منافسه فصار الأخير بمثابة رافد له.

وقد التقت تلك الأودية والشعاب في النهاية في مجاريها الطبيعية حيث تجمعت أودية الكلاب بوادي السرداح، وتجمعت أودية البدي بوادي السرة ثم دعدع هذان الواديان بسيولهما القادمة من الكلاب والبدي سرة «الركاء» .

ومما يؤيد قولي هذا أن لبيداً ذكر لنا أن تلك الأودية قادمة من مناطق زراعية توجد فيها الخضروات مثل القرع «الدُّبَّاء» ، والأشجار مثل النخيل والأثل وغيرهما.

وإذا عرفنا أن جميع روافد وادي الركاء لايوجد بالقرب منها مزارع وهذا شيء معروف ماعدا تلك الروافد القادمة من أعالي وادي السرداح شرق بلدة «الرويضة» ، وبعض أعالي وادي السرة غرب «الرويضة» خاصة الأودية القريبة منها، مثل وادي «عصيل» وغيره.

وبإلقاء نظرة على أقوال علماء البلدان القدماء نجد أنه لم يقل أحد منهم

بذلك غير «البكري» ـ رحمه الله ـ وإنما قال به من تابعه في هذا القول ممن خلطوا بين المواضع حيث تشابهت عليهم النصوص كما أسلفت فإذا كان البكري قصد بقوله (البدي والكلاب واديان يصبان في الركاء) يعني أن هذين الواديين قادمان من الكلاب والبدي فهذا حسن، أما إذا كان يقصد واديين محددين فلا أظن ذلك صواباً. والبكري ـ رحمه الله ـ عندما أراد أن يعرف لنا الكلاب قال:

(الكُلاَب : هو قدة بعينها[1]).

وعندما عرف لنا قِدَّةَ قال:

(قِدَة: هو الموضع المعروف بالكلاب[2]) .

ولعلي بما تقدم أسدل الستار على البدي، ووادي البدي إذ أن تحقيقه لايعنينا في بحثنا هذا حيث مدار بحثنا يدور حول تحقيق «الكلاب» الذي سميت فيه معركة «الكلاب الثاني».

وبما أن «الكُلاب» من المواضع التي لم يحددها البلدانيون القدماء بشكل واضح، أصبح تحديده محل إشكال فمن قائل: إنه ماء بين الكوفة والبصرة حدث فيه يوما الكلاب الأول، والكلاب الثاني.

ومن قائل: إن الكلاب هو وادي «قحقح» وأن يومي الكلاب حدثا فيه.

وقائل ثالث يقول: إنه وادي «الشَّعْراءِ» وأن يومي الكلاب حصلا فيه.

وقائل رابع: لم يأخذ بتلك الأقوال المتقدمة فقال: إن يوم الكلاب الأول حدث عند ماء الكلاب الواقع بين الكوفة والبصرة، أما وادي الكلاب الذي حدثت فيه واقعة «الكلاب الثاني» فلا يستبعد أن يكون هو وادي «عُصَيل».

---

(١) معجم ما استعجم : ص ١١٣٢/٤ .

(٢) معجم ما استعجلم : ص ١٠٥٠/٤ .

وهذا القول الأخير في نظري أصاب مكان حدوث معركة الكلاب الأول، أما الكلاب الثاني فقد قرب كثيراً من المكان الذي حدثت فيه بداية معركة الكلاب الثاني إذ هو مجاور له وسيل هذين الواديين «عصيل» وما أقول إنه الوادي الذي حصلت فيه بداية معركة الكلاب الثاني كلاهما ينحدران من شفا العرض الواقع غرب «الرويضة» فعصيل ينحدر سيله جهة الجنوب الغربي، والوادي الذي سأذكر اسمه لاحقاً والذي حصلت فيه بداية المعركة ينحدر سيله جهة الشرق ثم يعدل شمالاً.

ولما كان هدفنا هو معرفة «الكلاب» الذي لجأ فيه بنو تميم وسميت المعركة باسمه «يوم الكلاب الثاني» فإن التوصل إلى تحديد مكانه من الصعوبة بمكان وليس لنا سبيل إلى التقرب إليه إلا عن طريق معرفة المواضع التي قرنها به أصحاب معاجم البلدان القديمة، وكذا المؤرخون، أو الشعراء القدماء في شعرهم وأهم تلك المواضع هي:

١ ـ قِدَّة ٢ ـ ستار الشُّرَيف ٣ ـ الشُّعَيبَة ٤ ـ ذو خُشُب

وبتحديد تلك المواضع يسهل بالتالي تحديد موضع «الكلاب» إن شاء الله .

قِدَّة

قرنت النصوص الجغرافية والتاريخية بين الكُلاَبِ وقِدَّةَ.

فقال ياقوت الحموي:

قِدَّةُ: اسم ماءة بالكُلاب.

وقيل: قِدَّة: اسم ماءة بالكلاب.

وقيل قِدَّة: اسم للماء الذي يسمى بالكلاب.

وقال البكري :

الكُلابُ : هو قِدَّةُ بعينها.

وقال أيضاً : قِدَّة: هو الموضع المعروف بالكلاب.

وقال الزمخشري :

قِدَّة: موضع وهو الذي يسمى بالكلاب.

من هذه النصوص وغيرها نفهم مدى الترابط الوثيق بين مسمى الكُلاب وقِدَّة.

فأين ياترى تقع قِدَّةُ هذه؟.

لاشك أن الإجابة بشكل دقيق فيها صعوبة. فالنصوص لم توضح لنا مكان قدة، وكل ما نفهمه منها هو: أن قِدَّةَ ماء في الكلاب، كما نفهم أن قِدَّةَ هذه قد تطلق على المكان الذي حولها.

وفي الروايات التاريخية التي تكلمت عن «يوم الكلاب الثاني»: أن ذا العينين وهو مَنْ أخبر مذحجاً عن المكان الذي لجأ إليه بنو تميم قال لهم: (إنهم مطروحون بصحراء قِدَّةَ).

ومتى عرفنا قِدَّةَ وصحراءها عرفنا الكُلاب وبالعكس متى عرفنا الكُلاب عرفنا قِدّة.

ولم أقرأ لمن بحثوا حول تحديد «الكُلاب» في وقتنا الحاضر تحديداً لمكان «قِدَّة» هذه بشكل واضح وذلك نظراً لأن المواضع التي حددوا فيها «الكُلاب» لايوجد بقربها موضع يسمى «قِدَّة» أو قريباً من هذا المسمى.

من النصوص المتقدمة عرفنا أن «قِدَّة» اسم ماءة في الكُلاب، وأن صحراء قدة قد تسمى «الكلاب» فأين قدة؟

أقول: إن قِدَّة ليست معروفة في زمننا هذا حيث تغير اسمها تبعاً لتغير صنوها الكلاب.

ولعله من المفيد أن نستعرض المواضع التي تقارب مسماها إذ ربما نلحق قدة بأي منها:

١ ـ أبا القد: يقول الأستاذ محمد بن ناصر العبودي:

(أبا القد: ... ماء قديم عذب ترده الأعراب، يقع إلى الغرب من هضاب دخنة فيما بينها وبين «إِمَّرَة» في غرب القصيم الجنوبي[١]).

٢ ـ الأستاذ عبدالله بن خميس قال في «معجم اليمامة» ـ وهو يعدد أنوف جبل طويق:

«أنف قديدان»

وأظنه الذي ذكره في كتابه «المجاز بين اليمامة والحجاز» حيث قال:

(ومنذ الانحدار من عقبة (الأديراب) إلى محاذاة (قُدَيْدَان) من اليمين[٢]).

---

(١) معجم بلاد القصيم: ص ٢٥١/١.
(٢) ص: ٣٩.

٣ ـ أما الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ فيقول وهو يتكلم عن النص الذي أورده ياقوت عن الكُلاب وقِدّه:

(وقال ياقوت: ومنه ماء في يمين جبلة وشمام. وقد قرن ياقوت جبلة وشمام وهما بعيدان بعضهما عن بعض والذي يعرف بهذا الاسم في هذا العهد ثلاثة مواضع:

الأول منهما: هو الذي ذكره ياقوت منهل ماء مجاور لِغَول يقال له (شعب القد)...

والموضع الثاني: في عرض ابني شمام يقال له القد.

والموضع الثالث: طريق ينفذ من بلد الرياض إلى ضرماء وبلد المزاحمية يقال لهذا الطريق «أبا القد» وهو صعب المرتقى فإذا أسهلت منه أتيت قصوراً ومزارع يُقال لها «القديات» نسبة إلى هذا الطريق [١]).

٤ ـ وعن «القد» الذي ذكر مؤلف صحيح الأخبار أنه في عرض ابني شمام:

قال الاستاذ سعد بن عبد الله بن جنيدل:

(القِدُّ: ... سلسلة كبيرة من الجبال السُّود تقع في امتداد سلسلة جبال عرض شمام الوسطى من الجنوب، تمتد من ريع المشعر ـ الواقع غرب القويعية ـ جنوباً إلى جبل مغزال فهو يتكون من قنن ورعان ضخمة آخذ بعضها برقاب بعض[٢]).

---

(١) صحيح الأخبار: ص ١٦٦/٤.
(٢) معجم عالية نجد: ٣ /١٠٦٢.

أقول إن أقرب المواضع التي ذكرت هنا إلى المنطقة التي نتحرى فيها عن «قِدّة» هو ما أشار إليه مؤلف «صحيح الأخبار» ، ومؤلف «معجم عالية نجد» باسم «القد» الموجود في سلسلة عرض شمام.

وقد ذكره الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» مصحفاً باسم «القتد» وصححه لنا المؤلفان المشار إليهما وأن اسمه «القد».

ومما تقدم يمكنني القول: إن قدة التي نبحث عنها منسوبة إلى جبال القد هذه، فماء «قِدّة» إذاً هو أحد المياه الموجودة في تلك الجبال، وقد يكون طرأ على اسمه تغيير مع مرور الزمن. ولذا أجدني أُقَرِّبُ الكُلاب من جبال «القد» الواقعة بين بلدتي القويعية والرويضة، وهي إلى الرويضة أقرب، وطريق «الرياض ـ الطائف» ينفذ من خلالها.

سِتَارُ الشُّرَيْف

تقدم معنا قول الهمداني: (ستار الشريف الذي في طرف ذي خشب فوراءه الزعابة والعبلاء، ثم مأسل جأوة وهو حصنان ونخل وزرع).

فأين ياترى ستار الشريف الواقع في طرف ذي خشب؟

إن معرفة مكانه تقربنا من ذي خشب، وذو خشب يقربنا من الكلاب لاتصاله به.

وكل هذه المواضع بلاشك قريبة من بعضها.

يقول مؤلف «معجم عالية نجد» في رسم «درقان»:

(درقان.. جبل أسود مستطيل غير مرتفع ظهره ممسوح يقع صوب مطلع الشمس من بلدة رويضة العرض بين هضبة زعابة وهضبة مدقة، كالرواق بين البلدة وبين ماوراءها ويبدو لي أن هذا الجبل هو الذي ذكر الهمداني باسم ستار الشريف وذلك لأن الهمداني حدده في هذا المكان..

قال الهمداني: من مياه الشريف طحي، وعصنصر، وطاحية، ثم ستار الشريف الذي في طرف ذي خشب، فوراءه العبلاء والزعابة.

وهذه المواضع التي ذكرها الهمداني كلها متقاربة بعضها حول بعض شرق رويضة العرض وغربها وجنوبها وانظر رسم أبا الجرفان..[1]) انتهى

أقول: إن أستاذنا سعد بن جنديل دلنا على طرف السّتار أو قربنا منه كثيراً ولكن يتوجب علينا معرفة الشُّرّيف حتى نتمكن من معرفة ستاره الذي يستره عن المواضع الأخرى، أو يستر المواضع الأخرى عنه.

---

(١) معجم عالية نجد: ص ٥١٥/٢.

وعندي أن الشُّريف منطقة واسعة جداً حدها الجنوبي هضبة عروى والمرتفعات الممتدة منها جنوباً غربياً فما كان شمالاً وغرباً من مرتفعات حمرة العرض الشمالية الغربية فهو الشريف، وماكان جنوباً وشرقاً منها فهو: جنوب عروى، والقهاد، ومأسل جاوة.

وواقع الأمر أنك إذا قدمت من منطقة الشريف أي من بلدة الشَّعْرَاء وماجاورها متجهاً إلى «الرويضة» فإنك لاترى جميع الأعلام الواقعة قرب الرويضة لأن أمامك ستاراً يحول بينك وبين رؤيتها، وإذا علوت تلك المرتفعات تاركاً بلدة عروى وهضبتها خلف ظهرك فستشاهد الأعلام المحيطة بالرويضة.

أما إذا كنت في الرويضة فإنك لاتشاهد الأعلام الموجودة في منطقة الشريف لأن حاجزاً من الجبال والمرتفعات يحول بينك وبين رؤيتها، وقد تشاهد رأس هضبة عروى نظراً لقربها ووقوعها على حد هذا المرتفع .

وللشيخ حمد الجاسر رأي حول ستار الشريف حيث تكلم عنه في صفحة (١٤٥) من كتابه «باهلة» وبعد أن أورد تعريف ياقوت الحموي عن أبي زياد للسُّتُر والسِّتار، وكذا إيراده لقول الهمداني المتقدم حول ستار الشريف قال:

(ولعل ستار الشريف مايعرف الآن باسم الشرفة، وهي الأراضي المرتفعة الواقعة شمال تلك المواضع وغربها، ممتدة جنوباً وشمالاً، ومنها تنحدر سيول العرض).

أقول : كأني بشيخنا حمد الجاسر لم يكن جازماً بقوله هذا، ولذا قال: (ولعل).

ومعروف أن مايسمى بالشّرفة عبارة عن أراض مرتفعة على ماحولها وليست جبالاً حتى يصدق عليها قولنا إنه ستار الشريف، والهمداني عندما أورد تعريف الستار فهمنا منه أن الستار عبارة عن جبل أو جبال متصل بعضها ببعض.

والشّرفة تقع شمالاً غرباً من الحيز الذي نتحرى فيه عن سِتَار الشُّرْيف.

وإذا أراد القارِيء معرفة «الشرفة» ومكانها فليرجع إلى ماذكره عنها الأستاذ/ سعد بن جنيدل في كتابه «عالية نجد» صفحة ٧٤٥ من الجزء الثاني فقد حددها تحديداً صائباً فأجاد وأفاد.

ومما تقدم يبدو لي أن ستار الشريف هو تلك الجبال الممتدة على شكل هلال حول منطقة «مأسل جأوة»، ومنطقة الرويضة، وهي تبدأ من قرب هضبة «عروى» ثم تنحرف جنوباً لِتكوِّن ستاراً يستر منطقة الشريف، للقادم من الجنوب، والجنوب الشرقى، ويستر منطقة الرويضة وماحولها للقادم من الشمال والشمال الغربي.

الشعيبة

الشُّعَيْبَةُ : تصغير شعبة، اسم من الأسماء التي ورد ذكرها مقرونة بالكُلاب.

ولم أجد فيما قرأته لمؤلفي عصرنا الحاضر من ذَكَرَ «الشعيبة» عند الكلام عن «الكلاب» ماعدا الدكتور عادل جاسم البياتي حيث قال تهميشاً في صفحة «٧١» من الجزء الثاني من كتاب «أيام العرب قبل الإسلام» لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي.

(ودعاه ابن رشيق بيوم الشعيبة ـ يعني يوم الكلاب الثاني ـ ..

ويقال ليوم الكلاب هذا : يوم الشعيبة «انظر النقائض ١/٢٧٩ ط. الصاوي» ـ انتهى قوله باختصار ـ

أقـول : إن موضع الشعيبة يستحق منا أن نتحرى عن مكانه حيث سميت معركة الكلاب منسوبة إليه. ولاشك أن معرفة مثل هذا الموضع يقربنا إلى «الكلاب» كغيره من المواضع التي قرنت به عند ذكره.

وبرجوعي إلى كتاب «العمدة» لابن رشيق، تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد ألفيته في معرض كلامه عن وقائع العرب يتكلم عن وقعة الكلاب الثاني تحت عنوان: (يوم الشعيبة ـ الكلاب الثاني) ثم أورد قصة يوم الكلاب الثاني بإيجاز.

وقد لفت نظري كون ابن رشيق يتكلم عن هذا اليوم من أيام العرب تحت مسمى «يوم الشعيبة» ويقدمه على المسمى المتعارف عليه عند المؤرخين وهو «يوم الكلاب الثاني».

وابن رشيق ـ رحمه الله ـ لم يورد لنا هذا المسمى من فراغ فهو بلاشك

أخذه ممن سبقه من المؤلفين مثل: أبي عبيدة الذي عاش حتى سنة ٢٠٩ هجرية.

وأبو عبيدة هو من ألف كتاباً عن يوم الكلاب الثاني الذي نتحدث عنه ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا كغيره من المراجع التاريخية الكثيرة التي اغتيلت قبل أن تصل إلينا، وإنما ورد مقتطفات منها كنصوص مقتبسة في ثنايا بعض كتب التاريخ.

ومن بين الكتب التي لم تصل إلينا على سبيل المثال كتاب «أيام العرب قبل الإسلام» لأبي عبيدة. الذي حاول الدكتور عادل البياتي جمع مادة هذا الكتاب من ثنايا الكتب الموجودة.

وكان اجتهاداً موفقاً، ولكن ليس مايجمع شتاته من المؤلفات مثل ماينقل من المخطوطة الأصلية للكتاب نفسه.

وقد يكون ابن رشيق أخذ مسمى الشعيبة عن أبي عبيدة أو غيره، ولهذا ركّزت النظر على هذا الموضع لعلنا نضيفه إلى المواضع الأخرى القريبة من الكلاب لنكوّن منها مجتمعة مخططاً تقريبياً يدلنا على موضع «الكلاب».

إلا أنه بعد الرجوع إلى معاجم البلدان القديمة والحديثة. وكذا الخرائط الجغرافية الموجودة عندي لم أجد مايسمى بالشُّعَيبة قريباً من مكان حدوث معركتي الكلاب الأول والكلاب الثاني.

والمسميات القليلة التي ذكرت مطابقة لهذا المسمى كلها تقع في أماكن تبعد كثيراً عن المكان الذي نتحرى حوله.

وأقرب تلك المواضع من الموضع الذي حدثت فيه معركة الكلاب الثاني هو ماذكره ياقوت الحموي في معجمه تحت مسمى «الشُّعَيبيّة» ومع أن هذا الاسم فيه زيادة «ياء» إلا أني تشبثت به لأنه واقع في بلاد بني نمير قريباً من منطقة الأحداث.

ولكن بعد التمعن والتدقيق اتضح لي أنه موضع آخر.

ومع هذا فلم أيأس من البحث عن موضع «الشعيبة» نظراً لأهميته. كيف لا؟ وقد سميت المعركة التي نحن بصددها باسمه.

ولم يبق أمامي إلا وسيلة واحدة وهي التجول في المنطقة التي أتوقع وجود الشعيبة فيها، ومساءلة القاطنين فيها، وقد حاولت أن أعثر على مسمى يقرب من لفظ «الشعيبة» من واقع بيانات أسماء مدارس المنطقة فلم يتضح لي شيء منها.

وكانت مصادفة أن اطلع على البيانات الإحصائية التي قامت بإعدادها مؤخراً مصلحة الاحصاءات العامة لغرض حصر أسماء ومواقع المساكن تمهيداً لإجراء العملية الإحصائية الشاملة التي تمت بحمد الله بنجاح.

فوجدت في البيانات الخاصة بإمارة «الرويضة» التابعة لإمارة «القويعية» مانصه:

(٥٠ ـ مسمى ومشتملاته ـ العليا وتشمل ـ وادي الشعيبة). إلخ.

من هذا عرفت أن هناك وادياً اسمه «الشُّعَيْبة» يوجد بالقرب منه قرية صغيرة عدد مساكنها ستة عشر مسكناً وتبعد عن بلدة «الرويضة» خمسة أكيال فقط إلى جهة الغرب.

وعند زيارتي لبلدة الرويضة ومقابلة أميرها الفاضل وهق بن عبدالله بن وهق.

وسؤاله ومن كان حاضراً عنده عن وادي «الشعيبة» أفادني أنه قريب من الرويضة واستدعى رجلاً اسمه ناصر بن سعود السهلي نظراً لخبرته ودرايته بالمواضع واهتمامه بها.

وقد دلني الأخ ناصر على وادي «الشعيبة» وهو أحد فروع وادي الرويضة إن لم يكن هو أصلها والفروع الأخرى تابعة له، ومجراه يخترق بلدة الرويضة.

إن وادي الشعيبة هذا قريب من المواضع التي ورد ذكرها مقرونة بالكلاب مثل: ذي خشب، وستار الشريف، وعروى. انظر إلى وادي «الشعيبة» على الخارطة رقم (٢) صفحة (١٧٧) .

وقد اعتبرت هذا الوادي صيداً ثميناً مما جعلني أحرص على شد وثاقه، وذلك بالرجوع إلى مصادر أخرى علي أعثر على مايقوي ماتوفر لدي حوله من أقوال.

ولكن النصوص تأتي بما لايشتهي الباحثون!!

بالرجوع إلى كتاب «العمدة» لابن رشيق، تحقيق الدكتور محمد قرقزان وجدت المحقق يقول في مقدمته:

(وقد لحق التحريف أيام العرب في «د» فتداخل بعضها ببعض، واختلطت عبارات خطأت النص، وزيدت أخرى، مثال ذلك:

«ويسمى الكُلابُ الأول أيضاً». «يوم الشعيبة «هو» يوم الكلاب الثاني.

وصحيح هذا النص بعد التحقيق :

«ويسمى الكلاب الأول أيضاً يوم الشعيبة»

«يوم الكلاب الثاني لبني تميم وبخاصة بني سعد والرباب..»[1]) انتهى

وفي صفحة (٩٠٩) من الجزء الثاني اجتهد الدكتور محمد قرقزان فكتب النص هكذا:

(ويسمى الكلاب الأول أيضاً يوم الشعيبة. يوم «الكلاب الثاني» لبني تميم..) إلى آخر النص

(١) كتاب العمدة : تحقيق الدكتور محمد قرقزان : ص ٤٤ .

أقول :

لقد تسبب الدكتور محمد قرقزان بقوله هذا على حَلِّ عقدة من وثاقنا الذي أوثقنا به صيدنا لاسيما وقد قدح بالنص الذي اعتمدنا عليه من كتاب «العمدة» تحقيق الأستاذ محمد عبدالحميد.

وكأني بالأمر تحول إلى خلاف بين محققي كتاب «العمدة» لابن رشيق فالأول أثبت أن يوم الكلاب الثاني يسمى يوم الشعيبة.

والثاني قال: بأن هذا يعتبر تحريفاً. وكان يقصد بالرمز «د» ماجاء في تحقيق محمد عبدالحميد.

وإزاء هذا التعارض لم أجد دلالة واضحة ترشد إلى أي التسميتين أصح.

ويبقى عندنا سؤال: هل «يوم الشعيبة» هو يوم الكلاب الثاني، أم يوم الكلاب الأول؟ ومع أني لم أطلع على أي من المخطوطات التي اعتمد عليها المحققان إلا أن المخطوطة التي رجع إليها محمد عبدالحميد يبدو لي أنها معنونة الفصول والأبواب حانبياً كما هو معمول به في كتاب «سيرة بن هشام» حيث عنون محمد عبدالحميد خبر يوم الكلاب في الحاشية اليمنى هكذا:

يوم الشعيبة

«الكلاب الثاني» ثم أورد الخبر..

وهذا يدل بأن يوم الكلاب الثاني منسوب إلى «الشعيبة».

فإذا كان الأمر كذلك فإن المقصود بها هو وادي الشعيبة الذي تكلمت عنه آنفاً.

ولكن الدكتور محمد قرقزان عندما حقق نفس الكتاب «العمدة» جزم بأن يوم الكلاب الأول منسوب إلى الشعيبة.

وقد علق في الهامش حول كلمة «الشعيبة» ناقلاً عن ياقوت الحموي قوله: (شعيبة: واد من أرض كلاب، يصب في سد قناة) وانظر البكري: الشعيبة.

أقول :

كان بودي أن محقق الكتاب علق بأكثر مما قاله حول «الشعيبة» مادام أنه جَزَمَ بما يخالف قول محقق آخر.

والشعيبة التي أورد ذكرها عن ياقوت: واقعة في وسط عالية نجد بعيداً عن المكانين اللذين حدث فيهما يومي الكلاب الأول والكلاب الثاني.

والشعيبة هذه واد لازال محتفظاً باسمه حتى الآن.

ولم أقرأ لأحد من علماء البلدان قديماً أنه ذكر موضعاً باسم «الشعيبة» يقع بالقرب من المكان الذي حدث فيه يوم الكلاب الأول، وهو بين الكوفة والبصرة.

ولكن هناك مكاناً يسمى «الشعيبة» يقع بالقرب من بلدة «الزبير» إلى جهة الشمال منها.

وقد اكتسب هذا المكان في زمن مضى شهرة نظراً لوجود معسكر للجيش البريطاني فيه. ولكني أشك في أن تكون هذه التسمية قديمة حيث لم أقرأ ذكراً لها في المعاجم القديمة مما يدل على استحداث هذا المسمى.

الشُّعَيْبَةُ في الشعر العربي :

يقول الفرزدق من قصيدة له طويلة يفاخر بها جريراً:

يَوْمَ الشُّعَيْبَةِ يَوْمَ أَقْدَمَ عَامِرٌ ... قُدَّامَ مُشْعَلَةِ الرُّكُوبِ غَوَالِ

وقد ذكر أبو عبيدة في كتاب النقائض: أن عامراً الذي أشار إليه الفرزدق هو: عامر بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة[1].

ولما كان الفرزدق من بني حنظلة من تميم فإنه يفاخر بشجاعتهم، وجَدُّهُ سفيان بن مجاشع التميمي هو أول من ورد ماء الكُلاب من جمع سلمة بن

(١) كتاب النقائض : ص ١/٢٩٢ .

الحارث الكندي عندما تواعد هو وأخوه شرحبيل ماء الكُلاب وجرت بينهما ومن معهما من قبائل العرب معركة طاحنة انتهت بقتل شرحبيل، وقد قتل في هذه المعركة بعض أولاد سفيان بن مجاشع التميمي منهم ابنه مُرَّة. وفي ذلك يقول الفرزدق.

شُيُوخٌ مِنْهُم عُدُسُ بنُ زَيْدٍ وَسُفْيَانُ الَّذي وَرَدَ الـكُلاَبـا[1]

وسُفْيَانُ هذا الذي ورد الكلاب هو جدُّ الفـرزدق، و [illegible]، الذي أقـدم يوم «الشعيبة» قدام مشعلة الركوب هو عمه.

ولذا افتخر بجده الذي كان أول من ورد الكلاب من الجموع المتحاربة في يوم الكلاب الأول، وافتخر بعمه عامر الذي قاد مشعلة الركوب في يوم الشعيبة فهل قصد الفرزدق بيوم الشعيبة يوم الكلاب الثاني كما ورد في كتاب العمدة حسب تحقيق محمد عبدالحميد؟ أم أنه يقصد به يوم الكلاب الأول حسب تحقيق الدكتور محمد قرقزان؟ هذا أمر غير واضح لي.

ولكن قد يفهم من قول الفرزدق في البيت الأول: ان عمه قاد قومه في يوم الشعيبة وهو يوم الكلاب الثاني كما قاد جده «سفيان» قومه في يوم الكلاب الأول حيث قيل: إنه أول من ورد ماء الكلاب.

ومادام هناك خلاف حول النص الذي أورده ابن رشيق فلن أعول كثيراً على «الشعيبة» فلدينا من المواضع التي نستدل بها على الكُلاب مايغني عن مثل هذا الموضع المختلف بشأنه، وماقلته بصددها ماهو إلا مجرد تقرب إلى الكُلاب ولعل أحد الباحثين المتمكنين يجلو لنا حقيقة أمر «الشعيبة» بأكثر مما قلته.

---

(١) أنظر كتاب الأغاني : ص ٢٠٨/١٢ .

ذو خُشُب

من المواضع التي ذكرت مقرونة بالكُلاب «ذو خُشُب».

وإذا أردنا معرفة المكان الذي يقع فيه فإن النصوص الواردة في المعاجم القديمة لاتحدده لنا تحديداً واضحاً، بل ربما خلط بعضهم النصوص الواردة حول «ذي خشب» الواقع في عالية نجد و«ذي خشب» الواقع حول «المدينة».

وقد حبذت إيراد تلك النصوص لعلي أتمكن من إزالة هذا الخلط، ومن ثم تلخيص النصوص المتعلقة بذي خشب المرتبط ذكره مع «الكلاب» وسأعلق على أي نص أرى أن للتعليق عليه فائدة. وإليك النصوص التي تمكنت من الإطلاع عليها.

١ ـ أورد البكري أبياتاً من الشعر في رسم «الرُّبَاب» وهي:

(قال طُفَيْل:

فَلَوْ كُنَّا نَخَافُكَ لم تَنَلْهَا ... بذي بَقَرٍ فروضات الرُّبَاب
ولو خِفْنَاكَ ماكُنَّا بضَعْفٍ ... بذي خُشُبٍ نُعَزِّبُ والكُلاَب
لكُنَّا باليمامة أو لَكُنَّا ... من المُتَقَطِّرين على الجِنَاب
تَوَاعَدْنَا أضَاخَهُم ونفْئًا ... ومنْعَجهم بأحياءِ عِضَاب[1])

ونفهم من شعر طفيل الغنوي أن ذا خشب قريب من الكُلاب حيث ذكر أن إبل قومه تعزب في موضعي: الكلاب، وذي خشب. فهو يقول لزيد الخيل: لو كنا نخشاك لما قابلناك وجهاً لوجه بذي بقر وروضات الرباب، مما يدل على

(١) معجم ما استعجم: ص ٦٣٢/٢.

أن زيد الخيل قاد معركة في هذين الموضعين فانتصر فيهما. ومما يدل على ذلك قول زيد الخيل الطائي نفسه:

وآنف أن أعــد على نمـيــر   وقــائعنا بروضــات الرباب

فالطفيل بأبياته هذه يعتز بقوة قبيلته، ويخاطب زيد الخيل قائلا: إننا لانخافك ولو حصل هذا لما وجدتنا ننزل في مكان معروف لدى الجميع، وإن كان خفي عليك مكاننا فنحن مقيمون قريباً من الكلاب، وذي خشب حيث نعزب إبلنا في هذين الموضعين.

كما يشعره بأنهم في محل إقامتهم مطمئنين وعدم تردد، وأنهم واعدوا أعداءهم في أضاخ، ونفء، ومنعج.

ومعروف أن تلك المواضع الثلاثة واقعة في عالية نجد شمالاً من الكلاب وذي خشب.

٢ ـ وفي رسم «ذي خشب» يقول البكري:

(ذو خُشُب.. موضع يتصل بالكلاب وقد ذكرته في رسم الرُّباب، وهو على مرحلة من المدينة، على طريق الشام، قال عدي بن زيد:

إذ حَلَّ أهلي بالخَوَرْنَقِ فالــ   حيرة واْحتلُّوا بذي خُشُب

وخشب الأريط: موضع بين ديار ربيعة والشام. إلخ[١]).

في هذا النص أوضح لنا البكري أن ذا خُشُب موضع يتصل بالكُلاب كما ذكر في رسم الرُّباب حيث قرن طفيل الغنوي بينهما في شعره.

ولكن قوله (وهو على مرحلة من المدينة على طريق الشام) قد يفهم منه أن ذا خشب الذي يتصل بالكلاب يقع على مرحلة من المدينة.

ونظراً إلى أنه لايوجد قرب المدينة موضع باسم «الكُلاب» حتى نقول: إن ذا خشب في طرفه، فإن كلام البكري يحتمل أمرين:

---

(١) معجم ما استعجم: ص ٤٤٩/٢ .

الأمر الأول : أن يكون حصل في هذه العبارة سقط وقد يوحي ماهمش به المحقق على جملة «وهو على مرحلة من المدينة» حيث قال: (في ج : وهي).

فإذا كان هذا الضمير يعود على «ذي خشب» فهذا في نظري غير صحيح.

الأمر الثاني: أن يكون البكري قصد بقوله هذا أن يعدد لنا المواضع التي تحمل مسمى «ذي خشب» وهو الأقرب.

أي أنه أحب أن يبين لنا أن ذا خشب يطلق على عدة مواضع هي:

ذو خشب المتصل بالكلاب، وذو خشب الواقع قرب المدينة على مرحلة منها، وخشب الأريط . فلا بأس.

وإذا أردت التوسع في معرفة «ذي خشب» الواقع قرب المدينة فارجع إلى :

- معجم البلدان ص ٢/٣٧٢ .
- كتاب بلاد العرب للأصفهاني : ص ٤٠٦ ، ٤١٤ ، ٤١٥ .
- كتاب : معالم طابة : ص ١٢٩ .
- كتاب وفاء الوفاء : ص ٤/١٢٠١ .
- معجم معالم الحجاز ص ٣/١٢٦ .

وخشية الإطالة لم أورد تلك الأقوال هنا، ولكن أحب أن أنبه إلى أن النصوص تتضمن بعض المسميات مثل: «العالية» و«الزغابة» وغير ذلك. ونظراً إلى أن تلك المسميات يوجد مايماثلها أو يقاربها في التسمية بالمنطقة التي نبحث فيها عن ذي خشب المتصل بالكلاب مثل «العالية» أي: عالية نجد، و«الزّعّابة» بالعين التي ذكرها الهمداني مع «العبلاء» خلف ستار الشريف الذي ذكر لنا أنه في طرف ذي خشب.

كما يحسن التنبه إلى مايرد في الشواهد الشعرية حيث أن بعض المؤلفين يستشهدون بها على «ذي خشب» النجدي، بينما المقصود «ذو خشب المدني» وبالعكس ولا أظن ذلك يخفى على القاريء المتخصص.

٣ ـ يقول الهمداني :

(والخنفس وخلص مشرفتان على الرهط ووادي ذي خشب وهو فرع العرض يدفع فيه الأجرعان[١]).

وقال أيضاً وهو يعدد مياه الشريف: (ثم ستار الشريف الذي في طرف «ذي خشب فوراءه العبلاء والزعابة..[٢]).

وقال في موضع ثالث:

(وذو خشب، ومعشر، وعائرة، والبدي من بلد بني عامر[٣]).

٤ ـ ويقول أبو على الهجري:

(عرْوى :بعض بني نمير قال:

فَلَمَّا بَدَتْ عَرْوَى وأَجْزَاعُ مأْسَلٍ وذو خُشُبٍ كَادَ الفُؤَادُ يَطِيرُ

عروى هضبة حيال مأسل بها جأوة باهلة[٤]).

٥ ـ يقول ياقوت الحموي:

(.... وقال قوم خُشُب: جبل والخشب من أودية العالية باليمامة وهو جمع أخشب وهو الخشن الغليظ من الجبال، ويقال هو الذي لايرتقي فيه..[٥]).

---

(١) صفة جزيرة العرب : ص ٢٩١ .
(٢) صفة جزيرة العرب : ص ١٧٢ .
(٣) صفة جزيرة العرب : ص ٣٣٥ .
(٤) أبو علي الهجري وأبحاثه : ص ٣٣٩ .
(٥) معجم البلدان : ص ١/٣٧٢ .

هذا ماتيسر الاطلاع عليه من أقوال أصحاب المعاجم القديمة ومنها نفهم:

ـ أن ذا خشب متصل بالكلاب كما قال البكري.

ـ وأن الخنفس وخلص مشرفتان عليه، وأن ستار الشريف يقع في طرفه، وأنه من بلاد بني عامر.

ـ وأن الشاعر النميري كاد يطير قلبه مِن الفرح عندما شاهده بالقرب من عروى، وأجزاع مأسل. أما ماقيل عن ذي خشب في وقتنا الحاضر.

فيقول الاستاذ سعد بن عبدالله الجنيدل في كتابه «معجم عالية نجد» :

(مدَقَّة: هضبة سوداء كبيرة تطل على قرية رويضة العرض من الجنوب وتناوح هضبةِ عروى من صوب الجنوب. ويبدو لي أن هذه الهضبة هي التي كانت تعرف قديماً باسم ذي خشب وقد انتقل هذا الاسم منها إلى ثنية تقع غرباً منها تسمى أبو خشبة، والبعض يقولون لها الخشبي، غير أن ماورد في المعاجم القديمة في تحديد ذي خشب ينطبق على الهضبة وكذلك الوصف الجغرافي.

ـ وبعد أن أورد ماقاله ياقوت عن «الخشب» وبيت الشاعر النميري قال:

الواقع أن الوصف الذي ذكره ياقوت، ينطبق على هضبة مدقة فهي سوداء غليظة خشنة صعبة المرتقى، وإلى جانبها واد كبير يحف بها من الشمال ثم يدور حولها شرقاً كان يسمى باسمها[(١)]) . انتهى كلامه باختصار.

تعليقي على هذا الرأي :

لست أخالف مؤلف معجم «عالية نجد» في أن «ذا خُشُب» يطلق على كل من الوادي والجبل معاً. ومما يدل على أن ذا خشب يطلق على جبل أو جبال أنه بدا للشاعر كما بدت معه هضبة «عروى» وأجزاع مأسل.

ولكن هل هضبة «مدقة» هي ذو خشب؟

---

(١) عالية نجد: ص ١١٦٢/٣ .

أقول: لست معه في ذلك لاعتبارات قد تبدو لنا من النصوص التي مرت بنا ومنها:

إذا أمعنا النظر في النص الذي أورده المؤلف ضمن النصوص التي استشهد بها وهو قول الهمداني. (ثم ستار الشريف الذي في طرف ذي خشب).

يتبين من وصف الهمداني لستار الشريف أنه في طرف ذي خشب مما يدل على أن ذا خشب جبل أو جبال مستطيلة في الأرض لا هضبة صغيرة الحجم مثل «مدقة».

والهمداني يقصد «ذا خشب» الجبل وليس الوادي فلو كان يقصد تحديد الستار بالوادي لقال على ضفاف ذي خشب، أو في أسفله أو أعلاه، ولكنه بلاشك يقصد الجبل وإذا كان الأمر كذلك فإن هذا النص لايسعفنا عندما نقول إن ذا خشب هو هضبة «مدقة» وإنما العكس الصحيح فقد يقال على سبيل المثال: إن هضبة مدقة في طرف ستار الشريف لأن الستار واسع له أبعاد وأطراف.

وما أميل إليه أن ذا خُشُب عبارة عن هضب واسع يتخلله أودية وشعاب، وفيه مراغ للإبل والأغنام. فقد أفادنا طُفَيل الغَنَويُّ أن إبل قومه تُعَزِّبُ فيه.

والذي أتصوره مجرد تصور الآن أن ذا خشب هذا يمر من خلاله أو بمحاذاته واد كبير اسمه «ذو خشب» أيضاً وهو الذي ذكر الهمداني أن من فروعه التي تدفع فيه «الأجرعان» أما متى يكون هذا التصور حقيقة فهذا سيتم بعد القيام بالرحلة الميدانية، ومشاهدة الأعلام التي ورد ذكرها في النصوص التي تقدمت معنا، وسنتمكن بحول الله من تطبيق تلك النصوص حتى يكون ذو خُشُب حقيقة ماثلة أمامنا وبالتالي نتعرف من خلاله على مكان «الكلاب» وهو مانبحث عنه.

هذا بالنسبة لذي خشب الجبل، أما عن الوادي فيقول صاحب «**معجم عالية نجد**»:

(أبا الجرفان) :

واد كبير، له روافد كثيرة، يقع في منطقة العرض الغربية، غرب وادي السرداح تصب فيه سيول شفا العرض الشرقية يبدأ سيله من وادي رويضة العرض ثم يتجه جنوباً شرقياً، حافاً بقرى شفا العرض ومرتفعاته من الشرق فيصب فيه شعيب الرويضة ثم طحي ثم الدميثي ثم سنام، ثم المغرة، ثم الأودية التي تلتقي وتتجمع في ملقى البدع ثم ينحدر ويصب في السرداح. وفي أعلاه جبل أسود جنوب بلدة الرويضة يسمى «مدقة» وجبل آخر، معترض شرقاً من مدقة ممسوح الظهر يسمى درقان بمعنى أنه ساتر لما وراءه وقد ذكر الهمداني (أبا الجرفان) باسم ذي خشب فقال:

وادي ذي خشب، وهو فرع العرض يدفع فيه الأجرعان وستار الشريف الذي في طرف ذي خشب فوراءه العبلاء والزعابة ثم مأسل جأوة وهو حصنان ونخل وزرع.

قلت ـ القول لمؤلف عالية نجد ـ مما يؤيد القول أن أبا الجرفان هو وادي ذي خشب قول الهمداني: ستار الشريف الذي في طرف ذي خشب..[1]) انتهى.

أقول : معروف أن مسمى «أبا الجرفان» مستحدث واسمه القديم قد يكون «ذا خشب».

ولكن أحب أن أنبه هنا إلى أن الهمداني لم يذكر أبا الجرفان باسم ذي خُشُب كما ذكر المؤلف.

اما استطراد المؤلف حول إثبات أن هضبة «مدقة» هي جبل «ذي خشب» فلست معه في ذلك فهذه الهضبة ليست واقعة في أعالي وادي أبا الجرفان، وإنما هى واقعة في أعالي وادي الرويضة الذي لانعرف اسمه القديم حتى الآن.

---

(١) عالية نجد : ص ٣٧/١ ـ ٣٨ .

أما أعالي وادي «أبا الجرفان» فهي وادي الجربوعة، ووادي خنيفسة، والأودية والشعاب القادمة من المرتفعات المظاهرة لأعالي وادي الخنقة من الجنوب.

وادي ذي خُشُب عند الشيخ حمد الجاسر :

يقول في كتابه «باهلة» :

•لعل التسمية ناشئة من كونه ينبت العضاه الكبيرة ومنها تتخذ الخشب، قال الهمداني:

«والخنفس وخُلَّص مشرفتان على الرِّهْط ووادي ذي خُشُب وهو فرع العرض يدفع فيه الأجرعان» واسم ذي خُشُب يطلق على واد أشهر من هذا بقرب المدينة له ذكر كثير في الأخبار والأشعار ولكن الوادي الذي هو فرع العرض له ذكر أيضاً، ففي شعر طُفَيْل الغَنَوِيّ يخاطب زيد الخيل الطائي:

فلو كنا نخافك لم تنلها ... بذي بقر فروضات الربابِ

ولو خفناك ماكنا بِضُعْفٍ ... بذي خشب نُعَزِّب والكُلاَبِ

وورد ذكر ذي خشب في أشعار النميريين كما في نوادر الهجري.

واسم هذا الوادي ليس معروفاً الآن، ولكن أحد فروع الأودية القريبة من الرويضة يدعى الخشبي على ماحدثني الشيخ حسين بن جُرَيّس ـ وهذا على مقربة من أبي الجرفان، ولهذا فقد جزم الأستاذ سعد بن جنيدل بأن أبا الجرفان هو ذو خشب، وأبو الجرفان ـ وله روافد كثيرة ـ يقع في منطقة العرض الغربية، غرب وادي السرداح، وترفده سيول أودية كثيرة وينحدر حتي يصب في وادي السرداح[1]. انتهى.

أقول: كنت حريصاً على معرفة هذا الوادي بدقة نظراً لقربه من الكُلاب،

---

(١) كتاب باهلة : ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

ولذا فقد حرصت على مقابلة الشيخ حسين بن جريس حيث ذَكَرَ للشيخ حمد الجاسر أن أحد فروع الأودية القريبة من الرويضة يدعى «الخشبي».

ولما كنت في بحثي عن هذا الوادي أخوض في نصوص أمواجها متلاطمة ـ إذا صح التعبير ـ فقد وجدت في كلمة «الخشبي» هذه قشة أتعلق بها للوصول إلى ضفاف وادي «ذي خشب».

فقمت بزيارة للشيخ حسين بن جريس في منزله بالرياض فوجدت الرجل على مستوى من الفهم والمعرفة في هذه الأمور.

وعندما سألته عما جئت من أجله قال:

(إني لا أعرف مكان هذا الوادي بالتحديد وإنما سمعت عنه سماعاً).

ولهذا فإن الأقوال التي أوردتها عن ذي خشب لاتمكنني من الجزم بتحديد مكانه بدقة، وإنما أكتفي مما أوردته من أقوال على أن ذا خشب واقع غربي جبال العرض قريباً من بلدتي الرويضة، وعروى.

ولكن إلى أيهما أقرب فهذا ما آمل التوصل إليه بعد القيام بالرحل الميدانية والتجول في المنطقة ـ ومشاهدة الأعلام عن كثب لعلي أتمكن على ضوء ذلك من تطبيق النصوص الواردة وبالتالي تحديد ذي خشب.

تمهيد الطريق أمام الرحلة الميدانية

إن القيام برحلة للبحث عن موضع «الكُلاَب» الذي تخفى فيه بنو تميم خوفاً من ملك فارس وأعدائهم من العرب يشوبها بعض المصاعب نظراً لتضارب النصوص الواردة بشأنه، واختلاف البلدانيين حول تحديده سواء القدماء أو المحدثين منهم.

ولعلي خففت من هذه المصاعب بالتعرف على بعض المواضع الأخرى القريبة منه مثل: قِدَّة، وستار الشريف، ووادي الشُّعَيبَة، وكذا المواضع التي ورد لها ذكر في النصوص عند الكلام عن هذه المواضع مثل:

ذي خُشُب، وعروى، ومأسل جأوة، والخنفس، و القهاد، وغيرها.

وكل هذه المواضع التي ذكرناها واقعة غربي جبال العرض بالقرب من بلدة «الرويضة» مما يعطينا إشارة واضحة إلى أن بني تميم ولجوا في مكان حصين وسط هذه الجبال.

ومع كل هذا فإننا لازلنا بحاجة إلى أسهم تشير إلى موضع الكلاب، وقد نجد مثل هذه الأسهم الإرشادية بين ثنايا أقوال علماء البلدان وخاصة القدماء منهم، وكذا من روايات المؤرخين لقصة يوم الكلاب الثاني وأحداثه التي أسهب المؤرخون في الكلام عنها، وعن ماقيل بشأنها من أشعار.

والروايات التاريخية التي بين أيدينا يعتورها بعض الاختلافات من حيث الصياغة والتقديم والتأخير مما يستوجب منا المقارنة واستنباط تسلسل الأحداث عسى أن يتبين لنا من ذلك مؤشرات تدلنا إلى موضع الكُلاب وقِدَّة.

وقد وقع اختياري على ما أورده: ابن عبد ربه في كتابه «العقد الفريد» لأن

الرواية التي أوردها ـ في نظرى ـ متسلسلة الأحداث وأكثر ترابطاً من غيرها.

يضاف إلى هذا أنه أورد بعض الزيادات التي لم ترد في المراجع الأخرى، مما يدل على أنه اطلع على رواية «لأبي عبيدة» لم يطلع عليها الآخرون.

وخشية الإطالة فلن أورد ماذكره «ابن عبد ربه» عن قصة يوم الصفقة والكُلاب الثاني ولكني سأورد نصوصاً مما قاله رواية عن أبي عبيدة؛ ثم أناقش بعض فقرات تلك النصوص، وأقف عندها بعض الوقفات علّي أستدل من خلالها على مؤشرات تدلنا على «الكُلاب».

مع أني أحبذ أن يطلع القارىء على كامل قصة «يوم الصفقة والكلاب الثاني» فهي مبسوطة في المراجع التالية:

كتاب العقد الفريد، والكامل في التاريخ لابن الأثير، وكتاب الأغاني، وكتاب النقائض بين جرير والفرزدق، وكتابي نهاية الأرب، وخزانة الأدب، وغير ذلك من المراجع الأخرى. وفيما يلي بعض النصوص التي جاءت في كتاب العقد الفريد وما استنتجته منها:

النص الأول :

(قال أبو عبيدة ... كان يوم الكلاب متصلاً بيوم الصفقة؛ وكان من حديث الصفقة أن كسرى الملك كان قد أوقع ببني تميم فأخذ الأموال وسبى الذراري بمدينة هجر؛ وذلك أنهم أغاروا على لطيمة له فيها مسك وعنبر وجوهر؛ فسميت الوقعة «يوم الصفقة».

ثم إن بني تميم أداروا أمرهم، فقال ذو الحجى منهم:

إنكم قد أغضبتم الملك، وقد أوقع بكم حتى وهنتم، وتسامعت بما لقيتم القبائل، فلا تأمنون دوران العرب..

فجمعوا سبعة رؤساء منهم، وشاوروهم في أمرهم ..

الاستنتاج :

نفهم مما تقدم أن بني تميم بعد حادثة «يوم الصفقة» وقتل الكثير من رجالهم نتيجة خديعة دبرها لهم عامل كسرى على هجر، وعودتهم إلى أهلهم وديارهم شرقي الدهناء «نطاع» وماحوله فكر أهل الحل والعقد في المصير الذي آلوا إليه، ومايجب أن يفعلوه إزاء هذه المحنة التي حلت بهم حيث قتل الكثير من فرسانهم داخل قصر «المُشَقَّر».

وبعد التفكير ومداولة الرأي بينهم عقدوا اجتماعاً قبلياً جمعوا فيه سبعة من زعمائهم المشهورين بحسن الرأي والدهاء في مثل هذه المواقف بزعامة قاضي العرب وحكمها في عصره «أكثم بن صيفي».

وهذا الاجتماع الطارىء الذي عقدوه يدلنا على فداحة الخطب الذي حل بهم وأنهم في موقف صعب خشوا معه أن يستغل ضعفهم هذا ملك الفرس، أو اعداؤهم من قبائل العرب فيستأصلوا شأفتهم إذا استمروا في مساكنهم مكشوفين لهؤلاء الأعداء.

وقفة :

ورد في بداية هذه الرواية أن الملك أخذ الأموال وسبى الذراري.

وتعليقي على هذا القول:

إنه لم يحصل أن أخذت أموال بني تميم ولم تسب ذراريهم في حادثة «الصفقة» لأنهم عندما جاءوا إلى هجر لأخذ الميرة ـ المزعومة ـ من قصر المشقر لم يصحبوا معهم أموالهم وأهلهم وإنما خف رجالهم عندما أشيع أن الملك سيوزع ميرة نظراً لجدب الأرض و حاجة الناس فحصل لهم ماحصل من تقتيل وسجن؛ بدليل أن هوذة الحنفي ـ وهو الذي شجع الملك على الإيقاع ببني تميم ـ تشفع في مائتين منهم في عيد الفصح فأخرجوا من السجن.

النص الثاني :

(فقال أكثم بن صيفي: وكان يكنى أبا حنش: إن الناس قد بلغهم ماقد لقينا ونحن نخاف أن يطمعوا فينا. ثم مسح بيده على قلبه وقال: إني قد نيفت على التسعين، وإنما قلبي بضعة من جسمي، وقد نحل جسمي، وإني أخاف أن لايدرك ذهني الرأي لكم؛ وأنتم قوم قد شاع في الناس أمركم، وإنما كان قوامكم أسيفاً وعسيفاً ـ يريد العبد والأجير ـ وصرتم اليوم إنما ترعى لكم بناتكم.

فليعرض عليّ كل رجل منكم رأيه ومايحضره؛ فإني متى أسمع الحزم أعرفه.

فقال كل رجل منهم مارأى، وأكثم ساكت لايتكلم، حتى قام النعمان بن الحسحاس فقال: ياقوم: انظروا ماء يجمعكم ولا يعلم الناس بأي ماء أنتم حتى تنفرج الحلقة عنكم وقد جممتم وصلحت أحوالكم، و انجبر كسيركم، وقوي ضعيفكم؛ ولا أعلم ماء يجمعكم إلا «قِدّة» فارتَحِلوا وانزلوا قِدَّةَ ـ وهو ماء يقال له الكُلاب.

فلما سمع أكثم بن صيفي كلام النعمان قال: هذا هو الرأي.

فارتَحَلوا حتى نزلوا الكُلاب، وبين أدناه وأقصاه مسيرة يوم، أعلاه مما يلي اليمن وأسفله مما يلي العراق.

فنزلت سَعْدٌ والرِّباب بأعلى الوادي، ونزلت حنظلة بأسفله).

الاستنتاج :

كان أكثم بن صيفي حكيم بني تميم ولكنه إزاء هذا الخطب الجلل وتلك المحنة المستحكمة لم يلق رأيه على عواهنه في هذه القضية المصيرية بالنسبة لقومه حيث تقدم به السن وخشي أن لايدرك الرأي الصائب فاقترح عليهم أن

يدلي كل واحد من المرشحين الستة برأيه أولاً حتى يختار من بين آرائهم الرأي الأصوب.

فأدلى كل منهم برأيه فلم يستحسن منها إلا رأي النعمان بن الحسحاس حيث تبين له حصافة هذا الرأي وصوابه.

ومن رأي النعمان نستدل على أمور منها:

١ ـ أنه اختار لقومه مكاناً آمناً لايعرفه الأعداء ويصعب وصولهم إليه وهو المكان الذي يوجد فيه ماء «قدة» وهذا الماء كما تقدم ماء في الكلاب.

ومما يدل على أنه مكان حصين بعيد عن عيون المارة موافقة أكثم بن صيفي على اختياره.

٢ ـ ونستدل منه على أن الكلاب الذي ولج فيه بنو تميم بعد رحيلهم من منازلهم شرقي الدهناء يضم وادياً ضخماً يبلغ طوله مسيرة يوم ـ للإبل ـ وأن أعلى هذا الوادي جهة الجنوب وأسفله جهة الشمال.

٣ ـ وعلاوة على ضخامة هذا الوادي فإنه واسع المجرى بحيث اتسع لسكنى تلك القبائل بأكملها بنو سعد والرباب في أعلاه، وبنو حنظلة في أسفله.

٤ ـ نعرف من موافقة بني تميم على رأي النعمان أن هذا المكان يتميز عن غيره بأنه منيع وخفي ويبدو لي أنه واقع بين سلسلة من الجبال العالية، وحصين بحيث لايدخله إلا من له خبرة ودراية بمسالكه ودروبه المؤدية إليه.

ومن هذا الاستنتاج أقول: إن بني تميم باجتماعهم هذا أوكلوا اختيار المكان الذي سيرتحلون إليه إلى سبعة من زعمائهم، واختيار هؤلاء السبعة لماء قدة الموجود في الكلاب مكاناً للسكنى بعيداً عن متناول الأعداء وعن أعين الفضوليين يدل على أنه مكان حصين منيع مما يتنافى مع قول من قال:

إن الكلاب الذي ولج فيه بنو تميم هو وادي «قحقح».

أو أنه وادي «الشَّعْرَاء» أو وادي «عُصَيِّل».

حيث أن هذه الأودية مكشوفة ويقطنها ساكنوها من قبائل العرب، والمسافرون والمارة يقطعونها جيئة وذهاباً.

وقفة :

اختلف الرواة في اسم صاحب هذا الرأي الحصيف فسماه بعضهم النعمان ابن الحَسْحَاس وسماه البعض الآخر النعمان بن جِسَاس.

ويبدو لي أن صحة اسمه: النعمان بن جِسَاس وليس الحسحاس حيث ذكر الحسن بن عبدالله العسكري في كتابه «شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف» قوله:

(في بني الرِّباب جِسَاس ـ الجيم مكسورة والسين مخففة...)

كما ذكر ابن دريد أن النعمان بن جِسَاس.. وهو سيد الرِّباب وفارسهم، قتل يوم الكلاب فقتلت به التَّيْمُ عبد يغوث بن وقاص وكان قد أسر في ذلك اليوم[1].

النص الثالث :

(فأقاموا بقية القيظ لايعلم أحد بمكانهم، حتى إذا تَهَوَّر القيظ ـ أي ذهب ـ بعث الله ذا العينين وهو من أهل مدينة هجر، فمر بِقِدَّة وصحرائها فرأى مابها من النعم، فانطلق حتى أتى أهل هجر.

فقال لهم : هل لكم في جارية عذراء، ومهرة شوهاء، وبكرة حمراء، ليس دونها نكبة؟

(١) أنظر : ص ١٨٥ من كتاب «الاشتقاق».

فقالوا ومن لنا بذاك؟

قال: تلكم تميم أَلْقَاءٌ مطروحون بِقِدَّة.

قالوا إي والله،

فمشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: اغتنموها من بني تميم؛

فأخرجوا منهم أربعة ملوك.. وكلهم حارثيون ومعهم عبد يغوث الحارثي.

فكان كل منهم على ألفين والجماعة ثمانية آلاف لا يعلم جيش في الجاهلية كان أكبر منه).

الاستنتاج :

مما يدل على أن المكان خفي لاتمر به الطرق المعروفة كونهم بقوا فيه الصيف كله دون أن يعرف أحد منزلهم حتى مرَّ هذا الرجل وقد يكون مروره بصحراء قدة عن طريق الصدفة فشاهد إبلهم وأغنامهم فخف لإخبار أعدائهم من بني الحارث وبني كندة وأغراهم بهم.

النص الرابع :

(فمضوا ـ أي الجيش ـ حتى إذا كانوا ببلاد باهلة قال «جزء بن جزء بن جزء الباهلي» لابنه :

يابني، هل لك في أكرومة لايصاب أبداً مثلها؟

قال : وماذاك ؟

قال : هذا الحَيُّ من تميم قد ولجوا هناك مخافةً، وقد قصصت أثر الجيش يريدونهم، فاركب جملي الأَرْحَبِيّ، وسر سيراً رويداً عقبة من الليل ـ يعني ساعة ـ ثم حُلَّ عنه حبليه وأنخه وتوسَّد ذراعه، فإذا سمعته قد أفاض بِجِرَّتِهِ وبال

فَاسْتَنْقَعَتْ ثفناته في بوله، فشد عليه حبله ثم ضع السَّوْطَ عليه، فإنك لاتسأل جملك شيئاً من السير إلا أعطاك، حتى تُصبِّح القوم.

ففعل ما أمره به.)

الاستنتاج :

يدلنا قول الباهلي: (هذا الحي من تميم قد والجوا هناك مخافة) على أن بني تميم متحرزون في مكان حصين كما يتحصن أي خائف من عدو، ولايكون التحرز والتحصن إلا بين جبال شاهقة ومن الضمير «هناك» نستدل على بعد مكانهم عن منزل الباهلي حيث أنه قدر المسافة بين منزله ومنازل بني تميم بمسيرة ليلة كاملة لأسرع جمل لديه وهو جمله «الأَرْحَبي» ماعدى ساعة حددها لاستراحة الجمل.

وأحسب أن الباهلي نازل في شمالي بلاد قومه باهلة مما يلي بلاد بني نمير

ولاشك أن الجيش الذي شاهده كان قادماً من جهة الشرق مروراً ببلاد بني نمير مما يلي بلاد باهلة وهذا هو الطريق للقادم من جهات اليمامة إلى وسط عالية نجد؛ حيث يترك سواد باهلة وجبل مأسل على يساره لأن الجبال الممتدة من الجنوب إلى الشمال تحول بينهم وبين وجهتهم سواء كانوا قصدوا النزول عند هضبة «تيمن» أو هضبة «عروى» ـ بصرف النظر عن أي من الهضبتين نزلوا حولها ليكونوا قريباً من «الكلاب».

إذ لو دخلوا بين تلك الجبال لتاه الجيش بين مجاهلها وأوديتها.

وهذا الطريق الذي سلكوه هو الطريق المسلوك إلى أن أصبحت وسيلة السفر والتنقل هي السيارات وتم الاستغناء عن الجمال كوسيلة للتنقل.

ومن هذا الاستنتاج وغيره خمنت أن المكان الذي ولج فيه بنو تميم هو أحد الأودية الواقعة في وسط جبال العرض نظراً لحصانتها وبعدها عن مسالك الطرق.

وقفتان حول هذا النص :

الوقفة الأولى :

رواية العقد الفريد التي بين أيدينا ذكرت أن اسم الباهلي الذي أرسل ولده لإخبار بني تميم هو: «جزء بن جزء بن جزء» وهذا الاسم فيه غرابة من حيث تكرار الاسم الواحد ثلاث مرات الابن، والأب، والجد، وهذا من الندرة بمكان.

وهو أمر غير مألوف مما يحملني على القول بأن صحة الاسم «جرير بن جزء الباهلي» كما ذكر النويري عند إيراده خبر يوم الكلاب الثاني في كتابه «نهاية الأرب».

الوقفة الثانية :

عند كلام الدكتور عادل البياتي عن يوم الكلاب الثاني في كتابه «أيام العرب قبل الإسلام» علق في هامش صفحة ٧٦ من الجزء الثاني شارحاً كلمتين وردتا في وصية الباهلي لولده حين بعثه، وهاتان الكلمتان هما: «جرته» و«ثفناته» حيث قال الدكتور البياتي: (جرته: أي إذا أفاض في مشيه البطيء حتى يرتع).

أقول: كأني بالدكتور/ عادل لم يركب جملاً في حياته، ولذا فإنه لم يتصور حالة جملنا الأرحبي هذا ففسر لنا كلمة «جِرّته» على أنها تعني الأثر، ومشي البعير البطي.

فقل لي بربك كيف يمشي بعير قد أناخه صاحبه، وفك عنه حبليه[1]، وعَقَلَهُ، وتوسد ذراعه؟!

ومن المعلوم أن الكلمة التي أمامنا مرخمة الراء مع تشديدها.

---

(١) حبليه : أي البطَانُ، والحقب: فالبطان يشد به الرحل على بطن البعير مما يلي اليدين، والحقب ما يلي حقو البعيرَ .

وجِرَّةُ الجمل: هي مايفيض به من كرشه فيأكله ثانية. وكل ذي كرش يجتر كالجمل والشاة وماشابههما.

وفي حديث أم معبد: فضرب ـ ﷺ ـ ظهر الشاة فاجْتَرَّتْ ودَرَّت. (انظر لسان العرب) أما كملة «ثفناته» فقد شرحها الدكتور البياتي بقوله:

(الثقات: مايقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ).

أقول إن كلمة «الثقات» هنا مصحفة، وقد يكون نقل النص من مرجع حصل فيه تصحيف لهذه الكلمة من ثفنات إلى ثقات.

وعلى كل فالثَّفِنَاتُ قيل: هي ما ولي الأرض من كل ذي أربع إذا برك أو ربض.

وجرير الباهلي قصد من وصيته لابنه أن يريح جمله حتى يأخذ كفايته، وعلامة ذلك أن يجتر ويكثر بوله حتى تستنقع ثفناته التي يبرك عليها على الأرض في بوله لعلمه أنه اذا استراح واجتر وبال أعطاه كلما يستطيعه من العدو حتى يبلِّغه مقصده بأسرع وقت ممكن وهذا ماحصل.

علماً بأن الجمل «الأَرْحَبِيّ» منسوب إلى بلد «أرحب» في اليمن.

النص الخامس :

(قال الباهلي فحللت بالكُلاب قبل الجيش وأنا أنظر إلى ابن ذَكَاء ـ يعني الصبح ـ فناديت : ياصباحاه،

فإنهم ليثبون إليّ ليسألوني من أنت؟

إذ أقبل رجل منهم من بني شفيق على مهر قد كان في النَّعَم، فنادى : ياصباحاه، قد أتي على النَّعَم.

ثم كر راجعاً نحو الجيش، فلقيه عبد يغوث الحارثي، وهو أول الرعيل، فطعنه في رأس معدته فسبق اللبن الدم وكان قد اصطبح) .

الاستنتاج :

فهمنا من كلام الباهلي أنه وصل الكلاب مع بزوغ الفجر وعند مساءلة بني تميم له أقبل رجل على مهر كان موجوداً مع النعم فصاح بهم مخبراً أن نعمهم أخذ. إلخ.

أقول هذا يدلنا على أن المكان الذي أخذت منه إبلهم ليس بعيداً عن مقر سكناهم في الكلاب وإبلهم بلاشك كانت عازبة في صحراء قدّة أو أحد الأودية والمراعي القريبة من الكلاب يدل على ذلك أن الفارس الذي جاء مستفزعاً عندما كر راجعاً إلى المكان الذي أخذت منه الإبل وصله قبل أن تهضم معدته اللبن الذي شربه في منازل قومه عندما جاء يخبرهم بدليل أن اللبن سبق الدم عندما طعنه قائد جيش الأعداء عبديغوث في رأس معدته.

النص السادس :

(وتقدمت سعد والرباب في أوائل الخيل، فالتقوا بالقوم فلم يلتفتوا إليهم واستقبلوا النعم، ولم ينتظر بعضهم بعضاً. ورئيس الرباب «النعمان بن الحسحاس» ـ جِساس ـ ورئيس بني سعد «قيس بن عاصم»).

الاستنتاج :

يدلنا مجيء بني سعد والرباب في أوائل الخيل التي خفت لملاقاة الأعداء واستخلاص النَّعَم على أن مذحجاً ومن معها قدمت للكُلاب من أعلاه الذي يسكنه سَعْدٌ، والرِّبَاب من بني تميم حيث أفادت النصوص التي مرت بنا أنهم نزلوا أعلى الوادي، وبني حنظلة نزلوا في أسفله.

وهذا الاستنتاج يقربنا إلى أعلى وادي الكلاب حيث عرفنا مسبقاً عند تحقيق وادي الشُّعَيبة أن بداية المعركة نشبت في هذا المكان. هذا إذا صحت نسبة يوم الكلاب الثاني إلى الشعيبة.

وتصوري للمكان الذي أخذت منه مَذْحِجٌ إبل بني تميم أنه أعالي وادي «أبا الجرفان» أو أعالي وادي «السرداح».

النص السابع :

(فالتقى القوم فكان أول صريع النعمان بن الحسحاس «جِساس»، واقتتل القوم بقية يومهم، وثبت بعضهم لبعض حتى حجز الليل بينهم، ثم أصبحوا على راياتهم.. ـ نادى قيس بن عاصم :

يا آل كعب مقاعس!

فلما سمعه وعلة بن عبدالله الجرمي ـ وكان صاحب لواء أهل اليمن .

نادى : يالمقاعس!

تفاءل به فطرح له اللواء، وكان أول من انهزم؛ فحملت عليهم بنو سعد والرباب فهزموهم.

ونادى قيس بن عاصم: ياآل تميم لاتقتلوا إلا فارساً فإن الرجالة لكم!

ثم جعل يرتجز ويقول:

لما تَوَلّوا عُصُباً هواربـــــا — أقسمت لا أطعن إلا راكبا

إني وجدت الطعن فيهم صائبا

وقال أبو عبيدة: أمر قيس بن عاصم أن يتبعوا المنهزمة ويقطعوا عرقوب من لحقوا ولايشتغلوا بقتلهم عن اتباعهم فجزوا دوابرهم، فذلك قول وَعْلَةَ:

فدى لكم أهلي وأمي ووالدي — غداة الكلاب إذ تجز الدوابر)

الاستنتاج :

المعركة في اليوم الأول بدأت عندما ارتفع النهار، واستمرت حتى حجز الظلام بين المتقاتلين وساحة المعركة لابد أن تكون واسعة فَحَجْم الجيش

المعتدي كبير يقدر بثمانية آلاف، وقيل اثنا عشر ألف مقاتل. يضاف إلى هذا العدد مقاتلي بني تميم.

وإذا عرفنا أن المعركة بدأت في المنطقة الواقعة قرب بلدة «الرويضة» فإن مذحجاً ستستدرج بني تميم إلى الجهة التي نزل فيها ثقل جيشها وهو فيما يغلب على ظني وكما ورد في رواية ابن الأثير «عَرْوَة» نظراً لقربها من الكلاب.

لهذا فإن المعركة في اليوم الأول حصلت في المنطقة الواقعة بين بلدتي الرويضة وعروى.

وبات الفريقان يعدان لمعركة الغد. وكانت مذحج تظن أن بني تميم سيفت في عضدهم قتل قائدهم النعمان بن جِساس. ولكنها فوجئت عند بداية المعركة في صباح اليوم التالي أن صفوف بني تميم أقوى منها بالأمس وبعد الكر والفر بدأ التخلخل في صفوف مذحج وذلك عندما رمى وعلة الجرمي العلم وفر هارباً.

عند ذلك توسعت ساحة المعركة، وتحولت إلى مطاردة الفارين حيث عمل مقاتلو بني تميم بوصية قائدهم قيس بن عاصم فتتبعوا المنهزمين أسراً وتقتيلاً وقطع عراقيب من لحقوا راجلاً ويفهم من الأشعار التي قيلت في هذا اليوم أن القتل استَحَرَّ بمذحج ومن معها بالقرب من هضاب «مُجَيْرات» وهضبة «حُذُنة».

يقول محرز بن المعكبر الضبي:

ظلت ضباع مجيرات تجرجرهم   وألحموهن منهم أي إلحام
حتى حذنة لم نترك بها ضبعاً   إلا لها جزر من شلو مقدام

ونفهم من شعر محرز:

أن نهاية المعركة كانت إلى هضاب مجيرات أقرب منها إلى حذنة حيث خص ضباع مجيرات بالنصيب الأوفر من أشلاء القتلى، أما حذنة فقد كان

لضباعها هي الأخرى نصيب. أما هضبة «تيمن» الواقعة غرب مجيرات وحذنة قريباً من جبل «ثهلان» فإنها بعيدة عن ساحة المعركة. انظر إلى هذه المواضع على الخارطة رقم (١) صفحة (٧٧) .

يدل على ذلك أن وعلة الجرمي عندما أحس بالهزيمة رمى علم قومه وفر هارباً بجلده حيث قصد إلى «تيمن» لأنها بعيدة عن الطريق الذي قصده المنهزمون.

فالمنهزمون اتجهوا شرقاً وهو اتجه غرباً حيث تمنع بهضبة «تيماء» حتى هدأ الطلب.

ومما قاله في ذلك :

وَمَنَّ عَلَيَّ الله مناً شـــكرته غداة الكلاب إذ تحز الدوابـــر

ولما رأيت الخيل تترى أثابجاً علمت بأن اليوم أحمس فاجر

نجوت نجاءً ليس فيه وتيـــرة كأني عُقَابٌ عند تَيْمُنَ كاسـر

لها ناهض من الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

كأنا وقد حالت حذنة دوننا نعـــام تلاه فارس متواتر

فمن يك يرجو في تميم هوادة فليس لجرم في تميم أواصر

إلى آخر الأبيات .

فوعلة الجرمي وصف نفسه وهو يجول حول هضبة تيمن «تيماء حالياً» بعقاب كاسر بينما وصف الفارين من قومه الذين حالت بينه وبينهم هضبة «حذنة» بالنعام الذي يطارده فارس لاصطياده.

وقوله هذا ينفي قول من يقول: إن مذحجاً عندما قدمت إلى تلك الديار قاصدة بني تميم نزلت «تيمن» فهل يعقل أن يتجه هذا الفارس الهارب من

ساحة المعركة إلى منزل قومه المنهزمين؟ ويفر باتجاه وادي الشعراء الذي قيل إنه وادي الكُلاب؟

فكيف يفر من هرب من سيوف بني تميم إلى مقر سكناهم وطريق إمداداتهم؟ هذا غير معقول.

ولعله من المفيد وضع مقارنة بين ماورد في بعض المراجع التي ذكرتها آنفاً عن حادثة يوم الصفقة، ويوم الكلاب الثاني علنا من خلال هذه المقارنة نستدل على المكان الذي اتجهت إليه مذحج ومن معها عندما جاءوا قاصدين الكلاب، وأين منزلهم الذي نزلوه قريباً من الكلاب.

وقد أعددت الجدول التالي المتضمن هذه المقارنة التي ظهر منها بعض الاختلاف:

(مقارنة بين المراجع التي ذكرت يوم الصفقة، ويوم الكلاب الثاني)

مجال المقارنة	اسم المرجع والمؤلف					
	الكامل في التاريخ ابن الأثير	العقد الفريد ابن عبد ربه	النقائض أبو عبيدة معمر بن المثنى	نهاية الأرب النويري	الأغاني الأصفهاني	خزانة الأدب البغدادي
سبب نقمة كسرى على تميم	نهبهم الحمل «اللطيمة»	إغارتهم على اللطيمة	—	إغارتهم على اللطيمة	—	إغارتهم على اللطيمة
مكان أخذ اللطيمة	نطاع	—	نطاع	—	—	—
مكان انتقام كسرى من تميم	حصن المشقر	مدينة هجر	المشقر	مدينة هجر	المشقر	—
الموضع الذي تخفى فيه بنو تميم	الدهناء ، الكلاب	قدة: موضع يقال له الكلاب	—	ماء قدة في الكلاب	—	لجأوا إلى الكلاب
مكان استشارة أكثم	بعد نزول العدو عروة	منزلهم قبل الرحيل	عندما أقبل العدو	في منزلهم قبل الرحيل	عندما أقبلت مذحج	عندما أقبلت مذحج
منزل بني حنظلة بعد الرحيل	الدهناء	أسفل الوادي	—	أسفل الوادي	—	—
منزل بني سعد والرباب	الكلاب	أعلى الوادي	—	أعلى الوادي	—	—
مكان نزول مذحج لما قدمت	عَرْوَة	—	تيمن قريباً من الكلاب	—	تيمن ماء بين نجران وبلاد تميم	تيمن
النذير الذي أبلغ بني تميم	مشمت بن زنباع اليربوعي	جزء بن جزء الباهلي	مشمت بن زنباع	ابن جرير بن جزء الباهلي	مشمت بن زنباع	مشمت بن زنباع
ماذا كان يركب النذير	جمله	جمل أبيه الأرحبي	—	جمل أبيه	ناقة	—
رئيس بني تميم في اليوم الأول	النعمان بن جساس	النعمان بن الحسحاس	{ رئيس الرباب النعمان ورئيس بني سعد قيس وقيل: رئيس الجميع قيس بن عاصم	{ قيس بن عاصم	{ رئيس الرباب النعمان ورئيس سعد قيس بن عاصم	—
رئيس بني تميم في اليوم الثاني	قيس بن عاصم	قيس بن عاصم				
نتيجة المعركة	النصر لبني تميم	النصر لبني تميم	النصر لبني تميم	—	—	—
أسماء المواضع حول المعركة	عروة، تيمن، مجيرات	تيمن، حذنة، مجيرات	تيمن، مجيرات، حذنة	الكلاب، تيمن	—	—

نتيجة المقارنة بين المراجع :

عندما يريد باحث تحقيق موضع من المواضع من خلال الروايات التاريخية، ويرجع إلى مصادر تلك الروايات، فإنه قد يصطدم باختلافات كثيرة مما يجعله يحتار بأي منها يأخذ!

وعندما استعرضت تلك الروايات حول حادثة «الكلاب» لاحظت تبايناً ظاهراً بينها ومع هذا لم يربكني هذا التباين والتغاير في بعض الأقوال لعلمي أن المؤرخين كغيرهم من المؤلفين يحبون أن يأتوا بجديد عما قاله أسلافهم، وذلك حسبما يبدو لهم أنه الأصوب.

ولكن هذا الاجتهاد قد يوقع أحياناً في خطأ غير مقصود، ويأتي من يأخذ بهذا الخطأ فيحصل التصادم بين الآراء.

لهذا فإني عندما قمت بذكر بعض الأقوال الواردة في كتاب «العقد الفريد» ووضع مقارنة بينها وبين ماورد في بعض المراجع الأخرى كان قصدي إبراز هذا التباين والتعارض، ومن ثم الاجتهاد قدر الإمكان بما يظهر أنه يتمشى مع واقع الحادثة التي نحن بصددها.

وفيما يلي أمثلة على هذا التباين :

أولاً ـ قيل إن مذحجاً ومن لف لفها عندما قصدت بني تميم في الكُلاب نزلت في مكان قريب من الكُلاب وقد حدد كل مؤلف موضعاً، وبعض المؤلفين تابع قول من سبقه.

فقال صاحب النقائض: (حتى إذا كانوا بتيمن ـ وتيمن ماء بين نجران إلى بلاد بني تميم ـ فنزلوا قريباً من الكلاب).

وقال صاحب الأغاني مثل هذا القول إلا أن محقق الكتاب قال في الهامش

تعليقاً: (تيمن: ماء بين نجران إلى بلاد بني تميم. وفي مخطوط: بثبير).

وياقوت الحموي قال في رسم «تيمن» بعد أن ذكر تيمن التي بين تبالة وجُرَش، وهضبة تيمن التي في بلاد محارب وماقيل فيهما من شعر:

(وقيل: تيمن أرض بين بلاد بني تميم ونجران و القولان واحد لأن نجران قرب جُرَش؛ قال وعلة الجرمي:

ولَمَّا رَأَيْتُ القوم تدعوا مُقَاعِساً ... ويقطع مني ثُغْرَةَ النحر حائر

نَجَوْتُ نجاءً ليس فيه وتيــــرة ... كأني عُقَابٌ دون تَيْمَنَ كاسر)

انظر كيف أشكلت تيمن هذه على ياقوت الحموي حيث ذكر المواضع التي تسمى «تيمن» ماعدا تلك الهضبة الواقعة في وسط عالية نجد التي ورد ذكرها في الأشعار التي قيلت في «يوم الكلاب الثاني» وحيث خفيت عليه تلك الهضبة أخذ بالقول الذي قال: إنها أرض بين بلاد بني تميم ونجران ثم استشهد بقول وعلة الجرمي.

مع أن الهجري ـ رحمه الله ـ فرق بين المسميين وحددهما تحديداً واضحاً لاغبار عليه.

ويبدو لي أن من عرف تيمن بأنها: ماء بين نجران إلى بلاد بني تميم[1].

أو من قال: تيمن موضع باليمن، وهو يقصد تيمن التي وردت في شعر وعلة الجرمي.

إن هذا القول وأمثاله يثير الاستغراب فما أبعد مابين اليمن وتلك الهضاب الواقعة في عالية نجد. فوعلة الجرمي عندما قال: كأني عقاب دون تيمن كاسر.

لم يكن يقصد تيمن التي قرب جرش أو جبال القهر، وإنما قصد تلك الهضبة الواقعة غرباً من هضبة «حُذُنَّة» شرقي جبل ثهلان بدليل قوله:

---

(١) انظر هامش ص ٢٥٥/١٦ من كتاب الأغاني.

كـأنا وقـد حـالت حـذنة بيننا نعـام تلاه فـارس مـتـواتر

أما ابن الأثير ـ رحمه الله ـ فيقول في كتابه «الكامل في التاريخ» ـ وهو من أقدم تلك المراجع ـ محدداً المكان الذي نزلت فيه مذحج ومن معها :

(وساروا إلى «عروة» فبلغ الخبر تميماً) .

لقد وقفت كثيراً عند تحديد ابن الأثير «عروة» مكاناً لنزول القوم، ومع أنه لم يقل بهذا القول غيره ـ فيما قرأت ـ إلا أني أرى أنه المكان الملائم لنزولهم نظراً لقربه من الكلاب، و المواضع التي وردت أسماؤها مقرونة بالكلاب.

والسبب في عدم شهرة «عروى» هو عدم ورود ذكرها في الأشعار التي قيلت حول المعركة. ولذا لم يردد ذكرها المؤرخون وعلماء البلدان كما فعلوا في تكرار ذكر «مُجَيْرَات» و«حُذُنَّة» و«تيمن».

ومن يطلع على كتاب «الكامل في التاريخ» نشر دار صابر ودار بيروت عام ١٣٨٥ هـ يجد أن اسم «عَرْوَة» كتب هكذا: «عُرْوَة» مما يدل على أن هذا الموضع أشكل على محقق الكتاب وعلى النساخ القدماء من قبله حيث ذكر ذيل الصفحة تعليقاً على اسم «عروة» مامفاده:

(١ ـ أ: غزوة، س: غزوهم).

وهذا يدل على أن هذا الإشكال في معرفة هذا الموضع حصل لدى النساخ وكذا محققي هذ الكتاب وقد أعيد هذا المسمى إلى أصله «عُرْوَة» ولكن بضم العين والصحيح فتحها.

وقد كتبها بعض القدماء مثل الهجري «عروى» ووردت في معاجم البلدان مرة باسم «عروة»، ومرة أخرى «عروى»،وقد كتبها الشيخ حمد الجاسر في كتابه «باهلة» بالألف وقال إنه آثر كتابه اسمها بالألف «عروا» دفعاً للبس.

ثانياً ـ اتفقت المراجع على أن بني تميم عندما رحلوا من مساكنهم شرقي الدهناء، لجأوا إلى ماءة بالكلاب، أو إلى الكلاب.

إلا أن ابن الأثير قال: إن بني حنظلة نزلت الدهناء بينما نزلت سعد والرباب الكلاب ـ وذلك حسب وصية أكثم بن صيفي ـ وأقبلت مذحج ومن معها من قضاعة فقصدوا الكلاب.

أقــول: يبدو لي أن رواية ابن الأثير لقصة يوم الكلاب الثاني حصل فيها تقديم وتأخير. وما أميل إليه هو قول من قال: بأن بني تميم لجأوا إلى «الكُلاب» فنزل بنو سعد والرباب في أعلاه، ونزل بنو حنظلة في أسفله.

فهذا القول في نظري هو مايتمشى مع واقع الحال.

ولعلنا نتساءل هنا فنقول:

كيف يقال أن بني تميم عقدوا مؤتمراً أوكلوا اتخاذ القرار فيه إلى سبعة من قادتهم وأمرائهم ذوي الرأي والدراية في مثل هذا الخطب الذي نزل بساحتهم، وعند اتخاذهم القرار المناسب الذي حبذه الجميع وأيدوه. وفحوى هذا القرار هو: الرحيل والنزول في الكلاب بعيداً عن الأعداء.

ثم يأتي بعد ذلك من يقول: إن بني حنظلة نزلت الدهناء؟!

فأي مكان من الدهناء هذا الذي نزلوه؟

فهل يعقل أن يرحل القوم من شرقي الدهناء ثم ينزل بعضهم في غربها مثلاً؟

هذا القول لايتمشى مع منطوق رأي «النعمان بن جِساس» الذي نال استحسان أكثم بن صيفي وكافة بني تميم. وكان فحوى رأيه هو الرحيل والتخفي في الكلاب.

ومن المسلم به أن بني حنظلة لن يقبلوا النزول في الدهناء نظراً لأنه مكان مكشوف للأعداء بينما بنو عمومتهم نازلين في مكان حصين مثل «الكلاب».

وإذا أعدنا النظر بين ثنايا السطور نجد أن ابن الأثير قال:

(ولكني أشير عليكم ـ يعني أكثم بن صيفي ـ لينزل حنظلة بن مالك بالدهناء، ولينزل سعد بن زيد مناة والرباب وهم: ضبة بن أد، وثور، وعكل، وعدي بنو عبد مناة بن أد «الكلاب» فأي الطريقين أخذ القوم كفى أحدهما صاحبه).

ونحن نعرف أن الصحراء واسعة، والدهناء بعيدة عن الكُلاب وقِدَّة حيث أن المسافة بينهما تقدر بعشرة أيام للإبل فالدهناء في الشرق والكلاب في الغرب.

فما هما الطريقان اللذان أشير إليهما في هذا النص؟

والصحيح عندي أن بني سعد والرباب نزلوا أعلى الكلاب، وبنو حنظلة نزلوا أسفله والكلاب له طريقان:

طريق يأتيه من جهة الجنوب يسلكه القادم من اليمن، وطريق يأتيه من جهة الشمال أو الشمال الشرقي يسلكه القادم من العراق؛ وكلا الطريقين مَخُوف.

ومع هذا فالتكتيك ـ إذا صح التعبير ـ الذي سلكه الأعداء هو أنهم قدموا للكلاب من الجهة الشرقية فالتفوا حوله من جهة الغرب حتى وصلوا إلى ناحيته الجنوبية التي كان الخوف منها على بني سعد والرباب وهو أعلى الكلاب.

والكلاب كما قيل بين أدناه وأقصاه مسيرة يوم، والروايات متفقة على أن أول من خف لملاقاة العدو واسترداد النَّعَم هم فرسان بني سعد والرباب، ولم يرد بشكل واضح ذكر لفرسان بني حنظلة.

وظني أن بني حنظلة لم يبلغهم الخبر إلا متأخراً نظراً لبعد منازلهم عن منازل

بني سعد والرباب فانشغلوا في تجهيز أنفسهم فأصبحوا مدداً لأبناء عمومتهم سواء كان هذا المدد وصل إلى ساحة المعركة في نهاية اليوم الأول أو صببحة اليوم الثاني.

ومما يدل على أنهم اشتركوا في المعركة قول الفرزدق:

ـ هذا إذا صحت نسبة يوم الكلاب الثاني إلى الشعيبة ـ

يوم الشعيبة يوم أقدم عامر   قدام مشعلة ا لركوب غوال

وقد أشرنا فيما تقدم أن عامراً الذي أشار إليه هو: عامر بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة .

فعامر هذا قاد فرسان قومه إلى معركة «الشعيبة» بينما قاد أخوه سفيان فرسان قومه في معركة الكلاب الأول بدليل أنه أول من ورد ماء الكلاب الواقع بين الكوفة والبصرة.

لكل ماتقدم أكرر القول بأن المكان الذي ولج فيه بنو تميم وقصدتهم مذحج ومن شايعها وهم ساكنون فيه موجود وسط جبال العرض المنيعة الواقعة بين مدينتي القويعية والرويضة.

وسيتضح لنا هذا المكان أكثر بإذن الله بعد القيام بالرحلة الميدانية إلى منطقة العرض وخاصة تلك الجبال الواقعة شرق الرويضة ـ وعروى؛ لأن بداية المعركة حدثت غربي هذه الجبال حول وادي الرويضة قريباً من عروى الذي قيل: إن مذحجاً عند قدومها للمنطقة نزلتها قريباً من الكلاب.

وماعلينا الآن إلا أن نقوم برحلتنا الميدانية بعد أن مهدنا الطريق لها.

الرحلة الميدانية

إن رحلتنا هذه لها طابعها الخاص نظراً لأهمية الموضع المراد تحقيقه وهو «الكُلاب» الذي لجأ إليه بنو تميم خوفاً من أعدائهم نتيجة لما حل بهم «يوم الصفقة».

ولأن الكُلاب هذا حار في تحديد مكانه بعض علماء البلدان قديماً وحديثاً.

ولذا فقد قمت برحلات تمهيدية خاطفة في أوقات متفرقة للتعرف على المواضع التي قرنها علماء البلدان بالكلاب، وورد لها ذكر في الشعر العربي.

وقد أعددت لرحلتنا هذه عدتها، ومهدت لها الطريق بحيث لم يبق أمامي إلا زيارة المكان الذي رشحته لأن يكون هو «الكُلاب» الذي تخفى فيه بنو تميم وحدثت بالقرب منه معركة «الكلاب الثاني».

ومما يدل على أن هذا المكان الذي نتحرى عنه واد من فحول الأودية في نجد:

ماذكره علماء البلدان والمؤرخون من أن له أعلى وأسفل؛ سكن بنو سعد والرباب أعلاه، وسكن بنو حنظلة أسفله.

كما ذكروا أن مسيرته يوم للإبل، وأن أعلاه مما يلي الجنوب، وأسفله مما يلي الشمال أو الشمال الشرقي.

كما قربوه لنا أكثر عندما ذكروا أن وادي ذي خشب قريب منه حيث كان العرب يعزبون إبلهم في الكلاب وفي ذي خشب، كما ذكروا أن ذا خشب في طرفه.

وبنو تميم عندما قدموا إلى هذا المكان نزلوا على ماء «قِدَّة» وهي ماءة

بالكلاب. مما يدل على أن قدة هذه منسوبة لجبال «القد».

كل هذه الأمور، والأمور الأخرى التي تطرقت إليها فيما سبق تعطي مؤشرات قوية بأن الكلاب وواديه موجودان في جبال العرض وبالتحديد بين مدينتي القويعية والرويضة ولما كان وادي «الخنقة» وهو أكبر واد يخترق جبال العرض من وسطها من جهة الغرب إلى الشرق اسمه هذا مستحدثاً ولايعرف اسمه القديم وإنما يعرفه الناس باسم «الخنقة» وقد يسميه البعض: وادي «العرين» نظراً لكثرة شجر الأثل والطرفاء في مجراه.

فقد قررت زيارة هذا الوادي والتجول فيه، وعلماء البلدان والمؤرخون ذكروا أن هذا الوادي مخوف فقال بعضهم: إن أخوفه أعلاه، والبعض الآ-حر قال: بل أسفله.

وقصدهم بذلك الخوف من قدوم الأعداء وفي وقتنا الحاضر أصبحت بعض أجزاء هذا الوادي مأهولة.

ومع هذا فلم أقدم على الذهاب إليه بمفردي لسببين:

الأول : أن هذا الوادي متعدد الفروع واقع بين جبال شاهقة، وقد يضل الطرق من يسلكه وهو جاهل في مساربه.

الثـــاني: أنه لابد من صحبة من له خبرة تامة في هذا الوادي وفروعه، ومايحيط به من الأعلام والمواضع حتى تؤدي الرحلة نتائجها المرجوة.

ولذا وقع اختياري على صحبة من له خبرة تامة في المنطقة وهو الشيخ/ عبدالله بن محمد اليابس وهو من أعيان مدينة القويعية، وله معرفة وخبرة واسعة في هذه المنطقة حيث كان يعمل قبل تقاعده مديراً لفرع وزارة الزراعة والمياه في منطقة القويعية.

وعندما اتصلت به رحب وأبدى استعداده لمرافقتي وقد حددنا يوم الخميس

التاسع من شهر شوال عام ألف وأربعمائة وثلاثة عشر للهجرة موعداً للقيام بهذه الرحلة.

وفي صباح يوم الأربعاء ١٤١٣/١٠/٨ هـ ابتدأت الرحلة من مدينة الدوادمي حيث اتجهت في الصباح الباكر إلى «الشَّعْرَاء» سالكاً الطريق الجديد المزفت الذي يربط بينها وبين الدوادمي.

عندما جاوزت حزم العيصان نزلت في أرض سهلة منبات. ومَثُلَ أمامي جبل «ثَهْلاَن» بعلوه الشامخ وامتداده المستطيل من الشمال إلى الجنوب وهذا الجبل غني عن التعريف.

فهو الذي يقول فيه الفرزدق :

فادفع بكفك ـ إن أردت ـ بناءنا ثَهْلاَنَ ذا الهضبات هل يَتَحَلْحَلُ؟

ويقول فيه جحدر اللص :

ذكرت هنداً ومايُغْنِي تَذَكُّرهَا والقوم قد جاوزوا ثَهْلاَنَ والنِّيرَا

ويقول فيه أبو البقاء الرندي

دَهَى الجزيرة أمرٌ لاعزاء له هوى له أُحُدٌ وانْهَدَّ ثهْلاَنُ

ويذكر لنا امرؤ القيس عُقْبَانَ ثهلان حيث يقول:

كَتَيْسِ الظباء الأعفر انضرجت له عُقَاب تدلت من شماريخ ثهلان

وعقبان ثهلان لازالت تحوم وتتدلى من شماريخه حتى وقتنا الحاضر. أما الوعول والظباء فقد انقرضت حيث كانت موجودة فيه بكثرة إلى ماقبل خمسين عاماً فقط.

وثهلان هو الذي يقول فيه الشاعر إسماعيل صبري وهو يصف إهرامات مصر:

لم يأخذ الليل منها والنهار سوى مايأخذ النمل من أركان ثهلان

إن من يقبل على جبل ثهلان من جهة الشرق يشاهد بلدة «الشعراء» بمبانيها الحديثة البيضاء رابضة في أحضان هذا الجبل الشامخ يحنو عليها وعلى واديها ذي البطحاء النقية، وظله بعد العصر يكسب المشهد هناك روعة وجمالاً.

وبلدة الشعراء هذه كانت فيما مضى سوقاً تجارياً يعج بالحركة والنشاط ويؤمها التجار والباعة من كل مكان.

ووادي الشعراء الذي يجري بينها وبين جبل ثهلان هو الوادي الذي قيل عنه إنه هو وادي الكلاب الذي شدينا الرحال هذا اليوم للبحث عنه.وإنه هو الوادي الذي ولج فيه بنو تميم وفيه حدثت معركة الكلاب الأول والكلاب الثاني.

ومما أعجب له أن هذا القول أخذ شبه الاستقرار عند بعض علماء البلدان في وقتنا الحاضر وكذا شراح الشعر العربي.

وكما أسلفت فقد استبعدت أن يكون هو الوادي المقصود.

انظر إلى صورة جبل ثهلان وكذا واديها الصورتين رقم (١)، (٢)

حُذُنَّةُ :

قبل أن أصل الشّعراء التفَتُّ يساراً فشاهدت «حُذُنَّةَ» ـ الحذني حالياً ـ ولما كانت حذنة من الأعلام المهمة في بحثنا هذا فقد اتجهت إليها وهي التي يقول فيها وعلة الجرمي حينما رمى علم قومه عندما هزمهم بنو تميم وفر هارباً من المعركة.

كأنّا وقد حالت حُذُنَّةُ دُونَنَا ... نَعَامٌ تَلاَهُ فَارِسٌ مُتَوَاتِرُ

ويقول في هذا اليوم ـ وهو يوم الكلاب الثاني ـ محرز بن معكبر الضبي :

حتى حُذُنَّةَ لم نترك بها ضَبُعاً ... إلا لها جَزَرٌ من شِلْوِ مِقْدَامِ

رقم (١) : منظر : شرقي جبل «ثهلان» ويسمى «الرّعن» ومن دونه وادي «الشُّعَراء» الذي قيل إنه وادي «الكلاب قديماً» وبلدة «الشعراء» على ضفافه .

رقم (٢) : جزء من جبل «ثهلان» من ناحية الشمال الشرقي، وبلدة الشعراء في شرقه والوادي يجري بينهما .

وحذنة : قرن أسود يقع عن الشَّعْراء مطلع الشمس على بعد أحد عشر كيلاً فقط إذا نظرت إلى حذنة من جهة الشعراء تراها قرناً مذروب الشكل.

أما إذا نظرت إليها من جهة الشمال أو الجنوب فإنك تراها تشكل انحداراً نحو الغرب ولذا لم يخطيء من وصفها بالقرن أو وصفها بأنها جبل مستطيل

وانظر إلى صورة حذنة من جهة الغرب ومن جهة الشمال الصورتين رقم (٣)، ورقم (٤) وحذنة تبعد عن هضبة «عروى» الواقعة عنها جنوباً اثنين وخمسين كيلاً.

وحذنة واقعة على خط العرض ٣٠ً ١٥َ ٢٤ْ وخط الطول ٣٨ً ١٧َ ٤٤ْ. وسيلها يدفع على وادي «الكلبة» وهذا الوادي هو الذي لم يستبعد الشيخ محمد بن بليهد أنه المسمى قديماً «الكلاب» ومع هذا لم يعتبره الكلاب الذي تخفت فيه قبائل بني تميم ونسبت له معركة الكلاب الثاني فراح يبحث عنه جهة الجنوب.

ويبدو لي أن هذا الوادي هو الذي حدده الهجري ـ رحمه الله ـ بقوله: (وحُذُنَّة: هضبة عن الكلاب بميلين، تدفع في الكلاب(1)).

وأبو علي الهجري ـ رحمه الله ـ ممن يعتمد على تحديدهم للمواضع وغالباً مايحدد أبعادها بالأميال.

وقد حاولت تطبيق هذا النص فألفيته يتمشى مع الواقع؛ فإن هذا الوادي الذي أشار إليه يترك «حذنة» شمالاً منه على بعد أربعة أكيال أي «ميلين» عند الهجري.

وقد وضع لهذا الوادي معبر كبير من تحت الخط المزفت الذي يربط بين

---

(١) أبو علي الهجري وأبحاثه: ص ٢١٦.

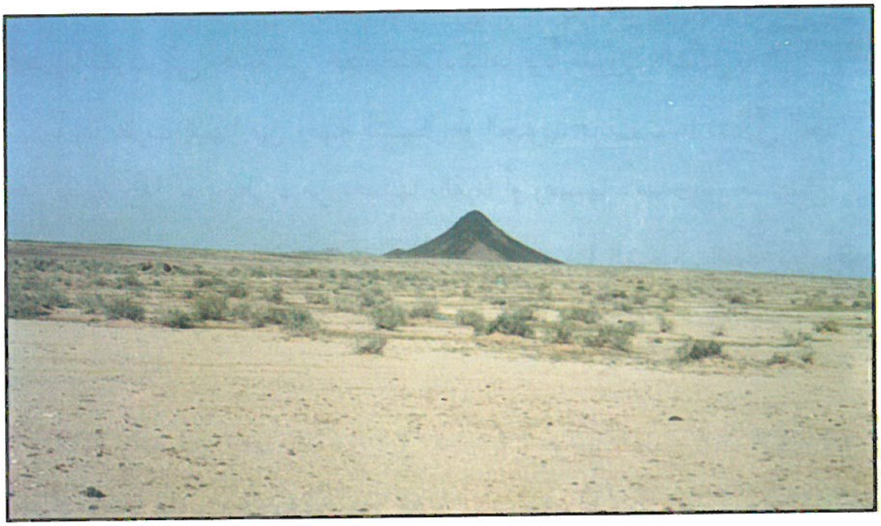

رقم (٣) : «حُذُنّة» من جهة الغرب، وهي التي حالت بين «وعلة الجرمي» وقومه المنهزمين .

رقـم (٤) : منظر : حَذُنّة من جهة الشمال وترى مستطيلة الشكل مع انحدار جهة الغرب.

الشعراء، وعروى وذلك قبل أن يحاذي هضبة تيماء مما يلي الشعراء قريباً من بلدة «الرفايع».

ويبعد هذا المعبر عن حذنة ثمانية أكيال وهو يدفع في وادي الشعراء.

وقد أسلفت القول بأن هذا الوادي كانت أعاليه قريباً من المكان الذي انتهت فيه معركة الكلاب الثاني، ولذا سمي بالكُلاب وهو أحد المواضع التي ذكر علماء البلدان أنها سميت بالكلاب لما لقوا حولها من الشرّ.

أما الكلاب الذي نزله بنو تميم فاسمه الكلاب، قبل أن يحلوا فيه بدليل قول راجز مذحج حينما أخذوا نعم بني تميم:

في كل عام نعم ننتابه   على الكلاب غيب أصحابه

وأنظر إلى صورة وادي الكلبة حينما اتجه إلى وادي الشعراء الصورة رقم (٥)

رقم (٥) : منظر : وادي «الكلبة» متجهاً ليدفع في وادي «الشعراء» شرقي جبل «ثهلان».

هضاب مُجَيْرَات :

مُجَيْرَات : هضاب حمر أرضها رملية يتخللها شعاب وتلك الهضاب مجتمعة تكون دارة في الوسط وهي دارة واسعة جداً ويوجد في الجهة الجنوبية الغربية من هذه الدارة آثار قديمة تم إحاطتها بسياج محكم مع وضع غرفة لحارسها ووضع على المدخل لوحة تحذيرية من المساس بتلك الآثار أو العبث بها.

ومُجَيْرَات لاتبعد كثيراً عن حذنة حيث تقع عنها شرقاً على بعد أربعة عشر كيلاً كما تبعد عن الشعراء خمسة وعشرين كيلاً.

ويظهر أن مجيرات مشهورة في السابق بكثرة الضباع حيث قال محرز بن المعكبر الضبي وهو يذكر يوم الكلاب الثاني:

دارت رحانا قليلاً ثم صبحهم ضرب تصيح منه قلة الهام

ظلت ضباع مجيرات يلذن بهم وألحموهن منهم أي إلحام

حتى حذنة لم نترك بها ضبعاً إلا لها جزر من شلو مقدام

لم أمل التجول بين تلك الهضاب الحمر فالتجول حولها ممتع للنفس خاصة مثل هذا الوقت الذي تفتحت فيه الأزاهير وعبقت برائحتها المحببة إلى النفس.

ولكن الوقت يمر فالساعة تشارف الحادية عشرة. وهذا يشعرني بقرب موعد ضربته مع الأخ الأستاذ سعد بن على الماضي حيث كانت له رغبة جامحة بمرافقتي في هذه الرحلة ومثله نعم الرفيق في السفر والحضر. وهو من المتقيدين بالمواعيد رغم مشاغله ولذا قفلت عائداً إلى الشعراء فألفيته واقفاً بانتظاري عند باب بيته فاستأنفنا الرحلة متوكلين على الله باتجاه «عروى» و«الرويضة» و«القويعية» وماجاورها من المواضع التي نود التعرف عليها.

تَيْمُنُ ـ تيماء حالياً ـ :

عندما قطعنا من الطريق أربعة عشر كيلاً كانت هضبة تيماء ـ تيمن قديماً ـ،على يميننا قريباً من الخط المزفت، وحذنة على يسارنا وكذلك هضاب مجيرات من و رائها.

وتيمن هذه هي التي اتجه إليها وعلة الجرمي حامل لواء مذحج عندما فرَّ من المعركة حيث تحرز فيها بدليل قوله:

نجوت نجاء ليس فيه وتيرة   كأني عقاب عند تيمن كاسر

وتيمن تبعد عن عروى ستة وأربعين كيلاً

وانظر إلى صورتها رقم (٦).

وبعد أن جاوزنا تيماء بعدة أكيال حاذينا «عبل مُعيّقِل» وهو عبارة عن جبيل أبيض اللون جميل المنظر يقع يسار الذاهب إلى عروى.

ويحاك حول هذا العبل المنفرد في الصحراء ذي الشكل الملفت للنظر قصص وحكايات في أزمنة مضت ليس هذا مجال سردها. انظر إلى صورة العبل الصورة رقم (٧).

عَرْوَى :

عروى، أو «عروة» أو «عروا»: كل هذه الألفاظ مستعملة قديماً وحديثاً.

وهذا المسمى يطلق على الهضبة وعلى البلدة التي أنشئت حديثاً بجانب الهضبة الغربي على ضفاف الوادي المسمى في وقتنا الحاضر «وادي عروى».

وهذا الوادي هو أحد الروافد الكبيرة لوادي «الخنقة» الذي شدينا الرحال هذا اليوم لزيارته لأول مرة.

رقم (٦) : منظر : هضبة «تيماء» تيمن قديماً، وهي التي فَرَّ إليها «وَعْلَةُ الجرمي منهزماً .

رقم (٧) : منظر : عبل مُحَيِّقِل ، وترى «حُذَنَّة» شمالاً منه غير بعيد .

وعروى هضبة سوداء عالية ترى من بعد، وقد أطلق هذا المسمى أيضاً على ماء جاهلي يقع بجوارها وظني أن هذا الماء هو الماء الذي نزلت عليه مذحج ومن شايعها عندما جاءت لمهاجمة بني تميم المتخفين في الكلاب نظراً إلى أن هذا الماء واقع في أعلى هذا الوادي المسمى في زمننا هذا «خنقة عروى».

وهضبة عروى واقعة على خط العرض ٥٤َ ٢٣ْ وخط الطول ٣٨َ ٤٤ْ وانظر إلى صورتها وصورة واديها الصورتين رقم (٨) ورقم (٩).

وقد حددها أبو علي الهجري ـ رحمه الله ـ تحديداً واضحاً حيث قال:

(عروى : هضبة حذاء ماسل، بها جأوة باهلة، وليست بعروى التي قرب وحفة القهر هذه أمنع وأشمخ[1]).

وتحديد الهجري هذا في منتهى الدقة بخلاف تحديد ياقوت الحموي حيث كان تحديده متضارباً. وأحب أن أنبه إلى أن الضمير في قول الهجري: (هذه أمنع وأشمخ» يعود إلى عروى التي قرب وحفة القهر وليست عروى التي نحن بصددها.

الرويضة ووادي ذي خشب :

من عروى اتجهنا إلى الرويضة وقد حبذت المرور على منزل الأخ ناصر بن سعود السهلي وهو كما أسلفت الذي عرفني على وادي «الشُّعَيِّبَة» عسى أن يكون لديه مايفيدنا حول التعرف على «ذي خشب».

وجدنا الرجل في منزله فرحب بنا وبعد الجلوس والتحدث معه وجدته لايعرف عن ذي خشب سوى ماقيل من أنه هضبة «مدِقَّة».

(١) أبو علي الهجري وأبحاثه : ص ٣٣٩ .

رقم (٨) : منظر : هضبة «عَرْوَى» من جهة الغرب، التي قيل إن مذحجاً نزلت عندهـا .

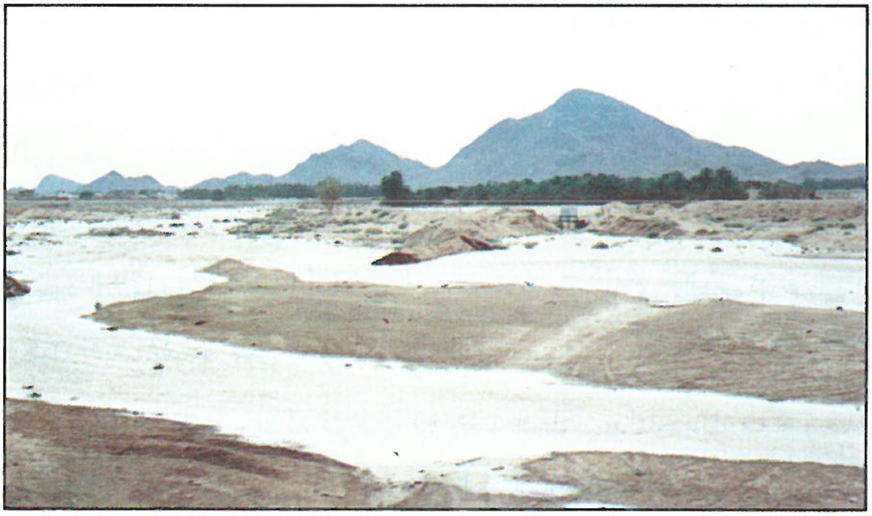

رقم (٩) : منظر : هضبة «عروى» من الغرب ، ويرى واديها يجري وهو من أعالي وادي «الخنقة» وادي الكلاب قديماً .

ولما أشعرناه بأننا ذاهبون جنوب الرويضة باتجاه مجرى وادى «أبا الجرفان» الذي قيل إنه وادي «ذي خشب» وبالتحديد إلى بلدة «الفيضة» الواقعة على بعد أربعين كيلاً حيث سبق أن اجتمعت بأميرها الأخ عجب بن جفين في العام الماضي في بلدة «الشرمية» الواقعة في أعالي وادي أبا الجرفان وسألته عن أي موضع يحمل مسمى: أبا الخشب، أو أم الخشب، أو أبو خشبة أو أم خشبة؛ لعل مثل هذا المسمى يدلنا على «ذي خشب» وبعد التذكر قال: إنه يوجد بالقرب من الفيضه مكان يسمى «أم الخشب» وقد استعد بإيقافي عليه عند زيارته،

فقال الأخ ناصر: أنا أعرف أمير الفيضة وسأصحبكم لزيارته.

وسرنا على بركة الله، وعند وصولنا وجدنا الرجل في منزله فرحب بنا وكان عنده رجل مسن استفدنا منه كثيراً عن مجاري الأودية وأماكن التقائها. إنهم أناس طيبون لايبخلون بما لديهم من معلومات.

كانت الشمس توشك على المغيب والجو ممطر، والتجول في المنطقة يبعث على السرور وانشراح الصدر فرغبت من الأخ عجب أن يرينا أم الخشب التي ذكرها.

فتجول بنا على النواحي القريبة من الفيضة وفي مكان يقع جنوب غرب الفيضة أوقفنا وقال هذه الجبال والشعاب تسمى «أم الخشب» ومن خلالها يجري شعيب يتجه شرقاً ليلتقي بشعيب آخر يسمى شعيب «الودي» بعد أن يتحد مجراهما يدفعان بوادي« أبا الجرفان» ثم لايلبث أبا الجرفان في مجراه باتجاه الجنوب إلا بضعة أكيال حتى يلتقي بوادي «السرداح» وملتقى هذين الواديين بجوار الفيضة من الشرق وعند متلقاهما يوجد شجرات سرح كبيرة مشهورة عند سكان المنطقة.

ومن هذا المكان يتجه وادي السرداح حتى يلتقي بوادى السّرة عند جبل التيس.

وهناك على ضفة وادي أبا الجرفان الغربية قبل التقائه بالسرداح أرانا الأخ عجب شيئاً يثير العجب وهو عبارة عن أطلال جاثمة على الأرض لايرى على السطح إلا حجارتها المتراكمة قسم منها مستطيل الشكل على امتداد خمسين متراً تقريباً وبجواره شكل مدور حجارته ضخمة تبدو وكأنها أساس لحصن أو ماشابهه وهذه الأطلال واقعة على خط العرض ٣٢َ ٢٣ْ وخط الطول ٥٩َ ٤٤ْ وانظر إلى صورتها رقم (١٠)

رقم (١٠) : منظر: آثار بالقرب من مفيض وادي «أبا الجرفان» في وادي «السرداح» شمال قرية «الفيضة» .

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد :

في هذا المكان موضع يسمى «أم الخشب» وهناك بين الرويضة وسنام موضع يطلق عليه «أبو خشبة» وفي طريقنا إلى الفيضة هذا اليوم مررنا على جبل «الفُرْع» ووادي الفرع الذي ذكر الهمداني أنه يدفع في بطن السرداح ووجدنا بجواره مكاناً يسمي «أم خشبة» وهذا المكان يفصل بينه وبين أبا الجرفان وادي السرداح فهو بعيد عنه.

وبحثنا عن وادي ذي خشب لم ينته بعد فلنرجىء البت في أمره فالشمس مالت للمغيب وبدأ الظلام يسدل ستاره، ولأننا في الصباح الباكر على موعد مع القسم الهام من رحلتنا هذه وهو التوجه إلى «وادي الكلاب» .

الاتجاه إلى الكُلاب :

في تمام الساعة السابعة من صباح يوم الخميس كنا عند الشيخ عبدالله بن محمد اليابس «الوداعة». حيث وجدناه بانتظارنا في منزله بمدينة القويعية وقبل تناول طعام الإفطار دخل علينا رجل غزا الشيب محياه وبعد السلام عليه خيل لي أنني سبق أن رأيته ولكن متى وأين؟

وبعد استعادة شريط الذاكرة الضعيف سألته عما إذا كان سبق أن درس في مدرسة بلدة الدفينة قبل أربعين عاماً تقريباً حيث اجتمعت به عندما كنت مدرساً في مدرسة «عفيف» وتبادلنا الزيارة فأجاب بالإيجاب فاستعدنا بعضاً من جانب تلك الأيام الخوالي.

واسمه مطابق لاسم مضيفنا عبدالله بن محمد اليابس، وما أكثر تشابه الأسماء وتكررها في كثير من الأسر، وهو من سكان الرياض ويعمل فيها وقد أفاد بأنه توجه منها بعد صلاة الفجر.

كنت أظن في البداية أنه جاء لزيارة مسقط رأسه القويعية ولكن تبين لي أنه جاء خصيصاً لمرافقتنا في هذه الرحلة عندما علم بذلك لأنه من المهتمين في مثل هذه الأمور.

فأصبح أعضاء الرحلة أربعة.

توكلنا على الله وابتدأنا رحلتنا في تمام الساعة الثامنة صباحاً قاصدين أسفل وادي «الخنقة» وقد فضلت المرور بقرية «جزالاء» أولاً لأن لي فيها مآرب أخرى.

جزالاء :

قرية زراعية قديمة ذكرها الهمداني وهو يتكلم عن اليمامة حيث قال:

(ومنها ومما يعد من حوزها سواد باهلة وأوله من مشرقه بلد يقال له «القويع» يعرف ببني زياد من باهلة، ثم أعلى منه حصن «ابن عصام» وهو من ولد عصام خادم النعمان..

وفي عصام يقول النابغة: نفس عصام سودت عصاما

وقوله : فخبِّر ماوراءك ياعصام

وجزالاء : عن يمين ذلك وفيها يقول الشاعر:

ألا يابني عَصْمٍ جزالى جنـــة مراطـيب تجني كل عام لكم حربا

إذا أرطبت منها المباكير هيجت صدور رجال لم تروعوا لهم سربا[1]

ويقول الهمداني أيضاً وهو يعدد المواضع والمياه في سواد باهلة:

(١) صفة جزيرة العرب : ص ٣١٠ .

(والقويع ثنية وجزالى، والثريا، والجوزاء في واد عن يمين ذي طلوح فيه نخل وقرى[1]).

أما أبو علي الهجري فيقول عن جزالاء:

(النميري يقول لبني عصم من باهلة ـ أهل سواد باهلة ـ وكانوا يأكلون عرضاً لهم، نخل يدعى جزالاء ـ ممدود ـ بسواد باهلة..

ألا يابني عصم جزالاءُ قريـــــة مراطيبُ تبغي كل عام لكم حربا
فلولا صوادٍ من جزالاء دُلَّـــحٌ وهُدل الثريا ماوجدنالكم ذنبـــــا
إذا أرطبت منها المعاجيل هَيَّجَـتْ حروب رجال لم يروعوا لكم سربا
أقيموا صدور المشرفيَّة دونهــــا وإلاَّ فَخلُّوها لأعدائكم غصبـا[2])

ويقيني أن أهل جزالاء القدماء حموا عرضهم من أعدائهم حيث أقاموا صدور المشرفية دونها وإلا لما بقيت هذه القرية الجميلة منذ القدم إلى وقتنا الحاضر ولاختفت كما حصل لجارتيها: الجوزاء، والثرياء.

ويبدو لي أن إحدى القريتين المندثرتين هي مايسمى في وقتنا الحاضر «جُزّيْل».

إن جزالاء واقعة شرقي «ابني شمام» على بعد اثني عشر كيلاً، والواقف بالقرب من جزالاء وهو مستقبل القبلة يشاهد أمامه جبال العرض شامخة، وأشهرها وأعلاها ابنا شمام وهما قمتان عاليتان تشاهد من بعد وعند القرب منهما تختفيان بالجبال الأخرى.

وقد قال لي أكثر من واحد من سكان المنطقة: إن ابني شمام يشاهدان من

---

(١) صفة جزيرة العرب : ص ٢٩٣ .
(٢) أبو علي الهجري وأبحاثه : ص ٢٢٣ .

منحدر القدِّيّة القريب من الرياض وهذا شيء يدعو إلى الاستغراب لأن المسافة بين منحدر القدية وجبلي شمام تبلغ مائة وسبعة وخمسين كيلاً، وقد يكون ذلك ممكناً خاصة في الأزمنة السابقة قبل أن تثير السيارات والمعدات الأخرى الغبار الذي حجب الرؤية، وذهب بصفاء جو الجزيرة. وابنا شمام اشتهرا فضربت بهما الأمثال، وحددت بهما المواضع وإن كانت نائية عنهما.

قال فيهما لبيد بن ربيعة العامري:

فهل نُبِّئْتَ عن أخوين داما على الأحداث إلا ابْني شَمَامِ
وإلا الفرقدين وآل نعـــش خوالــد ماتحــدث بانــهدام

وقال جرير :

عاينت مشعلة الرِّعَالِ كأنها طيرٌ تغاول في شَمَام وُكـُوراً

كما قال يُعَيِّر الفرزدق :

وكَبِّل حَاتَمٌ بِشَمَامِ حَــوْلاً فَحَكَّم ذا الرُّقَيْبَـةِ وهـــو عَانِ

وقال امرؤ القيس :

كأنّي إذ نزلتُ على المُعَلَّى نزلتُ على البَوَاذِخِ من شَمَامِ

وقال الجعدي :

لقد أَخزيْتَهم خِزْياً مبينــــا مُقيمـاً ما أقــام ابنَا شَمَــامِ

وقد ذكر الهمداني ابني شمام فقال :

(وشمام قرية كانت عظيمة الشأن هي من شط العرض الأيسر إلى المنحدر، وابنا شمام جبلان طويلان جداً مشرفان على سخين وسخنة قريتين ونخل لباهلة، وعلى عِرَان والشط كل ذلك قرى ومزارع ونخيل[1]).

أقول كل القرى والمياه التي أشير إليها واقعة إلى الشرق من قمتي شمام.

وقد أشكل على البعض «عِرَانُ» ولكن الأستاذ سعد بن جنيدل قال وهو يتكلم عن وادي الخنقة:

(ويحتمل أنه سمي وادي العرين نسبة إلى بلدة قديمة كانت على شاطئه تدعى عران[2]).

ثم أورد قول الهمداني المتقدم.

وعندي أن ماقاله بالنسبة لعران هو الصحيح فهو واقع بالقرب من ابني شمام قريباً منهما.

أما الشيخ حمد الجاسر فقد أبعد موقع «عِرَان» إلى جهة الغرب كثيراً حيث بدا له أن مسماه حصل فيه تصحيف.

فنجده عند تحقيقه لكتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني أبدل كلمة «عران» إلى «عروان» وعلل ذلك بقوله تهميشاً:

(عروان: واد لايزال معروفاً تقع فيه هجرة «عَرْوَى» وفي الأصول عران[3]).

أقـول: إن أصول كتاب صفة جزيرة العرب ليس فيها تصحيف كما بدا لشيخنا فالصحيح ماورد فيها وعران هذا كان قرية في سفح جبل شمام يشرف عليهما مع المواضع التي ذكرها الهمداني.

أما «عروى» فإنها بعيدة عن قمتي شمام إلى جهة الغرب حيث تبعد عنهما ستة وثلاثين كيلاً على خط مستقيم أما إذا أردنا الذهاب من شمام إلى عروى عبر وادي الخنقة أو الطرق الأخرى فإن هذه المسافة ستزيد.

فكيف نقول إن ابني شمام مشرفان على عروى؟!

---

(١) صفة جزيرة العرب: ص ٢٩٢.
(٢) عالية نجد: ص ٤٧٧/٢.
(٣) صفة جزيرة العرب: ص ٢٩٢.

وتأكيداً لما أقول فإن الهمداني لم ينفرد بهذا القول فهذا ياقوت الحموي يقول في معجمه: (وعِرَان: موضع قرب اليمامة عند ذي طلوح من ديار باهلة[١]).

ومعروف أن ذا طلوح واقع شرقي شمام لا غربه. قريباً من محيرقة وجزالاء.

كما نجد الشيخ حمد يكرر هذا القول في كتابه «باهلة» حيث قال عند ذكر هذا النص وهو يتكلم عن «الشط»:

(وابنا شمام جبلان طويلان مشرفان على سخين وسخنة قريتين لباهلة وعلى (عروان) والشط كل ذلك قرى ومزارع ونخيل.

ويفهم من إشراف ابني شمام على تلك المواضع وقوع الشط بقربهما في منطقة عروان وادي عروا الهجرة المعروفة[٢]) انظر قمتي ابني شمام من جهة الجنوب الغربي المنظر رقم (١١).

رقم (١١): *منظر: قمتي «ابني شمام» من جهة الجنوب الغربي.*

(١) معجم البلدان: ص ٤/٩٥ (٢) كتاب باهلة: ص ١٤٥.

هذه وقفة وقفناها عند «جزالاء» ذات الصوادي الدُّلَّح، المعجلة فى الإرطاب. وبودي أن نمكث في هذه القرية ذات التربة النقية والوادي الجميل إلا أن رحلتنا طويلة والوقت يضيق.

ولذا واصلنا المسير عبر واديها مروراً بالمُرَيْقِد في طريقنا إلى «القوسة».

القوسة :

القوسة : هي مفيض وادي النسق في وادي الخنقة عندما ينحدر من مخناقه، وفيها توجد آثار قديمة لقصر ومساكن عفا عليها الزمن.

وسبب مجيئنا إلى هذا الموضع هو أنني سألت الشيخ عبدالله اليابس عما قيل من أنه يوجد في منطقة العرض آثار قصر ينسب لأسرة من بني تميم ولازال يسمى باسمهم حتى وقتنا الحاضر فأكد لي هذا القول مما جعله يوقفنا على هذا الأثر وقال إنه يعود لأسرة مشهورة تسكن الآن في إحدى دول الخليج ولها شهرتها المرموقة هناك.

وقد أشار إلى شعب يقع غربي تلك الآثار وقال إنه يوجد بهذا الشعب أثر يدور حوله بعض الحكايات التي لايدرى مدى صدقها من عدمه، وقد وقفنا على هذا الأثر.

ولا أحبذ ذكر كنه تلك الحكايات والأقاويل هنا لأنها إذا كانت صحيحة فتعتبر من الأمور الخاصة بساكنيها قديماً. انظر إلى صورة تلك الأطلال الصورة رقم (١٢).

كان قصدي من التأكد عن تلك المساكن القديمة هو إثبات وجود لبني تميم في هذه الناحية كدليل يعضد القول بأن وادي الخنقة ماهو إلا وادي الكُلاب الذي تخفى فيه بنو تميم ونحن الآن في أسفل هذا الوادي ولا أستبعد

أن تكون هذه أطلال مساكن لأسرة من بني تميم بقيت في هذا المكان منذ ذلك الوقت وأنه المكان الذي سكنه بنو حنظلة بينما سكن بنو عمومتهم سعد والرباب أعلى الوادي، وبعض علماء الأنساب يلحق الأسرة المشار إليها بقبيلة بني حنظلة .

رقم (١٢) : منظر : *آثار مساكن تميمية واقعة في مفيض وادي «النسق» في أسفل «الخنقة» .*

ولنترك تلك الآثار التميمية لندخل وادي الخنقة من مفيضه من المخناق الذي أكسبه تلك التسمية الحديثة.

وقبل العبور مع المخناق انظر إلى الخارطة رقم (٢) لتتصور المواضع التي نتكلم عنها.

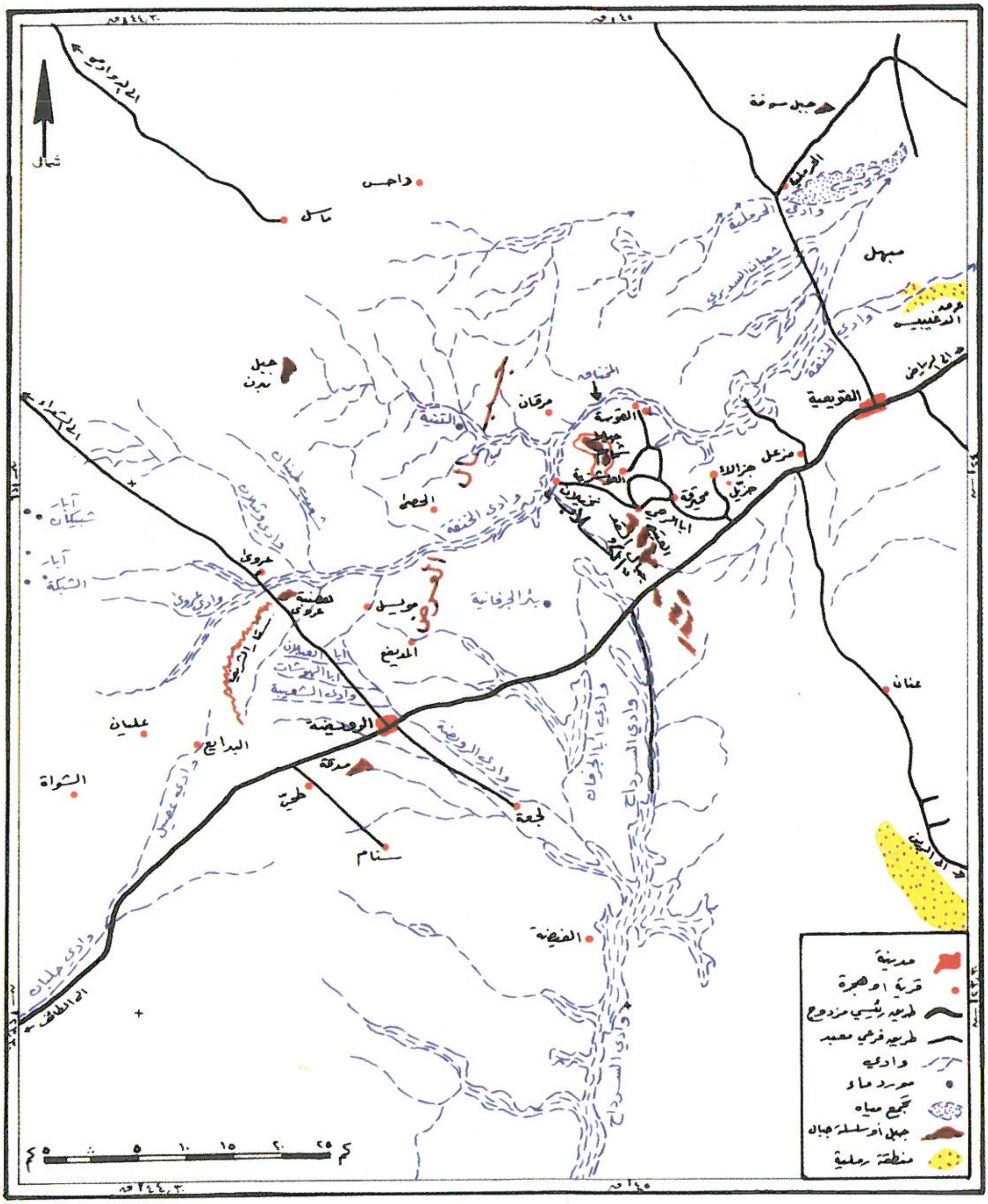

الخارطة رقم (٢)

عبر مخناق الوادي :

من يدخل هذا الوادي يحس إحساسا غريباً لأنه واد له طابعه الخاص حيث تحيط به الجبال الشاهقة من جهتيه، وهو ذو مجرى غزير، وساكنوه تحرزوا بمساكنهم ونخيلهم في التلاع والمرتفعات مثل قرية «لعلع» الواقعة على ضفته الجنوبية وغيرها ويلاحظ من يسلك هذا الوادي أنه يدفع عليه بعض الشعاب والتلاع مثل:

الغريري، والهطلاوي، والفجحاني.

كما يلاحظ في مجراه كثرة شجر الطرفاء الأخضر المتراص.

وقبل أن ندخل أضيق حيز فيه ويسمى المخناق وعلى اليسار عرجنا على نخل ومسكن العم فالح بن محمد بن قليمان حيث سينضم إلى أعضاء الرحلة نظراً لسكناه في هذا الوادي منذ شبابه فهو أدرى بمسالكه وروافده.

وقد وجدنا الرجل في انتظارنا وبعد شرب القهوة على عجل واصلنا المسير ولم نلبث حتى عبرنا المخناق الذي سمي الوادي بسببه لأن الجبال ضيقت مجرى الوادى، ويقول القريبون منه إنه إذا كان جريان الوادي قوياً وضاق بالمياه المندفعة يسمع دويه من مسافة بعيدة، كما أفادني الشيخ عبدالله اليابس بأنهم قاسوا منسوب الماء عندما جرى في إحدى السنوات فبلغ منسوب الماء فيه خمسة عشر متراً.

عند خروجنا من المخناق ظهرنا على بطن الوادي الواسع حيث تجتمع فروعه في هذا المكان مثل وادي التنية، ووادي عروى، وشعيب مرقان، وشعيب نخيلان. وتعبر مع المخناق في مجرى واحد. انظر المخناق الصورتين رقم (١٣) ورقم (١٤).

رقم (١٣) : منظر : المخناق الذي تتجمع فيه سيول وادي «الكلاب» وتنحدر معه «الخنقة حالياً» .

رقم (١٤) : منظر آخر للمخناق الذي تلتقى فيه فروع وادي الخنقة «الكلاب قديماً» .

وفي ملتقى الأودية هذا المحاط بالجبال تكثر أشجار الطرفاء المتراصة كما تكثر فيه أشجار أخرى أكبر من الطرفاء تشبه الأثل، ولايعرف سكان المنطقة لها اسماً فأطلقوا عليها اسم «المستطرف» نسبة إلى الطرفاء.

ومن يدري فلعل اسمه الحقيقي «العِرَانُ» وقد عرف لنا ياقوت الحموي العران بقوله:

(... ويجوز أن يكون جمع العِرْن وهو شجر على هيئة الدُّلب يقطع منه خشب القصارين

... وعران: موضع قرب اليمامة عند ذي طلوح من ديار باهلة[1]).

أقول: إن من أسماء وادي الخنقة المستحدثة وادي «العرين» وقد تكون هذه التسمية مستوحاة من وجود هذا النوع من الشجر فيه.

وقفة فاحصة :

كان لي وقفة طويلة في هذا المكان الذي تتجمع فيه روافد هذا الوادي الفحل الذي يعتبر أكبر واد في جبال العرض يخترقها من الغرب إلى الشرق.

وهذا المكان محاط بالجبال من جميع جهاته، وكان من الصعب الوصول إليه قبل تذليل الطرق إليه في وقتنا الحاضر إلا لمن له دراية وخبرة في المسالك المؤدية إليه.

كان نظري مصوباً نحو بلدة نخيلان تلك البلدة الواقعة على ضفاف الوادي القادم من جهة «عروى» المسمى حالياً «خنقة عروى».

ونخيلان هذه هي التي يقول عنها الهمداني عند كلامه عن سواد باهلة وابني شمام عندما كانت مجرد مورد ماء.

---

(١) معجم البلدان : ص ٩٥/٤ .

(وفيه نخيل ونخلة ماءان لبني تميم[1]) .

فلاشك عندي أن بلدة نخيلان قامت على أحد هذين الماءين.

أما الماء الثاني: فلا أستبعد أن يكون قريباً منه، وعندما تسير من نخيلان مع مجرى الوادي وقبل أن تصل إلى المخناق هناك على ضفاف الوادي نخل مهجور حوله مبان قديمة. وبمحاذاته شعب داخل جهة جبل ابني شمام لايزال فيه مكان يسمى «النخيل» ولكن غلب عليه في الوقت الحاضر مسمى «الرويل».

والشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ عندما قام بنشر كتاب «صفة جزيرة العرب» علق على نص الهمداني هذا بقوله:

(قال الناشر : جميع هذه المواضع باقية على حالها فمنها نخل والنخلة هناك بلد في أصل ابني شمام يقال لها نخيلان بلد عامرة بها نخل وزروع وسكان وهذا الموضع الذي ذكره الهمداني حين قال: وفيه نخيل ونخلة، إما أن يكون أحد الموضعين أو كليهما[2]) . ومن يتفحص هذا المكان ويدقق فيه النظر فلن يشك بأنه مكان حصين منيع بعيد عن متناول الأعداء وعن طريق عابري السبيل، ولذا وقع اختيار النعمان بن جسَاسٍ عليه ليكون منزلاً لقومه بني تميم عندما قرروا الرحيل من مساكنهم خوفاً من أعدائهم.

هذا الاختيار الذي نال رضا حكيم العرب «أكثم بن صيفي» وبالتَالي وافق عليه المرشحون للبت في هذا الاختيار، ولذا كان المكان المنيع والحصن الخفي عندما ولجوا فيه.

إذاً نحن الآن واقفون بجوار ماء «قِدَّة» الذي أصبح اسمه فيما بعد «نخيلان»

---

(١) صفة جزيرة العرب : ص ٢٩٣ .
(٢) صفة جزيرة العرب : ص ٣٨٠ ، نشر محمد بن بليهد .

وذلك بعد أن رحل عنه بنو تميم وزرع عليه ونبت فيه نخل.

ويفهم من كلام الهمداني أنه عبارة عن ماءين، أحدهما عنده نخيل قليل والآخر عنده نخلة فأدمجهما المتأخرون فقالوا: نخيلان.

هذا الماء المسمى «قدّة» واقع على ضفاف وادي «الكلاب» المسمى حالياً «الخنقة» والكلاب هو قدة لوقوعه في جبال «القد»، وجبال القد ممتدة من شمالي ابني شمام إلى جبل مغزال «جنوبا» أي أنه عبارة عن سلسلة من جبال العرض مستطيلة عبر مسافة طويلة ولازالت تلك التسمية مستعملة حتى زمننا هذا وقد يمد البعض من سكان المنطقة امتداد جبال القد شمالاً حتى «مغيرا».

ولتضافر تلك الشواهد والقرائن فقد خيل لي وأنا واقف في هذا المكان أني أسمع صرخات الحرب من فرسان سعد والرّباب، وصهيل خيلهم، وصليل سيوفهم وهم يتهيئون لاسترداد نَعَمِهم المسلوب وصد الأعداء على أعقابهم.

كما تخيلت الطريق الذي سلكوه باتجاه المكان الذي حصلت فيه بداية معركة «الكلاب الثاني». انظر إلى بطن وادي «الكلاب» الصور رقم (١٥) ورقم (١٦) ورقم (١٧) ورقم (١٨) وحتى لايأخذنا الخيال ونسير مع هذا الطريق الذي سلكوه دعونا نواصل رحلتنا المثيرة على أرض الواقع أرض «الكُلاب».

كان مرشدو الرحلة قد خططوا أن نسلك أحد فروع وادي «الخنقة» ـ الكلاب قديماً ـ وهذا الفرع هو وادي «التنية» وهو ذو مجرى واسع غزير تكثر فيه الرمال وأشجار «الطَّرفاء» و«المستطرف» !!

وهناك في «أم راكة» حطينا الرحال للراحة وتناول طعام الغداء.

وسمي هذا المكان بأم راكة لوجود شجرات إراك كبيرة الحجم تدل ضخامة جذوعها على قدمها وتعاقب السنين عليها، وهي واقعة في أحد الشعاب وسط

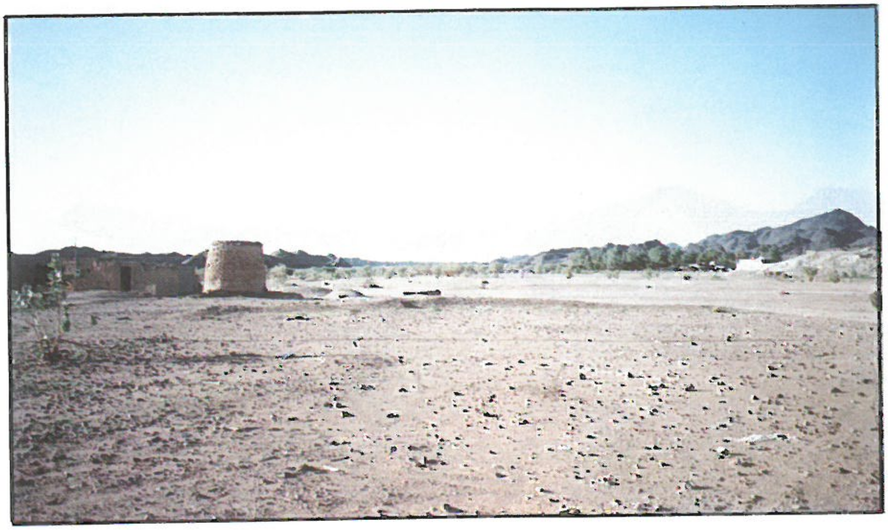

رقم (١٥) : منظر : برج وبئر وآثار قديمة تقع بجوار بلدة ««نخيلان» من جهة الغرب على ضفاف وادي «الكلاب» .

رقم (١٦) : منظر : متسع وادي الخنقة «الكلاب قديماً» بين بلدتي نخيلان ومرقان .

رقم (١٧) : منظر : لوادي الخنقة «الكلاب قديماً» جنوب غرب «نخيلان» .

رقم (١٨) : وادي الخنقة : «الكلاب قديماً» يجري باتجاه المخناق .

جبال العرض بين وادي التنية ووادي عروى، وتسمى الجبال المحيطة بالمكان «الشهباء» نظراً للونها، وتلك الجبال ترى على امتداد البصر.

وقبل أن نخلد إلى الراحة تجول بنا العم «فالح» بين مسالك تلك الجبال وهي جبال غير مرتفعة وأرانا بعضاً من آثار التعدين القديمة القريبة من شجر «الراك». لقد استغربت من وجود شجر الراك في هذه الناحية، وذلك لندرة وجوده في عالية نجد، ولم أرَ شجر الأراك أثناء تجوالي في وسط العالية إلا في هذا المكان، وعند ماء «مريفِق» الواقع في الطرف الجنوبي الغربي لجبل «الزيدي».

ولقد رأيت حفر المناجم ممتدة على سفوح الجبال إلى مسافات بعيدة، وحفرها عميقة وتنتشر حول المكان آثار المساكن ومقبرة كبيرة قبورها باتجاه القبلة مما يدل على أن ممن استثمر تلك المناجم مسلمين.

إن من يتجول بين تلك الأطلال وحفر المناجم يأخذه العجب من قوة الأسلاف ومهارتهم في مجال التعدين مع ضعف الإمكانات في عصرهم. وانظر إلى صورة الوادي وكثرة القبور فيه الصورة رقم (١٩).

بعد انتهاء الجولة وفي ظلال شجر الأراك طابت الحكايات وسرد القصص التاريخية المصحوبة بشواهد الشعر «النبطي» وتبارى في هذا المجال الشيخ عبدالله اليابس والعم فالح ورفيق الرحلة الشعيلان. وكل من الثلاثة راوية للشعر ويحفظون منه الشيء الكثير.

الواقع أني لم أشاركهم إلا بجسمي أما فكري فسارح بين جبال وشعاب «الكلاب».

بعد أداء صلاة الظهر تحينت الفرصة قبل أن ينعقد مضمار الشعر وسرد حكاياته المحببة إلى النفس فانتحيت بالعم «فالح» جانباً في ظل أراكة وطرحت عليه أسئلتي التي لاتنتهي وكانت تدور حول: جبال القد وحدودها، وعن وادي الخنقة وفروعه ونباتاتها وغير ذلك من الأمور التي أود معرفتها.

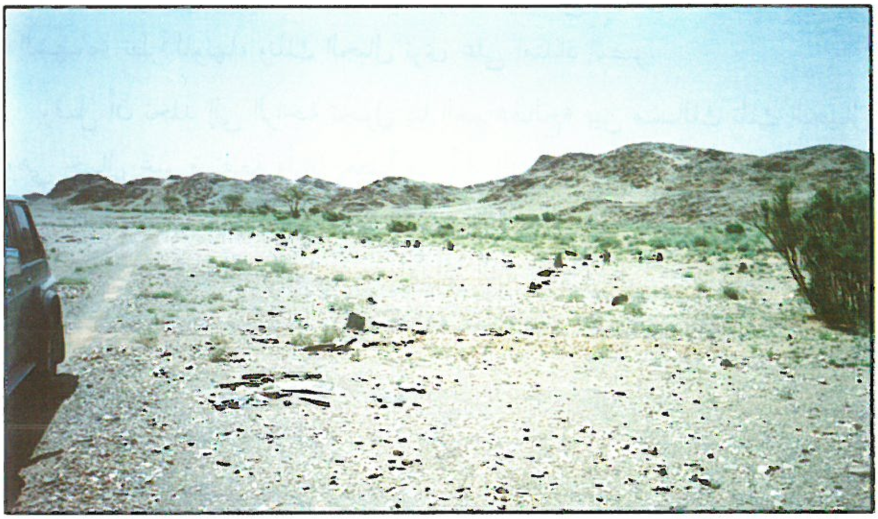

رقم (١٩) : *آثار مساكن ومقبرة في «أم راكة» بمنطقة الكلاب قديماً .*

إنه رجل مجرب عركته الحياة، وهو متوقد الذهن رغم كبر سنه كنت أقدر عمره سبعين سنة، ولكنه صارحني بأن عمره فوق التسعين عاماً.

كان نشيطاً في حركته وتسلقه التلال ليرينا حفر المناجم.

ولا أخفي أنه كان بالنسبة لي صيداً ثميناً نظراً لنشأته منذ نعومة أظفاره في هذه الناحية مما جعله عارفاً لمساربها وخفاياها، ولم تقتصر معرفته في مكان سكناه ومايحيط به من الديار فلا أكاد أسأله عن موضع في نجد إلا كان ملماً به إلماماً تاماً.

لقد استفدت من هذا الرجل ومن الشيخ عبدالله اليابس حول بحثي هذا الشيء الكثير.

حاولت أن أنهي قيلولتنا في وقت مبكر لأن هناك أموراً يجب أن أتمها آخر النهار فقفلنا عائدين من حيث أتينا. وعند مدخل المخناق صار الطريق إلى

بلدة «نخيلان» علي يميننا فاستأذنت من مضيفينا بأن نفترق من هذا المكان.

فودعناهم شاكرين لهم حسن الضيافة والقيافة. وبذلك صار أعضاء الرحلة الآن اثنين فقط: الأستاذ سعد الشعيلان وكاتب هذه السطور.

توجهنا إلى بلدة نخيلان بل إلي «قِدَّة قديماً» وبعد التزود بالوقود سألنا عن الطريق الترابي الذي يتجه إلى طريق «الحجاز ـ الرياض» تاركاً جبال العرض على يساره لينفذ من خلال أعالي وادي السرداح.

وقد حرصت على أن نسلك هذا الطريق لتصوري أنه الطريق الذي سلكه فرسان بني تميم حينما هبوا لاسترداد نَعَمِهم وملاقاة عدوهم.

ولما كنا نسير الآن في منطقة «قِدَّة» والجبال تحيط بنا من جميع الجهات فقد تساءلت عن صحراء قدة التي قِيل: إن «ذا العينين» شاهد فيها نَعَم بني تميم وسبر غورهم وأخبارهم فسارع لإخبار مذحج ومن شايعها للإغراء بهم واستغلال ضعفهم وانطراحهم في قِدَّة.

نحن الآن خارجون من نخيلان باتجاه الجنوب تاركين جبال العرض الشامخة على يسارنا. ولم نسر إلا بضعة أكيال حتى خرجنا على صحراء واسعة أرضها أشبه ماتكون بالعبلة وهذه الصحراء هي أعالي وادي السرداح تكثر فيها مجاري السيول والشجيرات غير العالية.

توقفنا قليلاً في تلك الصحراء المشرفة على وادي السرداح من الشمال كنت أتخيل قبل مجيئها أن أعالي السرداح الشمالية عبارة عن جبال ومرتفعات عالية ولكن من المشاهدة على الطبيعة تبين أنها عبارة عن صحراء واسعة مما جعلني أرشحها بأن تكون هي صحراء قِدّة.

وهذه الصحراء واقعة غربي جبل العتيبي، وريع المشعر.

أنظر إلى صور تلك الجبال وهذه الصحراء الصور رقم (٢٠) ورقم (٢١) ورقم (٢٢).

رقم (٢٠) : منظر : من صحراء «قِدَّةَ الواقعة جنوبي «نخيلان» وتُرى قمتا ابني شمام .

رقم (٢١) : منظر : من صحراء «قِدَّة» ويرى جبل العتيبي أحد جبال القدّ .

رقم (٢٢) : *منظر من صحراء «قِدّة» ويرى جبال «ربع المشعر» جزء من جبال القِد .*

وهذا يعني أن السرداح قريب من قِدّة، والكُلاب التي سكنها وتخفى فيها بنو تميم.

وقد ذكر أن «السرداح» من بلاد بني تميم حيث أورد البكري ـ رحمه الله ـ : (سِرْدَاحُ: بكسر أوله وإسكان ثانيه.. موضع في ديار بني تميم وقد تقدم في رسم الدارات) وقد أسلفت الكلام حول هذا النص واستعرضت أقوال من قدحوا فيه واعترضوا على أن يكون السرداح من بلاد بني تميم).

ولكني أقول بعد المشاهدة والمعاينة بأن قول البكري هذا صائب، ولا أستبعد أن تكون إبل بني تميم أخذت وهي ترعى في هذا الوادي أو أحد الأودية المجاورة له كوادي «أبا الجرفان» ، ووادي الرويضة.

فارجع إلى ماقلته بهذا الصدد عندما تكلمت عن وادي «السرداح».

نحن الآن بعد العصر والوقت يمر بسرعة ولازال أمامنا عمل لإكماله حيث

بقى علينا إتمام التحري عن وادي «ذي خشب» حيث أسدلنا الستار عليه عندما أسدل الليل ستاره بالأمس ونحن نتحسس الخشب جنوب «الرويضة» متتبعين مجاري وادي «أبا الجرفان» الذي قيل: إنه هو وادي ذي خشب.

ولا أخفي أنني كنت أميل إلى الأخذ بهذا القول، ولكن الجزم بذلك يفتقر إلى تطبيق النصوص الواردة بشأنه تطبيقاً مقنعاً حتى لايكون تحديدنا له مبنياً على الظن والتخمين.

ولعلنا بما تبقى معنا من سويعات من رحلتنا هذه نعرج على أعالي وادي «أبا الجرفان» لأننا الآن لسنا بعيدين عنها.

أعالي أبا الجرفان :

عند وصولنا إلى الطريق العام المزفت ـ طريق الرياض الحجاز ـ نعتبر خلفنا صحراء قدة وراءنا فسرنا مع الطريق باتجاه الغرب وبعد أن جاوزنا مجرى وادي «السرداح» ونفذنا بين جبال يقال لها «أم القلات» اعترض لنا مجرى وادي أبا الجرفان، ومن قرية «الشرمية» أخذنا ذات اليمين باتجاه الشمال مع بطن الوادي متجهين إلى أعاليه.

وعندما حاذينا نخيل ومزارع «خنيفسة» اتجهنا غرباً مع شعيب «خنيفسة». لقد زرت أعالي شعيب خنيفسة من الغرب في رحلة استكشافية سابقة زرت خلالها قرية خنيفسة لأرى هل تطل على وادي أبا الجرفان أم لا.

وعند وصولي إليها وجدتها في مكان منخفض لاتطل على شيء وعندما سألت أحد أصحابها من كبار السن قال: إن خنيفسة هذه ليست خنيفسة القديمة فالذي أنشأ هذه هو والدي، أما خنيفسة القديمة فاسمها الآن «أم نخلة» وتقع شرقاً من هذه. ولم أعثر عليها آنذاك فأرجأت البحث عنها.

أم نخلة :

واليوم قدمنا إلى شعيب خنيفسة من أسفله عسى أن نعثر على «أم نخلة» وهي كما يقال ماء «الخنفس قديماً» الذي قال عنه الهمداني:

(والخنفس وخلص مشرفتان على الرهط، ووادي ذي خشب وهو فرع العرض يدفع فيه الأجرعان[1]).

انتهينا إلى مزرعة في الوادي وبعد سؤال صاحبها واسمه عبدالله بن سيف بن نصار تردد في البداية، وبعد تعريف أنفسنا له اطمأن وتغلبت أريحيته وأبدى استعداده لمصاحبتنا وإيقافنا على «أم نخلة» ـ الخنفس قديماً.

فسلك بنا مجرى الوادي وأوقفنا عند آثار بئر قديمة حولها نخيلات لم تستصلح.

وبعد تفحص المكان والتدقيق في كونها تشرف على وادي أبا الجرفان لم يتضح لي شيء من ذلك لبعدها عن مجراه يضاف إلى ذلك أنه يحول بينها وبين مجرى أبا الجرفان مرتفعات جبلية الأمر الذي جعل السؤال: أين يقع وادي ذي خشب؟ قائماً.

إن نص الهمداني هذا كان بمثابة السهم الأخير الذي نصوبه لاصطياد وادي ذي خشب ولكن يظهر أن سهمنا هذا تحول إلى مجرد عسيب من عسب «أم نخلة».

وانظر إلى صورة أم نخلة الصورة رقم (٢٣).

ورغم هذا الطريق المسدود فلم أيأس وأنه لابد من إعادة النظرفي النص الذي أمامنا فقد يكون له مفهوم آخر غير مافهمناه خاصة وأن الهمداني ـ رحمه الله ـ يغلب على أسلوبه في سرد المواضع عدم الترابط وكثرة الجمل الاعتراضية التي تقطع استرساله في الكلام مما قد يوقع القاريء في اللبس أحياناً.

---

(١) صفة جزيرة العرب: ٢٩١.

رقم (٢٣) : منظر : أم نخلة «خنيفسة» وهي ماء الخنفس قديماً .

لا أدري السبب الذي حال بيننا وبين التعرف على ذي خشب حيث غابت الشمس يوم الأمس الأربعاء دون العثور له على أثر، وها نحن اليوم الخميس أوشكت الشمس على المغيب من وراء ستار الشريف دون الحصول على خشبة واحدة من خُشُبِه نتمسك بها ونتوكأ عليها للاستدال عليه.

وسنسدل الستار على هذا الموضوع مؤقتاً للمرة الثانية. كما سنكتفي في رحلتنا هذه بما قلناه وحققناه. على أنه لابد لنا من رحلة أخرى نتعرف من خلالها على أعالي وادي الخنقة القادمة من «الشريف» وجنوب «مأسل الجمح».

الرحلة الميدانية الثانية

في يوم الخميس ١٤١٣/١١/١٥ هـ قمت برحلة الغرض منها معرفة الأراضي التي تجري فيها أعالي وادي الخنقة. وكان يرافقني في هذه الرحلة الأستاذ صالح بن عثمان المقري.

ووادي الخنقة يتكون من شعاب كثيرة تتجمع في فرعين رئيسيين هما:

خنقة عروى، وخنقة التِّنِّيَّة. وهذان الفرعان يلتقيان بالقرب من «المخناق» بين بلدتي نخيلان، ومرقان.

ولكل من هذين الفرعين شعاب تدفع فيه.

عند وصولنا إلى بلدة «عروى» الواقعة في أعالي وادي الخنقة لاحظنا أن فروع خنقة عروى الغربية تلتقي عند بلدة عروى وهضبتها.

وعندما خلفنا عروى ونحن سائرون باتجاه الشرق محاذين لمجرى الوادي من الناحية الشمالية كان أول شعيب يدفع فيه وادي «وثيلان» ثم شعيب «طينان» ثم «مجحود» ثم «الحصى المركز» وشعيب «أم راكة».

ويدفع فيه من ناحيته الجنوبية شعيب ساحب وسويحب، وشعيب مويسل، وهناك بعض الشعاب الصغيرة التي تدفع فيه على طول مجراه.

إن المسافة بين عروى وبين نخيلان حوالي أربعين كيلاً والمنطقة الواقعة بينهما على امتداد جنبتي الوادي تتكون من جبال ليست عالية يتخللها شعاب وتلاع كثيرة أرضها منبات تكثر فيها الأشجار وأنواع العشب.

كما تنتشر في سفوح جبالها آثار التعدين القديمة، وقد تميزت تلك الجبال

بلون خاص يميزها عن الجبال الأخرى. وأعزو ذلك إلى كثرة وجود المعادن فيها وقد أطلق عليها المتأخرون اسم «الشهباء».

كان طريقنا يمر على «أم راكة» فقضينا بعض الوقت للراحة والتجول بين آثار التعدين الموجودة فيها. وسرنا متتبعين لمجرى وادي «خنقة عروى» حتى ملتقاه مع وادي «خنقة التنية» بالقرب من المخناق.

والتنية :

هو الفرع الثاني لوادي «الخنقة» وأكبر روافد «التنية» واديان هما: وادي التنية: وسمي بهذا الاسم لوجود مورد ماء في أعلاه يسمى «التنية» فسمي الوادي باسمه ويمكن الاهتداء إلى هذا الماء بوجود أثلة كبيرة حوله بالقرب من جبل «بدن» انظر إلى صورة التنية المنظر رقم (٢٤).

رقم (٢٤) : ماء «التنيّة» وحوله الأثلة، وترى هضبة «عروى» من جهة الجنوب.

أما الرافد الثاني لوادي التنية فهو: وادي «السديري» وتأتي أعالي هذا الوادي من جهات جبل مأسل الجمح.

ويميز هذا الوادي بإضافة الأحاوي فيقال «سديري الأحاوي» للتفريق بينه وبين مثيليه: السديري الأخضر، والسديري الأسفل.

وسبق أن تجولت في واديي السديري الأخضر، والأسفل. أما سديري الأحاوي فلا أعرف مجراه، وحيث أني في الرحلة السابقة سألت العم «فالح» عن الأماكن التي يكثر فيها نبات «المرار» فذكر لي أنه يكثر في مفيض الخنقة وفي أعالي وادي السديري، حيث كنت مهتماً من هذا الموضوع.

ولما كان محل إقامة العم فالح لايبعد عنا كثيراً فقد استحسنت زيارته وسؤاله عن وادي السديري هذا الذي قال إنه من الأماكن التي يكثر نبات المرار في أعاليه. وقد وصف الوادي وصفاً واضحاً، فقال إنه في السنوات الأخيرة أقيم في أعلاه في جنوبي جبل مأسل سدّ ترابي إذا سال الوادي كون هذا السد مايشبه البحيرة أما المرار فقد أكد لي أنه يكثر في أعالي هذا الوادي، وأنه في إحدى السنوات الماضية ملأ هو وأخوه غاراً كبيراً من حشيش المرار، وقد وصف لنا مكان هذا الغار حيث يقع في أنف جبل على ضفة الوادي الشرقية.

كما أضاف أن نبات المرار يكثر في مفيض وادي «الخنقة» وذلك عندما يفيض من جبال العرض إلى رمال «الدغابيس ـ أو الدغيبيس» و«مبهل».

وقال لي إن نبات المرار ينبت مع نزول مطر «الوسم» وهو المنبت للفقع حيث يكثر هذا النبات مع الصفّار، والعضيد.

ووصف نبات المرار بأنه ذو زهرة يكون فيها مايشبه الشوك تأكله الإبل ولكن طعمه مر، وتلاحظ مرارته في ألبانها.

وحيث كان وصفه واضحاً لوادي السديري فقد اهتدينا إليه في طريق العودة فمشينا معه باتجاه أعاليه مما يلي جبل مأسل وعند الوصول إلى السد الترابي الذي ذكره وجدناه مليئاً بمياه السيول.

انظر إلى صورة منظره البديع الصورة رقم (٢٥).

كما عثرنا على الغار الذي قال إنه ملأه بنبات المرار وهو غار كبير ظليل يصلح لمحبي الرحلات.

والآن إليك ما استوحيته من هذه الرحلة والرحلة التي سبقتها:

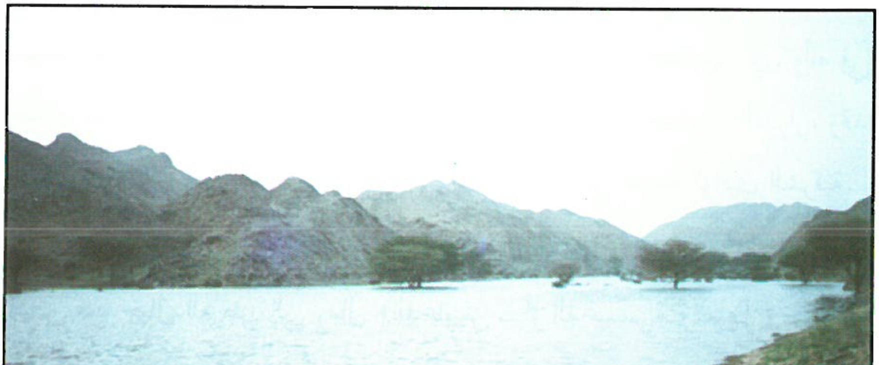

رقم (٢٥) : منظر : المياه المتجمعة في سد وادي «سديري الأحاوي» في الجهة الجنوبية الغربية من جبال «مأسل الجمح».

نتائج الرحلات الميدانية

إن الوقوف على المواضع ومشاهدتها عن كثب سواء كانت هذه المواضع جبالاً، أو أودية، أو موارد مياه تعطي الباحث تصوراً أدق، وفهماً للنصوص أعمق.

ومن تجولي بين جبال العرض من شمالها إلى جنوبها، ومن غربها إلى شرقها، وكذلك تتبعي لمجاري الأودية والشعاب أصبح لدي تصور يختلف عما كنت أتخيله عند قراءتي للنصوص وأبيات الشعر العربي التي ذكرت تلك المواضع ومن هذه التصورات:

التصور الأول ـ العرض أو الأعراض :

من الأمور المتداخلة «الأعراض» حيث تطلق مرة على أودية، ومرة أخرى تطلق على جبال.

ويحسن هنا أن نلقي نظرة على النصوص التي تحدثت عن العرض، أو الأعراض:

١ ـ يقول صاحب لسان العرب في مادة «عرض»:

(والعِرْضُ: الجماعة من الطَّرْفَاءِ، والأثل، والنَّخْل ولايكون في غيرهن، وقيل: الأَعراض: الأثل، والأراك، والحمض..

والعرض واد باليمامة؛ قال الأعشى:

ألم تَرَ أنَّ العِرْضَ أصبح بطنه نخيلاً وزرعاً نابتاً وفَصَافصَا؟..

.. وقيل: كل واد عِرْضٌ، وجمع كل ذلك أعراض..

ويقال للجبل عَارِضٌ، قال أبو عبيدة: وبه سمي عارض اليمامة.

قال: وكل وادٍ فيه شجر فهو عرض

ويقال: أخصبَ ذلك العرضُ، وأخصبت أعراض المدينة وهي قراها التي في أوديتها، وقيل: هي بطون سوادها حيث الزرع والنخيل.

والأعراض قرى بين الحجاز واليمن). انتهى باختصار.

٢ ـ ويقول ياقوت الحموي:

عَارِضٌ: بالراء ثم الضاد المعجمة، عارض اليمامة،

والعارض: اسم للجبل المعترض، ومنه سمي عارض اليمامة وهو جبلها.

وقال الحفصي: العارض جبال مسيرة ثلاثة أيام، قال: وأوله خزيز وهو أنف الجبل،

قال أبو زياد: العارض باليمامة، أما مايلي المغرب منه فَعقَابٌ وثنايا غليظة، ومايلي المشرق، وظاهره فيه أودية تذهب نحو مطلع الشمس، كلها العارض هو الجبل.

قال: ولانعلم جبلاً يسمى عارضاً غيره.

وطرف العارض في بلاد بني تميم في موضع يسمى القرنين فَثَمَّ انقطع طرف العارض الذى من قبل مهب الشمال ثم يعود العارض حتى ينقطع في رمل الجزء، وبين طرفي العارض مسيرة شهر طولاً ثم انقطع.. إلخ[1]).

ويقول في موضع آخر:

---

(١) معجم البلدان: ص ٦٥/٤ .

العِرْضُ: ... قال الأزهري: العِرْضُ وادي اليمامة، ويقال لكل واد فيه قرى ومياه عِرْضٌ، وقال الأصمعي: أَخْصَبَ ذلك العِرْضُ، وأخصبت أعراض المدينة وهي قراها التي في أوديتها، وقال شمّر: أعراض المدينة بطون سوادها حيث الزرع والنخل، وقال غيره: كل واد فيه شجر فهو عرض..

.. وقال نصر: العرضان واديان باليمامة، وهما عرض شَمَام وعِرْضُ حَجْر، فالأول يصب في برك وتلتقي سيولهما بجوّ في أسفل الخِضْرِمَةَ فإذا التقيا سميا مُحَقَّقاً..[1]) . انتهى باختصار.

ولما كان مجال كلامنا يدور حول عرض شمام فنقول:

من قول نصر المتقدم نفهم أن عرض شمام واد،

وسمي عرض شمام لأن سيل فروعه الكبيرة تتجمع في مجرى واحد يمر بمحاذاة ابني شمام ونجد الأصفهاني يقول: (وابنا شمام: بالسود يدفع عليهما عرض السّوْد. وهو غير عرض اليمامة[2]) .

ومن هذا القول نفهم: أن عِرْضَ السّوْد يمر على ابني شمام اللذين يقعان بالسّوْد.

وسمي بالسود لسواد جباله المتصل بعضها ببعض.

وهذا الوادي الذي نتكلم عَنه له عدة أسماء لأن كل قبيلة تحل فيه تحاول أن تطمس المسمى الذي سمته به القبيلة التي سبقتها على سكناه ولذا نجد أنه يسمى قديماً: بعرض شمام، وعرض السود.

وهناك مسمى ثالث أُطْلِقُه عليه نتيجة لهذا البحث وهو: وادي الكلاب.

---

(١) معجم البلدان : ص ١٠٢/٤ .

(٢) بلاد العرب : ص ٢٣٦ .

ويظهر لي أن من أطلق عليه هذا المسمى هم بنو تميم عندما سكنوا تلك الناحية.

أقول هذا الرأي وإن خالف من استبعد وجود بني تميم وسكناهم في تلك الديار، وأدلل على ذلك بأمور منها:

١ ـ إن مساكن بني تميم متفرقة في أنحاء الجزيرة العربية، في شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ووسطها.

٢ ـ فمن بين مساكن بني تميم في وسط عالية نجد المساكن التالية:

أ ـ لهم غالبية بلدان الوشم، وقيل عُظْم بلاد تميم الوشم(١).

ب ـ وإذا ما أوغلنا جهة الغرب نحو عرض شمام نَجدُ أن لبني تميم منازل في غربي صحراء «المرُّوتِ» وعندما تكلم الشيخ حمد الجاسر عن المروت قال:

(ثم تمتد غرباً حتى تشمل الجله جنوب نفود السِّرّ، والأراضي الواقعة غرب جنوب نفوذ السِّرّ حيث سُوْفَةَ والحرملية، أما جانبها الجنوبي فيضيق حيث تتقارب سفوح جبال العرض الشرقية وسفوح جبال العارض الغربية، وتلك الصحراء بهذا التحديد تشمل الهلباء وحائل (حذْباء قِذْلة) وفي المروت أودية ومياه وآكام وأراض منبسطة.

وقد حدد الشيخ منطقة المروت تحديداً دقيقاً؛ ثم أورد قول صاحب لسان العرب في رسم (مرت):

المروت بلد لباهلة، وعزاه الفرزدق والبعيث إلى كُلَيْب ثم أورد شواهد من شعرهما وبنو كليب بن يربوع من تميم، والواقع أنَّ باهلة وبني كليب لايختصان بالمروت بل تشاركهما فروع قبائل أخرى من حِمَّان من تميم،

---

(١) بلاد العرب : ص ٢٧٤ .

ومن بني نمير وبني قشير فقد ورد الخبر أن الرسول ﷺ أقطع حصين بن مُشْمِتٍ ـ وهذا حِمَّاني تميمي مياهاً في مروت منها أهوى، وأصيهب، والسدِيرة، والماء الأخير لايزال معروفاً ولوقوع المرُّوْت متوسطاً بين بلاد تميم من الجنوب حيث الوشم وفروع بني عامر كبني قشير من الشرق والجنوب وكبني نمير من الغرب وكذا باهلة من الغرب التي تقدم امتداد بلادها إلى سُوفَةَ من هنا كان هذا الموضع مشتركاً بين تلك القبائل[1]) انتهى كلامه.

أقول مما تقدم: تبين لنا أن لبني تميم منازل شرقي جبال «العرض» وهذه المنازل ليست بعيدة من أسافل وادي «الخنقة» ـ وادي الكلاب عندي ـ

وهناك أدلة قوية تدل على أن لبني تميم منازل داخلة في جبال العرض وفي منطقة «الشريف» من هذه الأدلة :

ج ـ ماء الحَشْرَج : وهو عِدٌ قديم ماؤه حلو واقع فِي طرف عرض شمام من الناحية الشمالية وبالتحديد جنوب غرب هجرة «الحُفيْرة» الواقعة جنوب شرق مدينة الدوادمي ويسميه سكان المنطقة «الحسرج» بالسين.

ومما يؤيد القول بأن هذا الماء كان لبني تميم أو أنهم يتواردونه مع جيرانهم من بني نمير وباهلة ما أورده الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ حيث قال وهو يتكلم عن الحشرج: (هو منهل في شرق «الشريف» يقع بين الدوادمي وعرض شمام، وهذا المنهل اختلط في اللفظ به لغتان: لغة بني تميم ولغة بني عامر. واللغة باقية إلى هذا العهد لأنهما يتناوبان وروده فمن أخذ بلغة بني تميم قال (الحشرج) ومن أخذ بلغة بني عامر قال: (الحسرج) وقد قال الشاعر بلغة تميم:

فلثمت فاها آخذاً بقرونها   شرب النزيف بِبَرْد ماء الحَشْرَج[2]

---

(١) كتاب باهلة : ص ١٧٣ .

(٢) صحيح الأخبار : ص ٥٥/٣ .

د ـ أورد الهمداني قول الجرمي الذي نصه :

(الشُّرَيْف الذي ينسب إليه عقبان الشريف لبني تميم)[1].

هـ ـ وقد يوغل البعض بمنازل بني تميم حتى غربي الشريف، وغربي عرض شمام نفسه.

حيث نجد محقق ديوان دريد بن الصمة من سلسلة ذخائر العرب إصدار دار المعارف يقول:

شارحاً بيتي دريد:

فإنّا بين غَوْلٍ لن تَضلُّوا   فَحَائِلَ سُوفَتَيْنِ إلى نِسَاحِ
فَدَارة مِحْصَنٍ فَبذي طُلُوحٍ   فَسِرْدَاحِ المَثَامِنِ فالضواحي

عن كتاب المشترك وضعاً ص ١٧٤ ، وقال: هي في منازل بني تميم بطرف ثَهْلاَن الأقصى.

وحول بيتي لبيد في الديوان وشرحه للدكتور عمر عبد رب الرسول:

جاء في البيت الأول «سوقتين» ولعله مثنى سوقة.

أقول هذه الكلمة حصل فيها تصحيف وصحتها «سوفتين» بالفاء ويطلق عليها في الوقت الحاضر «سوفة» بالإفراد.

وهي قارة واقعة في صحراء حدباء قذلة شمال شرقي «القويعية» شرق بلدة «الحرملية».

تبدو من البعد كأنها قارتان أما إذا قربت منها فإنها تبدو قارة واحدة لها رأسان ولم يخطيء من أطلق عليها أياً من الاسمين. انظر إلى صورتها رقم (٢٦).

(١) صفة جزيرة العرب : ص ١٩٥ «تحقيق محمد بن بليهد» .

رقم (٢٦) : منظر : هضبة «سوفة» .

وحول «ذي طلوح» يقول محقق الديوان:

(ذو طلوح: واد لبني ثعلبة بين الخشبة وبين حرة النار) .

أقول: ما أبعد حرة النار عن تلك المواضع التي جمع بينها دريد في بيتيه وقد غاب عن محقق الديوان أن ذا طلوح يطلق على عدة مواضع، وما أشار إليه دريد هنا هو ذو طلوح الواقع في عرض شمام بين السرداح وسوفتين.

وعلى كل فلن أعول على قول من قال: إن دارة محصن: في منازل بني تميم بطرف ثهلان الأقصى.

لأني أميل إلى أن صحة النص: (في منازل بني نمير بطرف ثهلان الأقصى) .

وقد لانحتاج إلى هذا النص في إثبات أن لبني تميم منازل في تلك الناحية من عالية نجد فلدينا من النصوص مايغني عن ذلك.

على أن نهاية معركة بني تميم مع مذحج في يوم الكلاب الثاني دارت شرقي جبل ثهلان قريباً من دارة محصن هذه أي بالقرب من هضاب مجيرات، وحذنة، وتيمن.

أما تعريف المحقق للسرداح بقوله موضع في بلاد بني تميم.

فهذا هو القول الصحيح وقد أورد هذا القول البكري وتكلمت عن هذا النص فيما سبق وناقشت رأي من قدح بهذا القول.

وعندما عدَّد الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» بلاد بني تميم قال من بينها:

(وذو خشب ومعشر وعائرة والبديُّ من بلد بني عامر[1]) أي أن تلك المواضع الواقعة في بلاد بني عامر هي من منازل بني تميم، وكثيراً ما تتداخل قبائل العرب في منازلها.

ومعروف أن ذا خشب قريب من الكلاب والبدي في بلاد بني عامر أما معشر، وعائرة فغير معروفين في وقتنا الحاضر.

ز ـ ذو خشب والبدي واقعان غربي ابني شمام والكلاب الذي هو قِدَّة. أما شرقي وشمالي العرض فقد قلنا إن هناك ماء الحشرج الذي كان بنو تميم، يردونه وكذلك ماء «جراد» الذي قال عنه ياقوت الحموي.

---

(١) ص ٣٣٥ .

(جُرَادُ: مـاء في ديار بني تمـيم عند المـروت كـانت به وقـعـة الكلاب الثانية..[1]).

أقول: إن قول ياقوت عن ماء جراد إنه ماء لبني تميم فهذا قول صواب، أما قوله إنه كـانت به وقعة الكلاب الثانيـة فـلا وجه لذلك؛ ومعروف أن «يوم المروت» غير يوم الكلاب الثاني. إلا إذا كان قصد بهذا القول ملاحقة بني تميم لفلول المنهزمين.

ح ـ ونقرب كثيراً بمنازل بني تميم من وسط مجرى وادي «الخنقة» ـ الكلاب عندي ـ فنجد فيه منزلاً لبني تميم وهو المنزل الذي تكلمت عنه في الرحلة الميدانية حيث أثبت أن لأحد الأسر التميمية التي نزحت إلى ضفاف الخليج العربي آثار منازل لازالت موجودة عند مفيض وادي «النسق» في وادي الخنقة عندما يفيض من مخناقه بقليل وقبل أن يفيض في «حدباء قذلة».

ط ـ وإذا مادخلنا المخناق من أسفله وخرجنا منه نجد ملتقى فروع الخنقة.. وهو بطن واسع غزير المجرى تغطيه أشجار الطرفاء وأحد فروعه الكبيرة وهو «خنقة عروى» قادم من جهة الغرب إلى الشرق وقبل أن يحاذي بلدة نخيلان ينعرج باتجاه الشمال باتجاه المخناق ليندمج مع «خنقة التنية» ويعبران معاً مع المخناق في مجري واحد. ونخيلان الواقعة على ضفاف هذا الوادي هي التي قلنا إنها ماء قِدَّة قديماً وهي أحد الماءين الذين ذكرهما الهمداني باسم نخيل ونخلة وقال إنهما ماءان لبني تميم ويمكنني القول بأن وادي الكلاب هو:

هذا البطن الواسع الذي تتجمع فيه تلك الأودية وبدايته من جنوب نخيلان حتى يعبر مع المخناق ويستمر في جريانه حتى يفيض من الجبال شرقاً.

---

(١) معجم البلدان : ص ١١٦/٢

ولعلي أعضد ماتوصلت إليه بأدلة استوحيتها من الشعر العربي الذي هو مرجعنا في حالة غيبة النصوص من أقوال البلدانيين.

الدليل الأول: بيت لشاعر من بني نمير يقول فيه:

فلما بدت عَرْوى وأجزاع مأسل   وذو خُشُب كاد الفؤاد يطيرُ

لعلنا نستدل من هذا البيت على موضعين هامين لهما علاقة بالكلاب هما: مأسل، ووادي ذي خشب. أما عَرْوَى فمعروفة وقد تكلمنا عنها بما فيه الكفاية.

فأقول: هذا الشاعر النميري لاأشك بأنه قدم من سفر طالت فيه غيبته عن ديار قومه وعندما علا نشزاً من الأرض تراءت له ثلاثة مواضع هي:

عروى، وأجزاع مأسل، وذو خشب.

فأول هذه المواضع وهي «عروى» معروفة أما الموضعان الآخران فإليك ما أميل إليه بشأنهما:

أجزاع مأسل :

هناك عدة مواضع تسمى بمأسل ولكن يظهر أن الشاعر يقصد مأسل القريب من عروى حيث قرنه بها، وبقرب عروى موضعان بهذا المسمى هما: مأسل الجمح الواقع شمال عروى، ومأسل جأوة باهلة الواقع عنها جهة الجنوب الشرقي غير بعيد منها.

وأستاذنا سعد بن حنيدل قال في معجمه «عالية نجد» في رسم «عروى» عندما علق على هذا البيت من الشعر:

(قلت : مأسل ماء لايزال معروفاً شمال عروى، غير بعيد منها). انتهى.

ولكن يبدو لي أن الشاعر لم يقصد ماء مأسل الجمح الواقع شمال عروى لأنه في واقع الأمر لايشاهده لكونه ماء داخلاً في جوف واد بين جبال وليس جبلاً يرى مع أن الأجزاع لاتنسب إلى الماء.

كما أجده عندما أورد هذا البيت من الشعر في رسم «مأسل» يقول:

(عروى: هضبة حذاء مأسل، بها جأوة باهلة، وهذا الشاهد ينطبق على مأسل جاوة) ولكن قوله بعد ذلك:

(والواقع أن جمح مأسل وهضبة عروى وهضبة ذي خشب يحاذي بعضها بعضاً، جمح مأسل في الشمال وعروى في الوسط، وذو خشب في الجنوب وهي متقاربة).

هذا الكلام يوحي أنه يرى أن مأسل الوارد في بيت النميري هو مأسل الجمح.

وعندي أن هذا الشاعر النميرى لم يقصد مأسل الماء أو مأسل الجبل بدليل أن الأجزاع لاتنسب إلى الجبل وإنما تنسب للوادي، وماحول جبل مأسل الجمح من الهضاب لايطلق عليها أجزاعاً، وإنما تسمى أخراباً؛ بدليل قول الشاعر:

فهل أشرفن الدّهر أخراب مأسل ضُحَيًا ولبدي فوق مُطرَّد نهد[1]

وعلى كل فالشاعر رأى مأسلاً متمثلاً في أجزاعه فإذا عرفنا ماذا تعني كلمة الأجزاع عرفنا مأسل الذي أضيفت إليه الأجزاع.

معنى الأجزاع في اللغة :

مما قاله علماء اللغة: الجزع: جانب الوادي، وقيل الجزع قطعك للوادي.

(١) انظر : أبو علي الهجري وأبحاثه : ص ٣٦٣ .

وقيل: لايسمى جزع الوادي جزعاً حتى تكون له سعة تنبت الشجر وغيره ولعلي أستشهد بقول لبيد:

حفزت وزايلها السراب كأنها ... أجزاع بيشة أثلها ورضامها

يقصد هنا مايشاهد من أثل ورضام أجزاع بيشة.

ولحم مجزّع، ومجزِّع: فيه بياض وحمرة. ونوى مجزّع إذا حك جانبه وترك الآخر تشبيهاً بالجزع.

وتعريفات الجزع يطول ذكرها فارجع لها هناك في معاجم اللغة.

من هذا أقول :

إن هذا الشاعر النميري قدم إلى جهة «عروى» من الشمال، ومن الشرفة بدت له هضبة عروى سامقة.

وشاهد معها أجزاع مأسل أي منعطفات وادي مأسل المسمى في وقتنا الحاضر مويسلاً بالتصغير، وهو بلاشك لم يشاهد الوادي من بعد ولكنه شاهد أجزاعه وهي عبارة عن هضيبات في أعلى الوادي وكذا شاهد الأشجار على طول مجراه من أثل وغيره وهذا المفهوم احتمال قوي وقد شبه لبيد بن ربيعة العامري في البيت السابق وهو أحد أبيات معلقته شبه الظُعْنَ وهي سائرة في الظهيرة يحركها السراب بأجزاع بيشة أثلها ورضامها وقبل هذا البيت من المعلقة:

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الحيِّ حينَ تَحَمَّلُوا ... فتكَنَّسوا قُطُناً تَصِرُّ خيامُها

من كلِّ مَحْفُوفٍ يُظِل عصيَّهُ ... زَوْجٌ عليه كِلَّةٌ وقِرَامُهَا

زُجَلاً كأنَّ نعاجَ توضحَ فوْقَهَا ... وظباءَ وجرَةَ عُطَّفاً آرامُهَا

حُفِزَت وزَايَلَهَا السَّرَابُ كأَنهَا ... أَجْزَاعُ بِيشَةَ أَثْلُهَا وَرُضَامُهَا

مع أني عندما زرت «مويسلاً» شاهدت حوله عدداً من الهضيبات المتناثرة هنا وهناك وشكلها ملفت للنظر ويندر وجود مثلها حيث أن حجارة تلك الهضيبات شكلها جميل منها الأبيض الناصع، والأحمر القاني فهي تشبه الجَزَع فعلاً ومن المحتمل أن يكون القدماء أطلقوا عليها الأجزاع ونسبوها إلى مأسل لهذا السبب وهذا احتمال غير مستبعد.

ولكني أميل أكثر إلى أن الشاعر قصد المعنى الأول وهو الرضام والأشجار حول الوادي. وأنا في هذا المفهوم اتفق مع قول مؤلف «عالية نجد» عندما تكلم عن هذا البيت الذي أورده أبو علي الهجري حينما قال معلقاً: «وهذا الشاهد ينطبق على مأسل جأوة».

ومن يقبل على «عروى» من الشمال يشاهد تلك الشواخص حول مأسل جأوة وواديه. وقد رتبها الشاعر حسب رؤيته من اليمين: عروى، ثم أجزاع مأسل، ثم ذو خشب. وهنا نصل إلى عقدة بحثنا هذا وهي «ذو خشب» حيث لم نجد لتلك العقدة حلاً.

وفيما يلي سأحاول حل هذه العقدة إن شاء الله.

ذو خُشُب

سبق أن تكلمنا عن ذي خشب وأوردنا كلام علماء البلدان قديماً وحديثاً حوله ويمكنني إيجاز خلاصة ماقيل بشأنه فيما يلي :

١ ـ قال البكري : (ذو خشب: موضع يتصل بالكلاب)

وقد توصلت إلى أن الكلاب هو المنطقة الواقعة غرب وجنوب ابني شمام وفي تلك المنطقة يجري وادي الكلاب ثم ينحدر من هذه المرتفعات نحو الشرق وعلى هذا يكون ذو خشب متصلاً بالكلاب من ناحيته الغربية.

٢ ـ قال الهمداني : (والخنفس وخَلْص مشرفتان على الرهط ووادي ذي خشب).

لم يبق لنا معروفاً من هذه المسميات سوى «الخنفس» الذي قيل إن ماءه هو مايسمى في وقتنا الحاضر «أم نخلة».

والخنفس واقع غربي الكلاب غير بعيد منه و ذو خشب بلاشك مجاور له.

٣ ـ ويفهم من شعر طفيل المغنوي أن ذا خشب مجاور للكلاب بدليل قوله مخاطباً زيد الخيل:

ولو خفناك ماكُنّا بِضُعْفٍ بذي خُشُبٍ نُعَزِّبُ والكُلاب

٤ ـ وقال الهمداني :

(ستار الشريف الذي في طرف ذي خشب فوراءه العبلاء والزَّعَابة ثم مأسل جأوة)

لقد حددت «ستارِ الشريف» بأنه تلك المرتفعات الجبلية المنقادة من هضبة

عروى غرباً ثم تنعرج تدريجياً باتجاه الجنوب.

وعلى كل فتلك المواضع التي ذكرها الهمداني متقاربة ينظر بعضها إلى بعض، وإذا قلنا إن ذا خشب مجاور للكلاب فهو إذاً واقع عن طرف ستار الشريف شرقاً، وستار الشريف واقع في طرفه الغربي.

٥ ـ وياقوت الحموي يقول في معجمه :

(وقال قوم خُشُب: جبل والخُشُبُ من أودية العالية باليمامة وهو الخشن الغليظ من الجبال، ويقال هو الذي لايرتقى فيه..)

من كلام ياقوت هذا نخرج بنتيجة واضحة تؤيد ماذهبنا إليه من أن ذا خشب يطلق على جبال، كما يطلق على واد من أودية العالية.

أما الجبال فمن النصوص النثرية، والنصوص الشعرية يتضح أنها عبارة عن جبال تشغل مساحة كبيرة من الأرض يتخللها شعاب وأراض رغاب منبات، ولذا فإن بني عامر كانوا يرعون إبلهم بين تلك الجبال والشعاب كما يرعونها في منطقة «الكلاب» وعندي أن موضعي الكلاب وذي خشب يتشابهان من حيث كثرت الجبال والشعاب التي تتخللها.

ولهذا كله حرصت أن تبدأ رحلتي الثانية من عروى غرباً باتجاه الكلاب لأتحقق من تصوري هذا وبالفعل فإن المنطقة الواقعة شرقي «عروى» على امتداد مايسمى حالياً بمجرى «خنقة عروى» من جانبيه الشمالي والجنوبي هي عبارة عن قرانات من الجبال المتصل بعضها ببعض، ويتخللها أودية وشعاب تكثر فيها الأشجار والأعشاب على اختلاف أنواعها. وتلك الجبال يصدق عليها وصف ياقوت الحموي وغيره من حيث الشكل والتكوين.

ولعل وادي ذي خشب سمي بهذا الاسم لأنه يجرى عبر تلك الجبال التي منحته هذا المسمى.

وقد يكون الوادي هو واد تكثر فيه أشجار الطرفاء والأثل على طول امتداده فأكسبته كثرة الخشب فسمي بهذا الاسم وسميت الجبال المجاورة على طول مجراه باسمه.

وموضوع التسمية لاتتضح لنا بشكل واضح وكل ماقيل عنها فهو مجرد توقعات فسواء كان الاسم للوادي أو للجبال فهذا لايقدم ولا يؤخر.

ولذا أقول بأن ذا خشب الذى شاهده الشاعر النميري مع عروى وأجزاع مأسل ماهو إلا تلك الجبال الواقعة شرقاً منهما التي تتصل بالكلاب الواقع عنها شرقاً فهو لم يشاهد الوادي المسمى ذا خشب لأن الوادي لايرى من بعد ولم يقل إلا أنه رأى أجزاعه أما عن الوادي فهذا ماسأتكلم عنه فيما يلي.

«وادي ذي خشب»

لا أخفي أني كنت أميل مع الرأي القائل بأن مايسمى في وقتنا الحاضر بوادي «أبا الجرفان» ماهو إلاَّ وادي ذي خشب قديماً، وكنت أتصيد المواضع التي تشتق أسماؤها من الخشب مثل: أبو خشبة، أم الخشب، أم خشيبة.. وهكذا.

ولكن بعد الوقوف على تلك المواضع وجدتها متباعدة يفصل بينها أودية وجبال لها مسمياتها القديمة، الأمر الذي جعلني أصرف النظر عن القول بهذا الرأي.

وأتقرب في بحثي عنه في المواضع التي قرنت به مثل :

الكلاب، وستار الشريف، والخنفس، وزعابة، والعبلاء، وعروى.

أما وادي أبا الجرفان مع الأودية والشعاب التي تدفع فيه قبل التقائه مع وادي السرداح مثل:

شعيب خنيفسة، والجربوعة، ووادي الرويضة، ووادي طحي، ووادي سنام وغيرها من الأودية والشعاب كل هذه تسيل من منطقة «البدي» الذي قال عنها الهمداني: «والبدي من بلد بني عامر».

ولا أستبعد أن يكون مايسمى بوادي أبا الجرفان ماهو إلا وادي البدي.

وسبق أن قلت: إن لبيد بن أبي ربيعة حينما قال:

لاقى الكلاب البدي فاعتلجا　　موج أتيييهما لمن غلبا

إنه لم يقصد واديين بعينهما وإنما قصد سيولاً اعتلجت في منطقة الكلاب ومنطقة البدي حتى اتحدا في مجرى واحد دعدع سرة الركاء.

وقد تأكد لي أن خنيفسة ـ أم نخلة حالياً ـ والخنفس كما يقال قديماً ـ لاتشرف على «أبا الجرفان» حتى نتخذ هذا دليلاً على أنه وادي ذي خشب.

وكيف يقال عن بئر وسط واد، ويحول بينها وبين «أبا الجرفان» حائل: إنها تشرف عليه فهذه البئر ليست مرتفعة حتى تشرف على ماحولها وإنما يُشْرَفُ عليها.

ولذا فإن قول الهمداني: (والخَنْفَس، وخُلّص مشرفتان على الرهط ووادي ذي خشب) قد يقصد به أرضين مرتفعتين عن ماحولهما، أو هضبتين تشرفان على الرهط ووادي ذي خشب.

وعلى كل فخُلّص والرّهط غير معروفَيْن. ورغم قول الهمداني: (ذكر الخنفس من مياه الشريف وهو من مياه مأسل جأوة) إلا أنني لازلت أقول إن هذا الماء سمي بالخنفس لقربه من الأرض أو الجبل المرتفع المسمى بالخنفس فالذي يشرف على غيره هو المرتفع وليس العكس صحيحاً.

ولا أستبعد أن يكون الخنفس أحد جبال «مأسل جأة باهلة».

ومادمت قلت إن قرانة الجبال الواقعة شرقاً من عروى على امتداد وادي «خنقة عروى» المتجه باتجاه الشرق إلى «الكلاب» ماهي إلا جبال ذي خشب.

فعلى هذا فإني لاأستبعد أن يكون وادي «خنقة عروى» ماهو إلا وادي «ذي خشب قديماً».

وهو فرع العرض الأيمن، ووادي التنية هو فرع العرض الأيسر فإذا التقيا سميا «العرض» أو «الشط».

ولعلي أستأنس بقول الهمداني:

(ووادي ذي خشب وهو فرع العرض يدفع فيه الأجرعان[1]).

وقوله: (وبشط العرض الأيسر ماء تيشر في ناحية البرم ثم مأسل الجمح[2]).

من هذين القولين بين لنا الهمداني ـ رحمه الله ـ أن للعرض فرعين أيمن وأيسر،

ووادي العرض هذا قد يطلق عليه أيضاً «عرض السَّوْد» فقد ذكر ذلك الأصفهاني بقوله: (وابنا شمام: بالسَّوْد، يدفع عليهما عرض السود وهو غير عرض اليمامة[3]).

الدليل الثاني:

يقول الراعي النميري:

مِنْ ذِى المُرَار الذِّي تُلْقِي حوالبُهُ بَطْنَ الكُلاَب سَنَيحاً حَيْثُ يندفقُ[4]

ذكر الراعي النميري في بيته هذا موضعاً اسمه «ذو المُرَار» مما يوحي أن هذا الموضع واقع في بلاد قومه.

---

(١) صفة جزيرة العرب: ص ٢٩١.

(٢) صفة جزيرة العرب: ص ٢٩٢.

(٣) بلاد العرب: ص ٢٣٦.

(٤) ديوان الراعي النميزي: ص ١٧٩.

كما ذكر لنا أن حوالب هذا المكان وهي مجاري السيول التي تغذي الأودية.

ذكر أنها تدفع في بطن الكلاب عندما يأتي سنيحاً عند اندفاقه.

ولعله من المفيد أن نتعرف على معاني أربع كلمات وردت في هذا البيت وهي:

المرار، حوالبه، سنيحاً، يندفق.

فمن معرفة مدلول هذه الكلمات قد نستطيع بواسطتها معرفة ماقصده الشاعر:

المُرَارُ:

قال صاحب لسان العرب في مادة (مرر):

(والمُرارُ: شجر مُرٌّ، ومنه بنو آكل المرار قوم من العرب، وقيل: المرار حمض. وقيل: المرار إذا أكلته الإبل قلصت عنه مَشَافِرُهَا، واحدتها مُرَارة وهو المرار بضم الميم.

وبعد أن أورد قصة آكل المرار قال:

وذو المرار: أرض، قال ولعلها كثيرة هذا النبات فسميت بذلك، قال الراعي:

من ذي المرار الذي تلقي حوالبه بطن الكلاب سنيحاً حيث يندفق)

انتهى باختصار.

وانظر تهذيب الصحاح، ومعجم ياقوت الحموي ص (٥/٩٢).

أقول: لازال المرار يسمى باسمه فهو معروف عند عامة أهل نجد، وقد وصف لي العم (فالح بن قليمان) نبات المرار، وأطواره التي يمر بها، وقد أعلمني بالمواضع التي يتكاثر فيها في المنطقة التي نتحرى فيها عن الكلاب.

(سنيحاً)

قال ابن منظور في اللسان من مادة (سنح)

السَّانِحُ : ماأتاك عن يمينك من ظبي أو غير ذلك، والبارح: ما أتاك من ذلك عن يسارك؛ قال أبو عبيدة: سأل يونس رُؤبة، وأنا شاهد، عن السانح والبارح، فقال:

السانح مالاقاك ميامنه، والبارح ماوالاك مياسره؛ وقيل: السانح الذي يجيء عن يمينك فتلي مياسره مياسرك؛ قال أبو عمرو الشيباني:

ماجاء عن يمينك إلى يسارك وهو إذا ولاك جانبه الأيسر وهو إِنْسيُّه، فهو سانح، وماجاء عن يسارك إلى يمينك وولاك جانبه الأيمن وهو وَحْشِيُّه فهو بارح، قال والسانح أحسن حالاً عندهم في التيمن من البارح..

(حوالبه)

شبه مجاري سيول تلك الأرض التي تغذي الوادي بحوالب البئر وهي منابع مائها، وكذلك حوالب العيون الفوارة، والعيون الدامعة.

(يندفق)

دَفق الماءُ والدَّمعُ يَدفِقُ ويَدْفُقُ دفقاً ودفوقاً وانْدَفَق وتَدَفَّق واستدفق: انصب، وقيل انصب بمرَّة فهو دافق أي مدفوق..

واندفق الكوز إذا دفق ماؤه.

.. ودفق النهر والوادي إذا امتلأ حتى يفيض الماء من جوانبه، وسيل دُفاق بالضم يملأ جنبتي الوادي. (اللسان).

بيت الراعي يقربنا من الكلاب :

هذا البيت يشير لنا بوضوح إلى وادي الكلاب حيث ذكر الشاعر أن حوالب ذي المرار تلقي بطن الكلاب سنيحاً حيث تدفع فيه.

ووصف لنا حالة التقائهما، وأن هذا الموضع «ذا الحوالب» يلاقي وادي الكلاب عندما يندفق بقوة من مخناقه الذي وصفناه في الرحلة الميدانية، حيث تتجمع الأودية وتحتدم في مجرى ضيق محصور بين الجبال وهذا ما أعطاه صفة الاندفاق.

ووادي الخنقة الذي قلت إنه هو «الكلاب» يفيض من جبال العرض شرقاً مكتسحاً ما بطريقه نظراً لقوة اندفاعه ثم يسيح في أرض فسيحة تلك الأرض هي «حدباء قذلة» حيث يستقر في رمل «الدغيبيس». انظر الخارطة رقم (٢) صفحة (١٧٧) .

وقبل أن يستقر في الرمال تلاقيه سيول تلك الأرض المنبسطة وأهمها «مبهل» ومبهل يقع إلى الشمال من مجرى وادي الخنقة «الكُلاَب قديماً» ويبعد مبهل عن مدينة «القويعية» خمسة وعشرين كيلاً تقريباً.

ومبهل وماحوله مشهور بنبات الصّفّار، والمُرار وبجودة مراعيه للإبل وهو الذي يقول فيه الشاعر الشعبي هو يشل بن عبدالله:

قُلْ له تَرَى مِبْهِل زَمَى فِيهْ نُوَّار   والخَلْف في مِبْهِل تَزَبَّرْ خلوفهْ

وُقُلْ لهْ من العارضْ إلى العِرضْ ويسارْ   عِشْب زَهَى يزداد نوفهْ وَزَوْفهْ[1]

أقول لعل تسمية «مبهل» هذا لأنه يبهل الإبل لكثرة النبات فيه ومرارة هذا النبات، ويقال إن من يشرب من حليب الإبل التي أكلت المرار يجد مرارته في حليبها.

---

(١) معجم عالية نجد : ص ١١٤١/٣ .

أقول :

لقد سألت عن المكان الذي يكثر فيه المرار في تلك الناحية وكنت أظنه أعالي وادي السديري الذي حدثني عنه العم «فالح» ولكني ملت أخيراً إلى أن موضع «ذي المرار» هو «مبهل» وماحوله لأن الوصف ينطبق عليه وقد أكد لي «فالح» وغيره أن هذه هي منابت «المرار» وتشتهر به.

خلاصة البحث

الكُلَابُ : اسم لموضعين حدث فيهما يومان من أيام العرب في الجاهلية:

الكلاب الأول: حصل فيه معركة بين ملكين من ملوك كندة هما: سلمة ابن الحارث وأخيه شرحبيل، كان مع سلمة بنو تغلب، والنمر بن قاسط، وسعد ابن زيد مناة.

وكان مع شرحبيل بنو بكر بن وائل، وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب.

وتواردوا ماء «الكلاب» وهو ماء لبني تميم بين الكوفة والبصرة، وانتهت المعركة بمقتل شرحبيل.

أما يوم الكلاب الثاني: فكان بين بني تميم، ومذحج وأحلافها، وقد حصلت المعركة بالقرب من الكلاب. وهذا الكلاب واقع في عالية نجد وانتهت المعركة بانتصار بني تميم على مذحج. ونظراً لتطابق مسمى الموضعين حصل في تحديدهما لدى بعض علماء البلدان والمؤرخين قديماً بعض الالتباس.

وعندما جاء الباحثون في وقتنا الحاضر يحددون موضع كل معركة من المعركتين ويزيلون الالتباس الحاصل زادوا الأمر التباساً وغموضاً، ومما قالوه بهذا الصدد:

١ ـ يرى الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ في كتابه صحيح الأخبار أن يوم الكلاب الأول، ويوم الكلاب الثاني حدثا في وادي «قحقح» الواقع في وسط عالية نجد، وأنه هو المسمى بوادي «الكلاب».

٢ ـ ويرى الأستاذ سعد بن جنيدل في كتابه «معجم عالية نجد» : أن

المعركتين حدثتا في وادي «الشَّعْراء» الواقع شرقي جبل «ثهلان» في وسط عالية نجد، وعلى هذا فإنه يرى أن وادي الكلاب هو وادي «الشعراء».

وغموض تحديد «الكلاب» يرجع فيما ظهر لي إلى أن بعض البلدانيين والمؤرخين خلطوا بين الموضعين وممن خلط بينهما :

١ ـ الميداني صاحب «مجمع الأمثال» حيث قال:

يوم الكلاب: ماء عن يمين جبلة وشمام و... وللعرب يومان يقال لهما الكلاب الأول والكلاب الثاني. في أيام أكثم بن صيفي.

٢ ـ ابن دريد في كتابه «الاشتقاق» قال:

(والكلاب: موضع بالدهناء بين اليمامة والبصرة، كانت فيه وقعتان إحداهما بين ملوك كنده الإخوة، والأخرى بين بني الحارث وبين بني تميم.

٣ ـ العسكري : يقول في كتابه «شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف» :

(الكلاب ماء. وقيل: موضع بالدهناء بين اليمامة والبصرة كان به وقعتان عظيمتان..

٤ ـ الحميري : صاحب كتاب «الروض المعطار في خبر الأقطار» قال :

(الكلاب: واد لبني عامر بين العراق واليمن وكان يوم الكلاب الأول والثاني من مشاهير أيام العرب».

٥ ـ الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم وزميلاه قالوا في كتابهم «أيام العرب في الجاهلية» وهم يتحدثون عن يوم الكلاب الثاني «تهميشاً».

(لتميم على مذحج، والكلاب اسم ماء بين الكوفة والبصرة).

٦ ـ الاستاذ محمد بن على الأكوع الحوالي محقق الجزء الأول من كتاب «الإكليل» للهمداني قال تعليقاً: (الكلاب: .. واد من ديار بني تميم من نجد.. وفيه ماء يسمى قِدَّة.. وفيه كان يوم الكلاب الأول، والكلاب الثاني).

تناقض واضح في الأقوال:

إزاء هذا التناقض والتعارض في الأقوال.

أقول: إن من قال بهذا القول من أن يومي الكلاب الأول والثاني حدثا في مكان واحد أخذه عن نص سابق لقوله ولكنه لم يمعن النظر فيه بل أخذه على علاته رغم معارضته للنصوص الواضحة وبعد استقرائي لأقوال المؤرخين والبلدانيين القدماء تبين لي بوضوح أن يوم الكلاب الأول جرت معركته عند ماء «الكلاب» الواقع بين الكوفة والبصرة وهو ماء لبني تميم.

ويتضح هذا جلياً من الأقوال التالية:

١ ـ يقول ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ» وهو يتحدث عن يوم الكلاب الأول:

(الكلاب: وهو ماء بين الكوفة والبصرة).

٢ ـ وقال صاحب كتاب «الأغاني وهو يحكي عن يوم الكلاب الأول:

(فنزلوا الكلاب وهو فيما بين الكوفة والبصرة)

٣ ـ ويقول ياقوت الحموي في رسم «جِدُود»:

(جِدُود: اسم موضع في أرض بني تميم قريب من حزن بني يربوع على سمت اليمامة فيه الماء الذي يقال له الكلاب، وكانت فيه وقعتان عظيمتان من أعرف أيام العرب وكان اليوم الأول منها غلب عليه يوم جدود) انتهى.

وقد قلت إنه يقصد باليوم الثاني يوم الكلاب الأول.

٤ ـ الزمخشري في كتابه «الأمكنة والمياه والجبال» يقول:

(الكلاب: ماء بين البصرة والكوفة).

ومما يدل على أنه يقصد يوم الكلاب الأول أنه عندما تكلم عن الكلاب الواقع في عالية نجد لم يذكر إلاّ «تِدّة».

أما وقد اتضح المكان الذي حدث فيه يوم الكلاب الأول وهو ماء الكلاب الواقع بين الكوفة والبصرة.

فإن موضع «الكلاب» الذي نسبت له معركة الكلاب الثاني لايحتاج إلى تمعن أكثر في النصوص نظراً لورود أسماء مواضع ذكرت معه وهي واقعة في وسط عالية نجد مثل: تيْمُن، ومُجيْرَات، وحُذُنَّة. وهذه مواضع لايختلف فيها اثنان بأنها واقعة في وسط عالية نجد.

ولكن الاختلاف حصل بين المتأخرين حول تحديد «وادي الكلاب».

فمن قائل: إنه وادي «قحقح» وقد حدثت فيه المعركتان.

ومن قائل: إنه ليس وادي قحقح ولكنه وادي الشعراء، وقد حدث فيه اليومان.

وحيث أنني لم آخذ بهذه الأقوال لأنها في نظري مجانبة للصواب.

فقد قمت بتجميع النصوص الواردة حول يوم الكلاب الثاني، وكذا أبيات الشعر العربي التي تطرقت إلى ذكر هذا اليوم.

ومن هذه الأقوال، وهي تعني «الكلاب» الذي حدثت عنده معركة الكلاب الثاني بين بني تميم وبني الحارث (مذحج ومن شايعها).

١ ـ قال ياقوت الحموي:

قِدَّةُ: اسم ماءة بالكلاب.

وقيل: قِدة: اسم للماء الذي يسمى بالكلاب.

٢ ـ وقال البكري :

الكُلاَبُ: هو قدَّةُ بعينها،

وقال أيضاً : قِدَّةُ: هو الموضع المعروف بالكلاب.

٣ ـ وقال الزمخشري :

قِدَّة: موضع وهو الذي يسمى الكلاب.

وقد أدركت مدى الترابط الوثيق بين مسمى الكلاُب وقِدَّة، ولذا ركزت على معرفة مكان قِدَّة هذه.

وبعد مقارنة بين النصوص تبين لي أنَّ قِدَّةَ لابد أن تكون موجودة في جبال القِدِّ الواقعة بين مدينتي القويعية والرويضة.، وهي سلسلة جبال ممتدة من الشمال إلى الجنوب تعرف بجبال العرض.

كما تبين لي أن لبني تميم ماء يقع في وسط جبال القد هذه وهو ماء نخل ونخيل.

وبعد القيام برحلات ميدانية إلى جبال العرض وإلى بلدة نخيلان ومجاري الأودية هناك، وبعد تطبيق النصوص التاريخية، وأقوال علماء البلدان وأبيات الشعر العربي تبين لي:

أن وادي الكلاب الذي تخفى فيه بنو تميم عندما خافوا من ملك فارس ومن أعدائهم من العرب ماهو إلا مايسمى في وقتنا الحاضر وادي «الخنقة» الذي تبدأ أعاليه من مرتفعات الشريف وجهات جبل مأسل الجمح، ومأسل جأوة باهلة. ولكل فرع من فروعه اسم خاص به كبقية الأودية التي تماثله في طول المجرى وكثرة الفروع.

وأن الكلاب يطلق على الوادي وعلى المكان الذي يجري فيه قبل انحداره من جبال العرض بالقرب من قرية نخيلان، وقد يطلق على تلك الناحية «قِدَّة» أيضاً لوقوعها في وسط جبال القد.

ومن أراد التوسع والتدليل على ماتوصلت إليه فليرجع إلى ماقلته في صلب البحث. أرجو أن أكون وفقت إلى الصواب في تحقيق موضع من أهم المواضع التي حيرت علماء البلدان قديماً وحديثاً وبالله التوفيق.

البحث الثاني

بين ضارج وبين العذيب

(بين ضَارجٍ وبين العُذَيْب)

يقول امرؤ القيس الكندي في آخر معلقته يصف سحاباً مقبلاً عليه:

قَعَدْت وأَصْحَابي لَهُ بين ضَارجٍ وبَيْنَ العُذَيْب بُعْدَ ما مُتَأَمَّلي

عَلاَ قَطَناً بالشَّيْم أَيْمَنُ صَوْبِــهِ وأَيْسَرُهُ عَلَى السِّتَار فَيَذْبُــل

ثم ذكر مواضع أخرى جادها هذا السحاب.

وما أكثر المواضع التي حفظ لنا أسماءها هذا الشاعر سواء في معلقته أو في قصائده الأخرى. ولايستغرب عليه كثرة ذكره للمواضع فقد طاف أنحاء الجزيرة العربية سواء مع والده الملك حجر أو حينما كان طريداً من والده يجوب الفيافي والقفار مع أصحابه طلباً للكلأ والعشب، أو مطاردة الظباء بأنواعها.

ويهمنا من شعر هذا الشاعر الضليل فصاحته وبلاغته وكثرة إيراده للمواضع التي نحن بصدد الكلام عنها.

ولعل أهم موضعين نريد تحقيقهما في هذا البحث هما: السِّتَارُ، ويَذْبُلُ.

حيث اختلفت الآراء في تحديدهما، ونتيجة لهذا الاختلاف حُقِّقَتْ مواضع عديدة في غير أماكنها الصحيحة، فأين ياترى، يقع الستار، وأين يقع يذبل؟

إن معرفة مكانهما والجواب على هذا السؤال يتطلب منا إلقاء نظرة فاحصة على تحديد علماء البلدان قديماً وحديثاً لهذين الموضعين والمواضع الأخرى التي ذكرت معهما.

فامرؤ القيس كان جالساً مع أصحابه بين «ضارِج» وبين «العذيب» فشاهد أو قَدَّر هطول أيمن مطر السحاب الذي راقبه على «قطن» وأيسره على «السّتار»

و«يذبل» ولعله من الأصوب الاطلاع على مافهمه علماء البلدان في وقتنا الحاضر عن هذه المواضع الثلاثة وخاصة الستار، ويذبل. لأن قطناً لم يتغير مسماه منذ عهد امرىء القيس.

وإليك ماقالوه :

أولاً ـ الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد في كتابه «صحيح الأخبار».

قال ـ رحمه الله ـ عند كلامه عن المواضع الواردة في معلقة امرىء القيس:

(الستار : جبل في حمى ضرية يعرف بهذا الاسم إلى اليوم بين قرية ضرية وبين شُعَبى الجبل المشهور في حمى ضرية يقع في جنوب مسكة الغربي..

وقال جرير :

أيقيم أهلك بالستار وأصعدت   بين الوريعة والمقاد حمول

وهذا هو الذي عناه امرؤ القيس في قصيدته، وفي كتاب الأصمعي عن جزيرة العرب «الستار: أجبل سود منقادة لبني بكر بن كلاب».

والستار الذي ذكره الأصمعي على اسمه إلى اليوم مازال يقال له الستار لم يتغير، وهو قريب من الدخول وحومل، والستار الأول الواقع قريب مسكة هو الذي عناه امرؤ القيس لأنه حين ذكره ـ ذكر قطناً معه وهو القريب من قطن، وذلك أقرب للصواب وهو باق على اسمه إلى اليوم).

أما عن يذبل فيقول ـ رحمه الله :

(يذبل: جبل يعرف في الزمن القديم بهذا الاسم، وموقعه في عالية نجد الجنوبية، قال في معجم البلدان: «قال أبو زياد: يذبل جبل لباهلة» وهذا صواب..

أما اسم هذا الجبل فقد تغير ولم يعد يذكر بهذا الاسم وهو الذي يسمى اليوم «صبحا» وهو واقع بين الحصاة وعرض ابني شمام؛ وصبحا: جبل أحمر رفيع وتسميته صبحا تسمية حديثة[1]) انتهى قوله باختصار.

ثانياً ـ ماجاء في «معجم عالية نجد» للاستاذ سعد بن عبدالله الجنيدل:

ذكر المؤلف الجبال التي تسمى بالستار، ولكنه لم يحدد أيّاً منها الذي عناه امرؤ القيس.

ونجده في آخر كلامه عن السُّتُرِ يقول:

(أما جبل الستار الذي ورد ذكره في كتب المعاجم، وحدد في حمى ضرية القديم فهو داخل ضمن البلاد التابعة لإمارة القصيم وقد حققه الشيخ محمد العبودي في معجمه بما فيه كفاية). أما عن يذبل فقد تكلم عنها في رسم «صبْحَا» ووصفها وصفاً واضحاً جلياً، وأورد قول الشيخ محمد بن بليهد المتقدم، ولكنه لم يذكر أنها هي يذبل التي عناها امرؤ القيس.

ثالثاً ـ ماجاء في «معجم بلاد القصيم» للاستاذ محمد بن ناصر العبودي:

يقول المؤلف في رسم «السّتار»:

(جبل أحمر مستطيل واقع إلى الغرب من قرية ضرية على بعد ٤٣ كيلاً إلى الشرق من وادي الجرير (الجريب قديماً).. وقد سبق لنا في رسم «الربوض» ذكر معنى الستار والجبال التي تسمى بذلك).

وفي رسم «الربوض» نجده يقول:

(الربوض: جبل أحمر منبطح أي غير مرتفع مستطيل نوعاً، استطالته من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بينه وبين جبل «إمرة» حوالي تسعة أكيال إلى جهة الجنوب الغربي منها ـ أي: من إمَّرَة ـ في منطقة الجنوب الغربي من

(١) صحيح الأخبار: ١/٢٣ ـ ٢٤.

القصيم، أقرب القري المعمورة إليه دخنة إلى الشرق منه، و«الشبيكية» إلى الغرب منه. وهو واقع في طريق حاج البصرة إلى مكة) انتهى باختصار.

ولم يذكر المؤلف هنا شيئاً عن شعر امرىء القيس. إلا أني أجده في رسم «ضاري» حيث يرى أنه هو «ضارج» الذي قعد امرؤ القيس هو وصحبه بينه وبين العذيب يرقب سحاباً فقد أورد المؤلف ثمانية أبيات من معلقة امرىء القيس.

وفي شرحه لهذه الأبيات في هامش صفحة (١٣٨٨/٤) قال:

(قطن: هو الجبل المشهور غرب الفوارة وشمالاً عن أبان الأسود..

والستار: عدة جبال والمراد بها هنا جبل في حمى ضرية.

ويذبل: يعرف الآن باسم صبحا في عالية نجد، حدده الأستاذ سعد بن جنيدل في كتاب «عالية نجد»).

ولكن كما هي عادة أستاذنا محمد العبودي مطارحة النصوص ومحاولة معرفة ماوراءها فقد عاد إلى الاستشهاد بقول امرىء القيس حيث قال:

(ثم قال امرؤ القيس: وأيسره على الستار والستار جبل ذكر المتقدمون أنه واقع في طريق حاج البصرة إلى مكة، ومن المعلوم أن ذلك الطريق يمر برامة ثم عاقل (العاقلي حالياً) ثم إِمَّرَة، ثم طخفة.

وممن ذكر الستار هذا أبو عليّ الهجري. قال: هو جبل فوق إمرة بخمسة أميال وذكر أن طريق البصرة يأخذ ثنية من الستار والمسافة بين قطن الذي ذكر امرؤ القيس أن أيمن مطر السحاب قد علاه وبين الستار الذي ذكر أن أيسر ذلك المطر عليه لايزيد على خمسين كيلاً، وهو تحديد معقول لسحاب عظيم يرى برقه على بعد يزيد على مائة وعشرين كيلاً.

بقي إشكال واحد وهو ذكره ليذبل المعروف أنه جبل قديم تغير اسمه فأصبح يسمى «صبحا» والجواب على هذا الإشكال من وجهين:

أحدهما: أن يكون هناك جبل آخر يسمى «يذبل» وأنه غير معروف لنا الآن بسبب تغير اسمه.

والثاني: أن كلمة يذبل غير صحيحة في الرواية، ويدل على ذلك أنه روي ثيتل ونبتل بدلاً من يذبل[1]) انتهى.

مما تقدم من أقوال مؤلفي عصرنا عن الستار، ويذبل ـ وهو ما اطلعت عليه ـ يتضح لنا أن رأيهم حول هذين الموضعين يتلخص فيما يأتي:

١ ـ الشيخ محمد بن بليهد يرى أن الستار: هو الستار الواقع غرب «ضرية» فيما بينها وبين «شُعَبَى»، وأن «يذبلاً» هي مايسمى حالياً «صبحا» وهي الهضبة المشهورة الواقعة في الجنوب الشرقي من بلدة «حلبان» تشاهد منها رأي العين.

٢ ـ أما مؤلف عالية نجد فقد حددهما ولكنه لم يورد كلاماً يدل على أنهما اللذان عناهما امرؤ القيس في معلقته.

٣ ـ أما مؤلف «معجم بلاد القصيم» فيرى أن الستار الذي عناه امرؤ القيس هو: الستار الواقع بين بلدة «دخنة» وبلدة «الشُّبيكيَّة» في الجنوب الغربي من منطقة القصيم أما «يذبل» فلم يجزم برأي حولها حيث أشار إلى يذبل المسماة حالياً «صبحا» ولكنه يشك في أن تكون هي التي عناها امرؤ القيس في معلقته.

وعندي أن شكه هذا في محله؛ فالستار ويذبل اللذان عناهما امرؤ القيس ليسا ما أشير إليهما فيما تقدم من الأقوال وسأوضح هذا جلياً عندما أتحدث عنهما لاحقاً إن شاء الله.

---

(١) معجم بلاد القصيم: ص ١٣٩٢/٤.

وليس الستار ويذبل هما الموضعان اللذان لم يحددا تحديداً دقيقاً فقط، وإنما هناك بعض المواضع التي ورد ذكرها في أبيات امرىء القيس مثل:

العذيب، والمجيمر، وتيما. وغير ذلك من المواضع لم تحدد بدقة أو كان تحديدها مجانباً للصواب.

ولذا فقد استحسنت إيراد اثني عشر بيتاً من معلقة امريء القيس وهذه الأبيات هي آخر المعلقة ليشاركني القاريء في استظهار مقاصد امريء القيس ومن ثم التعرف على أماكن المواضع التي ذكرها وإليك الأبيات:

أصاحِ ترى بَرْقاً أُريكَ وميضَهُ — كَلَمْعِ اليَدَيْنِ في حَبيٍّ مُكلَّلِ
يُضيءُ سَناه أَوْ مَصَابيحُ راهبٍ — أَهانَ السَّليطَ في الذُّبالِ المُفَتَّلِ
قَعَدْتُ وأَصْحابي لَهُ بينَ ضارجٍ — وبينَ العُذَيْبِ بُعْدَ ما مُتأَمَّلي
علا قَطَناً بالشَّيمِ أَيمنُ صوبِه — وأَيسرُهُ على السِّتارِ فيَذْبُلِ
وأَضْحى يَسُحُّ الماءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ — يَكُبُّ على الأَذْقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ
ومَرَّ على القَنانِ مِنْ نَفَيانِه — فأَنْزَلَ مِنْهُ العُصْمَ من كُلِّ مَوْئِلِ
وتَيْماءَ لَمْ يَتْرُكْ بها جِذْعَ نَخْلَةٍ — ولا أُطُماً إلاَّ مَشيداً بِجَنْدَلِ
كأَنَّ أَباناً في أَفانينِ وَدْقِه — كَبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ
كأن ذُرى رأسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً — مِنَ السَّيْلِ والأَغْثاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ
وأَلْقى بصَحْراءِ الغَبيطِ بَعاعَهُ — نُزُولَ اليماني ذي العِيابِ المُحَمَّلِ
كأَنَّ مَكاكيَّ الجِواءِ غُدَيَّةً — صُبِحْنَ سُلافاً مِنْ رَحيقٍ مُفَلْفَلِ
كأَنَّ سِباعاً فيهِ غَرْقى عَشِيَّةً — بأَرْجائِه القُصْوى أَنابيشُ عُنْصُلِ

وترتيب هذه الأبيات يختلف من مرجع إلى آخر، وقد اخترت الترتيب الوارد في كتاب «شرح القصائد العشر» للخطيب التبريزي.

غير أني أثبت كلمة «أباناً» بدلاً من «ثبير» في البيت الثامن وهذا ما أميل إليه حسبما جاء في روايات أخرى.

ومادمنا أرجأنا الحديث عن الستار ويذبل فلنبدأ الكلام عن المواضع الأخرى لأننا إذا عرفنا تلك المواضع سهل علينا معرفة الجهة التي يوجد بها الستار ويذبل.

ضَارِج

يقول امرؤ القيس :

قَعَدتُ وأصحابي له بين ضارج وبين العُذَيبِ بُعْدَ مَا مُتَأَمَّلِ

وسنستعرض فيما يلي آراء علماء البلدان في وقتنا الحاضر حول ضارج :

أولاً : يقول الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله :

(ضارج: جبل في بلاد بني أسد تغير اسمه اليوم عن هذا الاسم وقد اختص به «بنو الصيداء» وهم بطن من بني أسد وقال شاعرهم:

وقلت تبين هل ترى بين ضارج ونهي الأكف صارخاً غير أعجما

وهذا هو الذي عناه امرؤ القيس في معلقته. فأما ضارج الذي في البيت الثاني من قوله:

تيممت العين التي عند ضارج يفيء عليها الظل عرمضها طامي

فهو من جبال الحجاز [1].)

ثانياً : يقول الأستاذ محمد بن ناصر العبودي في رسم «ضاري» في «معجم بلاد القصيم» :

(ضاري.. قرية قديمة العمران واقعة في منطقة الشقة التي تقع إلى الشمال من مدينة بريدة على بعد ١٤ كيلاً..

وينسب إلى ضاري الملح الذي سيأتي ذكره في حرف الميم فيقال: «ملح ضاري» لقربه منه، وهو ملح معدني..

تسميته قديمة :

---

(١) صحيح الأخبار : ص ٢١/١ .

اسمه القديم «ضارج» بالجيم بدلاً من الياء هذا مالاشك فيه وسوف أثبت ذلك بالأدلة المقنعة إن شاء الله.

والذي أعتقده أن اسم «ضارج» في القديم كان يشمل مايسمى الآن «الشقة» أي: الشقة السفلى والشقة العليا ومابينهما كما سبق في رسم «الشقة» في حرف الشين[1].

ثم أورد المؤلف أقوال العلماء المتقدمين ليدلل على صحة ماذهب إليه من رأي.

وسوف أتكلم عن بعض تلك الأقوال التي كان له رأي حولها.

كما سأتكلم عن توهيمه لرأي الشيخ محمد بن بليهد فأقول:

١ ـ أورد المؤلف قول نصر: (ضارج من الفقي ماء ونخل لسعد بن زيد، وهي الآن للرباب،

وقيل: لبني الصيداء من بني أسد ومن سبيع فخذ من حنظلة) ـ الأمكنة ق ١/١٠٠ ـ أقول ـ القول لمؤلف معجم بلاد القصيم ـ : والذي يهمنا هنا هو «ضارج» الذي لبني الصيداء من بني أسد وبني سبيع بن حنظلة من بني تميم وهو الواقع في منطقة الشقة والذي يسمى الآن ضاري) انتهى.

التعليق :

أقول : من قول نصر هذا نستدل على أن في منطقة «سدير» موضعاً اسمه «ضارج» أيضاً مما يجعلنا لانستغرب وجود أماكن أخرى اسمها «ضارج».

وقد حدد لنا الشيخ حمد الجاسر «الفقي» الذي يوجد فيه ضارج حيث قال في كتاب «بلاد العرب» للأصفهاني تعليقاً على قوله:

(١) معجم بلاد القصيم : ص ١٣٨٢/٤ .

(وبنو عوف بن مالك بن جندب يسكنون الفَقْء وينزلون الحريم. وجلاجل من ناحية الفقء حيث قال: «والفُقْء مهموزاً، ماء لهم. وأقول: لاتزال الكلمة مستعملة ولكن بإبدال الهمز ياء الفقي، وهو وادي سُدَيْر ذو قرى كثيرة فصل بعضها الهمداني[1]) انتهى.

أقول: والحريم يبدو لي أنه أحد فروع وادي «سدير» يدل على ذلك قول الأصفهاني في موضع آخر: (ثم بطن الحريم، وهو واد لبلعنبر بالفقء.[2]).

ولهذا فإنه لامحل لاستغرابنا من وجود مواضع متعددة تحمل مسمى واحداً.

٢ ـ أورد مؤلف معجم بلاد القصيم أقوال ياقوت الحموي حول «ضارج» فعلق على قوله:

(إلا أن أبا عبيد السكوني قال: إن ضارجاً أرض سبخة مشرفة على بارق، وبارق كما ذكرنا: قرب الكوفة، وهذا حيز بين اليمن والمدينة وليس له مخرج إلا أن تكون هذه غير تلك).

علق بقوله: (الذي أعتقده أن النسخة التي نقل عنها ياقوت كلام أبي عبيد السكوني محرفة. وأنها تنطبق بعد تصحيحها على ضارج القصيم الذي نحن بصدد الكلام عليه. وأن صحتها كما يلي:

ضارج: أرض سبخة مشرف عليها أبارق أو مشرفة على أبارق.

فأبارق جمع أبرق بمعنى برقة قال ياقوت: الأبرق والبرقاء والبرقة يتقارب معناها وهي حجارة ورمل مختلط.

وضارج تنطبق عليه هذه العبارة ففيه أرض سبخة في جزء منها «ملح» يسمى «ملح ضاري» كما أن في جهته الغربية برقة بل براق تقع فيما بينه وبين

---

(١) بلاد العرب: ص ٢٥١.
(٢) بلاد العرب: ص ٢٦١.

«القرعاء» إلى جانب «خشم المضباعة» الذي كان يعرف قديماً باسم «ضبع».

ويؤكد مارأيناه أنه ليس من المعروف أن هناك موضعاً قرب الكوفة يسمى «ضارجاً» فلم يذكره ياقوت في غير هذا الموضع ولم نجد من ذكره من البلدانيين المتقدمين[1].

التعليق :

كأني بمؤلف «معجم بلاد القصيم» حرص كل الحرص على أن يدلل على رأيه القائل بأن «ضارجاً» هو «ضاري» فراح يستعرض النصوص الأخرى ويطوعها عسى أن تنطبق على ماذهب إليه من رأي ولست معه في تسرعه بالقدح في نص ياقوت الذي نقله عن أبي عبيد السكوني الذي يفيد أن ضارجاً أرض سبخة مشرفة على بارق الذي يقع قرب الكوفة.

فليس هناك مايمنع أن يكون لدينا في شمال القصيم موضع اسمه ضارج، وأن يكون قرب الكوفة موضع آخر بهذا الاسم، وكذا موضع ثالث في منطقة «سدير» ورابع في الطريق بين اليمن والمدينة.

بارق :

وبارق الذي ظنه المؤلف محرفاً من كلمة «أبارق» له شهرته عند البلدانيين ومن أقوالهم عنه:

أ ـ قال ياقوت: (بارق: ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة..

وبارق ركن من أركان عرض اليمامة وهو جبل[2]).

ب ـ ويقول البكري: (بارق: جبل بالسواد قريب من الكوفة نزله سعد بن

(١) معجم بلاد القصيم : ص ١٣٨٥/٤ .
(٢) معجم البلدان : ص ٣١٩/١ .

عدي بن حارثة بن امرىء القيس فسمي بهذا الجبل بارقاً فهم بنو بارق وإياه أراد أبو الطيب بقوله

تذكرت مابين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق[1]

ج ـ ويقول الألوسي (قال الأسود بن يعفر:

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سِنْدَادِ

وعلق في الهامش بقوله بارق: ماء بالعراق بين البصرة والقادسية[2].

وهناك نصوص أخرى حول «بارق» لا لزوم لذكرها، وقد تمر معنا عند الكلام عن «العذيب» ومن النصوص المتقدمة يتبين أن هذا المسمى يطلق على جبل وعلى ماء وقد يكون أحدهما سمي بالآخر لقربه منه.

وليت المؤلف اكتفى بقوله: (وأما قول ياقوت: إلا أن تكون هذه غير تلك. أي: أن هناك أكثر من موضع يسمى بضارج فهذا هو المخرج الصحيح، وإن كان ذلك يحتاج إلى تمحيص النصوص، وتطبيق كل نص على الموضع المناسب له).

٣ ـ أورد المؤلف قول البكري عن الطوسي: ضارج: موضع باليمن وأنشد لامرىء القيس:

قعدت له وصحبتي بين ضارج وبين العذيب بعد ما متأمل

ليس لي من تعليق حول ماقاله المؤلف حول كلام الطوسي حيث علق عليه بكلام مفيد ولكنه عندما فرغ من تعليقه قال:

(نعود إلى التعليق على كلام الطوسي فنقول: إنه ربما كان قد سمع تفسير

---

(١) معجم ما استعجم: ص ٢٢١/١.
(٢) بلوغ الأرب: ص ١٠٩/٣.

بعضهم لضارج في شعر امرىء القيس فظنه لهذا البيت وهو للبيتين التاليين اللذين أثار ذكر ضارج فيهما جدلاً وحيرة كبيرين عند المتقدمين وهما قول امرىء القيس:

ولما رأت أن الشريعة همهـــا وأن البياض من فرائصها دامــي

تيممت العين التي عند ضارج يفيء عليها الظل عرمضها طامي

.. وفي هذا المجال وردت القصة المشهورة التي حيرت العلماء والباحثين في القديم ونورد هنا لفظ البكري لكونه أخصر ثم نثنيه بتعليق لياقوت الحموي عليهما لكونهما من أهل البلدانيات. ثم نثلث بذكر درجة القصة عند أهل الحديث لكونها اشتملت على حديث نبوي.

قال البكري : (رسم ضارج)

روي أن ركباً من اليمن خرجوا يريدون النبي ﷺ فأصابهم ظمأٌ شديد، كاد يقطع أعناقهم، فلما أتوا ضارجاً ذكر أحدهم قول امرىء القيس:

ولما رأت أن الشريعة همهـــا وأن البياض من فرائصها دامــي

تيممت العين التي عند ضارج يفيء عليها الظل عرمضها طامي

فقال أحدهم: والله ماوصف امرؤ القيس شيئاً إلا على حقيقة وعلم فالتمسوا الماء فهذا ضارج، وكان ذلك وقت الظهيرة، فمشوا على فيء الجبل، حتى عثروا على العين، فسقوا واستقوا، فلما أتوا رسول الله ﷺ ، قالوا: يارسول الله، لولا بيتان لامرىء القيس لهلكنا وأنشدوه إياهما، فقال: ذلك نبيه الذكر في الدنيا، خامله في الآخرة. كأني أنظر إليه يوم القيامة بيده لواءُ الشعراء يقودهم إلى النار.

أما ياقوت فقد أسند رواية القصة إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أشياخه ثم علق عليها بقوله: قلت: هذا من أشهر الأخبار إلا أن أبا عبيد السكوني، قال: إن ضارجاً أرض سبخة مشرفة على بارق، وبارق كما ذكرنا قرب الكوفة، وهذا حيز بين اليمن والمدينة وليس له مخرج إلا أن تكون هذه غير تلك.

أقول: ـ القول لمؤلف معجم بلاد القصيم ـ

تقدم لي توجيه كلام السكوني عن ضارج وبيان أن عبارته محرفة، وأنها بعد التوجيه تصدق على ضارج هذا الذي في القصيم والذي أصبح اسمه «ضاري» بالياء.

وإسناد هذه القصة إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أشياخه لايعطيها قيمة عند علماء الحديث كما هو ظاهر الكلام على الحديث..

ـ وبعد أن تكلم المؤلف عن هذا الحديث وبسط الأقوال التي وردت حوله قال:

لذلك يمكن القول بأنها مركبة وإنه ليس هناك مكان يسمى ضارجاً يقع بين اليمن والمدينة المنورة، كما يمكن القول بأنه ربما كان هناك مكان يسمى «ضارجاً» في المنطقة الواقعة بين اليمن والمدينة ولكنه غير المكان الذي ذكره امرؤ القيس في شعره وإنما القصة أو راويها هو الذي جعل امرأ القيس يريد ذلك المكان وخلع على ضارج تلك الصفة التي هي في ضارج القصيم.والشيء الذي لاأشك فيه أن امرأ القيس يريد ضارج القصيم وليس غيره للأمور التالية:

أولها : أنه ذكر «ضارجاً» في موضع آخر من شعره وحققنا أنه هو ضارج القصيم وليس غيره كما في معلقته ولو كان يعرف مكانين كلاهما يسمى «ضارجاً» لوصف كل واحد بما يميز به.

ثانيهما: أن وصف العين التي عند ضارج ينطبق تمام الانطباق على عين لاتزال موجودة بجانب «ضارج» القصيم الذي يسمى الآن «ضاري» بالياء وتقع على الضفة الشرقية للوادي الصغير الذي يسمى «شعيب ضاري» ويجتمع فيها ماء قليل عذب يشرب منه الناس وبخاصة المسافرين الذين كانوا يسافرون من الجواء إلى بريدة وحدثني عدد من شيوخ أهالي عيون الجواء ومنهم الشيخ إبراهم بن عبدالله العجلان أنهم كانوا قبل الازدهار الحديث في القصيم وكثرة المياه في تلك المنطقة وانتشار المواصلات الحديثة كانوا يشربون منها وكان عليها طحلب ينفيه الواحد منهم بيديه ثم يشرب من الماء ويسميها الناس في الوقت الحاضر «القويطير» لأن ماءها ليس بالكثير.

وثالثها: أن أهالي السير والمصنفين فيها ذكروا الوفود التي قدمت على النبي ﷺ ولم يذكروا فيها وفداً من أهل اليمن وقعت له هذه القصة التي فيها ذكر «ضارج» فيما قرأناه من كتبهم. والله أعلم)[1]. انتهى كلامه باختصار.

التعليق:

نجد مؤلف «معجم بلاد القصيم» حاول الاستحواذ على هذا النص كما استحوذ من قبل على النص الوارد بشأن «ضارج» الواقع قرب «الكوفة» وقال عنه إنه دخل عليه تحريف وبتعديله لهذا التحريف أصبح ينطبق على «ضارج» الواقع بمنطقة القصيم، ولذا نقل ضارج الكوفة مع سبخته إلى منطقة القصيم.

وهنا نجده يثني بضارج الواقع جنوبي الجزيرة العربية الواقع في الطريق بين اليمن والمدينة وهو الذي عناه امرؤ القيس في بيتين من شعره حيث قال:

ولما رأت أن الشريعة همها ... وأن البياض من فرائصها دامي

تيممت العين التي عند ضارج ... يفيء عليها الظل عرمضها طامي

وهذان البيتان وردا يتيمين لاثالث لهما فلو أنهما وردا ضمن قصيدة لدلَّ جوّ القصيدة على الجهة الموجود بها ضارج، هذا الذي ذكره في البيت الثاني.

---

(١) معجم بلاد القصيم ص ١٣٩٧ .

والقصة التي حدثت للوفد القادم من اليمن إلى المدينة متواترة في أكثر من مرجع.

وماقاله مؤلف معجم بلاد القصيم من رأي حول صحة الحديث المنسوب لرسول الله ﷺ من عدم صحته ليس لي من تعليق عليه فأمره متروك لرجال الحديث، والعارفين بصحيحه من ضعيفه. ومع افتراض أن هذا الحديث أثر من الآثار فلا أرى وجهاً للقدح فيه إلا إذا كان لدينا مبررات قوية للقدح فيه ورده.

ونجد الشيخ محمد بن بليهد يفرق بين هذين البيتين وبين البيت الوارد في المعلقة حيث حدد «ضارجاً» الوارد ذكره في المعلقة في منطقة القصيم بينما حدد ضارجاً الوارد فى هذين البيتين في جبال الحجاز.

وعندي أن رأيه هذا هو الصواب بعينه ولهذا فسأناقش رأي مؤلف معجم بلاد القصيم فأقول:

المناقشة :

١ ـ يدل كلام المؤلف على أنه يرى أن ليس هناك مكان يسمى «ضارجاً» يقع بين اليمن والمدينة وقد يفهم من قوله: إن هناك مكاناً يسمى «ضارجاً» ولكنه غير المكان الذي ذكره امرؤ القيس في شعره، وإنما القصة أو راويها هو الذي جعل امرأ القيس يريد ذلك المكان وخلع على ضارج تلك الصفة التي هي في ضارج القصيم.

أقول : إن القول بأنه ليس هناك مكان اسمه ضارج يقع بين اليمن والمدينة مع سعة ما بينهما قول ليس له مايبرره أيضاً، ونجد المؤلف يحتاط فيقول: وإذا كان هناك مكان يسمى «ضارجاً» في المنطقة الواقعة بين اليمن والمدينة فإن القصة أو راويها هو الذي جعل امرأ القيس يريد ذلك المكان. وخلع عليه تلك

الصفة التي هي في ضارج القصيم.

أقول: هذا الاحتمال الثاني الذي قاله المؤلف ليس له مايؤيده، ثم إن الصفة التي خلعت على ضارج لاتنطبق على ضارج القصيم كما سيتضح ذلك عند الكلام عن القويطير.

٢ ـ يقول مؤلف معجم بلاد القصيم: والشيء الذي لاشك فيه أن امرأ القيس يريد ضارج القصيم وليس غيره للأمور التالية.

وعدد أموراً ثلاثة تقدم ذكرها.

وتعليقي على تلك الأمور الثلاثة هو:

أ ـ قوله: (لو كان امرؤ القيس يعرف مكانين كلاهما يسمى «ضارجاً» لوصف كل واحد بما يميزه) أقول: إن هذا ليس شرطاً فكثيراً مايذكر الشعراء مواضع متشابهة الأسماء ولايميزونها وإنما تفهم من سياق الشعر. وبيتا امرىء القيس اللذان نناقشهما لم يعرف ماقبلهما ولامابعدهما.

وهناك مواضع ذكرت في الشعر العربي مثل «البَديّ» هذا الموضع ذكره امرؤ القيس، والأعشى، ولبيد، وغيرهم، ورغم كثرة وروده في الشعر فلايعرف أحد مكانه بدقة وبصفة قاطعة، وقد أشكل أمر «البدي» حيث لم يوصف كل واحد من المواضع التي تحمل هذا المسمى بصفة تميزه مما جعل أحد الباحثين يقول إن هؤلاء الشعراء جميعاً يعنون مكاناً واحداً بعينه فاستقطب جميع الشواهد لما ذهب إليه من رأي كما فعل مؤلف معجم بلاد القصيم بالنسبة لضارج القصيم.

ب ـ القول بأن وصف العين التي عند ضارج ينطبق تمام الانطباق على عين ضارج القصيم: فحيال ذلك أقول:

إن وصف العين التي ورد ذكرها في بيت امرىء القيس لاينطبق على ماهو

موجود بالقرب من ضارج، لأن الماء الذي يممت نحوه الحمر الوحشية، عندما خافت من الرماة المترصدين لها حول «الشريعة» وصفه امرؤ القيس بأنه عين يعلو ماءها الطحلب مما يوحي بكثرة الماء فيها. أما الماء الموجود في الجهة الشرقية من شعيب ضاري فهو بلاشك عبارة عن قاطور ينقط منه الماء فيتجمع، ومما يدل على أن الماء الذي يتجمع منه قليل أنه سمي «القويطير» بالتصغير لقلة الماء الذي يتقطر منه.

وعند زيارتي للشقة العليا والوقوف على مكان «ضارج قديماً» لم أجد حوله مايسمى بالقويطير وبعد سؤال عدد من كبار السن هناك عن «القويطير» أفادوا بأنه لايوجد في المنطقة إلا قويطير واحد هو الواقع على يسار الطريق المزفت الواصل بين «بريدة» و«عيون الأسياح» قبل الوصول إلى «الطرفية».

وبالتحديد في الجال الواقع تحت مصنع «الاسمنت» وهذا هو «القويطير» المشهور لدى أهل القصيم.

وقد مررت بهذا القويطير قبل ثلاثين عاماً مضت وشربت من مائه وهو في جال «الوطاة» الشرقي والوصول إليه ليس صعباً إلا إذا كان المنخفض مليئاً بمياه الأمطار ففي هذه الحالة يمكن الوصول إليه بسلوك الطريق الترابي المحاذي للجال وعند الوصول إلى أثل ونخيلات في صفحة الجال فإن القويطير عند تلك النخيلات.

انظر إلى صورته الصورة رقم (٢٧).

ويمكنني القول بأن هذا القويطير ليس العين التي عند ضارج كما قال المؤلف لأن ضارجاً الذي عنده العين واقع في الطريق بين اليمن والمدينة.

ومما يدل على قرب تلك العين من ضارج أن الوفد الذي أدركه العطش مشى قليلاً فوجدها. بينما القويطير هذا يبعد عن «ضاري» ـ ضارج قديماً ـ

مسافة أحد عشر كيلاً جهة الشرق.

وسواء كان القويطير الذي أشار إليه المؤلف ووصف مكانه هو هذا القويطير أو أنه قويطير آخر يقع في الجال الشرقي بجوار «ضاري» ولكنه اندثر مع مرور الزمن فإن وصف امرىء القيس لاينطبق عليه لا من قريب ولا من بعيد.

ولذا أجدني أخالف مؤلف «معجم بلاد القصيم» في قوله: «والشيء الذي لاأشك فيه أن امرأ القيس يريد ضارج القصيم وليس غيره).

فأقول: إنني متأكد أنه لايقصد ضارج القصيم بدليل قوله:

تيممت العين التي عند ضارج يفيء عليها الظل عرمضها طامي

فقوله «يفيء عليها الظل» يدل دلالة واضحة أن تلك العين يظلها الجبل إذا زالت الشمس بعد الظهر؛ لأن الفيء في اللغة: الظل بعد الزوال ينبسط شرقاً.

رقم (٢٧) : منظر : «القويطير» شمال شرق مدينة «بريدة» .

بينما القويطير سواء كان القويطير المشهور أو قويطير لا وجود له الآن فإنهما يقعان في جال يواجه الغرب والشمس مواجهة له من حين زوالها حتى تغرب فلا فيء على هذين القويطيرين، وإنما قد يظلهما ظل الصباح ليس إلا!!.

من هذا نعرف أن وصف امرىء القيس لاينطبق على «القويطير»، وإنما ينطبق على العين التي عند ضارج الذي مر عليه الوفد اليمني المتجه إلى المدينة كما ورد في القصة.

ج ـ أما عن قول المؤلف: (إن أهالي السير والمصنفين فيها لم يذكروا فيها وفداً من أهل اليمن وقعت له هذه القصة).

فأقول: إن عدم ذكرهم لهذه القصة لايعني أنها لم تحصل ويكفيها أنها وردت كحديث تكلم فيه المحدثون.

وقد يكون عدم ذكر المؤرخين لهذه الواقعة يرجع إلى أن المؤرخين في بداية التدوين يأنفون من ذكر قصص العرب وأيامهم في الجاهلية، وقد يكون عدم ذكرهم لها بسبب وجود امرىء القيس طرفاً فيها.

ضارج القصيم :

إن ضارجاً الذي قعد امرؤ القيس بينه وبين العذيب يشيم البرق ويرقب السحاب لا إشكال في أنه واقع في شمالي منطقة القصيم، وإثبات ذلك لايستلزم منا أن نعطل النصوص الأخرى التي جاء فيها ذكر لضارج قيل: إنه خارج هذه المنطقة.

فمن المعروف أن المواضع تتشابه أسماؤها في جزيرتنا المترامية الأطراف، وهذا ما أوقع بعض الباحثين قديماً وحديثاً في الخلط بين المواضع.

وكثيراً مايقرن ضارج القصيم بـ «قَوّ» وكدليل على تشابه الأسماء وتعددها فإن امرأ القيس ذكر في شعره «ضارجاً» الواقع في القصيم وحوله مكان يسمى «قَوّاً» كما ذكر ضارجاً الذي حدثت عنده قصة الوفد القادم من اليمن الذي نسبت له العين. ومن المصادفات الغريبة أن يوجد حول ضارج هذا موضع يسمى «قَوّاً».

إذاً يوجد في منطقة القصيم موضع اسمه «ضارج» وبالقرب منه موضع اسمه «قوّ».

وهناك في جنوب عالية نجد موضعاً اسمه «ضارج» وبالقرب منه موضع اسمه «قَوّ» أيضاً.

ويدل على ذلك قول مالك بن زرعة الباهلي في قصيدة يتحدث فيها عن يوم وقع بين قبيلته «باهلة» وبين بني الحارث بن كعب، ونهد، وجرم حيث قال:

فما إن تركنا بين قَوٍّ وضارج ... ولا صاحة إلا شباعاً نُسُورُهَا

هذا البيت ورد ضمن قصيدة نجدها في كتاب «قصائد جاهلية نادرة» للدكتور يحيى الجبوري. وعندما حدد لنا الدكتور يحيى المواضع وقع في الخلط فيما بينها والسبب في ذلك ماقيل عنها قديماً ولأهمية هذا الموضوع وتشابه مسميات المواضع وعدم التفريق بينها أحببت أن أورد بعضاً من أبيات القصيدة حيث سيتضح لنا من خلال أبياتها ما يدل على جهتي ضارج وقَوّ اللذين ذكرهما هذا الباهلي:

نأتْكَ سُلَيْمى دارَهَا لاتزورُهَا ... وشَطَّ بها عنكَ النّوى وأميرُها

وماخفتُ منها البَيْنَ حتى رأيتُها ... مُيَمِّمَةً نحو القُرَيَّةِ عيرُها

عليــهنَّ أُدْمٌ من ظبــاءِ تَبَالَةٍ ... خَوارجُ من تحت الخُدور نحـورُها
وفيـهن بيضاءُ العَوارضِ طَفْلَةٌ ... كهمِّكَ لو جادتْ بما لا يَضيرُها
وماكـان طـبِّي حُبُّهَا غيـر أنَّه ... يقومُ لِسَلْمَى في القوافي صُدورُها
فَدَعْ ذا ولكنْ هل أتاها مُغَارُنا ... بـذات العَراقي إذْ أتـاها نَذيـرُها
بملمومة شَهباءَ لو نطحوا بها ... عَمـايةَ أو دَمْخاً لزالتْ صـخورُها
يُخضْنَ بني كعبٍ ويدعون مَذْحجاً ... لتنصُرَنا كـعبٌ وكـعبٌ شُطورها
ولمَّا رأينا أنَّ كـعبـاً عـدُوُّنا ... وأبدَى دفينَ الدَّاءِ منها ضميرُها
دَعوْنا أبَانا حَيَّ كعبِ بن مالك ... وقد آلَت الدعوى إليها كبيرُها
فثارتْ إليهم من قُتَيبةَ عُصْبَةٌ ... ومن وائلٍ في الحَرْبِ يحمي نفيرُها
فـدارتْ رَحَانا ساعـةً ورحَاهُمُ ... تُثَلِّمُ من أركـــانهـــا ونُديرُهَا
بـكـلِّ رُدَيْنـيٍّ أصـمَّ مُذَرَّبٍ ... وبالمَشْرَفيَّاتِ البطيءِ حُسـورُهَا

إلى أن قال:

فـما إنْ تركْنَا بين قَوٍ وضَارِجٍ ... ولا صَاحَةٍ إلَّا شَباعـــاً نُسُورُها
وجئنا بأمثالِ المهَا من نِسَائهم ... صُدورُ القَنا والمَشْرَفيِّ مُهـــورُهَا
ونَهْدِيةً شَمْطَاءَ أو حـــارثيَّة ... تُؤَمِّلُ سَيْبـاً من بنيـهـا يُغيـرُها
فـتنظُرُ أبناءَ الخَميسِ أراعَهـا ... أوائِلُ خَيْلٍ لم يُدَرَّعْ بَشيـــرُها
فآبَتْ إلى تَثْليثَ تذرِفُ عَينُها ... وعـادَ إليـها صَمْغُها وبَريرُها(١)

أقول: معروف أن منازل «باهلة» في سوادها الواقع في عالية نجد الجنوبية، ولها منازل إلى الجنوب من سوادها.

(١) من كتاب: قصائد جاهلية نادرة: ص ١٦٢ ـ ١٦٦.

ومعروف أن قبائل بني الحارث، ونهد، وجرم مساكنها في جنوب الجزيرة العربية.

والمعركة التي حصلت بين باهلة وتلك القبائل وقعت في مكان بين بلاد باهلة وتلك القبائل.

وقد حدد الشاعر هذا المكان بين: قَوٍّ، وضارج، وبين «صاحة» حيث شبعت نسور تلك الجهة من أشلاء القتلى.

ومن المعروف أن «صاحة» واقعة في عالية نجد الجنوبية على ضفة وادي «الركاء» الجنوبية. وقد أفادنا الشاعر: أن عجائز نهد وبني الحارث كن يؤملن في الغنائم التي سيجلبها أبناؤهن من المعركة، ولكنهن عندما تحققن من الهزيمة المفجعة رجعن إلى «تثليث» تذرف كل واحدة منهن دموعها مما جعلها تكتفي مِن الغنيمة بالإياب، وبما اعتادته في بلادها من الصمغ والبريـر. ـ البرِير: ثمر الأراك ـ

وكما نعرف فإن «تثليث» واقعة في أقصى عالية نجد الجنوبية مما يلي جبال الحجاز.

وأَمَّا «قَوّ» الذي ذكره الشاعر مقروناً بضارج فهو «قَوّ» الواقع ناحية بلاد بني عُقَيْل وهو الذي ذكره الدكتور عبدالعزيز بن محمد الفيصل وهو يعدد بلاد «عُقَيل» حيث قال: (قَوّ: من أودية العقيق عقيق بني عقيل، وقد دفن في هذا الوادي صخر بن عمرو بن الشريد أخو الخنساء وقد ذكرت ذلك في قولها:

وقالوا إن خير بني سليم ... وفارسهم بصحراء العقيق[1]

وقفة:

لست أدري لماذا جاء البلدانيون بصخر بن عمرو بن الحارث بن الشَّرِيد، أخي الخنساء إلى بلاد بني عُقَيْل؟

(١) شعراء بني عُقَيْل: ص ١/٦٧.

فقالوا: إنه دفن في هذا الوادي.

والذي يبدو لي أنهم خلطوا بين عقيق بني عقّيل، وعقيق الواقع قرب المدينة المنورة مع العلم أن هذا في المغرب وذاك في المشرق والمسافة بينهما بعيدة.

ومعروف أن صخراً مات ودفن فى بلاد قومه قرب الحجاز.

مع أن البيت المستشهد به هنا لم تقله الخنساء في أخيها صخر، وإنما قالته في أخيها «معاوية» وقد صرحت باسمه بعد هذا البيت من القصيدة التي رثته بها. حيث قالت:

وإذ فينا معاويةُ بنُ عمرو ... على أَدْمَاءَ كالجمل الفَنِيق

وكان قتل في «يوم حوزة الثاني» قتله هاشم بن حرملة وأخوه دريد من بني غطفان. وبنو غطفان يجاورون بني سليم في مساكنهم شرقي الحجاز، وكانت لهاشم بن حرملة صولات وجولات هناك كما قال الشاعر:

أحيا أباه هاشم بن حرمله ... بين الهباءات وبين اليعمله

ترك الملوك حوله مغربله ... يقتل ذا الذنب ومن لاذنب له

وجبال اليعملة: في أرض بني سليم ناحية أرض محارب ومياه اليعملة مشتركة بين الحيين، وهي بالقرب من وادي العقيق عقيق المدينة لا عقيق بني «عُقّيل».

ومن مساكن بني سليم «صُفَّيْنَةَ» الواقعة جنوب غربي «مهد الذهب» وقد جاء خبر موت «صخر» لأخته وهي مقيمة فى صفينة حيث تقول:

طرق النعي على صفينة غدوة ... ونعى المعمم من بني عمرو

وكان سبب موت صخر على أثر طعنة أصابته في معركة وقعت بين بني سليم وبني أسد في يوم يقال له «يوم ذي الأثل» ـ أو ذات الأثل.

واندملت تلك الطعنة ولكنها لحقت عليه أخيراً ومات على فراشه إثر عملية جراحية فاشلة، ودفن في بلاد قومه بعيداً عن وادي بني عُقّيل.

ولنتحرك من هذه الوقفة لنواصل الحديث عن ضارج القصيم:

أقول: إني أتفق مع مؤلف معجم بلاد القصيم حول تحديده لضارج وأنه مايسمى في وقتنا الحاضر «الشقة» وأن اسمه القديم «ضاري».

وقد حدده لنا الدكتور صالح بن سليمان الوشمي ـ رحمه الله ـ تحديداً دقيقاً حيث قال:

(« الشقة الرفيعة (وضارج ـ ضاري) :

الشقة : تطلق بالقصيم تعريفاً لبلدين يقعان شمال بريدة ويعنينا منهما «الشقة الرفيعة» لوقوعها فى قطاع الجواء من منطقة القصيم، وإن كان بعض البلدانيين اعتبروا الشقة عموماً كلها من الجواء وسمى البعض الشقة الرفيعة بالعليا.

وهي على شكل بطن من الأرض ممتد من الشمال إلى الجنوب يتسع في جهته الشمالية (موقع الشقة الرفيعة) يحيط به من الشرق جال أي مرتفع صخري مشرف، ومن الغرب الرمل، ويشتمل على الشقة السفلى في جنوبيه والشقة العليا في شماليه، وضاري (ضارج قديماً) في وسطه ـ إلى أن قال:

.. وقد أخبرني أحد كبار السن بأن تسمية الشقتين السفلى والعليا لأنهما شقتا وادي (ضارج) وقد ذكر لغدة الأصفهاني: بأن ضارجاً لبني الصيداء من بني أسد وقوم من بني السبيع وهم فخذ من حنظلة.

وتوجد قرب ضارج آبار قديمة وكثيرة ولعلها جاهلية أيضاً وتعرفها العامة باسم هلالية وربما هي الأطواء التي قصدها الشاعر الحطيئة بقوله:

وكادت على الأطواء أطواء ضارج ... تساقطني والرحل من صوت هدهد

ويتحدد مكان ضاري (ضارج) القديم وسطاً بين البلدتين ويقوم عليه حالياً مكان الجسر الخرساني على الطريق العام من بريدة إلى حائل والمدينة المنورة، وقد عرف هذا المكان باسم المثلث[1]) انتهى كلامه ـ رحمه الله ـ باختصار.

توهيم في غير محله :

قال صاحب «معجم بلاد القصيم»

(وهم :

قال الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ في تفسير قول امرىء القيس :

قعدت وأصحابي له بين ضارج وبين العذيب بُعْدَ ما مُتَأَمَّل

ضارج : جبل في بلاد بني أسد، تغير اسمه اليوم عن هذا الاسم وقد اختص به بنو الصيداء وهم بطن من بني أسد.

وضارج ليس بجبل بل هو ماء في القديم كما قدمنا لم يتغير اسمه إلا الجيم أصبحت ياء[2]).

أقول تعليقاً على هذا التوهيم:

عندما قال الشيخ محمد بن بليهد: إن ضارجاً جبل. لايعني أنه قال: إن ضارجاً ليس ماء والنصوص التي تكلمت عن ضارج لم يرد فيها صراحة أن ضارجاً ماء.

فالنص الذي قاله لغدة الأصفهاني هو: (وأُثال لعبس، وهو واد فيه نخل، وضارج لبني الصيداء من بني أسد وقوم من بني السبيع وهم فخذ من

---

(١) كتاب «الجواء» سلسلة هذه بلادنا : ص ١٣٠ ـ ١٣٢ .

(٢) معجم بلاد القصيم : ص ١٤٠٢/٤ .

حنظلة[1]) .

أما البكري فقال عن اليزيدي، وأبو زيد الضرير :

(ضارج ماء لبني عبس وأنشد للحصين بن الحمام المري:

فقلت تأمل أن مابين ضارج ونهي الأكف صارخاً غير أخرما[2])

ولن أورد قول الطوسي لأنه ليس بشيء.

أما ياقوت الحموي: فبعد أن أورد قصة وفد اليمن وتكلم عن ضارج هناك قال:

(ضارج : من النقي ماء ونخل لبني سعد فخذ من حنظلة، وقال آخر:

وقلت تبين هل ترى بين ضارج ونهي الأكف صارخاً غير أعجما [3]

أقول : إن ضارجاً الذي قيل عنه صراحة أنه ماء هو ضارج الموجود في (الفقي) .

وقد يفهم من كلام ياقوت أن الذي لبني السبيع من حنظلة هو هذا الماء.

وقول الشيخ محمد بن بليهد بأن ضارجاً جبل له مايبرره حيث قال الهمداني:

(وعرعر واد لطي، وضارج، والعذيب، وقطن، وثيتل، والستار، ويذبل، وماسل جبال[4]) .

فهل ياترى عَنى امرؤ القيس ضارجاً هذا الجبل أم غيره؟ هذا مالم يتضح لنا بشكل واضح وجلي.

(١) بلاد العرب : ص ٢٧٠ .
(٢) معجم ما استعجم : ص ٨٥٢/٣ .
(٣) معجم البلدان : ص ٤٥٠/٣ .
(٤) صفة جزيرة العرب : ص ٣٢٩ .

لذا فإن من الأولى إبقاء قول الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ كنص من النصوص يستدل به، وهو أفضل بكثير من نص الطوسي وغيره من النصوص التي لاتمت إلى الواقع بصلة.

ثالثاً ـ رأي الاستاذ سعد بن عبدالله بن جنيدل حول «ضارج»:

يقول في رسم «ضارج» من باب الضاد في كتابه (معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر) وهو يعلق على رأي مؤلف معجم بلاد القصيم حول ضارج:

(قلت: ماقاله في تحديد موقع ضارج الذي ذكر أصحاب المعاجم أنه موضع في بلاد بني أسد ويشاركهم فيه بنو السبيع من تميم ـ والذي أصبح في هذا العهد يسمى «ضارياً» تحديد قريب من الصواب، لأن النصوص المتقدمة تؤيد ذلك.

أما جزمه بأنه هو الموضع الذي عناه امرؤ القيس فأمر فيه نظر، لأن وضع السحاب الذي كان امرؤ القيس وصحبته يرقبونه يقتضي غير ذلك. لأنهم لو كانوا في هذا الموضع من بلاد القصيم لما كان لقول امرىء القيس: «بعد ما متأمل» إذ لو كانوا في «ضارج» كما حدده محمد العبودي» لكانوا تحت صوب هذا الغمام ـ الذي شمل بلاد القصيم بسيله ـ ولما قال امرؤ القيس:

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل

وشعر امريء القيس يدل على أنه كان هو وصحبه يتأملون برق هذا السحاب من مكان بعيد عن البلاد التي يمطر عليها، لأنهم لايرون برقه إلا وميضاً، كحركة اليدين أو سنا مصباح راهب لبعده منهم.

ويؤكد ذلك قوله: بعدما متأمل.

ومادام أنهم يرون أن أيمنه على قطن وأيسره على الستار فيذبل، أو على مافي رواية الأصمعي ـ وهي الصحيحة ـ على النباج فثيتل، فإنهم لابد وأن يكونوا في بلد ناء عن بلاد القصيم شمالاً. لافي ضارج القصيم الواقع في بحبوحة موقع ذلك المطر[1]) انتهى.

التعليق :

يقول مؤلف «معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر» وهو يعلق على تحديد مؤلف معجم بلاد القصيم لضارج:

(أما جزمه بأنه هو الموضع الذى عناه امرؤ القيس فأمر فيه نظر).

يبدو لي أن المؤلف حينما أخذ برواية الأصمعي لبيت امريء القيس وهي:

قعدت له وصحبتي بين حامر وبين إكام بعد ما متأمل

لم يؤيد مارآه الآخرون حينما أخذوا بالرواية الأخرى وهي المشهورة:

قعدت له وصحبتي بين ضارج وبين العذيب بعد ما متأمل

فأجده في رسم «حَامِر» عدد المواضع المسماة بهذا الاسم وعددها أربعة مواضع ويرى أن الواقع على شط الفرات هو الذي عناه امرؤ القيس فلذا قال:

(لاشك أن امرأ القيس يريد منها الموضع الذي إذا كان فيه، غدا يرى صحبه سنا البرق وميضاً لبعده يشبه لمع اليدين، أو مصابيح راهب ويكون أيمن السحاب بالنسبة لموقعه يمطر على قطن وماحوله، ويمتد سيره يسرة من الغرب إلى الشرق غامراً بلاد الجواء بوبله حتى يكون أيسره على «النباج» وثيتل. ثم يلقي بصحراء الغبيط بعاعه.

وهذا الوصف لاينطبق إلا على الموضع الواقع في ناحية الفرات لبعده من

---

(١) معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر : ص ٣١٣ ـ ٣١٤ .

بلاد القصيم التي يمطر عليها هذا السحاب. ولصحة الموقع من عارض السحاب، وهذا يتفق مع قوله واصفاً بعد مكانه من البرق الذي يراه هو وصحبه: «بعدما متأمل»[(1)].

أقول: إذا عرفنا أن «حَامراً» على شط الفرات، وأن «إكاماً» جبل بالشام فمعنى ذلك أن المؤلف يرى أن امرأ القيس كان جالساً مع صحبه بين الشام والعراق يرقبون وميض برق يمطر سحابه على منطقة القصيم. فلست أدري كيف يرى من هذه حاله برق هذا السحاب الممطر على القصيم؟!

ومن المعروف أن من يقعد بين هذين الموضعين «حامر» و«إكام» لابد أن يكون متجهاً بوجهه إلى جهة الجنوب مادام يرقب سحاباً يمطر منطقة القصيم، والمؤلف يقول حسب تصوره هذا إن السحاب: يمطر على قطن وماحوله، يمتد سيره يسرة من الغرب إلى الشرق غامراً بلاد الجواء بوبله حتى يكون أيسره على «النباج» وثيتل.

ولست أدري كيف تصور أستاذنا سعد هذا التصور وهو الباحث الفطن المدقق؟

ولكن قد يكون ألجأه إلى ذلك تلك الرواية الغريبة المنسوبة إلى الأصمعي، وهي رواية في نظري لاتتمشى مع واقع حال امرىء القيس عندما وصف لنا هذا السحاب، والمواضع التي جادها فالصورة مختلفة تمام الاختلاف عن هذه الرواية.

وامرؤ القيس عندما راقب السحاب كان متجهاً بوجهه جهة الغرب التي قدم منها السحاب. ولعل المؤلف قرب من الصواب أو كاد حينما استثنى بقوله في رسم «إكام»:

---

(١) معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر: ص ١٤٣.

«اللهم إلا أن يكون امرؤ القيس أراد العذيب الواقع في العراق ـ قرب الكوفة ـ وأن يكون «ضارج» مصحفاً من «بارق» القريب من العذيب..»[1]).

ومن يراقب سحاباً متجهاً من الغرب إلى الشرق وهو جالس شمالاً من سير السحاب متجهاً بوجهه جهة الجنوب فإن هذا السحاب لايكون له يمين ويسار وإنما يكون له مقدمة ومؤخرة؛ أما من يجلس أمام اتجاه السحاب ويرقبه وهو قادم فإن باستطاعته أن يحدد أيمنه وأيسره، وهذه حال امرىء القيس بلاشك عندما قعد هو وصحبه يرقب السحاب.

ولست مع المؤلف فى رده لقول الأستاذ محمد العبودي لأنه في نظري القول الأصوب وذلك حينما قال المؤلف عن امريء القيس وصحبه: (لأنهم لو كانوا في هذا الموضع من بلاد القصيم لما كان لقول امرىء القيس «بعد ما متأمل»: إذ لو كانوا في «ضارج»، كما حدده محمد العبودي لكانوا تحت صوب هذا الغمام الذي شمل بلاد القصيم بسيله...).

أقول: إن امرأ القيس كان مع صحبه ـ فيما يبدو لي ـ شمال منطقة الجواء ويرقبون السحاب وهو قادم من جهة الغرب من بعد يشاهدون وميض برقه ويرقبون وصوله إليهم وهو بلاشك سيمطر على المكان الذي كانوا جالسين فيه. ولذا وصف لنا امرؤ القيس ما أحدثه هذا السحاب من دمار حيث اقتلع أشجار الدوح حول كتيفة، كما اقتلع نخيل «تيماء» وهدم منازلها، كما سمع امرؤ القيس مكاكي الجواء صبيحة ذلك اليوم تغني طرباً بهذا الغيث النازل.

وماقاله المؤلف هنا بالنسبة إلى «ضارج» قاله عند كلامه عن «العذيب» ولهذا سنكتفي بما قلناه هنا وارجع إلى ماقاله في رسم العذيب صفحة (٣٥٠) من نفس الكتاب.

---

(١) معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر: ص ٢٢.

ولكل ماتقدم فإني أميل إلى القول بأن ضارجاً الذي عناه امرؤ القيس هو «ضاري» الذي تكلم عنه أستاذنا العبودي. وكما حدده لنا بدقة الدكتور صالح الوشمي ـ رحمه الله ـ ولعلنا بذلك عرفنا أحد الموضعين اللذين قعد بينهما امرؤ القيس حيث قال:

قعدت وأصحابي له بين ضارج وبين العذيب بعد ما متأمل

أما رواية الأصمعي لهذا البيت إذا صحت نسبتها إليه فعندي أنها تحريف لشعر امريء القيس.

والآن دعونا نتعرف على الموضع الثاني وهو «العذيب».

الْعُذَيْبُ

العذيب : من المواضع التي احتار البلدانيون في تحديدها.

فمن تصور أن امرأ القيس عندما كان جالساً يرقب السحاب القادم من جهة الغرب أشار بيده اليمنى إلى «العُذَيب» وأشار بيده اليسرى إلى «ضارج».

من تصور هذا التصور لن يجد جهة الشمال إلا «العذيب» الواقع قرب «الكوفة» وهذا بلاشك يبعد كثيراً عن المكان الذي يُقَدَّر أن امرأ القيس كان جالساً فيه.

أما من تصور أن امرأ القيس أشار بيده اليسرى إلى «العذيب» وبيده اليمنى إلى «ضارج»؛ من تصور هذا التصور فستكون حيرته أكثر لأنه لايوجد موضع اسمه العذيب واقع جهة الجنوب من القصيم الذي يوجد فيه «ضارج».

ولهذا السبب وقع كثير من الباحثين في حيرة من تحديد العذيب هذا. ولعلي أوجز فيما يلي ماذهب إليه من قرأت لهم ممن كتبوا عن «العذيب» في وقتنا الحاضر.

أولاً ـ يقول الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله :

(فأما العذيب فإنه يطلق على ثلاثة مواضع: اثنان منها في جهة العراق، وقد أكثر الشعراء من ذكرهما، وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد ابن أبي وقاص «إذا كنت يوم كذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجنات وعذيب القوادس، وشرِّقْ بالناس وغرِّبْ بهم.. وهذا دليل على أن هناك عذيبين.

والعذيب الثالث في بلاد عُذْرَة، وهو الذي عناه كُثَيِّر في شعره..

وهناك عذيب رابع بئر جاهلية قديمة يقال لها العُذَيب من آبار أثيفية تقع في جنوبيها عليها نخل ومزارع، وهي معروفة بهذا الاسم إلى اليوم عند أهل تلك الناحية وهم أهل الوشم.

وظني أن امرأ القيس لم يَعْنِ في قصيدته إلا عذيباً قد تغير اسمه في عالية نجد؛ لأن المواضع التي ذكرها كلها في عالية نجد[1]) انتهى.

أقول: يفهم من كلامه ـ رحمه الله ـ أن العذيب الذي أشار إليه امرؤ القيس يقع جنوباً من «ضارج» أي في عالية نجد.

ثانياً ـ قال الاستاذ حسن السندوبي في شرحه لشعر امرىء القيس:

(ضارج: ماء بأرض طيء له حكاية ترد. والعذيب: ماء قريب منه[2]) .

أقول: لقد قرب الأستاذ حسن العذيب من ضارج، ولكن أين يقع كل منهما؟ هذا هو بيت القصيد!!

وعندما نلقي نظرة على الكتب والدراسات الحديثة عن امرىء القيس نجد أن بعض شراح هذا البيت يأخذون بهذا القول نصاً.

ثالثاً : أما مؤلف معجم بلاد القصيم الاستاذ محمد بن ناصر العبودي فيقول:

(المعْذَبْ : .. مورد ماء عد قديم عذب المذاق يقع في نهاية خبوب بريدة الغربية في نقرة منخفضة غير واسعة، وكان في السابق يزرع قمحاً وخضراً أما الآن فليس فيه إلا أثل وآثار زراعة، أقرب القرى المعمورة منه «الغماس» ويقع إلى الشرق منه.

ولايبعد عن مجرى وادي «الرمة» كثيراً إذْ يبعد عنه بحوالي عشرة كيلات

---

(١) صحيح الأخبار: ص ٢٢/١ .

(٢) شرح ديوان امرىء القيس : ص ١٥٧ .

إلى الشمال من الوادي وبينهما رمال الغميس: غميس بريدة فيه آبار عدة عذبة الماء مشهورة بذلك تقصد له وماؤه قريب القعر كان لايحتاج إلى أكثر من ثلاثة أمتار أو أربعة من الرشاء. والظاهر أنه هو (العذيب) الذي ذكره امرؤ القيس في المعلقة:

وقفت له وصحبتي بين ضارج وبين العذيب بعد ما متأمل

فعلى هذا يكون اسمه قد حُرِّف من «العُذَيْب» إلى «المعْذَبْ» وقد ذكرت توجيه أبيات امرىء القيس في رسم ضارِي في حرف الضاد فراجعه إن شئت. ولكن كثيراً من المتقدمين لم يعرفوا العذيب هذا فقد استشكلوا كون امرىء القيس قرن ذكر العذيب بذكر ضارج مع أن العذيب مكان في العراق قريب من الكوفة.

هذا مع قولهم بأن هناك عدة أماكن في بلاد العرب يسمى كل منها باسم «العذيب».

ولاشك. عندي في أن معلقة امرىء القيس من أقوى الأدلة على أن «المعْذَبْ» هذا هو الذي كان يسمى قديماً بالعذيب، وأنه الذي قرن ذكره بذكر ضارج إذ كلاهما في القصيم ولا يفصل المسافة بينهما أكثر من عشرين كيلاً تقريباً.

هذا إلى أن كلمة العذيب هي تصغير العذب ومعناه: الماء العذب المذاق والمتأخرون جعلوه المعذب على لفظ المكان في لغتهم الذى يستعذب منه الماء. أي: يقصد لجلب الماء العذب منه وهذا هو الواقع بالنسبة للمعذب هذا.

ولعل ماقاله الإمام العلامة محمد بن حبيب أصرح من غيره في هذا الأمر إذ قال: العناب: جبل أسود في جانب رمل العذيبة.

والعناب تقدم في رسم الإصبعة في حرف الألف بأنه هو الإصبعة وهو يبعد كثيراً عن الرمال التي فيها «المعذب»..[1]) انتهى.

---

(١) معجم بلاد القصيم: ص ٢٣٠٣/٦.

مناقشة هذا الرأي :

اتضح لي أن مؤلف «معجم بلاد القصيم» يميل إلى القول بأن «العُذَيْبَ» الذي قرن ذكره امرؤ القيس بذكر «ضارج» يقع جنوباً من ضارج الذي حدده المؤلف بـ «ضاري». ولذا أجهد نفسه كثيراً بالبحث عن مكان يقرب اسمه من مسمى «العُذَيْب» في هذا الاتجاه فلم يجد مايقاربه في اللفظ سوى «المعْذَب» الواقع وسط نقرة ضيقة منخفضة وهذه النقرة هي أحد خبوب بريدة الغربية، وظهر له أنه هو «العُذَيْب» الذي ذكره امرؤ القيس في معلقته، وأن اسمه قد حرف من العذيب إلى المعْذَب.

وأنه لاشك عنده في أن معلقة امرىء القيس من أقوى الأدلة على أن هذا الماء المسمى «المعذب» ماهو إلاَّ العذيب قديماً المقرون بضارج إذْ كلاهما في القصيم ولايبعد أحدهما عن الآخر بأكثر من عشرين كيلاً تقريباً.

وتعليقاً على ذلك أقول:

إن مايسمى «المعْذَب» ليس هو «العُذَيْب» الذي أشار إليه امرؤ القيس في معلقته. ويبدو لي أن اسم «المعْذَب» هذا لم يكن أصله «العذيب» وإنما هذا هو اسمه الذي أطلقه عليه أهل القصيم لعذوبة مائه، ولكونهم يستعذبون منه الماء.

واستعذاب الماء مشهور عند أكثر بلدان نجد التي تقل فيها الآبار العذبة حيث يلجأ الأهالي إلى استجلاب الماء من البئر العذبة، وإن نأت عن البلدة وذلك بواسطة الإبل والحمر. وقد يُسَمِّي البعض هذا البئر «الْمَرْوَى» لكونهم يرتوون منه الماء العذب.

كما أن استعذاب الماء معروف منذ القدم فهذا الإمام الحربي ـ رحمه الله ـ يحدثنا في كتابه «المناسك» بقوله وهو يتكلم عن طريق حاج البصرة القديم:

(ومن جديلة إلى فلجة خمسة وثلاثون ميلاً، وفلجة ماؤها مالح يُستَعْذَبُ لأهلها ولمن مرَّ بها من «القُطُبيَّات» وهي ثلاثة أميال منها).

أما كون امرئ القيس قرن ضارجاً والعذيب بالذكر بسبب قربهما من بعض وأن كلاً من ضارج والمعْذَب في القصيم ولايفصل بينهما إلا نحو من عشرين كيلاً تقريباً فهذا استدلال في غير محله.

لأن امرأ القيس عودنا في شعره أن يقعد بين موضعين متباعدين وذلك عندما يرقب سحاباً لأن تأمله للمواضع يذهب بعيداً أكثر مما نتوقع نحن.

فقد ذكر لنا مرة أنه قعد بين «ضارج» هذا الذي نتحدث عنه وبين تلاع يثلث والعريض وذلك عندما قال:

قَعَدْتُ لَهُ وصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ ... وبَيْنَ تِلاَعِ يَثْلَثَ فَالْعَرِيضِ

أَصَابَ قُطَيَّاتٍ فَسَالَ لِوَاهُمَا ... فَوَادِي البَدِيِّ فَانْتَحى للأَرِيضِ

وقد عرفنا أن ضارجاً يقع في منطقة القصيم شمالاً من مدينة «بريدة» غير بعيد منها.

و«يثلث» الذي ذكر تلاعه هنا: جبل يقع غربي جبل ثهلان أي في وسط عالية نجد ويسمى الآن «أَثْلِثْ».

أما «العَرِيض»: فهو قنة منقادة من جبال النير. أي أنه يقع غرباً من «يثلث» يشاهد أحدهما من الآخر.

وتقدر المسافة بين «يثلث» وضارج الواقع في القصيم بما يقارب ثلاثمائة كيل.

والمستقرىء للشعر العربي يلحظ أن الشعراء يقرنون ذكر المواضع وإن نأت عن بعضها.

ولعلي أستنبط من قول امرىء القيس: (بُعْدَ ما مُتأمل) في قوله:

قعدت له وصحبتي بين ضارج وبين العذيب بعد ما متأمـــل

أن العذيب بعيد عن ضارج ولذا قال (بعد ما متأمل).

وكأني به عندما قدح زند فكره ليحدد مكان قعوده اقتضاه المقام والقافية أن يحدد هذين الموضعين وهما: ضارج، والعذيب.

وعندي أن ضارجاً يقع على يساره أي جهة الجنوب، والعذيب يقع على يمينه أي: جهة الشمال.

قد يقول قائل: بأن المُتَأَمَّلَ هو السحاب الذي كان يرقبه كما قال ذلك «الزوزني» في شرحه لهذا البيت حيث قال: (ضارج والعذيب: موضعان.

بعدما: أصله بَعُد ما فخففه فقال بعد، وما زائدة وتقديره بعد متأملي.

يقول: قعدت وأصحابي للنظر إلى السحاب بين هذين الموضعين وكنت معهم فبعُد متأملي وهو المنظور إليه، أي بعُد السحاب من مكان بعيد فتعجب من بعد نظره؛

وقال بعضهم: إن ما في البيت بمعنى الذي هو: هو، وتقديره على هذا القول بعد السحاب الذي هو متأملي[1]).

أقول: إن معنى هذا البيت كما هو محل إشكال عند البلدانيين فهو أيضاً محل إشكال عند علماء اللغة.

والذي أميل إليه أن امرأ القيس لم يقصد بقوله هذا بعد السحاب الذي هو متأمله ولكن قصد بعد المكان الذي حدده.

وحتى لا أقحم نفسي وأقحم القارىء معي في خلافات أهل اللغة حيث

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني: ص ٣٨.

لدينا مايكفينا من خلاف البلدانيين؛ فإني أحيل القارىء إلى كلام البغدادي في كتابه «خزانة الأدب» ليطلع على ماقاله عن الشاهد رقم (٧٧٠) وهو هذه الجملة التي نتحدث عنها الآن حيث أطال الكلام عن هذا الشاهد من معلقة امرىء القيس (الجزء التاسع الصفحات ٤٢٤ إلى ٤٢٧).

المعْذَب والعُنَّاب :

اجتهد مؤلف معجم بلاد القصيم بأن يجعل من «المعْذب» عُذَيْباً وذلك عندما استشهد بقول العلامة محمد بن حبيب إذْ قال: «العَناب: جبل أسود في جانب رمل العذيبة) وعَدَّ المؤلف هذا القول أصرح من غيره في هذا الأمر.

أقول: إن هذا الاستشهاد في غير محله فالعُنَّاب الذي ذكره ابن حبيب غير العُنَّاب الذي في منطقتنا، والعذيبة بلاشك غير «المعْذَب».

فمعْذَبنا وعُنَّابنا في منطقة القصيم بنجد، ومايتكلم عنه محمد بن حبيب في «تهامَة» فيا بعد مابين الموضعين!!

ولو أن مؤلف «معجم بلاد القصيم» ـ عفا الله عنه ـ أورد لنا كامل النص لظهر لنا بوضوح أنه لا علاقة للعناب والعذيبة اللذين ذكرهما بما نحن بصدده. وإليك كامل النص من المرجع نفسه الذي استقى منه المؤلف هذا القول:

(**العُنَاب** :

... وقال محمد بن حبيب : العُناب جبل أسود في جانب رمل العُذَيْبَة، وأنشد لكُثَيِّر :

لَيَالِيَ منهـا الواديان مظَنَّةٌ ... فَبُرْقُ العُنَاب دَارُهَا فَالأَمَالِحُ

قال : والأَمالح والأُمَيْلح: من أَسفل يَنْبُعَ[1]) إلى آخر النَص.

---

(١) معجم ما استعجم : ص ٩٧٢/٣ .

من هذا نعرف أن العذيبة التي ذكرها كُثَيِّر عزَّة تقع هناك في ديار عزَّة قرب العُنَاب، والأمالح، وكل هذه المواضع كما هو واضح قرب «ينبع». والبكري في رسم «العُذَيْبَة» قال:

(العُذَيْبَة: موضع في طريق مكة بين الجار وينبع قال كُثَيِّر:

خَلِيلَيَّ إنْ أُمُّ الحُكَيمِ تَحَمَّلَتْ ... وأَخْلَتْ لِخَيْمَاتِ العُذَيْبِ ظِلالَهَا

يريد العذيبة بإسقاط الهاء[1]).

ويحدد لنا الاستاذ عاتق البلادي موقع «العذيبة» بقوله:

(العذيبة: سهل ممتد من وادي الفقير في الساحل باتجاه ينبع شمالاً، فيه جبل يسمى نعيجة العذيبة، وتخترقه أودية وفيه أراض زراعية ويمكن أن يطل على السهل بين الجار والصفراء وينبع[2]).

ويحددها بدقة أكثر الأستاذ عبدالكريم محمود الخطيب حيث يقول:

(العُذيبة: ماتزال معروفة وهي أرض واسعة يخترقها اليوم خط الزفت بين ينبع البحر، وبدر تحدها شرقاً جبل نصع وجبال وادي الصفراء، وشمالاً: وادي واسط وغرباً: شاطيء البحر الذي فيه ميناء صغير يدعى المعجز.

ويقول كثير وعناها:

خليليَّ إنْ أُمُّ الحُكَيِّم تحملت ... وأخلت لخيمات العذيب ظلالها

فلا تسقياني من تهامة بعدها ... بِلالاً وإن صوب الربيع أسالها[3])

انتهى

أقــول: هذه بلاد كُثَيِّر عزَّة ،ومما يدل على أنه يعني العُذَيْبَة التي في بلاد قومه قوله:

(١) معجم ما استعجم: ص ٩٢٨/٣ .
(٢) معجم معالم الحجاز: ص ٥٣/٦ .
(٣) شعراء ينبع وبنو ضمرة: ص ٤٢ .

(فلا تسقياني من تهامة بعدها)

ولَعلّي بهذا الإيضاح عن «المعْذَب» حُلْتُ بين اختلاط رمال «ينْبُع» مع رِمال القصيم، وأبقيت معذبيهما كلاً في مكانه!!

العذيب عند قدماء البلدانيين :

١ ـ يقول ياقوت الحموي :

(العُذَيْبُ : تصغير العذب، وهو الماء الطيب: وهو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلاً، وقيل هو واد لبني تميم. وهو من منازل حاج الكوفة[(١)]) .

٢ ـ ويقول البكري :

(العُذَيب: بضم أوله تصغير عذب: واد بظاهر الكوفة؛ قال معن بن أوس:

إذا هِيَ حَلّت كَرْبَلاَءَ فَلَعْلَعاً ... فَجَوز العُذَيْبِ دونها بالنَّوابِحَا

وهذه كلها مواضع متقاربة هنالك. وقال إبراهيم بن محمد في شرحه لشعر أبي الطيب المتنبي عند قوله:

تَذَكَّرتُ مابين العُذَيْب وبَارِق

العُذَيْبُ : ماء لبني تميم، وكذلك بارق، وديار تميم إنما هي في اليمامة..[(٢)]) انتهى

أقول: كأني بإبراهيم بن محمد قد استشكل أن يكون العذيب وبارق ماءين لبني تميم لأن المعروف عنده أن ديارهم في اليمامة. فقد خفي عليه أن لبني تميم منازل في تلك الناحية بين الكوفة والبصرة وقد خاضوا هناك معركة تعتبر

---

(١) معجم البلدان : ص ٩٢/٤ .
(٢) معجم ما استعجم : ص ٩٢٧/٣ .

من أكبر المعارك في الجاهلية وهي معركة «الكلاب الأول» وقد سميت هذه المعركة باسم ماء لهم يقال له «الكُلاَبُ» وماء «الكُلاَبِ» واقع بين الكوفة والبصرة.

ولعل في قَوْلَيْ ياقوت والبكري كفاية للتعريف بالعذيب .

وخلاصة القول : فإنه لكل ماتقدم فليس هناك قول قاطع يحدد مكان «العذيب» الذي أشار إليه امرؤ القيس في معلقته مما يدل على أنه خفي على الكثيرين من علماء البلدان .

وليس من المستبعد أن بعضهم لم يورد بيت امرىء القيس عند الكلام عن العذيب لأنه لاعذيب غيره ولذا فإني أميل إلى القول بأن العذيب الذي ذكره امرؤ القيس هو هذا العذيب الواقع دون الكوفة، وهو واقع على طريق حاج الكوفة قديماً فيما بين منزلي «القادسية» و«المغيثة» .

والمغيثة واقعة بين العذيب والقرعاء .

وبعد العذيب عن ضارج الواقع في القصيم يحمل على الاستغراب لبعدهما عن بعضهما ، وقد يتلاشى هذا الاستغراب بعد التعرف على الستار، ويذبل.

فإذا قلنا إن الستار، ويذبل يقعان جنوباً من «ضارج» أي في وسط عالية نجد ثم يأتي ذكر العذيب الواقع في شمال الجزيرة العربية فإن هذا بلاشك محل استغراب ولكني لست مع من حدد الستار ويذبل جنوباً؛ فهما يقعان جهة الشمال من ضارج ومنطقة القصيم لا جنوباً منهما .

وسنحدد مكانهما ـ إن شاء الله ـ بعد القيام بالرحلة الميدانية عندما نسير باتجاه العذيب لا في الطريق المعاكس له كما فعل الغير .

الرحلة الميدانية

في صباح يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر ذي القعـدة عـام ١٤١٣ هـ ابتدأت الرحلة الأولى للوقوف على بعض الأعلام والمواضع التي ذكرها امرؤ القيس في آخر معلقته.

وكان يرافقني في هذه الرحلة الأستاذ سعد بن علي بن شعيلان الماضي.

والحديث عن هذه المواضع لن يكون حسب ترتيبها الوارد في أبيات امرىء القيس وإنما سيكون حسب سير الرحلة وظروفها.

كانت بداية الرحلة من مدينة الدوادمي الواقعة في وسط عالية نجد باتجاه منطقة القصيم.

وعندما جاوزنا مدينة «الرَّس» وأقبلنا على بلدة «النبهانية» الواقعة في حضن جبل «أبان الأسمر» ـ أو الأسود كما يسمى أحياناً ـ من جهته الشرقية.

كانت النية تتجه إلى ترك الطريق المزفت والعبور بين أبانين: الأسمر، والأحمر. ليكون سيرنا على ضفاف وادي «الرُّمة».

وعند عبورنا فوق جسره الطويل لاحظنا كثرة المياه في مجراه فخشينا من مغبة المخاطرة في السير على ضفافه. عند ذلك واصلنا المسير حتى وصلنا «البتراء» فاتجهنا غرباً مع الطريق المتجه للمدينة وعندما جاوزنا «ثادج» ـ ثادق قديماً ـ أخذنا ذات اليسار بالاتجاه جنوباً إلى عَطَا وعُطَي. وعند الوصول إلى ملتقى وادي عطا بوادي «الرُّمة» كان أبان الأحمر أمامنا باتجاه الجنوب،. وأبان الأسود خلفنا باتجاه الشمال الشرقي ومجرى وادي الرمة بينهما يتجه شرقاً.

سرنا على ضفة وادي الرمة وعند منعطف مجراه كان لي هناك وقفة تأمل.

في هذا المكان يلتقي وادي الجرير ـ الجريب قديماً ـ قادماً من الجنوب بوادي الرمة، وقريباً من ملتقاهما يقع جبل «بدن» يتركه وادي «الجريب» شرقاً منه.

وفي هذا المكان ينتهي نفود العريق ـ عريق الدسم ـ حيث يحف به وادي «الرُّمة» من طرف نهايته، ووادي «الجريب» يمشي بمحاذاته من جهة الغرب حتى يدفع في «الرمة». ويعتبر وادي «الجريب» أعظم الأودية التي تصب في «الرُّمة» نظراً لطول مجراه وكثرة الأودية التي تدفع فيه حتى يلتقي بوادي الرمة في المكان الذي نقف عنده الآن، ويشهد لوادي «الجريب» باحتلاله هذه المكانة ماقاله العرب على لسان وادي «الرمة»:

كل بنيّ إنهّ يحسيني إلاّ الجريبَ فإنه يروْيني

إنها مناظر خلابة خاصة في مثل هذا الوقت الذي تتلألأ فيه رمال النفود الحمراء غب المطر، وتكتسي الأرض بحلتها الخضراء المزركشة بألوان الزهور المتفتحة مع الصباح.

لم يكن التوقف في هذا المكان من أجل المتعة فقط، ولكنها وقفة للتفكير والتخمين عن المكان الذي يوجد فيه «المجيمر» الذي أفادنا امرؤ القيس بأن السيل حام حوله فترك رأسه كفلكة المغزل بما ترك على سفحه من الغُثّاءِ والزَّبَد.

الْمُجَيْمِرُ

هذا الجبيل الصغير أشغل علماء البلدان قديماً وحديثاً حيث احتاروا في تحديد مكانه. أما القدماء فلا أظن أنهم يجهلونه، أما من حاول تحديده في وقتنا الحاضر فيبدو لي أنهم لم يحددوه لنا بدقة.

ومن هذا المنطلق حرصت على البحث عن هذا المجيمر المشهور باسمه الخفي في مكانه.

وكمدخل للتعرف عليه دعونا نُلْقِ نظرة على ماقاله شراح الشعر العربي، وعلماء البلدن حول مجيمر امرىء القيس حيث يقول فيه:

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة   من السيل والأغثاء فلكة مغزل

١ ـ قال الزوزني في شرح المعلقات السبع :

المجيمر : أكمة بعينها. الغثاء: ماجاء به السيل من الحشيش والشجر والكلا والتراب. وغير ذلك.

٢ ـ وقال التبريزي في شرح القصائد العشر :

(روى الأصمعي: «كأن طمية المجيمر غدوة».

والمجيمر : أرض لبني فزارة. وطمية جبل في بلادهم. يقول: قد امتلأ المجيمر، فكأن الجبل في الماء فلكة مغزل لما جمع السيل حوله من الغثاء. ويروى «كأن قليعة المجيمر») انتهى .

أقول: القول الأول الذي روي عن الأصمعي ليس بشيء، و«طمية» ليست أكمة صغيرة ولكنها هضبة كبيرة عالية ترى من مسافات بعيدة، وتعتبر أطول الجبال الموجودة في المنطقة وحتى تتصور ضخامتها وطولها انظر إلى صورتها

الصورة رقم (٢٨).

٣ ـ ويقول الأستاذ حسن السندوبي في شرح ديوان امرىء القيس :

المجيمر : جبل.

أقول: كان بودي أن الأستاذ حسن عرف لنا المجيمر بأكثر من هذا مادام تصدى لشرح ديوان امرىء القيس خاصة وأن له باعاً طويلاً في هذا المجال.

واقتصاره على هذا التعريف يذكرني بتعريف راعي غنم وجدته في إحدى الرحلات في مكان يقع في «حمى ضرية» بين جبل «وسط» وجبل «عَسْعَس» فأحببت أن أسأله عن هضبة لفتت نظري بشكلها الغريب حيث يوجد في أعلاها فتحة وفي وسط الفتحة حجر كبير على شاكلة باب ومن ينظر إلى تلك الفتحة يتخيلها باباً مفتوحاً.

رقم (٢٨) : «هضبة طمية» الواقعة جنوب غرب «عقلة الصقور».

ونظراً إلى أن هذا الراعي من جنوب آسيا فقد ترددت في سؤاله ولكن قلت لنفسي لعل الرجل لطول مكثه في تلك الأرض ورعي ماشيته حولها عرف اسمها.

وعندما سألته عن اسمها قال:

هل تريد اسمها بالعربي أو بالأردي؟!

فقلت : بل بالعربي وهذا يكفي.

فقال : اسمها «جبل»!

فكانت إجابته نكتة. لا لإجابته الساذجة ولكن لإقدامي على سؤاله .

وقد عرفت اسم هذه الهضبة فيما بعد حيث تسمى «البُوَيْب» وانظر صورتها رقم (٢٩) مع الاعتذار للأستاذ حسن السندوبي.

٤ ـ أما علماء البلدان فيقول ياقوت الحموي عن المجيمر :

(المُجَيْمِرُ: تصغير المجمر وهو مايجتمر به، فمن أنثه ذهب به إلى النار، ومن ذَكَّرَه عني به الموضع : جبل بأعلى مبهل؛ قال امرؤ القيس :

كأن ذُرى رأس المجيمر غُدْوَةً … من السيل والغُثّاء فَلْكَةُ مغزلِ

وقيل : المجيمر أرض لبني فزارة؛ وقال عبّاد بن عوف المالكي ثم الأسدي:

لمن ديارٌ عَفَتْ بالجزع من رقمِ … إلى قُصَائرةٍ فالجفر فالهدمِ
إلى المجيمر والوادي إلى قَطَنَ … كما يخط بياض الرَّق بالقَلَمَ[1]

٥ ـ ويقول البكري :

(المجيمر : على لفظ تصغير مِجْمَرَ: أرض لبني فزارة. قال ابن دُرَيْد: هو جبل لهم قال امرؤ القيس:

---

(١) معجم البلدان : ص ٥٩/٥ .

كأن طَمِيَّة المجيمر غدوة   من السيل والأغثاء فلكة مغزل

قال : وطمية: جبل هناك. ورواه محمد بن حبيب «كأن قليعة» تصغير قلعة.

ورواه الطوسي: * كأن به رأس المجيمر غدوة * أراد برأس المجيمر: الجبل المذكور..[(1)].

هذا ماقاله علماء البلدان قديماً. فدعونا نُلْقِ نظرة على ماقاله الباحثون في زمننا هذا ممن يقطنون بالقرب من هذه المواضع.

١ ـ يقول الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد ـ رحمه الله ـ

(المجيمر : على اسمه إلى اليوم لم يتغير. جبيل أسود صغير في أعلى مبهل، ومبهل: يصب في وادي الرمة يقع في بلاد غطفان، ويقال له اليوم «المجيمر»[(2)].

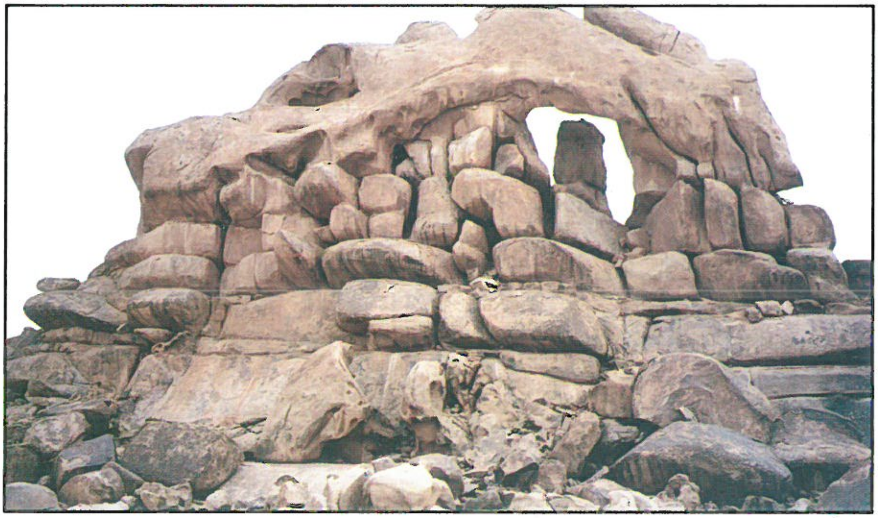

رقم (٢٩) : هضبة واقعة بين جبلي «وسط» و«عسعس» جنوب بلدة «ضَرِيَّة».

(١) معجم ما استعجم : ص ١١٨٧/٤ .
(٢) صحيح الأخبار : ص ٣٢/١ .

ثم أورد بيتي عباد بن عوف الأسدي .

أقـــول : ليته ـ رحمه الله ـ حدد لنا مكان هذا الجبيل الأسود الواقع في أعلى مبهل.

وهل هو مبـهل الذي يصب في الرُّمة من الجنوب، أم مبـهل الأجرد الذي يصب فيه من جهة الشمال؟

ولكن أغلب ظني أنه يقصد مبهل الذي يدفع في الرمة من الجنوب بدليل تحديده «كتيفة» فيه، وقد تقدم ماقلناه حول هذا الرأي ولن أعلق على قوله بأكثر من هذا.

٢ ـ ويقول الأستاذ محمد بن ناصر العبودي مؤلف «معجم بلاد القصيم»:

(الْمُصَيْقِر: بإسكان الميم المدغمة في لام التعريف فصاد مفتوحة فياء ساكنة فقاف مكسورة فراء على صيغة تصغير المصقر ولا أدري ماهو ولعل له علاقة بالصقر. جبل صغير شديد الحمرة بين «النقرة» و«عقلة الصقور» في أقصى غرب القصيم يراه السائر مع الخط الأسفلتي الممتد بين القصيم والمدينة المنورة على يساره إذا كان متوجهاً للمدينة.

ولم أجد تسميته هذه قديمة مما يحملني على القول بأنه كان يسمى قديماً باسم آخر،

وقد وصلت إلى رأي بأن اسمه القديم كان المجيمر. وأنه هو مجيمر فزارة وأضيف إلى فزارة تمييزاً له عن المجيمر الآخر الذي هو لبني عبدالله بن غطفان الذي يقع في أعلى وادي مبهل الذي يسمى الآن وادي المحلاني وسبق ذكره. وهذا هو الدليل:

قال الهمداني المجيمر: جبل لبني فزارة. قال الإمام ابن الأنباري:

المجيمر: أرض لبني فزارة وطمية: جبل في بلادهم. أقول: ـ القول لمؤلف

المصيقر : هذا واقع في بلاد فزارة عند ظهور الإسلام فقد كانت بلادهم بين الحاجر والنقرة.. ولانعرف الآن جبلاً في تلك المنطقة اسمه المجيمر وقد بحثت عن ذلك طويلاً مما يدل على أن اسم المجيمر قد تغير إلى اسم آخر ويدل وصفه على أنه هو هذا الجبل الذي يسمى الآن «المصيقر» ويدل على ذلك أيضاً الكلام الذي نقله الإمام الحربي وهو يتكلم عن طريق حاج البصرة إلى المدينة الذي ينطلق من الأسياح (النباج قديماً) فيمر بأثال والفوارة وقطن ووادي الرمة ثم يصل إلى النقرة قال: ثم تجوز ذلك فترى جبلاً يقال له طمية وهو جبل يرى من طريق الكوفة كأن ظهوره دخان، ثم تمر بالمجيمر وهو الذي يقول فيه امرؤ القيس :

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة   من السيل والأغثاء فلكة مغزل

أقول : ـ القول مازال له ـ

ذكره للمجيمر بعد ذكره لرؤية جبل طمية يؤكد ماذكرته إذ جبل طمية يرى على البعد بخلاف جبل المجيمر الذي لايرى إلا من قرب عندما يمر المرء به. وهناك نصوص أخرى قليلة ورد فيها ذكر (المجيمر) غير مقترن بما يدل على أي مجيمر يراد. أما الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ فإنه يرى أنه قد اهتدى إلى المجيمر الذي هو في النص الذي أشار إليه مجيمر غطفان لا مجيمر فزارة، فقال:

المجيمر : على اسمه إلى اليوم لم يتغير، جبل أسود في أعلى مبهل، ويقال له اليوم (المجيمر) . أقول: ـ القول للأستاذ العبودي ـ سألت كثيراً وبحثت طويلاً عن مكان أو جبل يقال له الآن المجيمر فلم أجده ووادي مبهل الذي ذكر الأقدمون أن الميجمر يقع في أعلاه قد تغير اسمه إلي (المحلاني) كما

سبق إيضاحه في رسم المحلاني. والله أعلم[1]). انتهى كلامه.

٣ ـ أما الأستاذ سعد بن جنيدل فرأيه حول المجيمر موافق لرأي مؤلف «معجم بلاد القصيم» حيث قال في كتابه «معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر» بعد أن أورد النصوص التي تكلمت عن «المجيمر»:

(يتضح من النصوص المتقدمة أن «المجيمر» اسم لموضعين، أحدهما في بني فزارة وهو المقترن ذكره بذكر طمية، وطمية جبل مازال معروفاً باسمه من أشهر الأعلام في عالية نجد في بلاد فزارة قديماً وهو جبيل صغير، وقد تغير اسمه فاصبح يسمى «المصيقر» وقد تحدث عنه محمد العبودي وحده..[2]) انتهى قوله باختصار.

مناقشة هذا الرأي:

المصيقر ليس المجيمر !!

مما تقدم نفهم أن مؤلف «معجم بلاد القصيم» حدد «المجيمر» الذي ذكره امرؤ القيس في معلقته بما يسمى بـ «المصيقر». وتابعه في ذلك مؤلف «معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر».

ولكني لست معهما فيما ذهبا إليه من رأي فأقول: إن المصيقر ليس هو المجيمر لأمور منها:

١ ـ من بيت امرىء القيس نعرف أن المجيمر جبيل صغير، وهذا مافهمه كثير من شراح هذا البيت من المتقدمين.

وقد وقفت على المصيقر هذا في رحلة سابقة فألفيته جبلاً ممتداً من الشرق إلى الغرب وينتهي طرفه الغربي برأس طويل مذروب مما جعله يرى من بعد.

(١) معجم بلاد القصيم: ص ٢٢٧٧/٦ ـ ٢٢٧٩

(٢) معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر: ص ٤٤٦.

وظني أن هذا الجبل سمي بالمصيقر لأن طرفه هذا كان مأوى للصقور والطيور الأخرى التي كانت تفرخ فيه في زمن مضى ولازالت آثارها تشاهد في قمته.

وهو امتداد لسنفان حمر تعرف عند أهل المنطقة باسم «الحمر».

وهو واقع في شمال هضبة «طمية» غير بعيد منها.

٢ ـ من قول امرىء القيس نفهم أن المجيمر واقع في مجرى واد يكتظ بمياه السيول الجارفة مثل وادي «الرمة» بدليل أن السيل يلقي بأغثائه على سفح هذا الجبيل الصغير.

وهذا الوصف لاينطبق على «المصيقر» لأنه واقع على مرتفع من الأرض ولايمر بقربه واد حتى يلقي بأغثائه على سفحه، وأقرب مجرى سيل له مايسمى «شعيب المصيقر» الذي يجرى بينه وبين خط الزفت وإذا سال فإنه لايقترب منه،

وترشيح هذا الجبل بأنه هو المجيمر الذي ذكره امرؤ القيس ليس له مايبرره.

علماً بأن المصيقر هذا واقع على خط العرض ٤٣َ ٢٥ْ وخط الطول ٥٨َ ٤١ْ وانظر إلى صورتيه رقم (٣٠) ورقم (٣١).

٣ ـ أما الرواية التي أوردها الحربي ـ رحمه الله ـ من أن الذي ضلّ الطريق قال:

(ثم تجوز ذلك فترى جبلاً يقال له طمية وهو جبل يرى من طريق الكوفة كأن ظهوره دخان ثم تمر بالمجيمر) فهذا القول لايعني أنهم تجاوزوا «طمية» وإنما رأوها، وهي ترى من بعد.

وبعد رؤيتها قد يمرون بالمجيمر ومن ثم يصلون إليها.

ويبدو لي أن مؤلف معجم بلاد القصيم أخذ بهذا التقدير فبدأ تحريه عن المجيمر من وراء طمية ولذا حدده بالمصيقر.

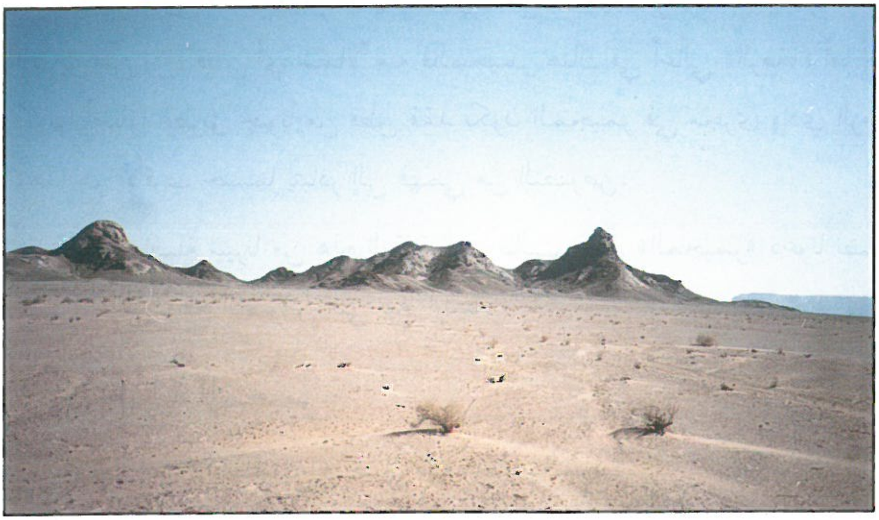

رقم (٣٠) : منظر : «المصيقر» الذي يقول مؤلف معجم بلاد القصيم : إنه هو «المجيمر»

رقم (٣١) : منظر : جبل المصيقر من ناحية الجنوب، وهذه أعلى قمة فيه، وهو في مكان مرتفع بعيداً من السيول .

ولكني أقول بأن المجيمر قد يكون بعيداً من «طمية» فإذا كان الركب ضل الطريق من وراء قطن أي شمالاً منه فالمجيمر هناك في أعالي «الرمة»، أما إذا كانوا أضلوا الطريق جنوباً من قطن فقد يكون المجيمر في مجرى وادي الرمة وهذا هو الأقرب حسبما يتبادر إلى فهمي من النصوص.

وقبل مواصلة سيرنا من هذه الوقفة التي طالت حول «المجيمر» دعونا نضع تصوراً له من واقع النصوص التي بين أيدينا.

صورة خيالية للمجيمر :

نتصوره من قول ياقوت إنه جبيل صغير شبه بالمجمر.

ومن قول امريء القيس نفهم أنه جبيل صغير واقع في مجرى وادٍ إذا سال هذا الوادي اصطدم به فألقى على سفحه بالغثاء.

ونكاد قبل رؤيته أن نقول: إنه جبيل أحمر تشبه حجارته الجمر، وإلاَّ لماذا سمي بالمجيمر؟ ولعلنا نسأل عن مجيمرنا ضمن نطاق هذه الصورة.

وماعلينا الآن إلا مواصلة السير وتفحص مجرى الوادي الذي نحن سائرون بمحاذاته.

كنت أحرص دائماً على مساءلة كبار السن. وعند أحد المساكن وجدنا رجلاً سألناه عن ضالتنا فقال بعد أن استعرض مايعرفه قريباً من وصف المجيمر:

لايوجد جبل صغير حول مجرى الوادي إلا «الْخُصَيَّيْن» وهما عبارة عن هضبة صغيرة سوداء لها رأسان وبعد وصفه لمكانها اتجهنا إليها.

ولكن بعد الوصول إلى الخصيين لم نرشحهما لأن يكونا هما «المجيمر» لأن الوصف لاينطبق عليهما ولأنهما بعيدين عن مجرى الوادي.

وقد شاهدنا بالقرب منهما جبيلاً صغيراً أحمر اللون يقع على مجرى الوادي «وادي الرُّمة» وبعد الوقوف عليه شدّنا للدوران حوله على الأقدام لأن السيارة لاتصل إلاّ إلى جهته الشرقية. لأن جهاته الأخرى داخلة في مجرى الوادي والأرض من حوله موحلة، وحتى المشي على الأقدام في مجرى الوادي فيه خطورة لكثرة الوحل والطين.

إن بعض حجارة هذا الجبيل الصغير لونها أحمر والبعض الآخر بين الحمرة والسواد وأقرب شبه لها هو الجمر إذا بدأ يتفحم.

قد تكون الصورة التي رسمناها للمجيمر مسبقاً أوحت بهذا التصور لشكل هذا الجبيل.

وهذا الجبيل تنطبق عليه أوصاف المجيمر انطباقاً كاملاً حيث أنه يستقبل سيل الوادي من جهته الشمالية الغربية ويجري الوادي بغزارة بحيث يغطي حجارته التي تلي مجرى الوادي.

ولا أبالغ إذا قلت إن الوحل ومياه الوادي ربما تحيط بثلثي محيطه.

انظر إلى صور المجيمر رقم (٣٢) ورقم (٣٣) ورقم (٣٤)

وانظر إلى صورة جاره من جهة الشمال «الخصيين» الصورة رقم (٣٥).

ولكن رغم هذا كله فإنه لايمكن الجزم والتسرع بالقول بأن هذا هو المجيمر الذي عناه امرؤ القيس لسببين:

الأول: أن المجيمر لم يحدد مكانه بشكل واضح من قبل من تكلموا عنه قديماً، وكان محل خلاف بين من تكلموا عنه في وقتنا الحاضر مما يحتم علينا التأني والروية.

رقم (٣٢) : منظر : مجيمر بني فزارة، وهو الذي عناه امرؤ القيس منظره من جهة الجنوب الشرقي .

رقم (٣٣) : منظر : المجيمر من جهة الغرب وبطن وادي «الرمة» .

رقـــم (٣٤) : منظر : المجيمر من جهة الشمال، ويرى على البعد جبل «بدن» .

رقم (٣٥) : جبل «الخصيين» الواقع على ضفة وادي الرُّمة جنوب عقلة الصقور .

الثاني : أن هناك نصاً من النصوص القديمة وقد يكون هو النص الوحيد ـ في نظري ـ الذي يشير إشارة واضحة إلى المكان الذي يوجد فيه المجيمر، وهذا النص هو مارواه الحربي في كتابه «المناسك» حيث قال:

(أخبرني عبدالله بن عمرو عن علي بن سليمان الهاشمي قال: كان أبي أضل الطريق من وراء قطن، فأخبرنا عنه، ثم أضللته أنا معه، فرأيته صار إلى جبل يقال له ذو طلوح وهو جبل كذّان، ينبت نباتاً يرى على صخوره مثل الجدري، ثم يتصل، وهو ممتد على وجه الأرض، ارتفاعه في السماء عشرة أذرع، والطلح يمينه ويسرته وهو الذي يقول فيه جرير:

متى كان الخيام بذي طلوح   سقيت الغيث أيتها الخيام

ثم تمر بجبل يقال له ضِبَع وهو جبل منفرد من الجبال في صحراء، على ظهره صخور كأنما نضدت شبهت بالضبع لما على ظهر الضبع من عروفها .

ثم تمر بجبل يقال له ساق الفروين.

ثم ترى أبانين عن يسارك، وهما جبلان أسودان محددا الرؤوس كالسنانين، وهما اللذان يقول فيهما مهلهل، وقد زعم بعض الناس أن الشعر لابن خنيس التغلبي:

لو بأبانين جاء يخطبها   رمّل ما أنف خاطب بدم

وأنشدني محمد بن اسحاق المعني عن ابن الأعرابي :

أقفر من خولة ساق الفروين   فقطن فالركن من أبانين

ثم تجوز ذلك فترى جبلاً يقال له طميّة، وهو جبل يرى من طريق الكوفة في الجادة، تراه كأن ظهوره دخان.

ثم تمر بالمُجَيْمر[1] (وهو الذي يقول فيه امرؤ القيس :

كأن ذرى رأس المجيمر) غدوة   من السيل والأغثاء فلكة مغزل

قال : فمررنا بهذه الجبال، ونحن ضلال ثلاثة أيام بلياليها فأصبحنا في اليوم التالي فإذا الذي ذكره امرؤ القيس فقال:

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة .

مويه[2] في سفح جبل، به ناس حلول، فرأينا رجلين فسألناهما ممن أنتما؟ فقالا: نحن من عبدالله بن غطفان..

ثم وردنا النقرة بعد ثالثة على السمت. فهذا منتهى خبر طريق البصرة[3])

انتهى النص باختصار.

إزاء هذا النص الواضح لايمكنني القول بشكل جازم بأن هذا المجيمر الذي عناه امرؤ القيس إلا بعد تطبيق النص وذلك بمعرفة الاتجاه الذي سلكه «الهاشمي» عندما ضل الطريق مع والده.

فهل أضلوا الطريق من وراء قطن من جهته الشمالية أم من جهته الجنوبية؟

والذي أرجحه أنهم ضلوا الطريق من وراء قطن من جهة الجنوب لأنه يروي القصة وهو موجود في المدينة، أو في العراق، ومما يجعلني أميل أكثر إلى أنهم تركوا قطناً على أيمانهم أنهم مروا بالقرب من «أبانين» ومن «طَمِيَّة» وهذه الأعلام واقعة جنوباً من جبل «قطن».

---

(١) زاغ بصر الناسخ فقفز الكلام الذي بين كلمتي المجيمر. فأضفناه، إذ لايستقيم الكلام بدونه ثم عاد إلى الحديث عن المجيمر بعد سطرين. (محقق كتاب المناسك).

(٢) واضح من كلام امرىء القيس أنه يقصد جبلاً، لا ماءً، وقد يكون في الكلام نقص. (محقق كتاب المناسك).

(٣) كتاب المناسك : ص ٦١٠ ـ ٦١١ .

وسوف نتعرف على الأعلام التي مروا بها عندما ضلوا الطريق وهذه الأعلام هي:

١ ـ ذو طلوح ٢ ـ ضَبُعْ ٣ ـ ساق الفروين ٤ ـ أبانان

٥ ـ طمية ٦ ـ وحول الأعلام الأخيرة ضالتنا المجيمر.

ولاشك أننا إذا وفقنا للسير مع طريقهم الذي ضلوا معه فسنهتدي إلى المجيمر بإذن الله. فلنترك الآن جبيلنا هذا رابضاً على ضفاف وادي «الرُّمة» ولنا إليه عودة عندما نعرف الطريق الصحيح إليه أو إلى غيره.

وجبيلنا هذا سرق من وقتنا الشيء الكثير حيث حميت الشمس ونحن ندور حوله ولكنه فيما أرى يستحق عناية أكثر.

ومنه واصلنا المسير باتجاه بريدة ومنها إلى «عيون الأسياح» (النباج قديماً) وهو المنزل الذي يعدل منه من يريد المدينة من حاج البصرة ليمروا بالقرب من تلك الأعلام التى مرت معنا آنفا.

عندما وصلنا إلى «عيون الأسياح» تجولنا هناك على آثارها القديمة، وعرفنا أنها تبعد عن «الفوارة» مائة وخمسة وسبعين كيلاً على السمت، والحاج عندما يعدلون من «النباج» متجهين إلى «الفوارة» يصبحون من ليلتهم ببطن قَوٍّ وهو كما قال صاحب «المناسك» واد يقطع الطريق، تدخله المياه ولاتخرج منه وقد بنيت عليه قنطرة يعبر الناس عليها، ثم يرتحلون منه، فيصبحون ماء لبني عبس يقال له «أثال» وأثال عقبة في ذلك الموضع..

وبين أثال وبين الماء الذي ينزلون فيه ثلاثة أميال وهي عيون ابن عامر «عيون الجواء» ثم يخرجون فيصبحون «الناجية» ليس بها ماء. ثم يسيرون إلى الفوارة.(١)

إن سلوكنا لهذا الطريق يفيدنا كثيراً في التعرف على بعض الأعلام التي

(١) انظر كتاب المناسك للحربي : ص ٦٠٥ .

سميت بغير أسمائها ووضعت في غير أماكنها الصحيحة وبالتالي توصلنا إلى المجيمر الذي نتحرى عنه. فلنعبر هذا الطريق.

قُصَيْبَا ليست بطن قَوّ :

مما تقدم عرفنا أن حاج البصرة عندما يعدلون إلى المدينة المنورة من «النباج» ينزلون «بطن قَوٍّ» وهو أول منزل لهم بعد النباج (الأسياح حالياً).

وبطن قَوٍّ هذا كان له ذكر في الشعر العربي، وللأستاذ محمد العبودي مؤلف «معجم بلاد القصيم» رأي حول تحديد «قَوٍّ» ومسير الحاج فيما بين الأسياح وبطن قَوّ حيث يرى أن بطن قو ماهو إلا «قصيبا» حيث أطال الكلام في رسم «قصيبا» إذ بلغ عدد الصفحات التي خصها بها أربعين صفحة من صفحة (٢٠١٨) إلى صفحة (٢٠٥٧).

وقد حاول ـ سلمه الله ـ جاهداً إثبات أن قَوّاً هو مايسمى في وقتنا الحاضر «قصيبا» فأورد الشواهد الشعرية، وأقوال البلدانيين، والمؤرخين للتدليل على ماذهب إليه من ر أي. وقد أفادنا كثيراً بهذا الجمع الثّر من النصوص وأحيل القاريء إلى ماقاله هناك.

أما خلاصة رأيه حول «بطن قَوٍّ» فهي قوله:

(فهذا الوصف وتحديد المسافة وكون الطريق لمن يعدل متيا مناً من الأسياح وهو كان قبل ذلك متجهاً إلى جهة الجنوب الغربي لانعرف فيه مكاناً آخر غير «قصيبا».

ويدل على ذلك قوله:

ثم يرتحلون منه فيصبحون ماء لبني عبس يقال له أثال. وبطبيعة الحال فأثال ليس إلى جهة الشمال الغربي من (قصيبا) وإذاً فالحاج يميلون عن الاتجاه

الطبيعي بسبب تجنبهم للشرفة التي هي أرض وعرة وليمروا بالعيون التي فيها مياه ونخيل، ثم منها أي العيون يذهبون إلي الفوارة[1]) انتهى.

وله رأي آخر مشابه لهذا في رسم «البُطين» فارجع إليه.

مناقشة هذا الرأي :

لست أدري! كيف أبعد أستاذنا العبودي النجعة فَحَمَّل قافلة الحجيج مالا تطيقه حيث حرف طريقها من جهة الغرب مع ميل إلى الجنوب إلى جهة الشمال الغربي لتصل إلي «قصيبا» ثم تعود مرة أخرى إلى جهة الجنوب مع ميل إلى الشرق لتصل في النهاية إلى «أثال» ثم إلى «عيون الجواء».

وليس لهذا من تعليل إلا: أنه عندما استقر عند مؤلف «معجم بلاد القصيم» أن قواً هو «قصيبا» راح يطبق النصوص على هذا الاتجاه وإن كان في هذا الاتجاه إبعاد للقافلة عن سيرها الصحيح، وإبعادنا عن تحديد بطن قَوٍّ. وعلى هذا فإن المسافة بين «النباج» وبين «أثال» تبلغ ستين كيلاً، والمسافة بين «النباج» و«قصيبا» ستين كيلاً أيضاً، وأن على القافلة إذا وصلت قصيبا أن تعود جهة الجنوب لتقطع أربعين كيلاً إلى «أثال» ليكون مجموع ماتقطعه القافلة من النباج إلى أثال ـ على رأي صاحب معجم بلاد القصيم ـ مائة كيل أي بزيادة أربعين كيلاً. وهذا مستبعد الحدوث بلا شك.

ولعله فهم من قول «صاحب المناسك»:

(يعدلون من النباج نباج بني عامر، فيتيامنون فيصبحون من ليلتهم ببطن قوٍّ) لعله فهم من هذا أن القصد أنهم إذا ساروا باتجاه «أثال» و«عيون الجواء» يتيامنون باتجاه قصيباء.

---

(١) معجم بلاد القصيم : ص ٢٠٣٣/٥ .

والذي يتبادر إلى الذهن من النص هو :

أن حاج البصرة عندما يصلون النباج يستمر من يريد مكة المكرمة مع الطريق، أما من يريدون المدينة المنورة فيعدلون عن هذا الطريق آخذين ذات اليمين من الطريق الذي تركوه لا من الطريق الذي سلكوه. فيصبحون من ليلتهم «بطن قَوّ».

ومن هذا المفهوم فإنه ليس هناك انحراف عن الطريق إلى بطن قو ومن بعده «أثال».

ومن وراء أثال بسبعة أكيال عيون الجواء.

وعلى هذا فسيرهم على السمت فليس هناك مايحملهم على أخذ ذات اليمين أو ذات اليسار.

وقَوّ: من المواضع التي ذكرها كثير من شعراء العرب في شعرهم. وبما أن قَوًّا يطلق على مواضع عدة في الجزيرة العربية فلن أخوض في تفاصيل عن تلك المواضع، وسأكتفي بإلقاء نظرة عاجلة على بعض النصوص التي وردت حول قَوّ الذي نتحدث عنه لنعرف موقعه من منطقة القصيم.

١ ـ قال ياقوت الحموي:

(قَوّ: بالفتح والتشديد، مرتجل فيما أحسب، وهو منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة .

يَرْحل من النباج فينزل قَوًّا: وهو واد يقطع الطريق تدخله المياه ولاتخرج.

وقال الجوهري: قَوّ: وهو واد بين فيد والنباج...[١]).

٢ ـ وقال البكري :

(قَوّ: ... وقد تقدم في رسم قُفَال أن قَوًّا بين النباج وعوسجة.

(١) معجم البلدان : ص ٤/٤١٥ .

وقال الحطيئة فدل قوله أنه في بلاد عبس:

كـأَنْ لـم يُقِمْ أظْعَانُ هِنْدٍ بِمُلْتَقَىً ... ولم نَرْعَ في الحيِّ الحلاَلَ تَرُودُ

ولم نَحْتَلِلْ جَنْبَيْ أُثَالٍ على الـمَلاَ ... وَلَمْ تَـرْعَ قَوًّا حِذْيَمٌ وأَسِـيـدُ

وهما ابنا جذيمة بن عبس..»[1]

أقول لعل في هذين النصين غنى عن الإطالة، وبإلقاء نظرة عليهما نجد أن الجوهري يقول في نص ياقوت: (قوٌّ: بين فَيْدٍ والنِّبَاج).

وفيد بلدة مشهورة تقع في الشمال الغربي من «النباج» (الأسياح).

بينما في نص البكري ذكر: أن قَوًّا بين النباج وعوسجة.

فإذا أخذنا خطاً مستقيماً من «فيد» إلى «الأسياح» وخطاً آخر من «عوسجة» ـ خب العوشز حالياً ـ على رأي مؤلف معجم بلاد القصيم، أو «العوشزية» على رأي الشيخ حمد الجاسر أو أن «عوسجة» موضع آخر ولكنه باتجاه هذين الموضعين على كل حال، نجد أن هذا الخط الأخير الواصل بين تلك الجهة وبين «الأسياح» يمر بقرب بلدة «الطرفية» ولايقترب من «قصيبا» التي قيل إنها بطن قَوّ.

أما القادم من فيد إلى «الأسياح» فإنه يترك قصيبا على يساره.

والمنخفض الذي يقطعه كلا الخطين هو مايسمى في وقتنا الحاضر «القَعْرَة».

ويبدو لي أن هذا المنخفض هو بطن قَوّ لأن الماء يدخله ولايخرج منه وقد يكون هو الذي وضع عليه قنطرة للعبور عليها إذا امتلأ بالمياه.

وقد حدد لنا مؤلف معجم بلاد القصيم «القعرة» تحديداً واضحاً حيث قال:

---

(١) معجم ما استعجم: ص ١١٠٣/٣.

(القَعْرَه.. جو منخفض يقع في الشرق الشمالي من القصيم يمتد من الطرفية فيذهب جهة الشمال، كما يقع إلى الغرب من الجال الذي أعلى ظهره صفراء الأسياح «النباج قديماً» ولم يكن في (القعرة) ماء عدّ في القديم وإنما هي أوشال في تلاع الجال الذي يقع إلي الشرق منها من ذلك رس يسمى «مشاش الغرا» !

أما الجال المذكور فهو الجال الذي يمتد من قرب نواظر في الشمال حتى ينتهي إلى «الصريف» من الجنوب، ويسمى باسم الموضع الذي يحاذيه إذ يسمى جال «الصريف» وجال الأسياح، وجال القعره، وجال مدرج..

وقد بحثت عن أصل قديم للقعره فلم أجد إلا ماذكره ياقوت بلفظ: القعراء وقال : اسم ماء أو بقعة. إلا أن البكري ذكر القعراء، ونقل عن السكوني أنها بتهامة فلا أدري: أهي التي ذكرها ياقوت أم غيرها؟[1]) انتهى كلامه.

أقــول :

لست أدري كيف انصرف نظر استاذنا العبودي عن هذا المنخفض المشهور الذي يجتمع فيه الماء ولايخرج منه وهو أول منخفض يواجه القافلة القادمة من «النباج» والمسافة بينهما تقارب ماحددته النصوص. فإذا عرفنا أن من يعدل من الحاج إلى المدينة استمروا مع الطريق ومتعشاهم بعد النباج هو «الصريف» ويبعد عن النباج أحد عشر ميلاً أي مايقارب اثنين وعشرين كيلاً.

أما الذين يعدلون يمينا إلى المدينة فإن متعشاهم بلاشك «بطن قو» وهو يبعد عن النباج المسافة نفسها بين النباج والصريف فانظر وقس وقارن تتضح لك الحقيقة. ومع أن المؤلف بحث عن أصل قديم له فلم يجد. إلا أنه يتبادر إلى الذهن لأول وهلة من إلقاء النظر على الخارطة رقم (٣) أن هذا المنخفض هو الذي عنته النصوص.

---

(١) معجم بلاد القصيم : ص ٢٠٧٨/٥ .

والقول بأن القافلة تنحرف جهة الشمال الغربي إلى قصيبا ليس له مايبرره، فالمهتمون بالطرق في تلك الأزمنة ذللوا المصاعب التي تعترض طريق الحاج ومنها وضع قنطرة على هذا المنخفض الذي تتجمع فيه مياه الأمطار وذلك للحيلولة دون الانحراف بالقافلة. والمتتبع لهذا الطريق وغيره من طرق الحج القديمة يعجب كل العجب من المشاريع الضخمة التي أنشئت فيها، مثل: حفر الآبار، وإعداد البرك الكبيرة التي تستوعب مياه السيول، ووضع الأبراج وأميال الطريق على طول امتداده.

والشيخ حمد الجاسر عندما تكلم عن «قَوٍّ» الواقع قرب «تيماء» في كتاب «في شمال غرب الجزيرة» قال:

(ويلاحظ أن قَوّ يطلق على واد يقع شرق القصيم بقرب النباج (عيون بن فهيد) فيما بينه وبين قصيبا[1]).

وقد أعجبت كثيراً بحصافة وصراحة رأي الدكتور صالح بن سليمان الوشمي ـ تغمده الله بواسع رحمته ـ حينما قال وهو يتحدث عن «قصيبا» في كتابه «الجواء» من سلسلة هذه بلادنا :

قال: (.. وتسميتها بقصيبا قديمة وهي من الأماكن التي عمرت لتوفر مائها ولوقوعها على الطرق التي تربط القصيم بالشمال ولعل بشر بن أبي خازم الأسدي قصدها بقوله:

بكل فضاء بين حرة ضارج وخل إلى ماء القصيبة موكب

ويؤكد هذه التسمية الأستاذ العبودي أيضاً إلا أنه يخرج بتحليل طويل بأن اسمها «قَوّ» وأنا لست معه في هذه التسمية لأن فيها تحويراً لبعض النصوص خاصة تأكيده بأن قصيبا هي المقصودة بقو الوارد ذكره كإحدى محطات طرق

(١) في شمال غرب الجزيرة لـ ص ٥٨٢ .

الحج التي تمر بالجواء من القصيم والوارد بنص الإمام الحربي لبعدها عن اتجاه الطريق. ثم إن (قواً) يطلق على مواضع كثيرة في الجزيرة العربية بل وفي القصيم وعلى أطرافه[1]) انتهى.

ولكل ماتقدم يمكنني القول:

بأن «قصيبا ليست هي «بطن قو» الذي كان منزلاً من منازل حاج البصرة قديماً عندما يعدلون من النباج إلى المدينة.

وقد حاولت جاهداً الوصول إلى «القعرة» للبحث عن بقايا أثر للقنطرة الموضوعة قديماً إن وجدت. ولكن حال بيني وبينها تشابك المزارع التي تمتد إلى عشرات الأكيال وجميعها محاطة بسياج مما يصعب معه تتبع الطريق القديم في هذه المنطقة.

وكنت رشحت للبحث عن هذه القنطرة منخفضين أحدهما منخفض القعرة والآخر يقع قريباً من الخط الواصل بين «البطين» و«بريدة» فوجدت أن من الصعوبة بمكان الوصول إليهما.

ولعل من أبناء منطقة القصيم وخاصة طلاب الجامعات فيها من يكفينا مشقة البحث عن هذه إن كان لها من بقاء حتى وقتنا الحاضر.

وعلى القاريء إذا رغب الرجوع إلى الخارطة التوضيحية رقم (٣) التي رسمت فيها الطريق من «النباج» إلى «أثال» وهو طريق القافلة الصحيح، وكذا الطريق من «النباج» إلى «قصيبا» حسب رأي الأستاذ محمد العبودي. وكذا الطريق الذي يعدل منه الحاج المتجهون إلى مكة المكرمة.

---

(١) كتاب «الجواء» ص ١٢٧ .

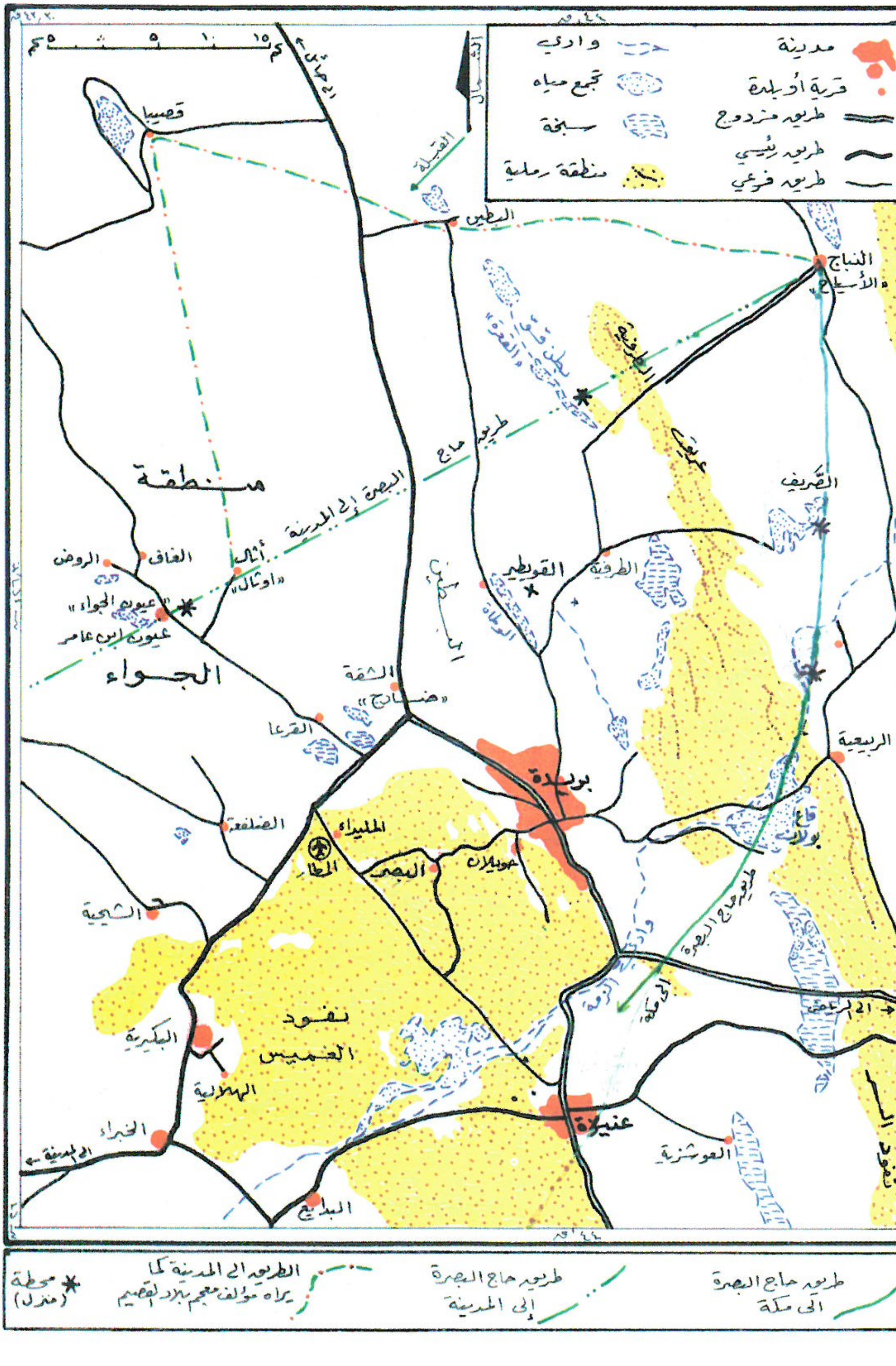

الخارطة رقم (٣)

الاتجاه إلى عيون الجواء :

حرصنا أن يكون مسيرنا على طريق حاج البصرة القديم ولكننا لم نتمكن لأن حواجز المزارع تحول بيننا وبين مانريد، ولذا كان وصولنا إلى «عيون الجواء» عن طريق «القرعاء».

ومن العيون اتجهنا جهة الشمال الشرقي إلى «أثال» وهو لايبعد أكثر من سبعة أكيال.

وقد اتضح لنا أن «أثالاً» تبعد عن النباج ستين كيلاً لمن يريد أن يسلك طريق الحاج القديم كما تبعد عن «الفوارة» مائة وستة عشر كيلاً وتعتبر «أثال» محل استراحة للحاج قبل نزولهم «العيون» عيون الجواء التي منها يرحلون إلى «الناجية» وهي منزل لاماء فيه، ومن الناجية إلى «الفوارة».

البحث عن ذي طلوح :

من الجبال التي نسعى إلى تحقيقها في هذه الناحية جبل «ذي طلوح» الذي ذكر «الهاشمي» أنه عندما أضل الطريق مع والده مرا على هذا الجبل الذي يقول فيه جرير:

متى كان الخيام بذي طلوح   سقيت الغيث أيتها الخيام

والهاشمي، لم يَدَّخِر وسعاً في وصفه جبل ذي طلوح فقدَ وصفه وصفاً واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار حيث قال عنه:

إنه جبل كذَّان ينبت نباتاً يرى على صخوره مثل الجدري، ثم يتصل، وهو ممتد على وجه الأرض ارتفاعه في السماء عشرة أذرع والطلح يمينه ويسرته.

هذا هو أول جبل يمرون عليه بعد ضياعهم.

الواقع أنني لم أتَحَرَّ عن هذا الجبل إلا عندما وصلنا بالقرب من «عنز»

الواقعة على طريق الحاج شمال شرق «ساق الجواء» وكان هذا التحري مبنياً على تحديد مؤلف «معجم بلاد القصيم» لساق الفروين.

لأن جبل «عنز» هو الجبل الذي يمكن أن يقال عنه إنه ذو طلوح لأنه واقع شرقاً من ساق الفروين حسب تحديده، ولكن بعد المرور على جبل عنز وجدناه بعيداً عن وصف ذي طلوح ولم نجد في وسط منطقة الجواء جبلاً يمكن أن نطلق عليه مسمى ذي طلوح وعندما حاذينا «ساق الجواء» بعلوه الشامخ جذبنا بجمال منظره فاتجهنا إليه.

ساق الجواء :

لابد لنا من وقفة طويلة، عند ساق الجواء حيث أن شهرته وكثرة ذكره في أشعار العرب جعلته يستحوذ على السيقان الأخرى مثل «ساق الفروين» الذي جئنا للبحث عنه بالقرب منه حيث أن الهاشمي ذكر أنه مر عليه بعد مرورهم على جبل «ضِبع» وعلى «ذي طلوح» ولما كان ساق الفروين يسمى «ساق الفرو» أيضاً. والفرو هو الظبي، فعندما تكاثرت علينا السيقان والأرجل في هذا المكان، فهناك مثل عامي يقول (رِجْل الديك تجيب الديك).

وفي منطقة الجواء ألفنا مسميات الحيوانات مثل: عنز، التيس، قرن ظبي، ساق الفروين، ضبع، وما إلى ذلك ، وأنا أقول: ساق الجواء يجيب ساق الفروين.

والسائر في هذه المنطقة مع طريق حاج البصرة القديم يمر بجبل عنز، ويترك جبل التيس على يمينه وساق الجواء على يساره، فلذا لابد أن نجد «ساق الفروين» عند ساق الجواء حسبما حدده مؤلف «معجم بلاد القصيم» أو نستخلصه من ساق الجواء ونسعى إلى تحديد مكانه الصحيح.

وإليك ماقاله الأستاذ محمد العبودي عن ساق الجواء وساق الفروين:

(ساق... جبل أسود هرمي الشكل يرى على البعد شامخاً في السماء شديد الشموخ.. وهو مشهور في القصيم لأمرين: أولهما أنه يرى على البعد شامخاً شموخاً لايناسب ارتفاعه الحقيقي عندما يراه من يقف تحته، والثاني أنه أقرب الجبال الواضحة إلى مدن القصيم الرئيسية.

يقع جبل ساق في غرب ناحية الجواء إلى الشمال الغربي من مدينة بريدة وإلى الشمال من رياض «الخبراء»...

وتسميته قديمة بل مشهورة في القديم والحديث إلا أنه كان يقع الخلط عند القدماء بينه وبين جبل آخر يقع إلى جهة الشمال منه على بعد أربعة أكيال وكان يسمى عندهم «ساق الفروين» أما المتأخرون فقد أسموا الآخر «سويقة» بلفظ تصغير ساق وسيأتي الكلام على الفروق بينهما بأوضح من هذا في رسم «سويقة» إن شاء الله.. ـ إلى أن قال ـ كما ورد ذكر ساق هذا مقرونا بذكر الساق الأخرى التي يقال لها «سويقة» وذلك في قول الإمام نصر الاسكندري ـ رحمه الله :

(ساق: هضبة كأنها قرن ظبي لبني أسد. وجبل هضبة واحدة شامخة لبني وهب.

أقول :ـ القول لمؤلف معجم بلاد القصيم ـ

لقد ميز ـ رحمه الله ـ بين الساقين، وحلّى كل و احدة منهما بحلية تتميز بها. وجبل ساق هذا هو المراد بقوله: جبل هضبة واحدة شامخة لبني وهب، أما ساق الأولى في هذا النص فسيأتي الكلام عليها في رسم «سويقة» بإذن الله .

وهذا رجز قديم أورده البكري، وقرن بساق فيه ذكر قور ساق التي على نسق والقور تقع إلى جهة مطلع الشمس من ساق وتمتد على نسق فيما بينه وبين الخبراء

ياإبلي هل تعرفين ساقا؟

قالت : نعم، وقورها الأنساقا .

وسيأتي ذكر هذه القور في حرف القاف مفردة وأشهرها «قارة الأسلاف» .

..ـ ثم أورد رواية للهمداني لهذا الرجز ولكنها محرفة ـ واستمر قائلاً:

ولكن هناك عبارة أخرى أعتقد أن التعريف فيها تحريف ذهني فقد وردت فيها تسمية (ساق) بساق الفروين. وساق الفروين هو (سويقة) كما تقدم إلا أن وصف (ساق) فيها لاينطبق إلا على (ساق الجواء) وهي قول الإمام لغدة ـ رحمه الله ـ في الكلام على الرمة: «وتنظر من رامة إلى أبانين، وقطن، وساق الفروين، وهو جبل دقيق طويل كأنه قنة».

فهذه الصفة هي صفة ساق الجواء، لعل لغدة أو من روى عنه هذا الكلام التبس عليه اسم الساقين بصفتيهما وهذا أمر ليس بالغريب وفي كلامه شاهد لما قلناه من كون جبل (ساق) واقعاً في أرض مرتفعة وأنه يرى على البعد إذ بينه وبين رامة مالا يقل عن سبعين كيلاً.

وممن ذكر (ساقاً) باسم الفروين الإمام الحربي ـ رحمه الله ـ إلا أن كلامه يصح أن يكون في ساق الجواء ويصح أن يكون في سويقة التي هي كانت (ساق الفروين) في القديم. قال ـ رحمه الله ـ وهو يتكلم عن قوم ضلوا طريقهم في رحلتهم من النباج (الأسياح حالياً) إلى المدينة المنورة بعد أن ذكر خشم المضباعة الذي كان يسمى قديماً (ضبع) ثم تمر بجبل يقال له (ساق الفروين ثم ترى أبانين عن يسارك[1]) انتهى قوله باختصار.

على أنه يمكن الرجوع إلى ماقاله المؤلف من صفحة (١١٢٧) إلى صفحة (١١٤١) فقد أطنب في إيراد الشواهد وتحليلها. لأن الرجوع إليها مفيد جداً لكل قاريء وباحث.

(١) معجم بلاد القصيم : ص ١١٢٧/٣ إلى صفحة ١١٣٦ .

إلا أني لا أوافقه على بعض استنتاجاته من النصوص التي أوردها.

وحيث قد أحالنا مرتين إلى رسم «سويقة» فلنلق نظرة على ماقاله حول «سويقة» تلك التي كبرت وانقلبت ساقاً!!

يقول صاحب معجم بلاد القصيم:

(سويقة: جبل صغير شمالي «ساق الجواء» بينهما حوالي أربعة أكيال..

واسمه القديم كان «ساق الفروين» أضيف إلى الفروين الذي هو بالفاء على المشهور لكي يتميز عن ساق الجواء المجاور له إلا أن كثيراً من المتقدمين ـ وأكثرهم ليس له معرفة خاصة بتلك المنطقة وإنما كانوا ينقلون عن غيرهم ـ قد خلطوا بينه وبين ساق الجواء فذكروا نصوصاً تنطبق على ساق الجواء وهي في ساق الفروين هذا الذي أصبح يسمى الآن «سويقة» بلفظ تصغير «ساق»

.... وإذا نظرنا إلى صفة الساقين كلتيهما فإننا نجد أن الكبيرة هضبة واحدة شامخة، ذات شكل هرمي، والصغيرة جبل صغير ذو شعبتين وهو في انبطاحه وشكله الذي يظهر لمن يشاهده من جهة الشمال يشبه (قرن الظبي) دون اشكال ولعل عوامل التعرية أزالت شيئاً من تلك الصفة عند أطرافه بفعل السنين وبسبب سقوط بعض الأحجار من قمته غير المتماسكة.. وورد ذكر سويقة بلفظ (ساق الفروين) في هذا الشعر مقروناً بذكر جبلين معروفين باسميهما القديمين دون تغيير وهما (الحضر) بقرب الفواره وأبانين، وهما أبانان المشهوران وهو:

أقفر من خولة ساق الفروين فالحضر فالركن من أبانين

وأورد ياقوت ـ رحمه الله ـ في رسم (الفروان) بالفاء الموحدة وقال:

ساق الفروين : جبل في أرض بني أسد بنجد. ثم قال:

وساق جبل آخر يذكر مفرداً ومضافاً. أقول ـ القول له ـ كلامه ـ رحمه الله

ـ واضح كله إلا ماخص الفروين فقد ذكره بالفاء الموحدة وذكره البكري بالقاف المثناة ولا أدري الصحيح منهما..

ولعل أقرب الأدلة على ذلك تسميتها ففي القديم كان كلاهما يقع في ناحية غرب الجواء وكلاهما كان يسمى «ساقاً» وليس بينهما من المسافة إلا أربعة أكيال ولكن كان اسم «ساق» إذا أطلق ينصرف إلى الأكبر ارتفاعاً في السماء والأَظْهرَ للرائي وهو ساق الجواء، كما قال زهير بن أبي سلمى وهو شاعر جاهلي كما هو معروف من قصيدة:

ولما بدت (ساق الجواء) وصارة وفرش وحماواتهن القوابل

وميزه الحطيئة بوصفه بأنه كان فريداً أي : ذا شكل فريد، وذلك في قوله:

فأتبعتهم عَيْنَيَّ حتى تفرقت مع الليل عن (ساق الفريد الجمائل)

أما إذا أرادوا (ساقاً) الثانية التي هي أقل ارتفاعاً، وأقل شهرة فإنهم يصفونها إما بإضافتها إلي شيء مميز وذلك في قولهم (ساق الفروين) أو أن يقولوا: إنها ساق التي كقرن الظبي. تماماً كما يصفون (ساق الجواء) أحيانا بأنه هضبة واحدة شامخة في السماء هذا كان في القديم.

أما المحدثون فقد اكتفوا من ذلك بشيء سهل للتمييز بينهما فجعلوا الكبرى ساقاً والصغرى سويقة[1].

مناقشة هذا الرأي :

أقول : إن ساق الجواء اكتسب شهرته عند القدماء والمتأخرين نظراً لعلوه وشموخه حيث يشاهده القادم لناحية الجواء من مسافة بعيدة فريداً في هذه الصحراء لأن الجبال التي حوله متطامنه.

---

(١) معجم بلاد القصيم : ص ١١٧٩/٣ ـ ١١٨٤ .

ولعل الحطيئة أسماه (ساق الفريد) لهذا السبب.

أما إذا اقتربنا منه فإن طوله يتضاءل ونشاهد حوله قُورَه المتتابعة، كما نشاهد بعيداً منه جهة الشرق قارة الأسلاف، وقارة الحصاني وغيرهما، ومن الشمال والشمال الشرقي نشاهد جبل عنز وجبل التيس وغيرهما. وتعتبر تلك الأعلام متطامنة إذا ماقيست بارتفاعه ولذا كان يطل علينا برأسه أينما سرنا في هذه الناحية وماحولها وكأنه حارس يراقب حركات وسكنات عابري السبيل.

وكأني به يخشى أن نسلب منه شيئاً استحوذ عليه في غفلة من الزمن فأوجس في نفسه خيفة ولقد عرفت هذا الشيء من أول وهلة عند مشاهدته من قرب، وسنسلبه منه إن شاء الله ونضعه في مكانه الصحيح.

١ ـ يقول مؤلف «معجم بلاد القصيم»:

(وتسميته قديمة بل مشهورة في القديم والحديث إلا أنه كان يقع الخلط عند القدماء بينه وبين جبل آخر يقع إلى جهة الشمال منه على بعد أربعة أكيال وكان يسمى عندهم ساق الفروين).

التعليق :

لم يتضح لي أن القدماء خلطوا بين ساق الجواء، وبين ساق الفروين، حيث قالوا عن كل واحد منهما أقوالاً خاصة به. وإنما اختلطت النصوص في مفهومنا عندما خلطنا بين المواضع ونقلنا بعضها إلى جانب بعض. ومنها وضع «ساق الفروين» شمال «ساق الجواء» على بعد أربعة أكيال فقط.

٢ ـ أورد المؤلف قول الأصفهاني (ساق هضبة كأنها قرن ظبي لبني أسد، وجبل هضبة واحدة شامخة لبني وهب).

وعلق على هذا بقوله: إن الأصفهاني ميز بين ساقين، وحلّى كل واحدة

منهما بحلية تتميز بها، وفي رسم سويقة قال:

سويقة جبل صغير شمالي «ساق الجواء» بينهما حوالي أربعة أكيال واسمه القديم «ساق الفروين») .

التعليق :

أقول : إن «ساق الفروين» ليس قريباً من ساق الجواء، ولكن المؤلف نقله من مكانه الصحيح ووضعه في حضن «ساق الجواء» ولعلي أتساءل فأقول: هل يقبل ساق الجواء ـ لو!! ـ بقامته المنتصبة التي أكسبته شهرة واسعة بين أمثاله من السيقان أن يحل بجانبه ساق أخرى يتغنى بها الشعراء هي «ساق الفروين» ؟

وهل يمكن للعرب القدماء أن يطلقوا على ساقين متجاورين مسميين مختلفين ؟

لو كان الأمر كما يقال لسموهما الساقين مثلاً!

ولو كان الأمر كذلك هل نقبل من الحطيئة أن يسمي «ساق الجواء» بالساق الفريد ؟

بينما يجاوره ساق أخرى .

وإجابتي على هذه الأسئلة: إن ساق الجواء بالفعل فريداً ليس حوله ماينافسه في سَاقيَّته حيث أن ساق الفروين يبعد عنه كثيراً إلى جهة الغرب.

أما قول الأصفهاني: (ساق هضبة كأنها قرن ظبي لبني أسد. وجبل هضبة واحدة شامخة لبني وهب)

فقوله هذا واضح فساق الفروين، أو قرن ظبي لبني أسد.

وعندما عرف لنا «قرن ظبي» ووصفه لنا بصفة تميزه عن غيره أراد أن يذكر لنا أن هناك ساقاً أكبر منها شامخة لبني وهب، ويعني بها «ساق الجواء» .

وتقدير كلامه: وساق أيضاً هضبة واحدة شامخة لبني وهب.

وعندي أن جملة «وجبل هضبة» دخلها شيء من التحريف.

مع أنه ليس واضحاً هل يقصد بقرن ظبي «ساق الفروين»، أو ساقاً أخرى أسمها قرن ظبي؟

٣ ـ ويقول المؤلف:

(إلا أن كثيراً من المتقدمين ـ وأكثرهم ليس له معرفة خاصة بتلك المنطقة وإنما كانوا ينقلون عن غيرهم ـ قد خلطوا بينه وبين ساق الجواء فذكروا نصوصاً تنطبق على ساق الجواء وهي في ساق الفروين هذا الذي أصبح الآن يسمى «سويقة»).

التعليق:

إن علماء البلدان لم يخلطوا بين الساقين، وليس هناك تداخل بين النصوص التي أوردوها فهم ينقلون عن رواة ثقاة، كانوا يسكنون حول تلك المواضع ويرعون حولها إبلهم وأغنامهم وهم أدرى بها من غيرهم.

وإنما الخطأ والخلط إذا حدث فهو من النساخ أو الشراح وها نحن في وقتنا الحاضر قد اختلطت علينا تلك المواضع ولم نستطع التفريق بينها مع أننا نتجول حولها.

٤ ـ سويقة ليست «ساق الفروين»:

أما عن سويقة التي قال عنها المؤلف بأنها هي «ساق الفروين» وراح يدافع وينافح عن ساقها المكسور حيث قال:

(جبل صغير ذو شعبتين وهو في انبطاحه وشكله الذي يظهر لمن يشاهده من جهة الشمال يشبه (قرن الظبي) دون إشكال، ولعل عوامل التعرية أزالت شيئاً من تلك الصفة عند أطرافه بفعل السنين وبسبب سقوط بعض الأحجار من قمته غير المتماسكة..)

التعليق :

أقول: إن هذا الجبل الصغير الواقع بجوار ساق الجواء من جهة الشمال على بعد أربعة أكيال لايعدو أن يكون جبيلاً صغيراً كما وصفه المؤلف وهو أحقر من أن يسمى ساقاً يتغنى فيه الشعراء ويقرنونه بالذكر مع جبل «الحضر» و«أبانين».

وشكله في وقتنا الحاضر هو شكله منذ أن خلقه الله سبحانه وتعالى، وعوامل التعرية لم تُزِلْ شيئاً من صفاته. فهو لايعدو أن يكون قارة صغيرة تتزعم قوراً أصغر منها ملاصقة لها من جهة الغرب، وهي أطول تلك القور.

وهذه القور الممتدة هي قور «ساق الجواء» التي قال عنها الراجز عندما كان يرعى إبله حول «ساق الجواء»:

ياإبلي هل تعرفين ساقا؟

وحينما لم ترد عليه إبله أجاب نفسه بلسان حالها قائلاً:

قالت: نعم وقورها الأنساقا.

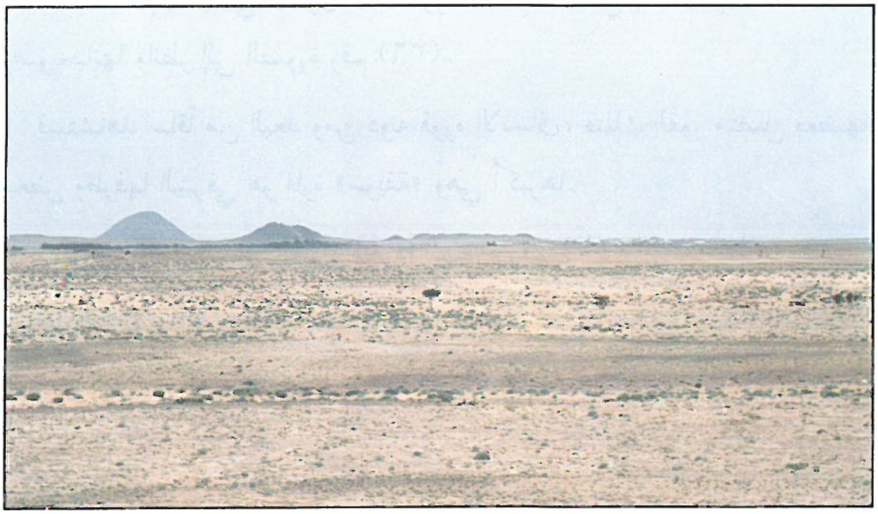

رقم (٣٦) : منظر : «ساق الجواء» من بعد وترى قوره الأنساق من دونه شمالاً .

رقم (٣٧) : منظر : جبل «ساق الجواء» من جهة الجنوب، ويرى طرفاً من قوره الواقعة عنه شمالاً .

لما تقدم يمكنني القول: بأن قور «ساق» ماهي إلا «سويقة حالياً» وصويحباتها وانظر إلى الصورة رقم (٣٦).

فستشاهد ساقاً من البعد ومن دونه قوره الأنساق، فتلك القور متصل بعضها ببعض وطرفها الشرقي هو قارة «سويقة» وهي أكبرها.

وانظر إلى صورة ساق الجواء منفرداً الصورة رقم (٣٧).

أما قارة الأسلاف وقارة حصاني فهما بعيدتان مع ماحولهما عن ساق الجواء وليست تابعة له حتى ننسبها إليه كما قال المؤلف..

حيرة وتأمل :

عندما اكتشفت أن «سويقة» ليست «ساق الفروين» تيقنت أن ساق الفروين يقع غرباً من ساق الجواء لأن ترتيبه كان الثالث بين الأعلام التي مر عليها «الهاشمي» صاحب النص المتقدم حينما ضل الطريق مع أبيه ومن معهما وهم قادمون من البصرة إلى المدينة حيث ذكر لنا أنهم مروا على جبل «ذي طلوح» ومن بعده جبل «ضبع» ثم «ساق الفروين».

كما تيقنت أن ذا طلوح أمامنا فيما بين ساق الجواء، والفوارة.

وأن «ضُبعاً» من وراء «ذي طلوح» قد يكون شمالاً أو جنوباً منه أو من ورائه حيث تيقنت أنه ليس «خشم المضباعة» كما يقول مؤلف «معجم بلاد القصيم» نظراً لوقوع هذا الأخير شرقاً من ساق الجواء بعيداً عن طريق حاج البصرة.

ومن ثم يجيء ساق الفروين، هذا هو الترتيب الصحيح حسبما جاء في النص الذي رواه الحربي عن الهاشمي.

وهل نحن الآن نتجول في منطقة القصيم إلا بغية تتبع آثار هذا الهاشمي

لنتعرف على الأعلام التي ذكرها وهي: ذو طلوح، ورَقَدْ، وضبع، وساق الفروين، والمجيمر.

حيث تبين لي أن هذه الأعلام لم تحقق تحقيقاً صائباً.

وبعد التأمل والمقارنة تأكد لي أن جميع المواضع المذكورة واقعة غرباً من منطقة الجواء.

ولذا فقد تركنا «ساقاً» وقوره (الأنساقا) واتجهنا منه جهة الشمال الغربي بغية السير مع طريق «حاج» البصرة قديماً».

ولم نكد نسير إلا قليلاً حتى عرفنا أن «عيون الجواء» و«أثال» عن يميننا على الدرجة (٦٠ْ) جهة الشمال الشرقي، و«الفوَّارة» على يسارنا على الدرجة (٢٤٠ْ).

ولذا اتجهنا باتجاه «الفَوَّارَة» وماكدنا نسير إلا قليلاً حتى شاهدنا أحد أعلام الطريق على مرتفع من الأرض وبالوقوف عليه تأكد لنا أنه أحد الأميال وقد وضع بجواره مسجد حددت معالمه بالحجارة وقبلته على الدرجة (٢٢٠ْ) ولذا تحققنا أن اتجاهنا إلى الفوارة صحيح.

أنظر صورة هذا الأثر من أعلام الطريق والمسجد بجواره الصورة رقم (٣٨).

عندما سرنا منه بالاتجاه الصحيح عثرنا على عدة أميال أخرى.

طيف ذي طلوح:

كنا نشاهد أمامنا جبلاً ليس بالعالي وهو ممتد من الشمال إلى الجنوب عرفنا أنه جبل «الرَّحَا» وطريقنا يمر بهذا الجبل.

ولما كان يبعد عنا خمسة أكيال تقريباً والأرض وعرة المسلك، والشمس على وشك المغيب فقد قررنا الاكتفاء بما حققناه من نتائج في جولتنا هذه.

رقـــم (٣٨) : *منظر : أحد أميال طريق الحاج وحوله عمل «مصلى» وهو يقع شرق جبل «الرحا» ذي طلوح قديماً .*

فعدلنا جهة الجنوب إلى أقرب طريق مزفت لإنهاء تلك الرحلة.

كـان أقرب قـرية لنا : قـرية «دريمـيحـة» الواقـعة شـمـال بلدتي «صـبـيح» ، و«الذيبـيـة» بعـد انحرافنا جـهـة الجنوب كـان جبـل «الرحـا» على يميننا، وقـد شاهدت في جانبه الشرقي أشجار طلح كـثيرة فقلت لمرافقي الأستاذ سعد الماضي:

ألا تظن معي أن جبل «الرحا» هذا هو جبل «ذي طلوح قديماً» ؟ بدليل كثرة شجر الطلح من حوله ولأنه متطامن، وأن مسمى «الرحا» مستحدث؟

فقال: ليس هذا مستبعداً.

عند وصولنا إلى «دريميحة» وهي واقعة على طرف الخط المزفت كـانت الشمس قد مالت للمغيب فشاهدنا إلى الغرب من القرية سنافاً مرتفعاً وعلى ظهره حجارة كأنما صفت فوق ظهره.

فتساءلنا: ألا يكون هذا هو «ضُبَع»؟

وبرغم أن الوقت متأخر، والتعب أخذ منا مأخذه فقد حبذت الوقوف عليه ومشاهدته من قرب، ولكني خشيت أن أشق على الأخ سعد، فقلت له:

سنقف عليه في زيارة قادمة إن شاء الله.

فقال: مادام قريباً منا الآن وليس بيننا وبينه إلا مجرى هذا الوادي فلنذهب إليه ونصلي عنده صلاة المغرب.

حينئذ عرفت مدى صدق الأخ سعد عندما قال:

فألفيتمـــا بيداً طوالاً وبرقــة تغنـــى بها عمرو تجاور ثهمدا

أجل هو ذا التحقيق ياابن محمد له عند مثلي لو تقصيته صدى

وأقول له: حينئذ تقصيت وعرفت أن لتحقيق المواضع عنده صدى .

وقد قال هذين البيتين ضمن قصيدة وجهها إليَّ قبل أن نتعارف فضمنتها كتابي الأول.

بعد الوقوف على هذا الجبل الممتد على الأرض بشكله الملفت للنظر كان له حظ أن يرشح ولو بصفة مؤقتة لأن يكون «ضُبعاً».

أما متى يكون ضبعاً؟ فهذا سيتم عندما نتفحص سلسلة ظهره في الرحلة القادمة إن شاء الله.

الرحلة الميدانية الثانية

في صباح يوم الخميس ١٤١٣/١٢/٦ هـ قمت برحلة أخرى لاستكمال تحقيق المواضع التي لم أتمكن من العثور عليها في الرحلة السابقة، وقد صحبني في هذه الرحلة أيضاً سعد بن على الماضي فقد أكد عليَّ بإشعاره عند القيام بهذه الرحلة، وظني أن شغفه بالتعرف على المواضع أنساه اهتماماته الأخرى.

لم تبلغ الساعة الثامنة صباحاً إلا ونحن عند ضُبَعنا الذي اصطدناه في نهاية رحلتنا السابقة.

وعندما تجولنا حوله، وعلونا ظهره صار لدينا شك في كونه ضبعاً الذي نبحث عنه إلا أننا لم نتسرع بالحكم له أو عليه إلا بعد العثور على «ساق الفروين وجبل «ذي طلوح».

وقد كنت استعرضت المراجع والخرائط المتوفرة لدي للبحث عن هضبة لها رأس دقيق يمكن أن يصدق عليها مسمى «ساق الفروين» فلم أجد في تلك الناحية إلا هضبة واحدة تسمى «العمودة» وهي واقعة شرقاً من بلدة «الفوارة».

ولذا فقد واصلنا السير باتجاه «العمودة» وقد مررنا في طريقنا إليها على هضبة سوداء كبيرة ترى من بعد ولم نرشحها نظراً لكبر حجمها وعدم وجود رأس دقيق لها ومن الخارطة عرفنا أن اسمها «سمراء وقط».

منها اتجهنا شمالاً إلى العمودة، وهذا الاسم يطلق على الهضبة وعلى البلدة التي حولها وهذه الهضبة واقعة في الشمال الشرقي من جبل «الحِضْر» المشهور.

عند وصولنا إلى مساكن العمودة الجنوبية سألنا بعض السكان هناك عن الاسم الذي يطلقونه على الهضبة وعلى امتدادها من الشمال.

فقالوا لنا: الهضبة الجنوبية المرتفعة اسمها «العمودة» أما العمود المرتكز في شمالها فيسمى «الْعُمْيِّد ابو شِليلْ» ويعنون بالعميد الطرف الشمالي المرتكز كالعمود، وبالشليل امتداد الهضبة من ناحية الجنوب.

وهذا العميد يقع على خط العرض ١٠َ ٢٦ْ وخط الطول ٣٣ ٤٣َ ٤٢ْ

انظر إلى شكله الصورتين رقم (٣٩) ورقم (٤٠)

الضبع يتحول إلى ذئب :

عندما وصلنا إلى العمودة كان جبل «الرحا» الذي نفترض الآن أنه جبل «ذي طلوح» واقعاً جهة الشرق مع ميل إلي الشمال على بعد عشرة أكيال تقريباً.

بينما يقع السناف الذي خَمَّنا أنه «ضُبَع» يبعد كثيراً مما جعلنا نستبعد أن يكون الهاشمي حينما ضل الطريق مر على جبل «الرحا» ثم على هذا السناف الذي عرفنا فيما بعد أن اسمه «سناف الذيبية» نسبة إلى بلدة «الذيبية» لقربه منها.

يضاف إلى ذلك أن شكله مستطيل على الأرض ومكسور الظهر لوجود انفصال بين أجزائه الأمر الذي جعلنا نستبعد أن يسميه العرب «ضُبعاً» ولذا فقد أبقيناه على ذيبيته. والبحث عن ضبع آخر بدلاً منه ينطبق عليه النص انطباقاً كاملاً.

لقد كان لي وقفة طويلة عند «العميِّد» وليس «العمودة» لأن العمودة رأسها مدور الشكل.

رقم (٣٩) : منظر : ساق الفروين «العميد أبو شليل حالياً» منظره من جهة الشمال .

رقم (٤٠) : منظر : الفروين : وساقه هو طرفه الشمالي. ويسمى الطرف «العميد» وماتسلسل منه «الشليل» .

أما «العميد» فإنه دقيق وشكله ملفت للنظر وهو واقع في طرف امتداد له أحمر اللون مشوباً بالبياض ويوجد في سفحه الشرقي «أبرق» وهذا الرمل المرتكم على سفحه الشرقي قد يكون العرب الأوائل شبهوه ببياض بطن الظبي فجعلوا من شكله العام صورة للفرو فأسموه «ساق الفرو» أو «ساق الفروين».

وساقه هذا العميد المرتكز الذي يرى من بعد.

وعلى هذا فيبدو لي أن «العميد أبو شليل» هو «ساق الفروين». وقبل أن نتركه سأورد ما استطعت جمعه من النصوص القديمة التي تحدثت عنه.

١ ـ يقول ياقوت الحموي وهو يعدد مسمى «ساق»:

(وساق الفرو أيضاً: جبل في أرض بني أسد كأنه قرن ظبي ويقال له ساق الفروين وأنشد الحفصي:

أقفر من خولة ساق الفروين   فالحضر فالركن من أبانين[١])

٢ ـ أما البكري فقد اختلطت عليه السيقان ولم يذكر ـ فيما قرأت له ـ ساق الفروين.

٣ ـ ويقول الأصفهاني:

(قال العامري: رَقْد: هضبة مُحَلْبَدَةٌ بين ساق الفروين وبين حبس القنان، وهي بأطراف العرف. بينهن وبين القنان، وبين أبان الأسود، وهي مشرفة على جال لأنها فوق حزم من الأرض وكل هذه الأماكن من بلاد بني أسد[٢]).

من هذه النصوص يتضح لنا أن «ساق الفروين» قريب من جبل «الْحِضْر» حيث أن الحفصي بحث عن محبوبته «خولة» في أكناف «ساق الفروين» وإذ

---

(١) معجم البلدان: ص ١٧٢/٣.

(٢) بلاد العرب: ص ٣٩ ـ ٤٠.

لم يجدها بحث عنها في أكناف جبل «الحضر» القريب منه، ولما لم يجدها ذهب جنوباً إلى الركن من «أبانين» الواقع عن ساق الفروين وجبل الحضر جنوباً، وجميع هذه الأعلام يشاهد بعضها بعضاً.

كما حدد العامري «رَقْداً» بين ساق الفروين وبين حبس القنان وبين أبان الأسود وهذا يدل على أن ساق الفروين واقع بين القنان وحبسه وبين أبان الأسود.

القنان وحبسه :

من العمودة اتجهنا شمالاً إلى «القَنَان» والقنان يسمى في وقتنا الحاضر «الموشّم» وهو الذي ذكره امرؤ القيس ضمن أبياته التي نحن بصدد استعراض المواضع التي ضمنها تلك الأبيات حيث يقول:

ومر على القنان من نفيانـــه فأنزل منه العصم من كل موئل

وهو الذي يقول فيه :

ضمن القنان لفقعس سوآتهـا إن القنان لفقعس لَمُعَمَّـر

وذكره زهير بن أبي سلمى بقوله:

جعلن القنان عن يمين وحزنـه وكم بالقنان من محل ومحـرم

ويقول ابن مقبل :

سلكن القنان بأيمانهـم وساقا وعرفة ساق شمالا

وكثيراً مايذكره الشعراء، ولم نطل المكث في القنان فلذا تركناه عائدين جهة الجنوب الشرقي، وحاذينا «الحبس» الذي قال عنه العامري كما سبق:

(رَقْدٌ: بين ساق الفروين وبين حبس القنان).

ونحن نسير بمحاذاة القنان كنا نرى الأعلام الواقعة عنا جنوباً غير بعيد، مثل: جبال السلسلة، وجبل «الحضر» ومن دون الحضر صاحبنا «ساق الفروين» حيث بدا من هذا المكان أكثر علواً ومن خلفه تبدو «سمراء وقط» ومن خلف الجميع «أبان الأسود».

كنت أميل إلى أن جبل «الرحا» الذي مررنا بالقرب منه في نهاية رحلتنا السابقة ماهو إلا جبل «ذي طلوح» الذي نبحث عنه خاصة عندما اعتبرنا «العميِّد أبو شليل» هو «ساق الفروين» فإذا كان الأمر كذلك فلابد أن يكون جبل «ضِبع» واقعاً بينهما. حيث أن «الهاشمي» وضعه بهذا الترتيب عندما ضلوا الطريق.

ضَبُعْ

في طريق عودتنا من القنان وحبس القنان وعند محاذاتنا لساق الفروين انحرفنا جهة الشرق إلى جبل «الرحا» وماكدنا نسير إلا قليلاً حتى شاهدنا جبيلاً منفرداً خُيِّل لنا أنه يشبه الضبع، وما أكثر الضباع التي شبهت لنا في جولتنا هذه!!

وبعد الوصول إليه والدوران حوله، واعتلاء ظهره صار لدينا شبه اقتناع بأنه الجبل الذي مَـرَّ به الهاشمي. لسببين:

الأول: أنه واقع بين جبل «الرحا» الذي نقول: إنه «ذو طلوح» وبين «ساق الفروين» لأن هذا هو الترتيب الصحيح الوارد في النص.

الثـاني : أن شكله أغبر، وتكوينه يشكل انحداراً ويوجد فوق ظهره من ذيله حتى رأسه حجارة تكوينها يدعو إلى الاستغراب بالنسبة للجبال الأخرى وصفاته مجتمعة تدعو إلى أن يسميه العرب القدماء «ضِبعاً».

وضبع هذا ويسميه أهل المنطقة «الْعَبَل» واقع على خط العرض ٣١َ ١١َ ٢٦ْ وخط الطول ٥٤َ ٤٧َ ٤٢ْ (انظر إلى صورته: المنظر رقم (٤١) .

ويبعد عن «ساق الفروين» شرقاً ثمانية أكيال، وعن الفوّارَة التي هي أحد منازل الحاج عشرين كيلاً، كما يبعد عن جبل «الرحا» عشرين كيلاً تقريباً.

الأقوال حول ضَبُعْ :

١ ـ ممن ذكره صاحب «المناسك» حينما أورد لنا قصة القوم الذين ضلوا الطريق الذي نَتَرسَّمه الآن، وقد تقدم هذا النص بكامله.

رقم (٤١) : منظر : جبل «ضَبَعُ» الواقع بين ذي طلوح وساق الفروين .

٢ ـ يقول ياقوت الحموي في رسم «ضُبع» :

(وقال نصر: جبل فارد بين النباج والنقرة، وسمي بذلك لما عليه من الحجارة التي كأنها منضدة تشبيهاً لها بالضبع وعُرْفتها لأن للضبع عُرْفاً من رأسها إلى ذنبها[1]) .

٣ ـ وقال صاحب لسان العرب في مادة «ضُبع» :

(وضُبعٌ : اسم مكان؛ أنشد أبو حنيفة :

حَوَّزَهـا مـن عَقِبٍ إلـى ضُبُعْ ... فـي ذَنَبَانٍ وَيَبِيـسٍ مُنْقَفِعْ[2])

(١) معجم البلدان : ص ٤٥١/٣ .
(٢) لسان العرب: ص ٥١٠/٣ .

٤ ـ ضبع عند مؤلف معجم بلاد القصيم :

يقول الأستاذ محمد بن ناصر العبودي :

(خشم المضباعة :

... والخشم : استعارة لما أشرف من الجبل. فالمراد إذاً المضباعة..

وقد وجدت مايدل على أن أصل تسميته قديمة ولكن اسمه في القديم «ضبع») .

ثم أورد المؤلف النص عن ياقوت، وكذا جزءاً من النص الوارد في كتاب «المناسك»

إلى أن قال:

(وهذا يدل على أنه يريد بضبع «خشم المضباعة» هذا وليس غيره وذلك في قوله: وهو جبل منفرد من الجبال في صحراء، وهذا صحيح، والصحراء يقصد بها الْمُلَيْدَا. بلا شك التي تقع إلى جهة الغرب منه. ثم قوله بعد ذلك: ثم تمر بساق ثم أبانين وهذا صحيح لمن يتجه من خشم المضباعة إلى جهة الغرب قاصداً المدينة المنورة ...

ودليل آخر على أن خشم المضباعة هذا كان يسمى قديماً ضبعاً هو نص شعري في رجز لراجز أسدي من بني فقعس سكان عالية القصيم الغربي وقد ذكر فيه «عقب» الذي هو جزء من جبل الموشم (القنان قديماً) إلى جانب ذكره ضبع فقال:

حَوَّزها من (عقب) إلى ضُبُعْ) ...

ودليل آخر أيضاً : وهو أن أصل التسمية عند العرب هو صفة هذا الذي يسمى الآن «خشم المضباعة» فقد نقل ياقوت قول بعضهم :

الضبع من الأرض أكمة سوداء مستطيلة قليلاً، ولايرد على ذلك إلا كون خشم المضباعة أحمر اللون[1]) . انتهى كلامه باختصار.

مناقشتي لهذا الرأي :

١ ــ قول المؤلف بعد أن أورد نص صاحب المناسك :

(وهذا يدل على أنه يريد بضبع «خشم المضباعة» هذا وليس غيره) .

أقول: إن القول الذي أورده صاحب المناسك لايدل من قريب ولا من بعيد على أن خشم المضباعة هو «ضَبُع» لأن خشم المضباعة ليس جبلاً فارداً من الجبال في صحراء؛ بل إنه خشم من صفراء متصلة وهذا الخشم لايشبه الضُّبع وليس فيه صفات الضبع فأين الحجارة المنضدة على ظهره ياترى.

ثم إن المؤلف ــ سلمه الله ــ لم يذكر الجبل الذي مر به من ضل الطريق قبل «ضبع» وهو «ذو طلوح» الذي لابد أن يكون شرقاً منه فهل يقع شرق خشم المضباعة مايمكن أن يسمى بذي طلوح؟!

٢ ــ أما قوله : (ثم قوله بعد ذلك ثم تمر بساق ثم أبانين) .

أقول: إن النص لم يقل ساقاً مجرداً من وصفه بل ميزه لنا حيث قال «ساق الفروين» وليس «ساق الجواء» وقد تقدم ماقلته من أن ساق الفروين ليس بسويقة الواقعة بجوار «ساق الجواء»..

ولو كان الراوي يقصد بساق الفروين ذاك الذي قال عنه مؤلف معجم بلاد القصيم إنه سويقة فلماذا لم يذكر ساق الجواء وهو أطول وأشهر منه؟!

٣ ــ أما استناد المؤلف على رجز الراجز الأسدي حيث يقول: (حَوَّزها من عَقِبٍ إلى ضَبُعْ) على أنه يقصد «خشم المضباعة».

---

(١) معجم بلاد القصيم : ص ٩٠٨/٣ ــ ٩١٠ .

فإن هناك أعلاماً مشهورة تلي عَقِب مثل ساق الجواء، وغيره فلماذا يتجاوزها الراجز إلى خشم المضباعة.

ولكنني أقول: إن أقرب جبل يلي «عَقِب» هو كما قال الراجز «ضَبُع» الذي حددت موقعه آنفاً والمسافة بينهما عشرون كيلاً فقط حيث يقع عقب من ضَبِع جهة مغرب الشمس وهو بطرف القنان الجنوبى الغربي ولايقع بينهما أعلام أخرى.

٤ ـ أما الدليل الأخير الذي استدل به المؤلف وهو التسمية عند العرب من أن الضبع من الأرض الأكمة السوداء المستطيلة قليلا.

فقد حاول المؤلف تطبيق هذا القول مع غرابته إلا أنه لم ينطبق لأن خشم المضباعة أحمر اللون.

أقول :

إن جميع النصوص وصفت ضبعنا الذي حاولنا اصطياده وصفاً واضحاً لايحتمل التأويلات واعتساف النصوص اعتسافاً لا مبرر له.

وضَبِعُ الذي وصفته النصوص المتقدمة هو هذا الجبل الواقع بين جبل «الرحا» وبين «الفوارة» حيث يبعد عنها شرقاً عشرين كيلاً. وانظر إلى الخارطة رقم (٤) لترى قرب ضبع من عَقِبْ .

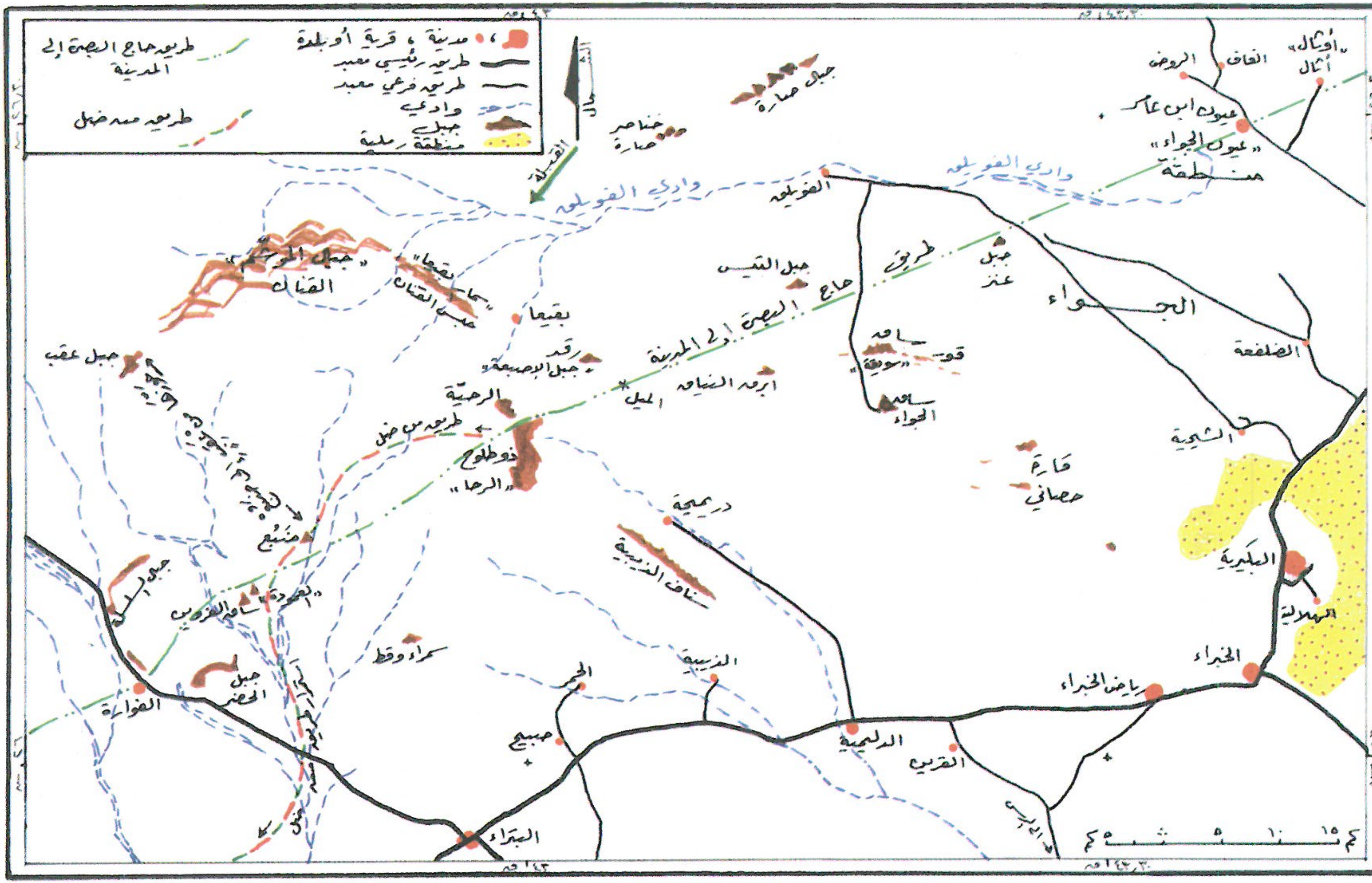

مدينة ، قرية أو بلدة
طريق رئيسي معبد
طريق فرعي معبد
وادي
جبل
منطقة رملية
طريق حاج البصرة إلى المدينة
طريق مدضخل
القبلة
الشمال
جبل عقب
جبل الوحشة «القنان»
بقيعا
الرحبة
ذو طلوح «الرحا»
منيع
جبل الحضر
الفوارة
البدراء
جبيح
الحجر
الزبيبة
الدليمية
القريع
رياض الخبراء
الخبراء
البكيرية
الشيحية
الصلفعة
الجـــــواء
جبل عنز
جبل التيس
طريق حاج البصرة إلى المدينة
الفويلعة
وادي الفويلعة
عيون ابن عامر
«عيون الجواء»
منطقة
الروض
القاف
أثال
«أوثال»
جبل حمارة
ضاحي حمارة
قارة حصاني
درعية
ساق الزبيبة
الملح
أبرق الضباعة
جبل الإصبعة
كم ١٥ ١٠ ٥ ٠ ٥ كم

الرَّحَا، ذُو طُلُوحٍ قديماً

لم أجد للرّحا ذكراً فيما قرأت ولكن صاحب معجم بلاد القصيم حددها لنا تحديداً واضحاً حيث قال:

(... الرّحاَ: جبل أسود واقع في الشمال الغربي للقصيم ممتد من الشمال إلى الجنوب بين جزئيه الشمالي والجنوبي فج يسلكه حاج البصرة إلى المدينة عندما يرتحلون من عيون الجواء قاصدين الفوّارة وتسمي العامة جزءه الشمالي الرحية بصيغة التصغير وتسمي الجنوبي الرحا بصيغة التكبير. يقع إلى الشرق من الفوّارة وإلى الغرب الجنوبي من الجواء. أقرب القرى المعمورة إليه هجرة «دريميحة» التي تقع إلى الشرق الجنوبي منه.

والرّحا هذه هي التي كانت تسمى في القديم «رَقْداً» ولا أشك في ذلك...[1]).

وقد ساق المؤلف أدلته على ماذهب إليه من رأي لم أوردها هنا بغية الاختصار فارجع إليها هناك.

وحيال ذلك أقول:

عندما قيّدْنَا ضُبّعاً وأحكمنا قيده اتجهنا إلى «الرّحَا» وكان قدومنا إليها من جهة الغرب وهي عبارة عن جبل متطامن مستطيل من الشمال إلى الجنوب وبمحاذاته من الشمال قارة منفردة تراها من البعد على شاكلة الرّحَا ولعل التسمية الجديدة «للرحا» أخذت منها، أما الرحا الكبيرة فسوف لن ندعها تطحن دقيقاً بعد اليوم!!

---

(١) معجم بلاد القصيم: ص ١٠١١/٣

قلت إننا في رحلتنا السابقة حاذيناها من الشرق، أما اليوم فقد سرنا بمحاذاتها من الغرب حتى وصلنا إلى طرفها الجنوبي وعدنا أدراجنا وفي وسطها شاهدنا طريقاً يصعد إلى ظهرها فسلكناه وعندما علونا ظهرها وجدناه مستوياً كالأرض تماماً لولا وجود بعض الحجارة التي قد تعوق السير أحياناً. عندما وصلنا إلى طرف المنحدر الشمالي الغربي، وجدنا أن النزول منه يصعب على «السيارة» ولكنا شاهدنا آثار برج قديم وبعد الوقوف عليه اتضح أنه بقايا برج قديم متهدم بني حوله سور على شكل دائرة مطوي بالحجارة ولم أجد تعليلاً لوجود هذا البرج على هذا المنحدر إلا أن يكون علامة من علامات طريق حاج البصرة قديماً.

ومما يؤيد ماذهبت إليه أن طرف الجبل الشمالي الذي كان الحاج يمرون بمحاذاته موجود عليه مما يلي المنحدر أبراج لازالت واضحة المعالم.

انظر إلى صورة البرج الأول الصورة رقم (٤٣) وإلى أحد الأبراج الشمالية الصورة رقم (٤٤).

قال الحربي: أخبرني عبدالله بن عمرو عن علي بن محمد بن سليمان الهاشمي قال:

(كان أبي أضل الطريق.. فرأيته صار إلى جبل يقال له ذو طلوح، وهو جبل كذَّان، ينبت نباتا يرى على صخوره مثل الجدري، ثم يتصل، وهو ممتد على وجه الأرض، ارتفاعه في السماء عشرة أذرع والطلح عن يمينه ويسرته وهو الذي يقول فيه جرير:

متى كان الخيام بذي طلوح   سقيت الغيث أيتها الخيام)

. ـ *إلى آخر النص* ـ قل لي بربك هل أوضح من هذا النص ووصفه الدقيق لهذا الجبل الذي نحن نتجول حوله الآن وقد علونا ظهره وتفحصنا حجارته؟!

رقم (٤٣) : منظر : أحد أبراج طريق حاج البصرة فوق جبل ذي طلوح من جهة الغرب .

رقم (٤٤) : أحد أبراج طريق حاج البصرة فوق جبل: «ذي طلوح» من ناحيته الشمالية .

إنها بالفعل كذّان كما قال الهاشمي، ومن حسن الحظ أن الأرض في هذا الوقت معشبة وقد وجدنا النبات الذي وصفه يغطي جنبات هذا الجبل. ولما كان الرجل لايعرف اسم هذا النبات الذي رآه وصفه وصفاً واضحاً.

وهذا النبات الذي وصفه ينبت في أماكن كثيرة ولكن كثرته في هذا الجبل ملفتة للنظر فهو نبات شوكي ورقته صغيرة جداً ينفرش على وجه الأرض ليس له ساق يعلو عليه وهذا النبات معروف عند عامة أهل نجد باسم «الدّريْماَ» وقد يسميه البعض «الدّرْماَ» وهو شبيه بنبات «الشُّكاعَا» إلا أن الأخير أكبر ورقة وأطول شوكاً وله ساق يعلو عليه.

وهذا الجبل كما وصفه ممتد على الأرض وعلوه في السماء لمن ينظر إليه عشرة أذرع كما قال على وجهه التقريب، وإلا فعلوه أرفع من ذلك في بعض أجزائه.

بقي الوصف الأخير وهو: وجود الطلح يمينه ويسرته.

أقول إنك عندما تسير مع الطريق من عيون الجواء حتى تصل إلى قرب هذا الجبل لن تجد شجرة تستظل بها، ولكنك عندما تقرب من جبلنا هذا فسترى الأشجار في الشعاب التي حوله. والشجر الذي كان حوله هو الذي دلني عليه عندما مررنا به في رحلتنا السابقة وجعلني أظنه «ذا طلوح».

صحيح أنه لايوجد شجر بالكثافة التي كانت في الزمن السابق نظراً لتعاقب سنين الجفاف عليه، مع ماصاحب ذلك من كثرة الاحتطاب.

ورغم ذلك فإنك تشاهد الأشجار في بعض الشعاب في ناحيته الشمالية والشرقية.

وأمام هذه الأدلة المتظافرة فإنه ليس عندي أدنى شك في أن مايسمى في وقتنا الحاضر جبل «الرّحَا» ماهو إلا جبل «ذي طلوح قديماً» وبالتالي فهو ليس

جبل «رَقْدِ» كما يقول عنه صاحب معجم بلاد القصيم.

ورَقْدٌ لاشك أنه يرقد الآن في مكان ما وهو يئن من كثرة مازلمته المَنَاقِرْ!! وبجوار الرحا «الرُّحيَّة» وقد يكون مسمى ذي طلوح حديثاً جاءه منها. انظر إلى صورة الرَّحية، وجانب من «الرحا» وحولها شجر الطلح المنظرين رقم (٤٥)، ورقم (٤٦).

وذو طلوح يبعد عن «ضُبَع» بمسافة عشرين كيلاً، وعن «ساق الفروين» ثمانية وعشرين كيلاً، وعن «الفوَّارة» تسعة وثلاثين كيلاً تقريباً وجميع تلك الأعلام واقعة عنه غرباً.

(رَقْدٌ)

قلت آنفاً: إن رقداً قد يكون راقداً في مكان آخر غير مكان ذي طلوح. وحيث أنه لايبعد عنه كثيراً فيحسن بنا إيقاظه من رقدته حيث سنتكلم عنه ونحقق مكانه إن شاء الله.

رقد عند مؤلف معجم بلاد القصيم:

يقول وهو يتكلم عن «الرَّحَا»: (والرحا هذه هي التي كانت تسمى في القديم «رقداً» لاأشك في ذلك. وقبل أن أذكر لك الأدلة على ذلك أحب أن أوضح كيف انتقل اسمه من «رقد» إلى «الرحا».

كان رقد تنحت منه الأرحية جمع رحا، كما قال الجوهري

رَقد: جبل تنحت منه الأرحية وأنشد أبو منصور الأزهري:

كأرحاء رَقْدٍ زَلَّمتْهَا المناقر

والمناقر جمع منقار. والمراد به: المنقار من الحديد الذي تنقر به الحجارة.

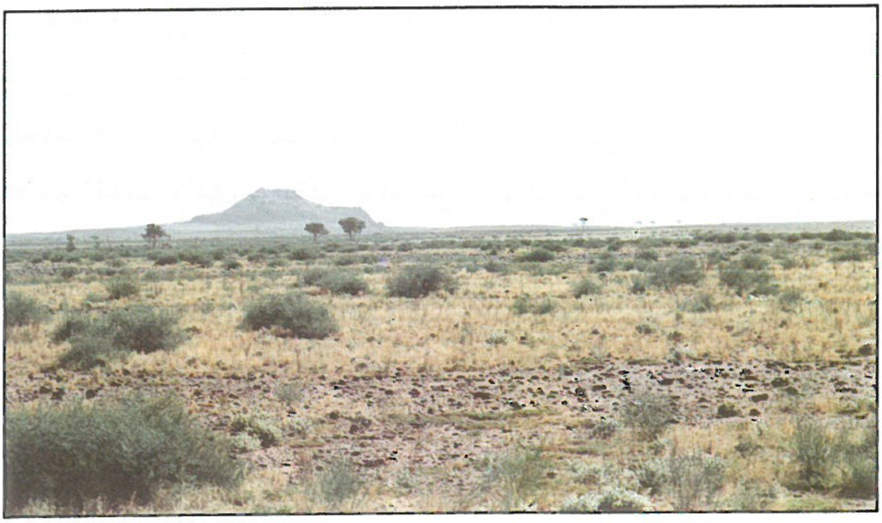

رقم (٤٥) : منظر : الرُّحَيَّة، وبجوارها «الرحا» التي استحوذت على «ذي طلوح» فأخفته بغبار طحينها ردحاً من الزمن. وانظر إلى شجر الطلح.

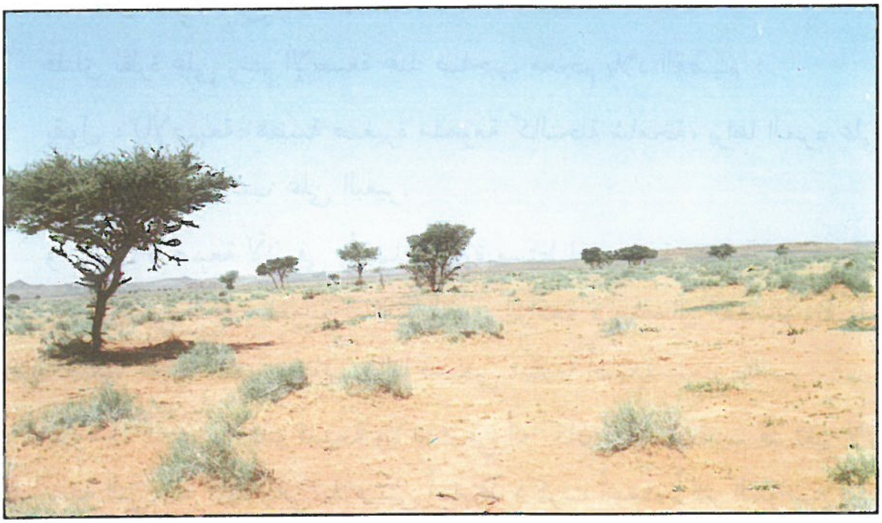

رقم (٤٦) : منظر : لطرف ذي طلوح الشمالي الشرقي وفي الأودية التي حوله يكثر شجر الطلح، وبقرب هذا الشجر من الغرب تجد أعلام الطريق واضحة .

فكان الناس إذاً يسمونه جبل الرحا لأن الرحا تؤخذ منه ثم أصبحوا بعد ذلك يقولون «الرحا» اختصاراً إلى أن نسي الاسم القديم «رَقْد» وحل محله الاسم الجديد الرحا لاسيما بالنسبة للمتأخرين الذين لم يظهر لهم معنى كلمة «رقد» الاسم القديم والذي لم يظهر معناه حتي لياقوت الذي أخذ نفسه بذكر اشتقاق اسماء الأماكن فقال: أظنه مرتجلا[1]) . انتهى كلامه .

ثم ساق المؤلف الأدلة المؤيدة لقوله بأن الرحا كانت تسمى «رقداً» وهو لايشك في ذلك وعلى القارىء الرجوع إلى ماقاله في رسم «الرحا» إذا رغب.

مناقشة هذا الرأي :

أقول إنني أشك في أن «الرَّحَا» هي «رَقْد» بل أجزم بأن الرحا ليست رقداً وإنما هي «ذو طلوح قديماً» وقد تقدم تحقيقي له والكلام عنه بما فيه كفاية.

أما رَقْدٌ فهو بلاشك واقع بالقرب من ذي طلوح حسبما وصفته النصوص وأقرب جبل لذي طلوح هو «الإصبعة».

فلنلق نظرة على رسم الإصبعة عند صاحب معجم بلاد القصيم :

يقول : (الإصبعة: هضبة صغيرة ملمومة كالنخلة شامخة، يراها المرء على البعد كأنها رجل راكب على البعير.

وسميت الإصبعة لأن في رأسها حجارة مستطيلة مرتفعة تشبه الإصبع على البعد. وتقع في الجهة الغربية لناحية الجواء الواقعة في شمال القصيم وبقربها قرية أصلها هجرة للبادية تضاف إليها فتسمى «بقيعا أصبع».

ولم أجد تسميتها هذه قديمة ولاشك في أنه كان لها اسم قديم قد تغير لأن المنطقة التي تقع فيها وهي بلاد بني أسد قد ذكرت أسماء أكثر المواضع فيها حتى الصغيرة منها لاسيما وأن شكلها يلفت النظر. وبعد البحث ترجح عندي

---

(١) معجم بلاد القصيم : ص ١٠١١/٣ ـ ١٠١٢ .

أن اسمها القديم كان «ساق العناب»[1]).

ثم ساق المؤلف الأدلة المثبتة لما ترجح عنده .

التعليق :

إن الإصبعة ليست هضبة صغيرة ملمومة كالنخلة شامخة يراها المرء على البعد كأنها رجل راكب على البعير.

وإنما الإصبعة هضبة متطامنة منبطحة على الأرض استطالتها من الشرق إلى الغرب والذي يجعلها ترى من بعد ليس علوها وشموخها، وإنما لكونها تقع في مكان مرتفع، ويشاهد على ظهرها حجر منتصب، وهذا الحجر هو سبب تسميتها الحديثة. أما اسمها القديم فلست مع مؤلف معجم بلاد القصيم بأنها «ساق العناب». وإنما هي «رَقْدٌ» ولو رجعنا إلي الأوصاف التي ذكرها المؤلف في رسم «الرحا» للتدليل على أن الرحا هي «رَقْدٌ» لوجدناها تنطبق على الإصبعة تمام الانطباق لا من حيث الوصف فقط وإنما المكان أيضاً.

فَرَقْدٌ هذا مجاور للرحا «ذو طلوح قديماً» .

وقد وصف لنا العامري رَقْداً وصفاً دقيقاً حيث قال كما ذكر الأصفهاني:

(رَقْدٌ: هضبة مُحلْبَدَةٌ، بين ساق الفروين وبين حبس القنان، وهي بأطراف العُرَف، بينهن وبين القنان، وبين أبان الأسود، وهي مشرفة على جال لأنها فوق حزم من الأرض[2]) .

والواقع أن الإصبعة «رقد قديماً» تنطبق عليها تلك الأوصاف التي قالها العامري وقوله: (وهي بأطراف العُرف) أصدق وصف لها حيث أن العُرَفَ تحدها من الشرق والقنان من الغرب.

---

(١) معجم بلاد القصيم : ص ٣٤٨/١ .

(٢) صفة جزيرة العرب : ص ٣٩ .

واختلف في عدد العرف وتسميتها وعندي أن أصوب تلك الأقوال هو قول العامري نفسه حيث قال الأصفهاني عنه:

(العُرَف: ببلاد أسد فقلت ماهي؟ فقال: بها قفاف ورمال وغير ذلك قال: وهن أربع عرف:

عُرْفَةُ ساق، وعرفة صَارة، وعرفة رَقْد وعُرْفة أَعْيار.

قال: وهن أجارع وقفاف إلا أن كل واحدة منها تماشي الأخرى، كما تتماشى حبال الرمل[1]). انتهى.

أقول: لقد مشيت تلك العرف وتجولت فيها وهي تبدأ من قرب «ساق الجواء».

وهي عرفته ثم تمتد إلى جبال صارة وهناك عرفتها، وتماشيهما عرفة رَقْدٍ من جهة الغرب، ويبدو لي أن عرفة أعيار تمتد منها شمالاً.

فهن كما قال تتماشى، وكل واحدة من هذه العرف الأربع تسمى بأشهر وأقرب علم لها.

أرحاء رَقْد:

تجولت بأطراف «رَقْدٍ» لعلي أعثر على موضع أخذت الأرحاء منه حيث ورد في النصوص أن الأرحاء تؤخذ منه فوجدت في جهته الشمالية الغربية مكاناً قلبت حجارته ظهراً على عقب مما يدل على أنه أخذ من هذا المكان مايصلح من الحجارة لصنع الأرحاء واحدتها (رحا) وهي مايطحن بها الحبوب على مر العصور قبل صنع المطاحن الحديثة وبقي في المكان من الحجارة الشيء الكثير وهذه الحجارة مشابهة لما نعرفه من الأرحاء القديمة.

---

(١) بلاد العرب ٣٩.

رقم (٤٧) : منظر : هضبة الاصبعة :ـ رَقد قديماً ـ منظره من جهة الجنوب .

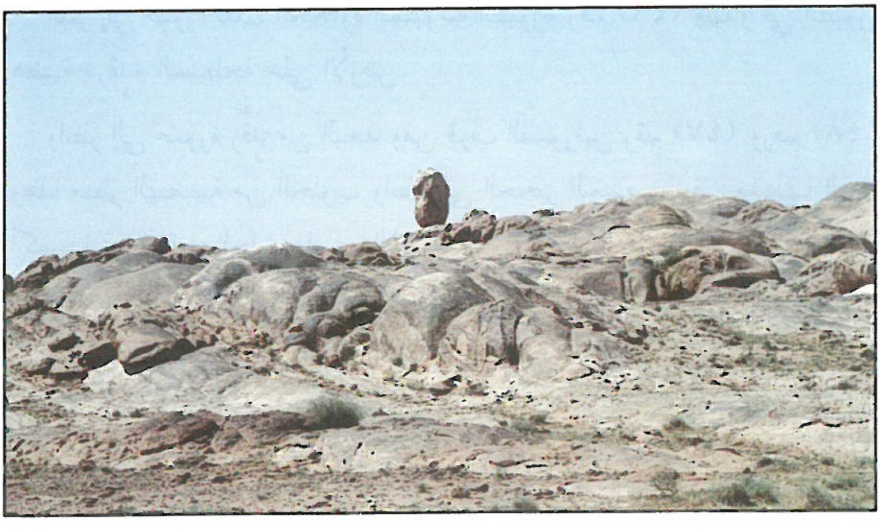

رقم (٤٨) : الاصبعة : رَقْد قديماً منظره من قرب، وهذا الحجر المنتصب هو سبب التسمية حديثاً .

رقـــم (٤٩) : منظر : *أحد الأماكن التي تؤخذ منها الأرحاء من «رَقْدٍ» تلك التي زَلَّمتَها الْمَنَاقِرُ .*

انظر إلى صورة تلك الحجارة المنبوشة الصورة رقم (٤٩) ويبدو في الصورة هضبة «رَقْدٍ» المنبطحة على الأرض.

وانظر إلى صورة رَقْدٍ من البعد ومن قرب الصورتين رقم (٤٧) ورقم (٤٨) وهذا منظر الهضبة من الجنوب وانظر الى الحجر المنتصب في وسطها الذي أكسبها في الوقت الحاضر اسم «الإصبعة».

وممن تكلم عن رقد في وقتنا الحاضر الشيخ محمد بن بليهد حيث قال وهو يتكلم عن المواضع الواردة في أبيات لزهير بن أبي سلمى ومنها هذا البيت:

فَرَقْدٌ فَصَارَاتٌ فَأَكْنَافُ مَنْعِجٍ فَشَرْقِيُّ سَلْمَى حَوْضُهُ فَأَجَاوِلُه

قال رحمه الله :

(أما رَقْد: فاسمه قديم جاهلي... والشعراء يذكرون رَقْداً مع صارة، وثادق

وعاقل، ومنعج. وهذه المواضع كلها يرى بعضها من بعض...

وأنا لا أعرف رَقداً بهذا الاسم، إلا أنه في تلك الناحية، وهناك موضع يقال له «وقط». وأظن أنه رَقْد المذكور تغيرت داله طاء وراؤه واواً[1].

أقول كان حدسه ـ رحمه الله ـ قريباً من الصواب وقد كنت عندما مررت «بسمراء وقط» ظننتها «رَقْداً» ولكن بدا لي بعد التدقيق في النصوص أن وقطاً ليس رقداً. ولاقتناعي أخيراً أن «رَقْداً» هو مايسمى حالياً بـ «الإصبعة» فلن أطيل الكلام حولها بأكثر مما قلته فالأمر واضح.

وعلى القارىء الرجوع إلى النصوص الواردة بشأن «رَقْد» فسيجد أنها تنطبق على ماحددته تمام الانطباق.

(عودة إلى المجيمر)

لو أرجعنا الذاكرة قليلاً لوجدنا أن تحقيقنا للمواضع التي مرت بنا كان سببه هذا المجيمر الذي ضعف أمام السيل فطوقه بما يحمله من أغثاء حتى صارت قمته التي لم تعلوها الأغثاء شبيهة بفلكة المغزل.

وفلكة المغزل هي: القطعة المستديرة من الخشب ونحوه تجعل في أعلى المغزل وتثبت السنارة من فوقها، وعود المغزل من تحتها.

ولعل كثيراً من أبنائنا لم يشاهدوا المغزل والتغزالة هذه الآلة البسيطة التي بواسطتها عملت خيوط الصوف من غزل الأغنام، ووبر الإبل، فصنع من هذه الخيوط على مر العصور ـ قبل مجيء الآلات الحديثة ـ الخيام، والفرش، والأغطية، وأنواع الألبسة، والأمتعة.. وغير ذلك.

---

(١) صحيح الأخبار: ص ١٢١/١ .

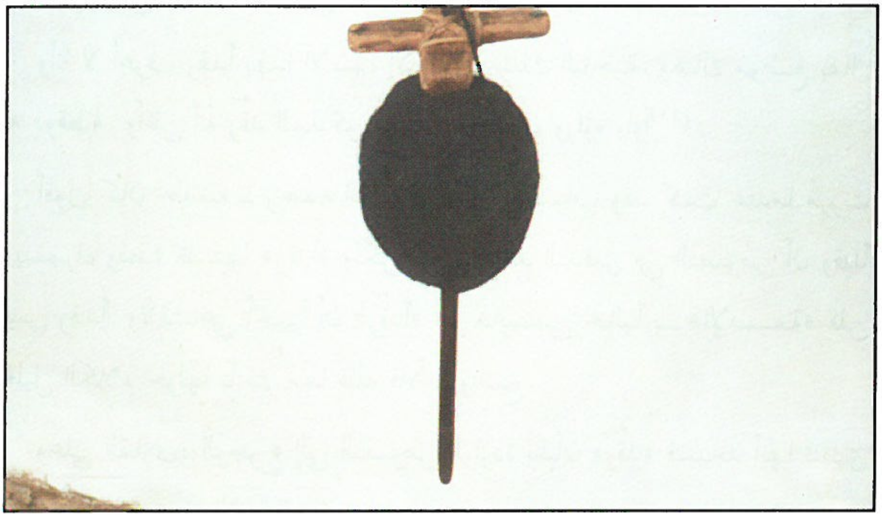

رقم (٥٠) : منظر : «المغزل» الذي تغزل بواسطته خيوط الصوف قديماً .

وكانت البدوية مصنعاً متحركاً تغزل وهي قاعدة، وواقفة، وهي تمشي وراء غنمها دون كلل ولا ملل.

وكان هذا المغزل مصدر رزق، ووسيلة اكتفاء ذاتي.

وهذا المغزل لم يكف عن الدوران إلا منذ أربعين عاماً تقريباً، ورغم قصر مدة توقفه عن الدوران فإنك لاتكاد تراه إلا في المتاحف وعند جامعي القطع الأثرية.

انظر إلى صورة المغزل الذي شبه امرؤ القيس فلكته بِقُلَّة المجيمر الصورة رقم (٥٠).

ولعلنا بتحقيقنا لذي طلوح، وضُبَع. نسلك الطريق الصحيح المؤدي إلى المجيمر فلذا أقول:

إن علي بن محمد بن سليمان الهاشمي ـ رحمه الله ـ عندما ضل الطريق مع والده مع جادة البصرة إلى المدينة المنورة من وراء «قطن» كان سبباً في تعرفنا على تلك المواضع.

ومادمنا تعرفنا على المواضع الثلاثة المتقدمة ذي طلوح، وضبع، وساق الفروين. فقد سهل علينا معرفة الطريق الذي سلكوه بالتحديد.

فلنتتبع خطواتهم حتى نصل إلى ضالتنا «الْمُجَّيمِر».

لقد سرنا مع طريقهم حتى أقبلنا على جبل ذي طلوح، وأتوقع أنهم أضلوا الطريق عندما اقتربوا من هذا الجبل.

ولست أدري ماهو السبب الذي جعلهم يضلون طريقهم مع أن أعلام هذا الطريق واضحة وقد يكونون أضلوا الطريق قبل أن توضع تلك الأعلام حيث كان هناك طريق آخر كان يسلك فهجر.

وعلى أي حال فإن ذا طلوح يمر الطريق من خيشومه الشمالي، ثم مروا بضبع، ثم بساق الفروين.

إنهم على هذا المنوال لم يضلوا الطريق كثيراً ولم يبعدوا عن الجادة إلى الفوارة.

ويبدو لي أنهم عندما شاهدوا جبال السلسلة وجبال الحضر أمامهم عدلوا جنوباً باتجاه أبان الأسود فتركوا الفوارة ومن ورائها جبل قطن على أيمانهم. فمروا وهم سائرون باتجاه القبلة على أبان الأسود وعندما تركوه على يسارهم شاهدوا هضبة «طمية» أمامهم وهي تشاهد من بعد، وقبل أن يصلوها اعترضهم مجرى وادي «الرُّمة» وعلى ضفته شاهدوا جبيل «المجيمر» الذي تحدثنا عنه بما فيه الكفاية في بداية الرحلة الأولى.

وقد دعمنا الحديث عنه هناك بالصور والتحديد الدقيق.

وإن كان لي من كلمة حوله هنا عندما اتضحت لنا الرؤية فهي:

إن النص الذي سرنا على ضوئه فحققنا عدداً من المواضع بموجبه يعتريه حذف وتقديم وتأخير من النساخ كما أشار إلى ذلك محقق كتاب «المناسك» الشيخ حمد الجاسر عندما أكمل النقص الحاصل في النص.

انظر صفحة (٦١٠) من كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة.

ولعلي أدلي بدلوي فأعيد صياغة هذا الجزء من النص حسبما يبدو لي أنه الصواب: ليكون كالتالي:

(... ثم تمر بالمجيمر وهو الذي يقول فيه امرؤ القيس :

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة   من السيل والأغثاء فلكة مغزل

قال فمررنا بهذه الجبال ونحن ضلال ثلاثة أيام بلياليها فإذا مويهة في سفح جبل، به ناس حلول فرأينا رجلين فسألناهما ممن أنتما؟) إلى آخر النص.

ومما تقدم يمكنني القول جازماً بأن «المجيمر» الذي ذكره امرؤ القيس، ودوخ الباحثين مع صغر حجمه ماهو إلا هذا الجبيل الرابض على ضفاف وادى «الرّمة» على بعد اثنين وعشرين كيلاً جنوباً من بلدة «عقلة الصقور».

والمجيمر يقع على خط العرض ٣٨ً ٤٣َ ٢٥ْ وخط الطول ٥٨ً ٢٣َ ٤٢ْ وبهذا الجزء من رحلتنا هذا اليوم نكون قد مشينا الطريق الذي سلكه «الهاشمي» من وراء قطن وبطريقنا حققنا جبل «ذي طلوح» ثم «ضُبَعاً» ثم «ساق الفروين» عند وصولنا إلى ساق الفروين بطريق العودة حاذيناه من جهة الشرق، ثم حاذينا جبل «الحِضْر» تاركين قرية «الفوّارة» على يميننا باعتبارنا في حكم من ضل الطريق إليها.

ونحن عند سفح جبل «الحِضْر» الجنوبي نرى جبلي «أبانين» باتجاه الجنوب، وجبل «قَطَنْ» باتجاه الغرب مع ميل إلى الجنوب.

عند ذلك سلكنا الطريق المزفت الواصل بين «الفوارة» و«البتراء» وهذا يقرب من الطريق الذي سلكته القافلة عندما ضلت.. لدى وصولنا إلى البتراء كان أبان الأسود مقابلاً لنا فانحرفنا مع طريق (القصيم ـ المدينة) باتجاه الغرب مع طريق القافلة حتى ظهرت لنا طمية بقامتها الفارعة ومن دونها جبيل «المجيمر» الذي تركناه في الرحلة السابقة رابضا على ضفاف وادي «الرُّمة» لأننا حققنا الغرض المطلوب من سلوك هذا الطريق.

ولم نكن الوحيدين الذين سلكوا هذا الطريق للبحث عن ضالة فقدت حيث سلكه من قبلنا عربي يبحث عن محبوبته خولة إذ بحث عنها عند «ساق الفروين»، ثم عند جبل «الحضْر» وإذ لم يجدها اتجه صوب أبانين فقال منشداً:

أَقْفَرَ مِنْ خَوْلَةَ سَاقُ الفَرْوَيْنِ فَـالحِضْرُ فَـالرُّكْنُ مِنْ أبانَيْنْ

واستمر هو في بحثه عن ضالته أما نحن فقد وجدنا ضالتنا ولله الحمد في الرحلة السابقة حول الركن من أبانين!

ولذا فقد اتجهنا مع الطريق غرباً وعند محاذاة جبل «قَطَن» استهوانا بلونه الأحمر الخلاب، فاتجهنا إليه وقبل الوصول إليه دعونا نعرف نبذة عنه:

قطـــن

قَطَنٌ : جبل معروف لم يتغير اسمه القديم. وصفه علماء البلدان وصفاً واضحاً.

قال ياقوت الحموي: (قَطَنٌ: جبل لبني أسد...

قال الأصمعي: وفيما بين الفوارة ـ وهي قرية ذكرت في موضعها ـ والمغرب جبل يقال له قطن به مياه أسماؤها: السُّلَيعْ، والعاقرة، والثّيِّلة، والمِمْها وهي لبني عبس، وأنشد:

أين انتهى يابن صميعاء السِّنن ليس لعبس جبل غير قَطَنْ

إلى أن قال:

... وقال الواقدي: قطن ماء ويقال جبل من أرض بني أسد بناحية فيد، وغزوة قطن قتل بها مسعود بن عروة وأمير جيش رسول الله ﷺ أبو سلمة بن عبدالأسد وذِكْرُه في المغازي كثير...[1]).

أقول: قطن لازال يسمى باسمه حتى زمننا هذا يراه المسافر من القصيم إلى المدينة المنورة قبل أن يصل إلى بلدة «عقلة الصقور» على يمينه غير بعيد ولجبل قطن منظر بديع خلاب.

وهو الجبل الذي أفادنا امرؤ القيس أن السحاب الذي كان يشيمه أمطر أيمنه عليه، وأيسره أمطر على الستار ويذبل.

ونكتفي بالكلام عنه هنا لأنه سيرد معنا عند الكلام عن الستار ويذبل.

---

(١) معجم البلدان : ص ٣٧٤/٤ .

عند الوصول إلى جبل قطن اخترنا الاستراحة في جهته الشمالية نظراً لكثرة الأشجار الظليلة هناك.

انظر إلى جبل قطن الصورتين رقم (٥١) ورقم (٥٢).

بعد أن أخذنا قسطاً من الراحة، وتناول طعام الغداء وتأدية صلاة الظهر والعصر جمعاً. واصلنا المسير باتجاه الشمال الغربي قاصدين «كتيفة» و«تيماء».

حيث ذكر امرؤ القيس أن الماء سَحَّ من حول كتيفة فألقى بالأشجار على رؤوسها، وأنه دمر «تيماء» بحيث لم يترك بها نخلة قائمة على أصولها، ولا بيتاً إلا ماكان بنيانه من الحجارة.

فلنتكلم عن «كتيفة» أولاً:

(كتيفة)

قال امرؤ القيس :

وَأَضْحَى يَسُحُّ المَاءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ   يَكُبُّ على الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

وصدر هذا البيت ورد في بعض المصادر هكذا :

(وأضحى يُسحُّ الماء من كِلِّ فَيْقَةٍ)

وعندي أن الصحة ما أثبته الخطيب التبريزي: (وأضحى يسح الماء حول كتيفة)

والبعض قال: (عن كل فيقة).

وهذا بلاشك حصل من رواة الشعر فاقتبسوا هذا القول من قصيدة للشاعر عبد بني الحسحاس حيث يقول وهو يصف غيثاً كما وصف امرؤ القيس:

رقم (٥١) : منظر : جبل «قطن» من الناحية الشمالية

رقم (٥٢) : جبل «قطن» من الناحية الشمالية الغربية .

يضيء سناه الهَضْب هضب متالع وحَبَّ بذاك البرق لو كان عاليا

* * *

ركاماً يَسُحُّ الماء من كل فَيْقةٍ وغادر بالقيعان رنقاً وصافيا

ومر على الأجبال أجبال طَيِّء كما سُقْتَ منكوب الدّوابر حافيا

* * *

فأصبحت الثيران غرقى فأصبحت نساء تميم يلتقطن الصياصيا

ولا غرابة أن يدرج قول عبدبني الحسحاس في معلقة امريء القيس نظراً لتقارب جو القصيدتين فلو أمعنت النظر للاحظت تقارب الشبه بين:

ـ قول امري القيس: وأضحى يسح الماء حول كتيفة .

وقول عبدبني الحسحاس: ركاماً يسح الماء من كل فيقة .

ـ أو قول امريء القيس : يضيء سناه أو مصابيح راهب

وقول عبد بني الحسحاس: يضيء سناه الهضب هضب متالع .

ـ أو قول امريء القيس : ومر على القنان من نفيانه

وقول عبد بني الحسحاس: ومر على الأجبال أجبال طيء

ـ وقول امريء القيس : كأن سباعاً فيه غرقى عَشية

وقول عبد بني الحسحاس: فأصبحت الثيران غرقى ...

وكتيفة هذه التي ذكرها امرؤ القيس اختلف الباحثون في عصرنا هذا في تحديد مكانها ومما قالوه عنها :

١ ـ يقول مؤلف صحيح الأخبار :

(كتيفة التي ذكرها امرؤ القيس في هذا البيت: جبل صغير في أعلى مُهْبل، ومبهل: واد لبني عبدالله بن غطفان يصب في وادي الرُّمَّة، وهي تقع شمالي

بقيعى اللهيب على مسافة ساعتين ـ يعني للإبل المحملة ـ وجنوبي أبان الأحمر، على مسافة يوم، وهي التي عناها امرؤ القيس، وهي واقعة من الستار المذكور على مسافة يوم في جهته الشمالية الشرقية(١)) .

وقال في موضع آخر :

(أنا أعرف اليوم ستة أجبل صغار في بلاد العرب يسمى كل واحد منها كتيفة:

الأول : واقع في بلاد بني أسد غربي سميراء يبعد عنها مسافة يوم.

والثاني: واقع في بلاد غطفان في أعلاها منقطع من أبلى وهو جبل صغير أسود يقع من أبلى في الجهة الشرقية على مسافة نصف يوم.

والثالث : في أسفل بلاد غطفان قريب مبهل الوادي المعروف الذي يصب في وادى الرمة وهو معروف بهذا الاسم ولم يذكر صاحب معجم البلدان غيره .

والرابع : واقع في حمى ضرية قريباً من الجبال المحيطة ببلدة ضرية وهو في بلاد غني بن أعصر .

والخامس : واقع غربي السحامية البيضاء، يبعد عنها أقل من مسافة نصف يوم وهو الذي ذكره امرؤ القيس في أشعاره إلا الذي ذكره في معلقته فإنه كتيفة مبهل، وآية ذلك أنه ذكر الجبال المحيطة به في بلاد غطفان كأبانين، وقطن، والمجيمر. والسادس: واقع في بلاد عُقَّيل بن عامر في وسط عرق سبيع مقابل لماء القنصلية مما يلي مطلع الشمس يبعد عنها مسافة نصف يوم(٢)) .

(١) صحيح الأخبار : ص ٢٥/١ .
(٢) صحيح الأخبار : ص ٩٩/١ .

التعليق :

كان ـ رحمه الله ـ كثير الأسفار وحدد لنا تلك الأعلام عن مشاهدة، وقد حدد لنا من بينها كتيفة الواقعة في أسفل بلاد غطفان قريباً من مبهل الوادي الذي يصب في الرمة.

وفي النص الأول حددها: بأنها جبل صغير في أعلى مبهل وأنها واقعة شمالي بقيعا اللهيب على مسافة ساعتين. وجنوبي أبان الأحمر على مسافة يوم وهي التي عناها امرؤ القيس. ويظهر لي من كلامه ـ رحمه الله ـ أنه اختار كتيفة هذه لأنها واقعة بين «ضارج» الذي حدده في شمالي القصيم، وبين «الستار» و«يذبل» اللذين حددهما جهة الجنوب من ضارج. ومع أنه يعرف أن هناك جبلاً اسمه كتيفة يقع غرب بلدة «سميراء» إلا أنه لم يرشحه على أنه الذي قصده امرؤ القيس؛ لأنه حسبما يميل إليه غير واقع بين الأعلام التي قعد بينها امرؤ القيس. ومن هذا المنطلق وقع عنده اللبس.

٢ ـ أما مؤلف «معجم بلاد القصيم»:

فقد أدرك الالتباس الذي وقع للكثيرين من الباحثين المحدثين حيث ظنوا «كتيفة» الواقعة إلى الشمال الشرقي من قرية «مسكة» هي كتيفة المذكورة في أعلا وادي «مبهل الأجرد» الذي كان لغطفان[١].

ويقول في رسم «كتيفان» :

(... جبل أسود فيه حمرة ليس بالكبير ولعل هذا هو سبب تصغيره في القديم والحديث. يقع إلى الغرب من وادي المحلاني (مبهل قديماً) على بعد ٢٠ كيلاً وإلى جهة مغيب الشمس من جبال «وتدات» على بعد ٢٠ كيلاً منها تقريباً.. وإلى جهته الشرقية على بعد ٣ كيلات آثار تعدين قديم. وإلى

---

(١) معجم بلاد القصيم : ص ٢١٢٨/٥ .

الشمال من هذا الجبل ماء يسمى «كتيفة» واقع في وادي الشعبة (الثلبوت قديماً). ولذلك إذا كنت في مصب وادي الشُّعْبة في وادي الرُّمة أسفل من الحاجر القديم شاهدت «كتيفان» هذا على البعد وكان يسمى قديماً «كتيفة»...

قال لغدة الأصفهاني وهو يتكلم على مبهل الوادي الذي أصبح يسمى «المحلاني» كما سنثبت ذلك بالأدلة القاطعة عند ذكر هذا الرسم في حرف الميم إن شاء الله.

قال: وفوق مبهل معدن البئر بئر يسمى بئر بني بريمة.. وبنو بُرَيْمَةَ من بني عبدالله بن غَطَفَان وبأعلى مبهل هذا جبل يقال له: «المجيمر»[1] وجبل آخر يقال له «كُتَيْفَةُ» وجبال يقال لها الوتدات لبني عبدالله[2]. انتهى كلامه باختصار.

التعليق:

أقول: لقد أصاب أستاذنا العبودي في تحديده لكتيفة التي عناها امرؤ القيس

وإن كان لي من تعليق فهو حول تحديده لوادي «مبهل الأجرد» بما يسمى في وقتنا الحاضر: «وادي المحلاني».

ومادمنا الآن ونحن نعبر تلك الأودية ونقطعها وادياً تلو الآخر متجهين من جبل قطن إلى «كتيفة» و«تيماء» فدعونا نلق نظرة على ماقيل حول هذه الأودية:

(١) علق مؤلف معجم بلاد القصيم بقوله: (المجيمر: هذا هو مجيمر غطفان) مما يدل على أن المؤلف لايرى أنه هو الذي عناه امرؤ القيس وقد سبق أن حدد المجيمر في بلاد بني فزاره بما يسمى «المصيقر» وقد تقدم الكلام عليه.

(٢) معجم بلاد القصيم: ص ٢١٢٥/٥ ـ ٢١٢٦.

المحلاني :

يقول مؤلف معجم بلاد القصيم وهو يتكلم عن بلدة «المحلاني» ووادي المحلاني:

وهذا الوادي أي وادي المحلاني هو الذي كان يسمى في القديم «مبهل» وقد يسمى مبهلِ الأجرد وهو كان لبني عبدالله بن غطفان واشتهر ببيت من الشعر هجا فيه المُزرِّد بن ضرار كعب بن زهير حين لم يذكره في شعره فقال:

... وأنت امرؤ من أهل قُدْس وآرة   أَحَلَّتْك عبدالله أكناف مبهل

... وإليك البيان على أن وادي «المحلاني» هو الوادي الذي كان يسمى «مبهلاً» في القديم.

أول ذلك أنه لايزال يوجد هناك واد صغير من روافد المحلاني يسمى «شعيب مبحل»... بلفظ مبهل لم يتغير منه شيء غير أن هاءه أصبحت حاءً في نطق العامة من أهل تلك الجهة.

وشعيب «مبحل» المذكور يمضي سيله فيفيض إلى رافد من روافد المحلاني يسمى «أبو خريط».. ولاأشك في أن كلمة مبحل هذه التي لايزال يحتفظ بها أحد روافد وادي مبهل المشهور قديماً بقيت شاهداً على أن المحلاني هو وادي مبهل القديم...

وقال لغدة بعد أن تكلم على جبل قطن وما والاه من الأماكن جهة الشمال وبعد أن تكلم على التين وذكر ذا العشيرة الذي نعتقد أنه هو الوادي الذي يسمى الآن «المباري» كما سبق قال: وفوق ذي العُشَيْرَة مبهل الأجرد: واد لبني عبدالله بن غطفان. وفوق مبهل معدن البئر.. أقول ـ القول لازال له ـ :

لاتزال آثار المعدن ظاهرة إلى جهة الشمال الغربي من المحلاني ويسميها

أهل البدو «العماير» يريدون بها أنها آثار عمارة..

ثم قال لغدة : بأعلى مبهل جبل آخر يقال له «كتيفة».

أقول وهذا الجبل لايزال معروفاً ولكن باسم «كتيفان» كما قدمنا ذكره في رسم الكاف ويقع إلى الشمال الغربي من المحلاني فيما بينه وبين الشعبة (الثلبوت قديماً) ثم قال لغدة: وجبال يقال لها: الوتدات لبني عبدالله ...

ثم قال لغدة : وفوق مُبْهل ، الثلبوت واد .

أقول، هذا صحيح فإن الوادي الذي يلي (المحلاني) يُسَمَّى وادي الشعبة الآن ..

فهذه الأدلة كلها تدل على أن وادي (المحلاني) هو الذي كان يسمى قديماً «وادي مُبْهِل».

ووادي (المحلاني) مع وادي الطَّرْفاوي الذي يجاوره والذي سبق ذكره في حرف الطاء قد يسميان «مبهلين» تثنية «مبهل»...

فقد نقل البكري عن ابن السكيت قوله : هما مبهلان يتماشيان من بين ذي العشيرة وبين الحاجر حتى يفرغان في الرمة كثير حَمْضُهُمَا وهما لعبدالله بن غطفان.

وقد جمع مبهل مع الطرفاوي أيضاً وواد آخر ربما كان المباري لأن الوديان الثلاثة كلها لغطفان...[1]) انتهى.

وفي رسم الطرفاوي قال صاحب معجم بلاد القصيم:

الطَّرْفَاوي.. واد يأتي من المرتفعات الواقعة حول جبال وتدات وجبل الرحيل التي تقع في جهة الشمال الغربي من وادي المحلاني (مبهل قديماً)...

---

(١) معجم بلاد القصيم : ص ٢٢٠٨/٦ ـ ٢٢١٢ .

وكان يسمى قديماً مع وادي المحلاني المجاور له مبهلين كما نقل البكري من خط.. ابن السكيت قوله وهو يتكلم على مبهل: هما مبهلان :

واديان يتماشيان من بين ذي العشيرة وبين الحاجر حتى يفرغان في الرمة، كثير حمضهما..[1])

التعليق :

أقول إن وادي «مبهل» من المواضع التي يجب علينا معرفتها بدقة لأن هذا الوادي تقع في أعلاه «كتيفة» التي أشار إليها امرؤ القيس ومعرفة الأودية ومجاريها ومسمياتها من الأمور المهمة في مثل بحثنا هذا فلذا أقول:

استدل مؤلف «معجم بلاد القصيم» من الأدلة التي ساقها من واقع النصوص القديمة على أن مايسمى في وقتنا الحاضر وادي «المحلاني» هو الذي كان يسمى «قديماً» وادي مبهل» .

وحيث أني لا أوافقه على هذا الرأي أقول:

إن وادي «المحلاني» ليس بوادي «مبهل قديماً» وإنما وادي مبهل واد آخر غير «المحلاني» وسيتضح هذا فيما يلي:

ذو العُشَيْرَة :

قبل أن نحدد وادي العشيرة يجدر بنا أن نتعرف على الجبال التي تنحدر منها تلك الأودية وعلى الأراضي الواقعة بقربها .

إن الأودية التي نتحدث عنها وهي حسب مسمياتها في وقتنا الحاضر :

المباري، والخوّه، والمحلاني، شعيب أبو عماير، وشعيب الودي، والطرفاوي.

---

(١) معجم بلاد القصيم : ص ١٤٧٤/٤ .

هذه الأودية تجري في المنطقة التي يحدها من الجنوب: «عقلة الصقور»، ومن الشمال جبال التِّين، والربايع وسميراء، وجبال وتدات، وكتيفة .

ومن الشرق: جبل «قطن» والجبال الواقعة عنه شمالاً، ومن الغرب وادي «الرُّمة».

١ ـ وادي المباري :

يقول عنه الأستاذ محمد العبودي : (المبْارِي... واد يقع في المنطقة الغربية الشمالية من القصيم يأتي سيله من الأعلام الصغيرة الواقعة شمالي جبل «قطن» وهي مشاحيذ والجثوم ومن غربي جبل التين ثم يمضي سيله حتى ينتهي به المطاف في وادي الرمة.

وسمي المباري لأنه يَظَلُّ يُبَارِي وادي المحلاني. ويباري جبل قطن فيما بينهما وتسميته حديثة، أما اسمه القديم فهو «ذو العشيرة».

قال الهجري «قطن العشيرة: جبل أحمر عن يمينه الظهران: جبل أحمر.

فأنت ترى أنه أضاف قطناً الجبل المشهور إلى هذا الوادي لكون أصل سيله يأتي من قطن الشمالي، ولقرب أعاليه من هذا الجبل...[1]».

ثم أورد المؤلف نصوصاً يؤيد بها ماذهب إليه من رأي من أن وادي المباري هو وادي «ذي العُشَيْرة» ولكني أقول:

إن وادي المباري ليس هو «ذا العشيرة قديماً» لأمور منها :

١ ـ استدلال المؤلف بقول الهجري: (قطن العشيرة) من أنه نسب قطناً المشهور إلى هذا الوادي لكون أصل سيله يأتي من قطن الشمالي ولقرب أعاليه من هذا الجبل.

(١) معجم بلاد القصيم : ص ٢١٩٤/٦ .

أقول : إن الهجري لم يميز لنا «ذا العشيرة» هل هو «الوادي» أم غيره. وعندي أنه يقصد منزل ذي العُشَيْرَةِ وهو إحدى محطات حاج البصرة قديماً إلى المدينة، وهذا المنزل بلاشك واقع في أسفل وادي ذي العشيرة الذي سنتعرف عليه لاحقاً.

٢ ـ إن وادي «المباري» مجراه قصير ولايدفع فيه أودية أخرى حتى نقول إنه وادي «ذي العشيرة» حيث ورد أن وادي خَوّ يدفع في ذي العشيرة فقل لي بربك؛ أين خَوّ من «المباري»؟.

وسأوضح وادي خَوّ ومجراه واسم الوادي الذي هو يدفع فيه.

٣ ـ لم أعثر على مسمى قديم لوادي المباري، ولذا يحسن بنا أن نتركه يباري جبل قطن على يساره والوادي الذي يباريه من الغرب على يمينه حتى يعثر له على اسم قديم.

وعندي أن وادي المباري هذا أصغر من أن يقال عنه إنه «ذو العشيرة» أو أن ينسب إليه «جبل قطن». إذاً أين وادي ذي العشيرة؟

أقول: إن وادي «ذي العُشَيْرَة» له ذكر عند البلدانيين والمؤرخين مما يدل على عظم وسعة مجراه. وبعد أن استعرضت النصوص التي تكلمت عن أودية هذه الناحية، والمقارنة فيما بينها اتضح لي أن وادي «ذي العُشيرة» هو مايسمى في وقتنا الحاضر وادي «المحْلاَنَي» الذي قال عنه مؤلف معجم بلاد القصيم إنه وادي «مبْهُل».

وماعلينا الآن إلا استعراض النصوص الواردة وتطبيقها على تلك الأودية حتى لاتختلط مجاري سيولها علينا .

الأقوال الواردة حول «ذي العشيرة» :

١ ـ قال ياقوت الحموي في رسم «العُشَيْرَة»:

قال الأصمعي: خَوّ واد قرب قطن يصب في ذي العشيرة، واد به نخل ومياه لبني عبدالله بن غطفان وهو يصب في الرُّمة مستقبل الجنوب وفوق ذي العشيرة مبْهِل[1].

الاستنتاج من هذا النص :

أوضح لنا الأصمعي أن وادي «خَوّ» يصب في ذي العشيرة كما أوضح لنا أن ذا العشيرة واد به نخل ومياه لغطفان وأنه واد مستقبل الجنوب يدفع في وادي الرمة.

ووصف هذا الوادي ينطبق تمام الانطباق على وادي «المْحَلاني حالياً» إذ وادي «خَوّ» من روافده الشمالية حيث أنه يدفع فيه من جهة الشمال الشرقي.

٢ ـ وفي رسم «خوّ» يقول ياقوت الحموى :

(كل واد واسع في جوّ سهل يقال له خوٌّ وخَوِيٌّ؛ ويومِ خو: من أيام العرب كان لبني أسد على بني يربوع قَتَلَ فيه ذؤاب بن ربيعة عتيبةَ بن الحارث بن شهاب اليربوعي، وقيل: خوٌّ وادٍ بين التينين؛ قال مالك بن نويرة:

وهوَّنَ وجدي إذ أصابت رماحُنا   عشيَّةَ خَوٍّ رهط قيس بن جابر

... وقيل خوٌّ كثيب معروف بنجد؛

وقال الحازمي : خوٌّ واد في ديار بني أسد يفرغ ماؤه في ذي العُشَيرَة ...

وقال الأسود : خوٌّ واد لبني أسد ثَمَّ قُتِل عتيبة بن الحارث بن شهاب؛ وقال الراجز:

---

(١) معجم البلدان : ص ١٢٧/٤ .

وبين خَوَّين زقـــاقٌ واسع زقـــاق بين التـــين والربائع

الربائع : أكناف من بلاد بني أسد .

وفي كتاب الأصمعي: ما والى قطن الشمالي بين حَبَّجَرى وجانب قطن الشمالى جبلان يسميهما الناس التينين لبني فَقْعَس وبينهما واد يقال له خوٌّ ...

وخوٌّ : واد يصب في ذي العُشَيْرة به نخل من ديار بني أسد...[1])

الاستنتاج من هذه النصوص :

١ ـ عرفنا أن اشتقاق كلمة خوّ مأخوذ من السعة في الأرض السهلة ويؤيد ماذهب إليه ياقوت الحموي في هذا الاستدلال قول الراجز المتقدم :

وبين خـــوين زقـــاق واسع زقـــاق بين التـــين والربائع

فالراجز ذكر في بيته «خوَّين» اثنين وعندي أنه يقصد بذلك الواديين اللذين يجريان بين جبل التين وجبل «مصودعة» وهي التين الثاني وبين «الربائع».

والربائع تسمى في وقتنا الحاضر «الخدار».

انظر إلى الخارطة رقم (٥) لترى تلك الأعلام في أعلاها الأيمن. وهذان الواديان يجريان بين تلك الأعلام أحدهما وادي «خوّ» المشهور الذي يدفع في وادى «ذي العُشيرة» وقد حدد لنا صاحب معجم بلاد القصيم «خواً» تحديداً واضحاً حيث قال في رسم «النمرية».

(النَّمـرْيه: مـاءٌ عـدٌ قـديم مـاؤه متـوسط العذوبة واقع في وادي الخـوّة (خوٌّ قديماً) بين جبل التين وبين جبل الخدار ومصودعه (الربائع في القديم) ..[2]

ولعلنا هنا نستنتج ومن كلام المؤلف نفسه ونقول:

---

(١) معجم البلدان : ص ٤٠٧/٢ ـ ٤٠٨ .

(٢) معجم بلاد القصيم : ص ٢٤٤٦/٦ .

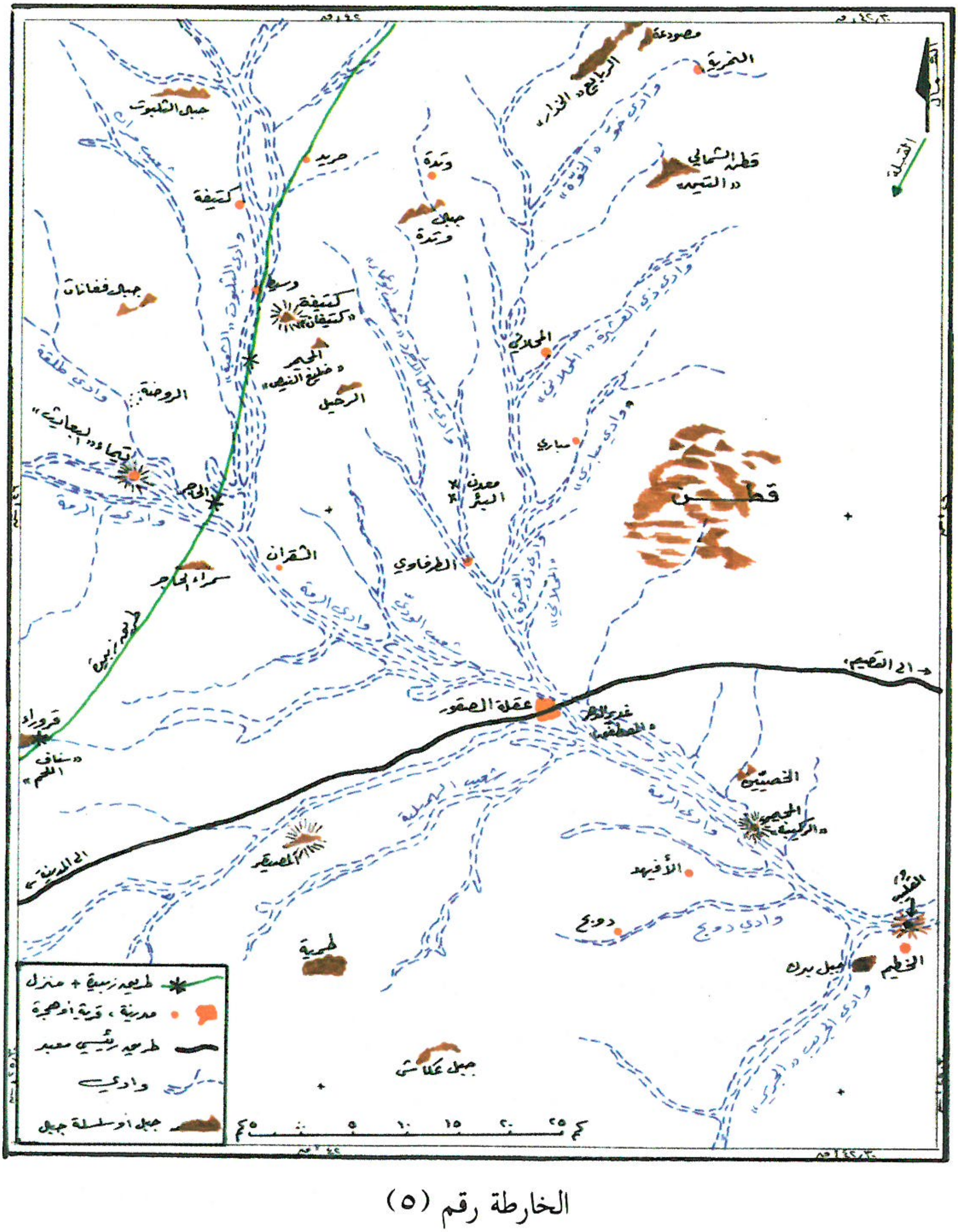

الخارطة رقم (٥)

كيف يمكن القول بأن وادي «ذي العشيرة» هو: وادي «المباري» الذي يحف بجبل قطن من الغرب بينما النصوص التي أمامنا تقول إن خوًّا يدفع في ذي العشيرة.

وقد اتضح لنا الآن المكان الذي يجري فيه وادي «خوّ» والوادي الذي يدفع فيه وهو وادي «ذي العشيرة» المسمى حالياً «المحلاني».

ولعلنا بذلك ونحن سائرون من قطن باتجاه الشمال الغربي تعرفنا على واديين هما:

وادي المباري وعرفنا أنه ليس وادي «ذي العُشَيْرَة».

كما تعرفنا على وادي «ذي العُشَيْرَة» المسمى في وقتنا الحاضر وادي «المحْلاني».

إن قطع بطون تلك الأودية فيه وعورة ومشقة ولكن لابد من قطع الطريق حتى نصل إلى مجرى وادي «مبهل».

ومبهل هذا هو وادي الصيد حيث سنصطاد في أعاليه «كُتَيْفَة»، ومجيمر غطفان وسنشد وثاقهما بإذن الله .

وادي مُبْهِل

حيث أني حددت وادي «ذي العشيرة» بأنه مايسمى في وقتنا الحاضر بوادي «المَحْلاَنِي» فلاشك أن وادي «مبهل» يقع عنه إلى جهة الغرب.

وقدَ حدد الأصفهاني مجاري هذه الأودية بقوله :

(وخو يصب في ذي العُشيَّرة: واد به نخل ومياه لبني عبدالله بن غطفان وهو يصب في الرّمَة مستقبلاً الجنوب.

وفوق ذي العُشَيْرة مُبْهِلٌ الأجرد واد لبني عبدالله بن غطفان.

وفوق مبهل معدن البئر، بئر يسمى بئر بني بريمة وقريب منها معدن يسمى معدن البئر.

وبنو بريمة من بني عبدالله بن غطفان.

وبأعلى مبهل هذا جبل يقال له المجيمر، وجبل آخر يقال له كُتَيْفَةُ. وجبال يقال له: الوتدات لبني عبدالله وبأعاليه أسفل من الوتدات أبارق، إلى سندها رملة تسمى الأثوار...

وفوق مبهل الثلُّبوتُ واد.

وهذه الأودية كلها تصب في الرمة مستقبلة الجنوب وهي لبني عبدالله..[1]).

الاستنتاج :

هذا وصف واضح لمجاري تلك الأودية فأولها من جهة الشرق هو «ذوالعشيرة» وهو أكبرها وأوسعها مجرى. وعرفه لنا بأن وادي خو يدفع فيه وهذا

(١) بلاد العرب : ص ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥ .

واضح من المشاهدة على الطبيعة والنظر إلى خارطة تلك الأودية التي أعددتها كوسيلة إيضاحية.

وقوله: وفوق ذي العشيرة مبهل الأجرد.

كلمة فوق هنا تعني أنه يقع عنه جهة الغرب لأنها الجهة الأعلى التي تنحدر سيولها إلى أسفل منها ومن المتعارف عليه عند عامة أهل نجد أن ماغَرَّب فهو أعلى، وماشرق فهو أسفل ويعبرون عن من يسافر من عالية نجد إلى الحجاز بقولهم «مُسَنِّدْ» ولمن يسافر إلى «الرياض» بقولهم «حَادِرْ» أي نازل.

وإذا ما استعرضنا الأودية نجد أن الوادي الموازي لذي العشيرة من الغرب هو «شعيب أبو عماير» مما يدل دلالة واضحة على أن هذا الشعيب هو وادي «مبْهَل» ومما يدل على ذلك أيضاً أن أعالي هذا الوادي يوجد بها من الأعلام جبالَ الوتدات، وكتيفة وأن هذه الصفة لاتنطبق على واد آخر، كما قيل عن وادي «المحلاني» ـ ذي العشيرة قديماً ـ فإن أعاليه تنجذب شرقاً من تلك الأعلام.

ويؤيد ماأقول من أن شعيب أبو عماير هو «مبهل» تسميته الحديثة «أبو عماير» ويقصدون بالعمائر آثار معدن البئر المجاورة لمجراه من جهة الغرب، مما ينطبق مع قول الأصفهاني:

(وفوق مبهل معدن البئر).

وهذا المعدن لازالت آثاره واضحة المعالم وهو واقع قرب خط العرض ٠٠َ ٢٦ْ وخط الطول ٠٣َ ٤٢ْ وتقع جبال «وتدات» عن هذا المعدن شمالاً، كما تقع «كتيفة» ـ كتيفان حالياً ـ جهة مغرب الشمس أي شمالاً غربياً.

وفوق مبهل (شعيب أبو عماير حالياً) الثَّلُبوت «وادي الشعبة حالياً» وهذا

هو التحديد الصحيح فمن هذا النص الواضح عرفنا مجاري تلك الأودية بوضوح لايشوبه شائبة.

نصوص أخرى قديمة تؤيد ماقلناه :

١ ـ قال البكري في رسم «قُدْس» و هو يشرح بيت مُزَرِّد بن ضرار الذي يهجو فيه كعب بن زهير حيث يقول:

وأنتَ امْرُؤٌ من أهلِ قُدْسَ وآرَةٍ ... أحلَّتْكَ عبدُ الله أكنافَ مُبْهِلِ

(وقوله «أحلتك عبدالله» : يعني عبدالله بن غطفان. ومُبهِلٌ: لهم. وقال يعقوب بن السِّكِّيت: هما مبهلان: واديان يتماشيان من بين ذي العشيرة، وبين الحاجر، حتى يفرغا في الرُّمَّة، كثير حَمْضُهما، وهما لعبدالله بن غطفان. قال: رَهْمَان: واد أيضاً يماشيهما نقلت ذلك من خط يعقوب[1]) . انتهى.

أقول: وهذا النص زاد وصف مبهل إيضاحاً حيث ذكر ابن السكيت أنهما مبهلان واديان يتماشيان وحدد مجراهما بأنه بين ذي العشيرة وبين الحاجر.

فهذا الوصف في منتهى الوضوح والتحديد ومن يُلْقِ نظرة على الخارطة أو يمش على مجرى هذين الواديين يعرف أن وادي مبهل يتكون من فرعين كبيرين يطلق عليهما حالياً:

شعيب أبو عماير، وشعيب الودي.

وقد يخلط بين تلك المسميات في وقتنا الحاضر لتقارب مجاري الأودية، وقد يسمى الثاني شعيب الطرفاوي ومن يمعن النظر يجد أن الأودية التي تجري بين وادي «ذي العشيرة» ـ المحلاني حالياً ـ وبين «الحاجر» أو وادي الرمة: هي ثلاثة أودية اثنان منها يتحدان في مجرى واحد قبل أن يفرغا في الرمة والثالث يجري بمحاذاتهما، ولعل هذا سبب تسميتها أحياناً بالمباهيل جمع «مبهل» ويقول أبو محمد الفقعسي من بني أسد:

(١) معجم ما استعجم : ص ١٠٥١/٣ .

تَنَدَّحُ الصَّيْفَ على ذات السِّرَرْ تَرْعَى الْمَبَاهِيلَ إلى الثَّوْر الأَغَرّْ[1]

فهنا جعلها الشاعر أكثر من واديين والثور الأغر الذي أشار إليه واقع شرقي جبال «وتدات» في أعالي مجرى وادي مبهل.

وقد قال البكري بعد هذا البيت: (والمبهلان واديان هناك).

أقول: ولعل اسم الوادي الثالث «رَهْمَان» كما قال ابن السِّكيت في النص المتقدم:

(رَهْمَانُ: واد أيضاً يماشيهما).

وعندي أن ابن منظور قد أخطأ عندما قال في «لسان العرب» في مادة «بهل»:

(ومبهل: اسم جبل لعبدالله بن غَطَفان) حيث استشهد ببيت مُزَرِّد المتقدم.

فمبهل ليس جبلاً كما قال وإنما هو واد.

والأودية التي تسمى «مُبْهل - قديماً» هذا الوادي الذي نتحدث عنه وهو «مبهل الأجرد» لبني عبدالله بن غطفان.

وهناك واد آخر اسمه «مُبْهل» أيضاً واقع في وسط عالية نجد غرباً من مدينة «عفيف» تأتي أعاليه من جنوبي جبال «الشعب» وجنوبي «العسيبات» - الشموسين قديماً - ويدفع في وادي الجرير (الجريب قديماً) ويعتبر أحد روافده وهو في بلاد بني ربيعة بن الأضبط.

وقد أطلق مسمى «مبهل» على عدد من الأودية ولكن أسماءها مستحدثة كما ظهر لي.

ومما تقدم عرفنا أن مبهل الأجرد ليس هو وادي «الْمَحْلاني» كما قيل وإنما هو وادي «أبو عماير حالياً» بفرعيه.

---

(١) معجم ما استعجم: ص ٣/٧٣٣.

إلى كتيفة وتيماء :

عندما جاوزنا «المحلاني» وقطعنا وادي «مبهل الأجرد» الواقع غرب «المحلاني» تسهلت الأرض للسير فشاهدنا من بعد جبل منظره بديع لانفراده في الصحراء بشكله الملفت للنظر فاتجهنا إليه وتجولنا حوله وبعد السؤال عرفنا أن اسمه «الرُّحيّل».

انظر إلى صورته المنظر رقم (٥٣).

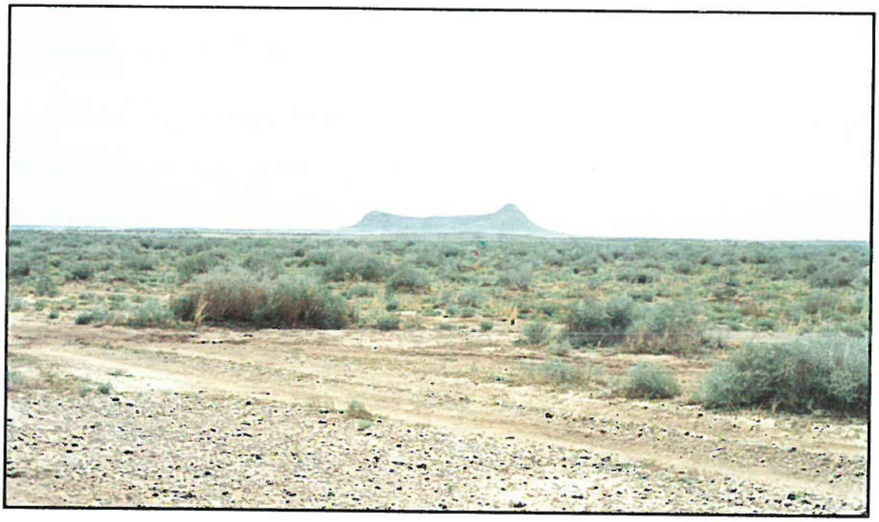

رقم (٥٣) : منظر : جبل «الرحيل» الواقع مطلع الشمس من جبل «كتيفة».

كان في النية التوجه إلى «كتيفان» ثم «كتيفة» وبعدهما «الوتدات» ومن ثم التوجه إلى بلدة «البعايث».

كان الوقت بعد العصر والسماء ملبدة بالغيوم ونشاهد في جهة الغرب سحباً ممطرة فبدأنا نشاهد البرق ونسمع الرعد؛ من أجل ذلك قررنا الاكتفاء ـ مؤقتاً ـ بمشاهدة تلك الأعلام من بعد وحرصنا على التوجه إلى «البعايث» قبل أن تهطل الأمطار وتسيل تلك الشعاب.

وماهي تلك الشعاب والأودية؟

إنها التي قال عنها امرؤ القيس :

وأضحى يسح الماء حول كتيفة ... يكب على الأذقان دوح الكنهبل

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ... ولا أطماً إلا مشيداً بجنـــــدل

إن الصورة التي رسمها امرؤ القيس مفزعة مروعة، وسيرنا الآن على الاتجاه فقط حيث لاطرق معبدة هنا، ولكوننا نزور هذه الناحية لأول مرة.

قطعنا وادياً من فحول الأودية فسألنا أناساً كانوا هناك على جانبه عن اسمه فقالوا: هذا وادي «الشعبة» ـ الثَّلَبوت قديماً ـ وأرشدونا إلى أقرب طريق إلى بلدة «البعايث». فوصلناها قبل غروب الشمس بساعة وإن كانت الشمس حجبتها عنا الغيوم الكثيفة.

ومن حسن الحظ أن وادي الرُّمَة يسهل عبوره إلى البلدة، وإن كان موحلاً، ومن الصدف كان محل وقوفنا عند مقر «إمارة البعايث» وصادفنا أحد رجال الإمارة في الشارع فسألناه بعض الأسئلة عن البعايث ومانود أن نسأل عنه .

فقال لن أجيبكم عن أي سؤال حتى تدخلوا مكتب الإمارة. وسوف أستدعي لكم الأمير حيث سيسر بلقائكم فشكرنا للرجل حسن ملاقاته ودخلنا مجلس الإمارة.

وماكدنا نستريح حتي دخل علينا أمير البعايث الشيخ عبدالكريم بن رباح بن مطلق، هاشاً باشاً مرحباً.

بعد السلام والتعارف ومعرفة هدفنا من زيارة «البعايث» أجاب عن كثير من الأسئلة الكثيرة والتي لاتنتهي. وقال من حسن الحظ أن أخي (سالم)أمير مركز «سميراء» موجود عندنا اليوم وله خبرة ودراية في مثل الأمور التي تبحثون عنها.

ولم يمر وقت طويل حتى حضر الشيخ سالم بن رباح وهو لايقل عن أخيه بشاشة وترحيباً وقد استفدنا كثيراً من المعلومات التي أدلى بها لنا.

ولكني حرصت أن يكون الحديث عن البعايث وروضتها مقروناً بالمشاهدة والمعاينة عن كثب فاستعدا لمصاحبتنا .

ورغم أن الجو كان ممطراً إلا أنهما عرفانا على بعض الآثار في البلدة الواقعة على ضفاف وادي «الرُّمَة» ثم اتجها بنا إلى «الروضة» التي تبعد عن «البعايث» سبعة أكيال إلى جهة الشمال وفي الطريق بين البلدة والروضة أوقفانا على أطلال وآثار قديمة ومن بعدها على آبار وأطلال «الروضة» وتعريفنا على بعض الأعلام التي تشاهد من المكان.

كنت حريصاً على الوقوف على الروضة وآثارها لاعتقادي أنها هي «تيماء» التي لم يترك بها السيل حذع نخلة ولا منزلاً إلا ماكان مشيداً بجندل.

حيث سبق أن حدثني عن هذه الروضة الأخ جار الله بن على المنقور، من أهالي «السليمي» الواقعة عن البعايث غرباً، والمقيم حالياً بمدينة الطائف حيث جرى بيني وبينه نقاش حول أبيات امريء القيس وخاصة عن «كتيفة» و«تيماء».

وأثناء الحديث قال لي (أَزيدك من الشّعْر بيت) وكان يكثر من ترديد هذه العبارة أثناء حديثه.

فقلت له وماهو هذا البيت الذي ستزيده على معلقة امرىء القيس؟ قال:

(سبق أن استؤجر رجال من جماعتنا لحفر آبار قديمة جاهلية مطمورة في روضة بالقرب من البعايث، فوجدوا فيها زجاجاً، وعظاماً، وجذوع نخل، وغير ذلك).

ومنذ أن قال لي كلامه هذا كنت حريصاً على الوقوف على تلك الآثار.

وها نحن الآن بصحبة اثنين من أصحاب هذه الآبار حيث أنهما أدرى بتلك الآثار من غيرهم.

بعد التجول كان الظلام قد خيم على المكان والجو ممطراً والسماء تبشر بهطول أمطار قوية فقفلنا عائدين إلى بلدة «البعايث» ولم يخلصنا من كرم مرافقينا وإلزامهما علينا بالمبيت لمواصلة البحث في الصباح: إلا تخوفنا من أن يسيل وادي «الرُّمَة».

وفي هذه الحالة يكون توقيت مكثنا في «البعايث» عائداً إليه، وقد لايكفيه أيام الضيافة المعتادة المتعارف عليها وهي ثلاثة أيام.

إذ أنه عندما يجري هذا الوادي، فإن على أهل البعايث الانتظار حتى ينحسر سيله.

وبعد لأي ولكون السماء ممطرة سمحا لنا، وقد حرصنا على أن نقطع بطن الوادي بسرعة حيث كانت الطرق الترابية التي نسير عليها مليئة بالمياه فوصلنا بسلامة الله إلى الطريق المزفت الواصل بين المدينة المنورة والقصيم . عند ذلك استراح البال من البقاء في ضيافة وادي الرُّمة. على أن لنا عودة إلى تلك الناحية لاستكمال البحث إن شاء الله.

تمهيد الطريق أمام الرحلة الميدانية الثالثة

عندما تكلمت عن ضارج والعذيب في أول هذا البحث قلت: إني لست مع من حدد الستار ويذبل جهة الجنوب من «ضارج» إذ يقعان جهة الشمال منه.

وامرؤ القيس ذكر أن السحاب الذي كان يشيمه أمطر أيسره عليهما، وأيمنه أمطر على جبل «قطن» وذلك حينما قال:

علا قطناً بالشَّيم أيمن صوبه ... وأيسره على السِّتار فيذبل

وسنتجه في هذه الرحلة إلى منطقة حائل، للبحث عن الستار ويذبل وفي عودتنا من حائل ومايكتنفها من أعلام وأهمها جبل «أجأ» سنمر بطريق العودة على «سميراء» أحد منازل حاج الكوفة لنتمكن من السير مع طريق زبيدة مارين بكتيفة، وتيماء التي لم يترك بها السيل جذع نخلة.

ونظراً لأهمية هذه الرحلة، ولأن القرار الذي ستتمخض عنه سيكون مناقضاً لما اتخذه الباحثون في عصرنا الحاضر حيث اتجهوا في بحثهم عن الستار ويذبل جنوباً من منطقة القصيم، وأنا سأتجه إلى الطريق المعاكس أي إلى الشمال.

وإليك المبررات التي جعلتني أتجه هذا الاتجاه:

أولاً ـ إن القول بأن الستار هو الواقع جنوباً غربياً من منطقة القصيم أي قرب قريتي ضرية ومسكه، أو أنه الواقع بين بلدتي «الشبيكية» و«دخنة».

وأن يذبل هي هضبة «صبحا» الواقعة جنوب بلدتي «الرويضة» و«حلبان».

قول ليس له مايبرره لأن امرأ القيس ذكر أن السحاب أمطر وأسأل الأودية الواقعة شمالاً وغرباً من ضارج. حيث اقتلع الأشجار حول «كتيفة» ودمر

«تيماء» واقتلع نخيلها حيث قال:

وأضحى يسح الماء حول كتيفة يكب على الأذقان دوح الكنهبل
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أُطمـاً إلا مشـيداً بجنـدل

ثانياً ـ إذا أخذنا بهذا القول وهو أن الستار ويذبل يقعان جنوباً، فهل يقبل من امرىء القيس أن يقول: إن السيل اقتلع الأشجار حول «كتيفة وأنه دمر المساكن في «تيماء»؟ وأنه غطى جبيل «المجيمر» بالغُثَّاءِ بحيث لم يبق منه إلا ذروته التي بدت كفلكة المغزل؟

وأن هذا السحاب بعد أن أمطر هذه المواضع مرَّ على «القنان» فحدر العصم منها ثم استمر على منواله حتى ألقى ثقله بصحراء الغبيط؟ بلاشك لن يقبل منه هذا القول.

لأنه ليس من المعقول أن يهطل المطر جنوباً من منطقة القصيم ثم يذكر المواضع الواقعة عنه شمالاً وغرباً.

ثالثاً ـ لقد فهمت من شعر امرىء القيس: أن السحاب أمطر أيمنه على «قطن» وأيسره على الستار ويذبل فأمعنت النظر كثيراً بما يقصده بقوله هذا.

فماذا تعني كلمتي: أيمنه، وأيسره؟

فهل ياترى يقصد باليمين وباليسار، حسب مشاهدته هو؟ أم حسب مسير السحاب؟

من فهم أنه يقصد بذلك حسب مشاهدته راح يبحث عن الستار ويذبل جهة الجنوب أما أنا فأخالف هذا الفهم وأقول:

إن امرأ القيس كان جالساً مع أصحابه يشيم السحاب ويرقب البرق المقبل من جهة الغرب شمال منطقة «الجواء» التي شاهد وسمع مكاكيها تغرد صبيحة تلك الليلة التي هطل فيها هذا المطر.

وعندما كان جالساً متجهاً بوجهه ناحية الغرب كان السحاب مقبلاً عليه يضيء سناه الأفق ويقصف برعده، ويجود بمطره المدرار. فقدر حسب مشاهدته أو تقديره أن أيمن هذا السحاب على قطن وعلى جاره من جهة الجنوب «أبان» ، وأن أيسره أمطر على الستار ويذبل.

وعندي أن امرأ القيس قصد بيمين السحاب جهة يساره هو، وقصد بيسار السحاب جهة يمينه هو. ولأقرب ذلك أكثر:

لنفرض أن الذي أقبل على امرىء القيس وهو جالس مع صحبه في منطقة الجواء كان جيشاً وقائد هذا الجيش جعل على ميمنته أحد فرسانه ولنقل إن اسمه «قطن» .

ووضع على ميسرة الجيش فارساً آخر ولنقل إن اسمه «يذبل» .

وبصفة امرىء القيس قائد صحبه وأراد التصدي للفارس الذي على ميمنة الجيش القادم واسمه «قطن» فهل يتجه امرؤ القيس لملاقاة هذا الفارس يميناً أم يساراً؟

إنه بلاشك سيتجه يساراً قاصداً ميمنة الجيش للقضاء على قائد الميمنة «قطن» . وقس على هذا أمثلة كثيرة.

ومن هذا المفهوم فإن السحاب القادم أمطر أيمنه على جبل «قطن» الواقع جنوباً من مشاهدة امرىء القيس، وأيسره أمطر شمالاً على الستار فيذبل.

هذه الحيثيات جعلتني أقرر وأجزم بأن الستار ويذبل واقعان شمالاً من منطقة القصيم لا جنوباً منها. وعلى هذا الأساس ستكون وجهة رحلتنا شمالاً.

ولكن قبل القيام بهذه الرحلة علينا أن نتعرف على موضع اسمه «الستار» وآخر اسمه «يذبل» يقعان في هذا الاتجاه شمالاً من «قطن» .

السِّتَّار

لن أتكلم هنا عن السَّتار ويذبل الواقعين جنوباً من منطقة القصيم حيث سبق أن أوردت أقوال الباحثين في وقتنا الحاضر وتحديدهم لهما وآراءهم حولهما فارجع إلى ماقلته هناك إن أردت .

أما هنا فسأتحدث عن مايسمى بالستار ويذبل شمالاً من منطقة القصيم .

وقد اتضح لي بعد البحث أنه يوجد مايسمى بالستار ويذبل في جبال «أجأ» وهما في تلك الجبال متقاربان.

فعن الستار يقول علماء البلدان :

١ ـ يقول ياقوت الحموي : (الستار : جبل بأجإ[١]) .

فدلنا قوله هذا على أن من جبال أجإ جبل اسمه السَّتار.

٢ ـ ويقول الشيخ حمد الجاسر في كتابه معجم شمال المملكة :

(السَّتار.. قال نصر ـ وعنه نقل ياقوت: (الستار جبل بأجا) والمعروف الآن موضع يسمى ستار وتنطق بإسكان السين ولهذا يضيف إليها من لايحسن اللغة ألفاً (أستار) كما فعل الدخيل حينما سمى هذا الموضع (الأستار) وعده من القرى الخارجة عن أجا، والواقع أنه واد من أودية أجا في الشمال الغربي منه وفيه نخل[٢]) .

٣ ـ وللستار ذكر في شعر شعراء طيّء فقد قال عامر بن جوين الطائي، ويقال إنها لعبد عمرو بن عمار الطائي:

(١) معجم البلدان : ص ١٧٨/٣ .

(٢) معجم شمال المملكة : ص ٦٥٧/٢ .

دار هند بالسـّتـار وقـد رث حـبلُ العـهـد فـانقـضـبـا
بين سـيل الواديين كـمـا نمنـم ابنا منـذر كـتـبـا

* * *

أَعُبَيْدُ هل ترى ضـعـنـاً أقـبـلَـتْ حَزايقـاً عُصَبَا
طايفـات يعتـسفن معـاً من أعـالي حـائل كـثـبـا

* * *

أبلغ الملوك مَأْلُكَـةً من نأى في الأرض أو قـربا
إن حـولي من ذرى أجـإٍ زَلَقـاً تخالـه نصبـا

* * *

إنني غيـر الذي زعـمـوا واسـطٌ في طَيِّءٍ نَسَبَا[1]

وقد ذكر حاتم الطائي السّتار بقوله:

إلى الشّعْبِ من أعلى ستَارٍ فَثَرْمَدِ فَبَلْدَةِ مَبنى سِنْبِسٍ لابنتي عمرو[2]

فهذا ستار في جبل «أجا»، وهناك ستار آخر يقع في الشمال الغربي من «ضارج» وهو «ستار غسل» وقد ذكره امرؤ القيس أيضاً في شعره حيث قال:

يهل على الستـار ستـار غـسل إلى قـدر فـجـاد لهـا الولي

ولكني أرى أن الذي قصده في معلقته هو الواقع في جبال أجا لقربه من «يذبل».

(١) شعراء طيء وأخبارها : ص ٤٢٣/٢ .
(٢) ديوان حاتم الطائي : ص ٤٥ .

يَذْبُل

يذبل التي ذكرها امرؤ القيس في معلقته لاشك أنها قريبة من السِّتار الواقع في أجإ ولذا لن نتحدث عن «يذبل» الواقعة في عالية نجد الجنوبية.

ومما يدل على أن يذبل في جبال طيء قول زيد الخيل :

أتتني لسان لا أسر بذكرها　　تصدع منها يذبل ومواسل

وقد سبق الريان منها بذلة　　فأضحى وأعلى هضبه متضائل

فقد قرن زيد الخيل يذبل بذكر مواسل والريان وهذه كلها قمم في جبل «أجا».

أما الهمداني فقد أضاف يذبلاً إلى متالع شامان حيث قال:

(ودُقار بالقاف بناحية يذبل متالع شامان(١)).

ولم أقرأ أن أحداً ذكر «متالع شامان» غير الهمداني، وقد يكون يسمى اسماً آخر فقد ذكر الشيخ حمد الجاسر في «معجم شمال المملكة» وهو يتكلم عن متالع:

(... حدده نصر بقوله: متالع جبل في بلاد طيّء وملاصق لأجا، بينهما طريق لبني جُوين من جَرْم من طيّء، ويقال له متالع الأبيض، وجبل أيضاً في بلادهم لبني صخر بن جرم بينه وبين «أجا» ليلة يقال له متالع الأسود. وقال أيضاً: متالع بين فزارة وطيء حيث يلتقي رعي الحيين.

وكذا متالع الوارد في شعر العباس بن مرداس فقد ذكر جَبَلَيْ مِجْدَل وأُريك الواقعين بقرب متالع هذا... إلى أن قال: ـ

أما الجبل الملاصق لأجا فيعرف بحضن والطريق بينهما هو ممر ضيق

(١) صفة جزيرة العرب : ص ٣٣٠ .

يدعى ممر عقنقلة ـ وصفه موزل في كتاب «شمال نجد». ومتالع سلسلة من الجبال واقعة غرب أجا تحيط بها الرمال وهو من أشهر جبال تلك الناحية مع قلة ذكره في كتب المتقدمين حيث طغى عليه متالع الواقع بقرب الحمى حمى ضرية ـ كما طغى اسم أَريك الواقع غرب تلك الجهة على أُريك الواقع بقرب متالع.

هذا ويقع جبل متالع غرب أجا بمسافة تقرب من ٥٠ كيلاً ويفصل بينهما سهل واسع من الأرض فيه قرى وآكام ورمال وجبال منها قريتا موقق والقفيفة.[١]) انتهى

وقد يكون يذبل الذي نتحرى عنه بالقرب من أحد هذين المتالعين .

كما قُرن ذكره بالأعلام التالية :

مُوَاسل، الريان، متالع، وكل هذه أعلام في بلاد طيّء قديماً.

ولعله حان وقت الرحيل إلى هناك للتعرف على تلك المواضع عن كثب.

---

(١) معجم شمال المملكة : ص ١١٨٣/٣ ـ ١١٨٥ .

الرحلة الميدانية الثالثة

في يوم الأربعاء الثالث من شهر محرم عام ١٤١٤ هـ توجهت عبر منطقة القصيم إلى منطقة حائل لزيارة جبال طيءٍ التي ورد في النصوص أن السِّتار ويذبل موجودان فيها، وكذا زيارة المواضع التي جاء ذكرها مصاحباً لهما.

كان يرافقني في هذه الرحلة، رفيق الرحلتين السابقتين الأستاذ سعد بن علي الماضي.

وصلنا مدينة «حائل» قبيل الساعة الثالثة بعد الظهر. وبعد التجول في أحيائها الجميلة التي لن أعطيها حقها لو تكلمت عنها لأن كلامي لن يفي لها بما تستحقه.

منها واصلنا المسير باتجاه الشمال محاذين لجبال «أجا» وعند الوصول إلى قرية «السفن» سلكنا الطريق المحاذي للجبل من جهته الشمالية.

وماكدنا نسير قليلاً حتى كنا أمام قمة «الرِّعِيلة» وهذه القمة تعتبر من أعلى قمم جبل «أجا» ولها شهرتها التاريخية، صحيح أنني لم أقرأ عنها بهذا الاسم في النصوص القديمة حيث كان يطلق على هذه القمة من الجبل وعلى الشعب الموجود في تلك الناحية منه «الرَّيَّان».

وكلما ذكر الريان يتبادر إلى الذهن قول زيد الخيل الطائي:

أتتني لسان لا أسر بذكرها تصدع منها يذبل ومواسل

وقد سبق الريان منها بذلة فأضحى وأعلى هضبه متضائل

أو قول حاتم الطائي :

لشعب من الريان أملك بابه   أنادي به آل الكبير وجعفرا

والرِّعيلَةُ : معروفة عند سكان تلك الناحية بهذا الاسم. وقال عنها الشيخ حمد الجاسر:

(الرِّعيلَةُ: إحدى قمم أجا الشرقية كان يعرف قديماً باسم الريان فصار هذا الاسم يطلق على واد ينحدر من ذلك الجبل.

وقد عد ابن دخيل الرِّعيلة من قرى أجا وقدر نخيلها بـ ٤٠٠٠ نخلة والواقع أن في الريان وادي الرعيلة عين ذات نخل ولكنه قليل(١)) انتهى.

والذي يهمنا هنا هو معرفة الريان لورود ذكر «يذبل» مقرونة معه في شعر زيد الخيل.

ويبدو لي أن اسم الريان يطلق على هذا الجبل وعلى الوادي الذي يتخلله. وعادة مايطلق العرب الاسم على الجبل وعلى الوادي أو الماء الذي فيه.

أما كلمة «الرِّعيلة» فيظهر لي أن هذا المسمى ليس مستحدثاً، وإنما كان القدماء يطلقونه على أعلى قمة بارزة في جبل «الرَّيّان» فاستحوذ لفظ الرعيلة على كلمة «الريان» فنسيت فأصبحت تطلق على الوادي فقط.

وكلمة «الرِّعيلة» : تعني في اللغة العربية الفصحى: أنف الجبل. وقد أنثها القوم هنا والأصل:

الرِّعْلُ وهو أنف الجبل .

وقد يقال لأنف الجبل ومقدمته: الرِّعْنُ أيضاً، بالنون.

ولازال أهل «الشَّعْرَاء» يطلقون على صدر الجبل البارز من وسط «ثهلان» الموالي لبلدتهم «الرِّعْنُ» ويلفظونه «الرِّعَنْ» بفتح العين.

---

(١) معجم شمال المملكة : ص ٥٨٤ .

وعلى هذا فقد يكون اسم «الريان» يطلق على هذا الجبل بما فيه من أودية وشعاب، ويطلق اسم «الرعيلة» على القمة البارزة من الجبل، ونظراً لشهرة هذه القمة ولأنها أول مايشاهده القادم من بعد كثر استعمالها فتغلب فصار يطلق على الجبل والوادي أيضاً.

قال ياقوت الحموي:

الريان : جبل في ديار طيّء لايزال يسيل منه الماء.

وقال نصر : الريان جبل أسود عظيم في بلاد طيءَ يوقدون فيه النار فترى من مسيرة ثلاث، وقيل: من أطول جبال أجا.

وأقول: لقد وضع على هذه القمة في وقتنا الحاضر «قبة» ترى من مسافات بعيدة.

عندما تجاوزنا «الرعيلة» وصلنا إلى قرية «توارن» وتوارن: اسم قديم قال عنه ياقوت:

(تُوَارُنُ: بالضم وضم الراء وآخره نون: قرية في أجإٍ أحد جبلي طيء لبني شَمَّر من بني زهير.[1]) .

كان من عادتي الحرص على مقابلة السكان وخاصة منهم كبار السن للتزود منهم ببعض المعلومات التي قد تخفى عليَّ ومن ثم تطبيق النصوص الواردة على الطبيعة والمشاهدة .

عند وصولنا إلى «توارن» كانت صلاة العصر قد حانت فأدينا الصلاة جماعة في مسجد القرية وبعد الصلاة سلمنا على المصلين وهم قلة والصحيح أنهم هم الذين بدأونا بالسلام كما أصروا على أن نتناول معهم القهوة، وليس أمامنا سبيل إلى الاعتذار فالقوم كرماء وليس هذا بمستغرب عليهم وهم يقطنون مفيض الوادي الذي يرقد في أعلاه كريم العرب «حاتم الطائي» حيث يوجد قبره في أعلى وادي «توارن» .

(١) معجم البلدان : ص ٢/ ٥٤ .

فهؤلاء القوم حققوا ما تمناه حاتم الطائي وحققه هو بقوله :

لشعب من الريان أملك بابه أنادي به آل الكبير وجعفرا

وبالفعل لبينا نداءهم للقهوة فوجدنا منهم الإكرام ورحابة الصدر، وأثناء تناول القهوة والتمر مع السمن كانت هناك أسئلة كثيرة وأجوبة صادقة متقنة متأنية والسؤال الذي لم أجد له إجابة عندهم هو: أين قِمّتَا يذبل ومواسل؟

أما بقية المواضع فمعروفة لديهم نظراً لاحتفاظها بأسمائها القديمة.

وقد أشار عليَّ كبير الأسرة بأن أسأل شخصاً اسمه «مهنا بن نويش» الذي يسكن بلدة «الحفير» لكونه رجلاً مسناً ويحفظ الكثير من الأشعار والقصص التاريخية ومثله يستفاد منه في مثل هذه الأمور. فشكرنا لهم حسن استقبالهم ومازودونا به من معلومات وودعناهم متجهين إلى «الحفير».

والحفير واقع في وسط نقرة من النفود الكبير تحيط به الرمال من جميع جهاته والمنظر من حوله يبدو جميلاً يأخذ بالألباب.

عندما علونا صفحة النفود في طريقنا إلى الحفير شاهدنا على يميننا قاعاً منخفضاً تجتمع فيه مياه الأمطار والأرض من حوله رملية، ويربض في ناحيته الشرقية هضيبة حمراء على شاكلة ناقة باركة انظر إلى صورتها المنظر رقم (٥٤).

وقد يخيل للناظر تلك الهضيبة الحمراء أنها هي ناقة «الخيبري» الذي قالت الأسطورة إن حاتماً الطائي عقرها فأقراها له ولرفاقه، ولها قصة تروى.

رقم (٥٤) : منظر : هضبة «حُمَيراء الصير» ويرى جانب من شمالي جبل «أجا» .

وقد علمنا أن اسم هذه الهضيبة «حُمَيْرَاءُ الصِّير» .

ولعلها منسوبة إلى جبل الصير الذي يقول عنه ياقوت:

(صِيرٌ... والصير: جبل بأجإ في ديار طيِّئ فيه كهوف شبه البيوت.[١]) .

عندما نزلنا إلى قرية «الحفير» سألنا عن العم مهنا فقيل لنا إن مسكنه في آخر القرية وكان آخرها هو البلدة القديمة، ويدل على قدمها وإمعانها في القدم مساكنها وأسوار نخيلها المتهدمة المقامة من الطين الذي يميل لونه إلى البياض وكذا نخيلها السامقة المهملة. عند أحد النخيل وهي آخرها، انتهى بنا المطاف إلى بيت بني من الحديد والأسمنت مفتحة أبوابه ولكن لم يجب أحد النداء.

فشاهدنا رجلاً كبير السن في ناحية النخل فنادينا باسم «مهنا» فلبَّى النداء فعرفنا أنه طلبتنا.

(١) معجم البلدان : ص ٤٣٨/٣ .

جاء الرجل يحمل معه سطلين فارغين وبعد السلام أفادنا أنه كان يسقي غريسات له غرسها حديثاً.

وعمر الرجل قد ناهز الثمانين أو يزيد وقد يصدق عليه المثل:

(زرعوا فأكلنا فنزرع ليأكلوا).

لقد فرح الرجل بمقدمنا لأنه فيما يظهر كان وحيداً وهو بحاجة إلى من يتحدث معه وقد مكثنا عنده وقتاً أمتعنا خلاله بحديثه الشيق وقصصه التي يحفظ منها الشيء الكثير فهو راوية من الدرجة الأولى للقصص ولشواهدها من الشعر.

لقد أجاب على كثير من استفساراتنا، وعندما سألته عن قول امرىء القيس:

على قطن بالشيم أيمن صوبه   وأيسره على الستار فيذبل

قال: بالنسبة للستار فهو موجود ولازال يسمى بهذا الاسم حتى الآن. ووصف لنا الجهة التي يقع فيها من جبال أجا.

أما عن يذبل: فإنه غير معروف في الوقت الحاضر، وقد يكون أحد الجبال التي تغيرت أسماؤها. وعن «مواسل» قال مثل ذلك.

أما عن متالع فقد وصف لنا مكانه وأنه لازال يسمى بهذا الاسم.

أما عن متالع الأبيض الملاصق لأجا من ناحية الغرب فيقول: إنه غير معروف الآن.

لم يكد الرجل يسمع عن اسم امرىء القيس حتى شنف أسماعنا بكثير من قصائده التي لها مناسبات.

وقد تعجبنا من طريقة إلقائه للشعر العربي فهو يقوله بلهجة بين العامية والفصحى.

وعندي أن هذا أسلم بكثير ممن يحور الشعر العربي تحويراً كاملاً من الفصحى إلى شعر عامي كما يفعل القصاص حيث شوَّهوا الشعر العربي ومسخوا التاريخ بأساطير قد لاتمت إلى الواقع بصلة في الغالب، وحتى الأحاديث النبوية الشريفة لم تسلم منهم.

كان بودنا أن نمكث عند العم «مهنا» وقتاً أطول، ولكن حِرْصَنَا على قطع الطريق قبل غروب الشمس جعلنا نستأذن منه شاكرين له مازودنا به من معلومات وماشنف أسماعنا به من شعر وحكايات.

واصلنا المسير غرباً باتجاه بلدة «موقق» محاذين لجبال «أجا» من جهتها الشمالية الغربية.

كان وصولنا إلى «موقق» قبل أذان المغرب بقليل فتجولنا في شوارعها. إنها بلدة عامرة نامية تكثر فيها المزارع والنخيل والحركة العمرانية وكانت أكبر من الصورة التي ارتسمت في الذهن عنها فالطرق مزفتة والشوارع فسيحة مضاءة.

لقد حرصنا على مقابلة أي شخص لسؤاله عن أسماء الجبال المحيطة بموقق. فكان وقوفنا أمام مكتبة لبيع اللوازم المدرسية فخرج منها شاب قابلنا بوجهه السمح ومحياه الطلق.

وعندما سألناه عن بعض الأعلام التي نشاهدها قال:

كأن مهمتكم مثل: حمد الجاسر؟!

قلنا قريباً من ذلك وإن كان الفرق بيننا وبينه كبيراً.

ولاغرابة أن يُعْرف الشيخ حمد الجاسر في مكان قصي من شمال المملكة فهو من ألف «معجم شمال المملكة».

ونحن واقفون أُذِّنَ لصلاة المغرب فقال الشاب هذا بيتي وأصر إلا أن نشرب معه الشاي بعد الصلاة ليحدثنا أكثر عما نسأل عنه وألح في ذلك فلبينا دعوته.

وبعد أداء الصلاة كان لنا جلسة في بيته تعرفنا عليه وعرفناه بأنفسنا.

واسم هذا الشاب «... بن محمد بن فرحان الضويلي الشمري» ولعيذرني إذ نسيت اسمه الأول، لقد قدم لنا التمر مع القهوة، ومن زيادة إكرامه لنا كان يدفع بإناء التمر ويقول: كلوا فإنه التمر الفلاني وهو من نخلنا. وكان بالفعل تمراً لذيذاً وخاصة بعد رحلة مثل رحلتنا الطويلة الشاقة. كان هذا التمر لونه يميل إلى السواد، وقد ذكرني فعل هذا الشاب بما قاله أبو علي الهجري ـ رحمه الله ـ وهو يتحدث عن «منيع بن هضاب الأبوي» حيث قال:

(ومنيع هذا مطعم النبائت، كل نبيتة لكل ضيف ليلة، وهي تمرة سوداء جيدة، ليس ببلاد طيءٍ منها شيء وهي مثل التعضوض، إلا أنه أشدّ تَجَعُّدا.[1]).

كان هذا الشاب متفتح الذهن على مستوى من الثقافة والمعرفة ولايستغرب عليه ذلك فهو يعمل في سلك التدريس.

ناقشنا معه أسماء المواضع وكانت إجابته مطابقة لإجابة من سبقوه.

وعندما سألناه عن «متالع» وكم يبعد من هنا؟ ابتسم وقال:

جبل متالع الذي تسألون عنه أَمُرُّ من جانبه كل صباح وأنا ذاهب إلى المدرسة التي أعمل فيها وهي مدرسة «الْمُحَفَّرْ» الواقعة شرقي جبل «حبران».

ودعانا للمبيت عنده وفي الصباح يذهب معنا للتجول وإيقافنا على مانريده من المواضع فشكرناه على هذه الأريحية، وحتى لانثقل عليه اكتفينا منه بوصف الطريق.

---

(١) أبو علي الهجري وأبحاثه: ص ١٨٣ .

كانت جلسة ممتعة قضيناها عند (!؟) ومن يدري فلعله يتسمى باسم «منيع» مطعم النبائث في بلاد طيء؛ وقد ودعناه شاكرين له حسن استقباله لنا وللمعلومات القيمة التي أعلمنا بها.

من موقق اتجهنا إلى الطريق المزفت المتجه من حائل إلى العلا والمدينة المنورة وبعد أن سرنا مع هذا الطريق باتجاه الغرب ثمانية وعشرين كيلاً وصلنا إلى قرية «دليهان» فبتنا عندها، وفي الصباح الباكر كنا نرى جبل «مُتَالِع» جهة الشمال الغربي فاتجهنا إليه.

جبل متالع :

هذا الجبل له علاقة بيذبل الذي نبحث عنه كان لنا وقفة في سفحه الشرقي عند قرية «الخبة» وما أرى هذا الجبل الذي أمامنا إلاّ متالع الذي عناه الشاعر سُحَيم عبد بني الحسحاس حين قال:

يضيء سناه الهضب هضب متالع ... وحب بذاك البرق لو كان عاليـا
ومر على الأجبال أجبـال طـيءٍ ... كما سقت منكوب الدوابر حافيا

أو زيد الخيل الطائي إذ يقول :

بَنِي عامر هل تعرفون إذا بـدا ... أبو منكـف قد شد عقد الدوابر
بخيل تضل البلق في حجراتـه ... ترى الأكم منه سـجداً للحوافـر
ونحن هزمنا جمعكم بمتالـع ... ففاء ولم يسلم على شرٍّ طائـر
قتلنا غنياً يوم سفح محجـر ... مجاهرة نفسي فـداء المجاهـر

على أن هناك تداخلاً بين متالع هذا ومتالع الأبيض الملاصق لأجا الذي يرى الشيخ حمد الجاسر أنه الجبل المسمى «حضناً» الواقع غربي جبل أجا. كما يتداخل مع جبل متالع الواقع في بلاد غني بين بلدتي الشبيكية ودخنة.

وقد أزال هذا التداخل والالتباس الشيخ حمد الجاسر في رسم «متالع» من كتابه: «معجم شمال المملكة» فارجع إلى ماقاله هناك.

ويقال إن حاتماً الطائي عندما مات أبوه كفله جده سعد بن الحشرج فلما بدد حاتم أمواله بالعطاء رحل عنه جده وتركه في مكانه، وبينما حاتم نائم واستيقظ فإذا حوله مائتان من الإبل فاستاقها إلى قومه؛ فنصحوه أن يمسك هذا الرزق الذي ساقه الله إليه.

فقال هي نهبى بينكم فانتهبت فأنشأ يقول:

تداركني جَدِّي بسفح متالع فلا تيأسن ذو قَوْمِهِ أن يغنما

انظر إلى صورة متالع المنظر رقم (٥٥) .

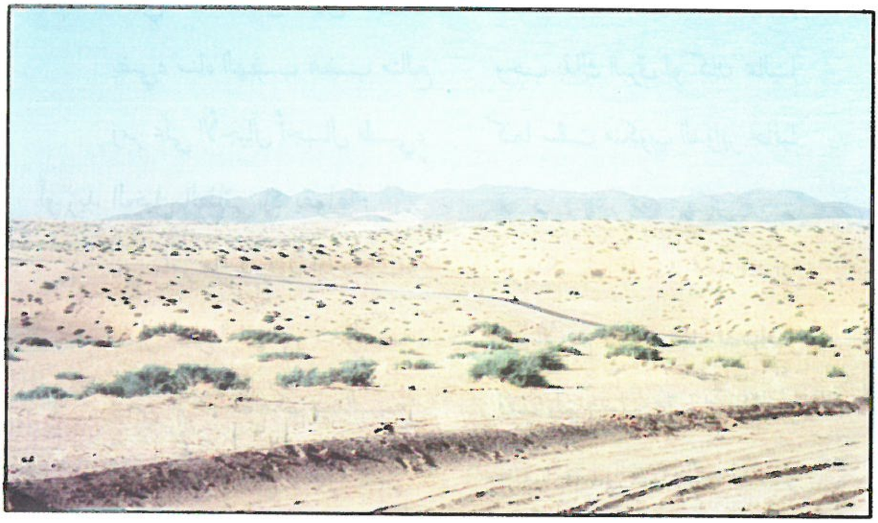

رقم (٥٥) : منظر : جبل «متالع» الواقع غربي جبل «أجا» على بعد خمسين كيلاً تقريباً .

من شرقي متالع واصلنا المسير بغية مشاهدة جبل «حبران» المشهور الواقع في أحضان النفود الكبير، وعندما حاذيناه من جهة الشرق وصلنا إلى قرية «المُحَفَّرْ» وهي التي يعمل فيها مضيفنا البارحة.

ومنها واصلنا السير حيث علونا النفود الكبير شمالي جبل «حبران».

في هذا الصباح الباكر كل شيء من حولنا جميل يبعث في النفس البهجة والسرور: حمرة الرمال المنبسطة مع مناظر الجبال السامقة. حبران وهو أقربها إلينا ويجاوره من الغرب جبل «العرفاء» ومن خلفهما جهة الجنوب: جبل «أم الأرسان» وجبل «الجشّ» لقد مكثنا في هذا المكان مايقرب من ساعة للتمتع بهذه المناظر الخلابة.

وفي هذه اللحظة أدركت كيف شغف الرحالة الأوربيون بمناظر النفود الكبير وجباله وخاصة مما يلي منطقة حائل.

فهذه الرحالة «الليدي آن بلنت» عندما عبرت النفود الكبير ووصلت إلى «قنا» الواقعة على بعد خمسة وستين كيلاً شمال شرقي مدينة حائل وقفت لتسطر «ذكريات رائعة» أرختها في ٢٣ يناير ١٨٨٩ م قائلة:

(إنه لحلم أن تجلس هنا تسجل يوميات على صخرة في جبل شمر، وحينما قرأت أتذكر كيف قرأت منذ سنوات تقرير بلجريف (الرومانتيكي) الذي لم يصدقه أحد.. ـ إلى أن قالت ـ: وإني لأشعر أننا قد أنجزنا شيئاً مالايتاح لكل واحد أن يفعله.. وقالت:

لا بلد يشبه «جبل شمرّ»:

ويصرح ولفرد: ـ تعني زوجها الذي كان يرافقها في رحلتها ـ إنه سيموت الآن سعيداً حتى لو قطعت رؤوسنا في حائل. وإنها لقاعدة مطردة ومفضلة لديه أن كل مكان هو مثل أي مكان آخر تماماً إلا جبل شمر فلاشيء يشبهه...[1])

انتهى قولها.

(١) رحلة إلى بلاد نجد ـ ترجمة الاستاذ محمد غالب: ص ١٧٦.

أقول :

لقد سألت الأخ سعداً ونحن واقفان على هذا المكان المرتفع من رمال «النفود الكبير» لماذا نحن ماكثان هنا؟! وكيف مر الوقت دون أن نشعر؟

بالفعل لقد كانت عيوننا مفتوحة تحملق بما حولنا من مناظر بديعة قد لايعبر مثلي بما يحسه في هذه اللحظة من شعور غريب بما يشاهده.

وبعزمة ركبنا سيارتنا وانحدرنا إلى أرض الواقع وغبرة الطريق فلدينا أشياء أخرى سنقف عليها.

انظر إلى صورة جبل حبران وماجاوره المنظر رقم (٥٦).

كانت المسافة من محل مبيتنا في «دليهان» إلى جبل حبران خمسة وسبعين كيلاً ويقع جبل «متالع» في المنتصف في مابينهما تقريباً.

رقم (٥٦) : *منظر : جبل «حبران» الواقع شمال جبل «متالع» .*

مُوَاسِـــل

مُوَاسِلُ : من المواضع التي تحريت عنها كثيراً في هذه الرحلة حيث سألت عنه كلَ من التقيت به من سكان جبل «أجا» وذلك لأنه أحد الأعلام التي قرنها الشعراء القدماء مع «يذبل» إلا أن أحداً منهم لم يفدني عنه بشيء مما يدل على أن اسمه قد استبدل باسم آخر، ونظراً لتأكدي من أن «مواسلاً» هو إحدى قمم «أجا» فلم أيأس من التحري عنه خاصة وأنه قمة متميزة يمكن الاهتداء إليها.

ومن النصوص التي جاء لمواسل ذكر فيها الأقوال التالية:

قال ياقوت الحموي:

(المُوَاسِلُ: كأنه من مسيل الماء إذا سال بضم أوله، وسين مهملة مكسورة: اسم قنة جبَل أجإ، قال زيد الخيل الطائي :

أتتني لسان لا أسر بذكرها تصدع عنها يذبل ومواسل

وقد سبق الريان منها بذلة فأضحى وأعلى هضبه متضائل

فإن امرأً منكم معاشر طَيءٍ رجا فُلُجاً بعد ابن حية جاهل

قال لبيد :

كأركان سلمى إذ بدت أو كأنها ذرى أجإ إذ لاح فيه مواسل(1)

أقول :

قول ياقوت عن مواسل: (اسم قنة جبل أجإ) يبدو لي أن الصحة: (قنة في جبل أجإ). لأن أجا ليس جبلاً واحداً حتى يقال إن مواسلاً قمته وإنما يتكون

(١) معجم البلدان : ص ٢١٩/٥ .

من قمم ورعان متتابعة ويؤيد هذا القول ما أورده ياقوت الحموي نفسه في رسم «أجا» حيث يقول:

(وقال لبيد يصف كتيبة النعمان:

أوت للشباح واهتدت بصليلها ... كتايب خضر ليس فيهن ناكل

كأركان سلمى اذ بدت أو كأنها ... ذرى أجإ إذ لاح فيه مواسل

فقال فيه ولم يقل فيها، ومواسل قُنَّة في أجإ[1]).

ويقول البكري :

(مواسل: تقدم ذكره في رسم الريان قال زيد الخيل:

كأن شريحاً خرّ من مشمخرة ... وجارَيْ شريح من مواسل فالوعر...[2]).

يتضح لنا من النصوص المتقدمة أن مواسلاً هذا قمة من قمم (أجا).

ونلحظ أن هذه القمة متميزة عن القمم الأخرى لكونها تلوح للناظر من بعد.

ولذا فقد حرصت عند سيرنا أصيل الأمس بمحاذاة جبل أجإ من ناحيته الشمالية أن أتطلع إلى قمم الجبال عسى أن أرى قمة متميزة عن القمم الأخرى لأرشحها ولو مبدئياً قمة مواسل.

وعندما كنا نسير غرباً باتجاه بلدة «موقق» وحاذينا جبل «العبد» لاح لنا قمة بدت سوداء اللون من بين قمم حمراء وكان شكلها بالفعل ملفتاً للنظر،

فقلت للأخ سعد: ألا ترى معي أن هذه القمة السوداء العالية التي أطلت برأسها علينا ماهي إلا «مواسل» الذي نتحرى عنه؟ فقال: قد تكون هي قمة مواسل.

---

(١) معجم البلدان : ص ٩٦/١ .

(٢) معجم ما استعجم : ص ١٢٧٦/٤ .

كان بودنا أن في الوقت متسعاً لنتمكن من الدخول إلى وسط «أجا» للوصول إلى «الستار» والتجول فيه حيث لايبعد عنا كثيراً ومن ثم المرور على تلك القمة السوداء للتأكد منها ولكن كانت الشمس على وشك المغيب ولذا واصلنا السير باتجاه «موقق» حيث بدت لنا رأي العين.

وها نحن الآن صبيحة يوم الخميس نسلك الطريق المزفت باتجاه مدينة حائل.

وبعد أن حاذينا «موقق» وتركناه على يسارنا بدأنا ندخل في وسط جبال «أجا» من ناحيته الغربية. ومن حسن الحظ أن الطريق يمر بالقرب من القمة السوداء التي لاحت لنا مساء الأمس، وعندما حاذيناها كان لنا وقفة تأمل بهذه القمة السوداء بين جبال حمر.

إنها قمة عالية يشاهدها المرء من بعد إذا أقبل من جهة الشمال الغربي أو من جهة الجنوب حيث تبدو كأعلى قمة من القمم المجاورة لها.

وعند مفترق الطرق سلكنا الطريق المتجه إلى الجنوب الغربي باتجاه الشقران والحناكية ثم المدينة المنورة لأن هذا الطريق يحاذي جبال أجا من الناحية الجنوبية وكانت هذه القمة بلونها المتميز تلينا مباشرة.

انظر إلى صور هذه القمة المناظر رقم (٥٧) ورقم (٥٨) ورقم (٥٩).

لقد سألت عن اسمها في وقتنا الحاضر فقيل لي إن اسمها «كحْلَه» وقد علل لي أحدهم سوادها: بأن حرباً وقعت بين قبيلتين قبل مجيء قبيلة طيء واستمرت تلك الحرب مدة طويلة، وكانوا يوقدون على رأس هذا الجبل ناراً لمدة عشرين سنة وهذا هو سبب سوادها!!

رقم (٥٧) : منظر : قمة «مُوَاسِل» كحلة حالياً ـ منظرها من جهة الشمال .

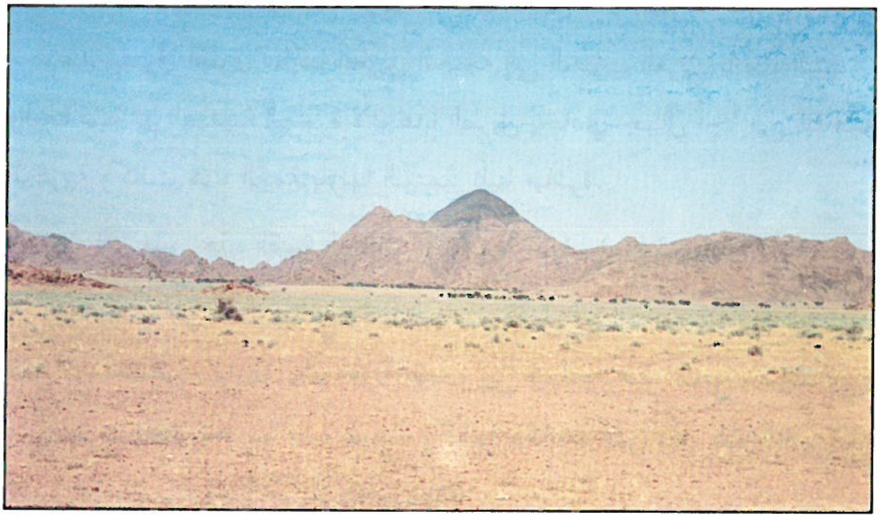

رقم (٥٨) : منظر : مواسل من جهة الجنوب الشرقي .

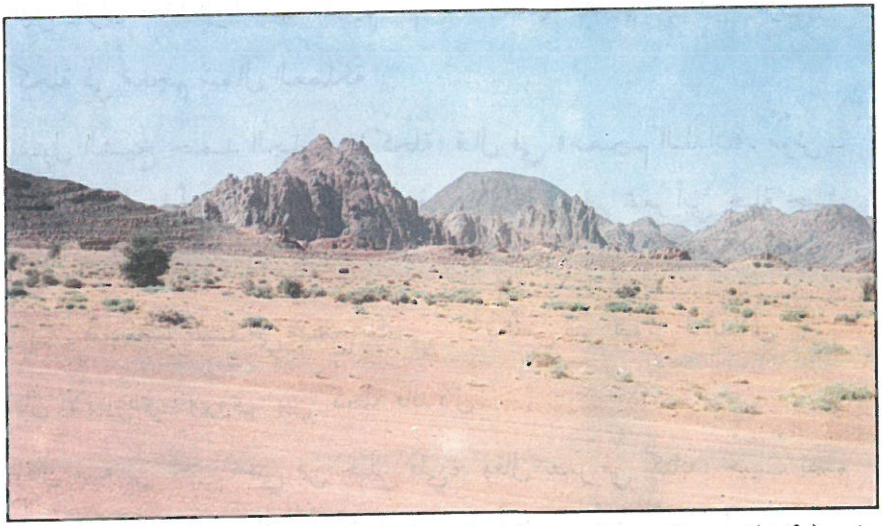

رقم (٥٩) : منظر : قمة «مواسل» من جهة الجنوب .

أقول لاشك أن هذه الرواية من القصص الخرافية التي ينسجها الناس ولاتمت إلى الواقع بصلة والذي ورد في النصوص أن الذي يوقد على رأسه هو جبل «الريان» ومع هذا لم تسود قمته. وهل يعقل أن تبقى تلك القنة مكحولة برماد نار أوقدت من مئات السنين ؟!!

هل مسمى كحلة قديم ؟

لقد لفتت نظري هذه القمة الكحيلة كما لفتت نظر لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه كتيبة النعمان حيث تميزت باخضرارها وسوادها من نوع لباس الجند وكثرة الحديد فيها من دروع وأسلحة ولذا تميزت تلك الكتيبة أو الكتائب عن غيرها؛ كما تميزت قمة «مواسل» عن سائر قمم «أجا» .

ونظراً لأن هذه الكحيلة استهوتنا لكونها سافرة نافرة فرأيناها من بعد.

فهل ياترى. هذا هو اسمها القديم، أم كان اسمها القديم غير هذا. لنرى:

كحلة في معجم شمال المملكة :

يقول الشيخ حمد الجاسر: (كُحْلَةُ: قال في «معجم البلدان»: مُوْش ـ موضعان أحدهما أعجمي والآخر جبل في بلاد طيء في شعر أبي جبلة حيث قال:

صبحنا طيِّئاً في سفح سلمى   بكأس بين موش فالدِّلاَل

قال الأبيوردي: ويُرْوى: بين كحلة فالدلال.

وقال منبه بن حبيب هي من جبلي طيء. وقال نصر في كتابه: جُبَّبُ بضم الجيم وبائين موحدتين: واد عند كحلة وهو واد آخر من أودية أجا[1]).

أقول:

ليت شيخنا حمد الجاسر تكلم عن كحلة بأكثر من هذا فقد يزيل كحل عينيها الذي أخفى وراءه مسمى «مواسل» أو يبرزها أكثر فنذهب بعيداً منها لنبحث عن مواسلنا في مكان آخر.

ومن النص المتقدم الذي أورده ياقوت الحموي يتضح لنا أن الشاعر قصد مواضعاً في جبل سلمى وليس في «أجا».

أما الوادي الذي ذكره نصر فالذي أفهمه منه: أن جُبَّب واد عند كحلة، وأن كحلة واد آخر من أودية أجا، وقد يكون هذا الوادي المسمى كحلة قريب بالفعل من «مواسل» فتغير مسمى مواسل مع مرور الزمن وسمي باسم هذا الوادي القريب منه كما تغير اسم جبل الريان إلى اسم «الرِّعِيلة».

وحيث أنه لم يرد ذكر لكحلة هذه في أي من المعاجم القديمة التي قرأتها

(١) معجم شمال المملكة : ص ١١٤٣/٣ .

وكذا لم يرد لها ذكر في شعر القدماء وخاصة شعراء طيء فيبدو لي أن هذه القمة المسماة حالياً «كحلة» التي لاحت لنا ماهي إلا «مواسل» وأن وادي كحلة أو ماء كحلة لايبعد عنها كثيراً.

وإذا ماتوغلنا في النصوص الواردة حول «مواسل» نجد أن مواسلاً كان له شهرة عند القدماء بحيث ينسبون إليه بعض المواضع مثل: «الصَّهْو».

فقد أورد الهجري ـ رحمه الله ـ مانصه :

(أجأ : قال : هذا شرح أسماء منازل ببلاد طيء في قوله: بالصهو، صهو مواسل.

قال: هو مويسل في أجأ، وهو شعبة بها النخل والضرف وهو التين لبني زريق فإذا أضفت إليه قلت زريقيٌّ وهو لهم اليوم، وكان لجذيمة، والنسبة إلى جذيمي هذه: جذيمة..

وقوله فالصهو، صهو بني أبيّ، وهم من زريق ...

قوله: فالجب جب وعارة: قال هي من صهوهم...[1]) انتهى باختصار

أقول: هذا النص يفيدنا كثيراً في التقرب من «مواسل» حيث أن الصهو، والصهوة لازالا يحملان هذا المسمى حتى وقتنا الحاضر. وهما يقعان غرباً من «مواسل» هذا غير بعيد.

والهجري يعرف لنا صهو مواسل بأنه «مويسل» وهو شعبة بها النخل والضرف وهو التين ويبدو لي أن مويسلاً هذا الذي عرفه الهجري هو مويسل الذي يقول فيه واقد بن الغطريف الطائي:

لئن لبن المعزى بماء مويسل بغاني داء إنني لسقيم

---

(١) أبو على الهجري وأبحاثه : ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

والبكري عندما أورد هذا البيت في رسم «مواسل» قال:

(هكذا قال والصحيح أنهما موضعان مختلفان[1]).

أقول: يظهر لي أن مواسلاً جبل من جبال أجا كما صرحت بذلك النصوص وأنما يسمى حالياً بـ «كحلة» وهي أكبر قمة في هذا الجزء من أجا إنما هي «مواسل قديماً» وأن مويسل بالتصغير أحد الشعاب الموجودة بالقرب منه.

وقد عجبت من اختفاء اسم مويسل بالتصغير حيث لايعرف الناس اليوم إلا مويسل الواقع جنوباً من «أجا» بعيداً منه. وحتى بعض الباحثين يقول مايقوله الناس اليوم مع أن النصوص متظافرة على أنه في جبل أجا ولكن لاغرابة أن يضيع مسماه مادام ضاع مسمى «مأسل» وهو مكبر التسمية فكيف بمويسل المنسوب إليه!! .

لقد سرنا مع الطريق المتجه جهة الجنوب الغربي قرابة ستين كيلاً وعند وصولنا إلى قرية «العقلة» وواديها كانت لدينا رغبة جامحة للاتجاه يميناً جهة «الصهوة» وجبال الصهوة والتجول هناك ولكن هذه الرغبة قد تأخذ منا كثيراً من الوقت فقررنا العودة إلى «حائل» لسلوك الطريق المتجه إلى «سميراء» والقصيم لأن أمامنا هناك مواضع عديدة يتحتم علينا الوقوف عليها وتطبيق النصوص بشأنها لنتمكن من تحقيقها التحقيق الدقيق إن شاء الله .

وفي طريقنا إلى حائل وقبل أن نصل إلى مثلث الطريق كان «صحا» على يسارنا وهو بجوار قمتنا الكحيلة، وصحا هذا قال عنه الشيخ حمد الجاسر في معجم شمال المملكة :

(صحا وصُحَيٌّ : فرعان من وادي جوٍّ أحد أودية أجا فيهما نخل يبعدان عن حائل في الجهة الغربية الشمالية بما يقارب ٤٠ كيلاً.

(١) معجم ما استعجم : ص

ويعد صحا وصحي من منتزهات مدينة حائل. قال عبدالعزيز الجريفاني ـ باللهجة العامية:

جِيْنَا صَحَـــا وِصْحَـــيْ ... فــيــهــا النخل والْمَيْ[1]

كـان بودنا أن نمكث ولو مدة قصيرة في هذا المنتزه (بين النخل والْميّ) ونشرب فنجاناً من الشاي في صحا وصحي، ولكن لم نستسلم لهذا الإغراء لأن وقتنا لايتسع فأمامنا مسافة يتوجب علينا قطعها.

وقبل أن نغادر هذه المناظر الجميلة يحسن بنا أن نلخص ماوضعناه في عيبتنا مما جنيناه من رحلتنا إلى جبال طيء. فأقول:

١ ـ يقول امرؤ القيس :

على قطن بالشيم أيمن صوبه ... وأيسره على الستار فيذبل

قلت فيما سبق معنا من تحليل للنصوص إن الستار ويذبل يقعان شمالاً من «قطن» وحيث أنه لايوجد ستار ويذبل إلا في جبال «أجا» فلذلك قمنا بهذه الزيارة لمنطقة حائل.

٢ ـ من النصوص العديدة عرفنا أن الستار ويذبل قمتان من قمم أجا.

وقد حدد لنا الشيخ حمد الجاسر الستار في جبل أجا. وقد تحققت من المقابلات الشخصية التي أجريتها مع العديد من سكان تلك الناحية أن الستار أو «استار» كما ينطقه الناس حالياً يطلق على واد في وسط جبال أجا من جهته الغربية.

أما يذبل فلا يعرف عنه شيء في الوقت الحاضر وقد يكون تغير اسمه إلى مسمى آخر ولم تتوفر لدي القرائن التي تجعلني أهتدي إليه.

ولا جدال في أن يذبل هو أحد جبال أجا حيث أوضح لنا زيد الخيل الطائي: أن مابلغه من خبر لم يسره تصدع منه يذبل ومواسل وقد سبقهما

(١) معجم شمال المملكة: ص ٧٧٦/٢.

بالتصدع جارهما «الريان» حيث أضحى وأعلى هضبه متضائل.

٣ ـ إن امرأ القيس عندما حدد أيمن السحاب على قطن وأيسره على الستار ويذبل ولما كان يقصد بيذبل والستار هذين الموجودين في جبل أجا كان يدرك أن سيل هذا السحاب سيتجه إلى الناحية التي ذكر أن المياه ستجرف مافي طريقها لقوة اندفاعها.

فأعلمنا أن الماء سح حول «كتيفة» فكب على الأذقان دوح الكنهبل كما هدم المساكن في تيماء واقتلع نخيلها.

وهذا السيل الذي عمل ماعمل كان قادماً من هذه النواحي فسيول غربي «أجا» تتجه إلى جهة الجنوب لتستقر في وادي «الثَّلْبوت» ـ الشعبه حالياً ـ ومن ثم تدفع في وادي الرمة لتتظافر مع السيول القادمة من فروعه الشمالية وكلها تتجه إلى المنطقة التي توجد فيها «كتيفة» و«تيماء».

والشيخ حمد الجاسر في كتابه «شمال المملكة» أعلمنا بذلك حيث قال في رسم «الشعبة»

(... هو من أعظم روافد الرُّمة إن لم يكن أعظمها فجميع الأودية الواقعة غرب جبل طيء إلى شرقي حرة ضرغد تنحدر فيه سيولها، ثم يسير متجهاً نحو الجنوب الشرقي حتى يجتمع بوادي الرمة شرق قرية البعايث..[1]).

٤ ـ أما «مواسل» هذا الذي ورد ذكره مقروناً بيذبل فلا أستبعد أن يكون هو هذه القمة التي وصفتها لك تحديداً ومشاهدة بالصور.

ولعلي بذلك جنيت على «كحلة» فتسببت في إرماد عينها التي مافتئت تفتن الغادين والرائحين من حولها.

أرجو أن أكون أوضحت شيئاً مفيداً عن الستار ويذبل.

(١) ص: ٢/٧٣٠.

سلمى وطابة :

خلفنا الحبيب «أجا» وراءنا واتجهنا إلى محبوبته «سلمى» على أننا لن نأخذ قصة تسميتهما مأخذ الجد ويكفينا مسماهما : أجا وسلمى.

لقد فضلنا سلوك الطريق الذي يخترق غربي سلمى إلى بلدة «طابة» وعند مدخل الطريق من خلال جبال سلمى كان لنا وقفة للراحة عند هضيبة جميلة المنظر عند المدخل انظر إلى صورتها المنظر رقم (٦٠).

مررنا «طابة» وتركنا الطريق المزفت واتجهنا إلى الجنوب الشرقي من طابة فعبرنا «قاع الهتيمة» وهو قاع تجتمع فيه السيول ولاتخرج منه ثم علونا ظهر الهتيمة وهي عبارة عن مرتفع جبلي إذا علوته تشاهد حفرة واسعة شبه مستديرة قد تكون تكونت من ثورة بركان قديم أحدث هذه الحفرة العميقة الواسعة.

وهي تشبه إلى حد ما الحفرة الموجودة بالقرب من «حفر كشب» التي تسمى في الوقت الحاضر «الوعبة» والبعض يسميها «مقلع طميّة».

وهذه الأخيرة أكبر وأعمق. انظر إلى صورة «الهتيمة» المنظر رقم (٦١) ورقم (٦٢) واجمع بين الصورتين لتعرف مدى اتساعها.

وانظر إلى صورة «الوعبة» المنظر رقم (٦٣) وقارن بين الحفرتين.

إلى سميراء :

اتجهنا إلى سميراء لوقوع أحد منازل حاج الكوفة (طريق زبيدة) ـ رحمها الله ـ بالقرب منها ومن سميراء سنترك الطريق المزفت الذاهب إلى الفوارة والبتراء ونسلك طريق الحاج قديماً لنتتبع منازله حتى نصل إلي منزل «الحاجر» الواقع شرقي بلدة «البعايث».

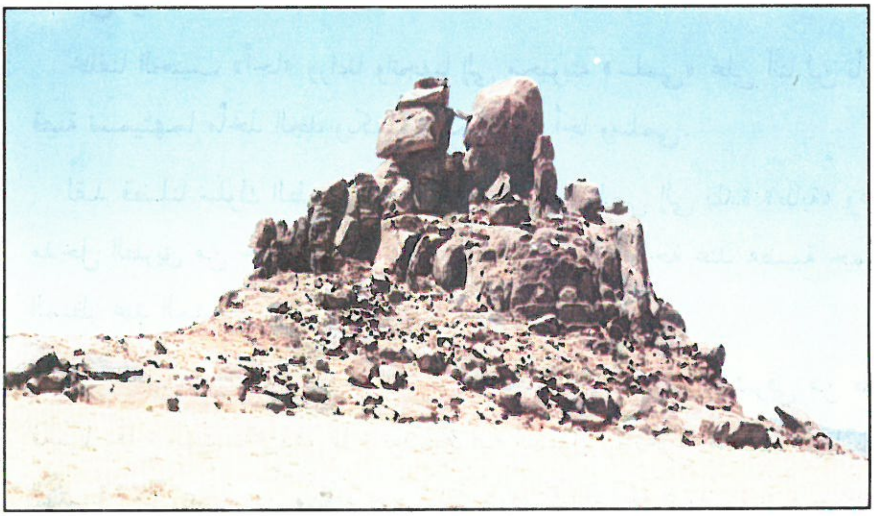

رقم (٦٠) : منظر : هضبة واقعة في الشمال الغربي من جبل «سلمى» .

رقم (٦١) : منظر : جانب من حفر «الهتيمة» الواقع جنوب شرق بلدة «طابة» .

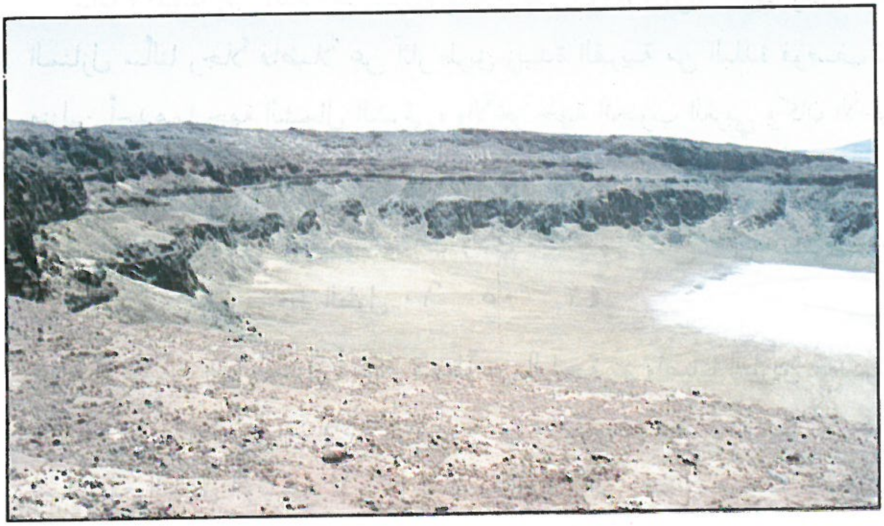

رقم (٦٢) : منظر : الجانب الآخر من حفر الهتيمة .

رقم (٦٣) : منظر : جزء من حفر «الوعبة» أو مقلع طمية الواقع قرب بلدة حفر كشب ..

كان وصولنا إلى بلدة «سميراء» بعد الظهر، وقد تجولنا فيها وعند أحد المنازل سألنا رجلاً فاضلاً عن آثار طريق زبيدة القريبة من البلدة فوصف لنا منزلين أحدهما جهة الشمال الشرقي، والآخر جهة الجنوب الغربي وكان الأخير هو طريقنا فاتجهنا إليه وهو لايبعد أكثر من أربعة أكيال.

وكان هذا المنزل على ضفاف وادي سميراء يقع على خط العرض ٠٠َ ٢٧َ ٢٦ْ وخط الطول ١٠َ ٠٥َ ٤٢ْ .

بالقرب من هذا المنزل أخذنا قسطاً من الراحة ثم واصلنا الطريق مع درب زبيدة وحيث تكثر البرك والآبار حول وادي «الثلبوت» فقد حرصنا أن يكون سيرنا مع الطريق الرئيسي للحاج لأننا سنتعرف من خلال عبورنا معه على موضع من أهم المواضع التي لم تحدد بدقة حتى الآن، وهذا الموضع هو بلدة «تيماء» التي قال عنها امرؤ القيس :

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أطماً إلا مشيداً بجندل

ولهذا فيحسن أن نتعرف على منازل الطريق من سميراء إلى النقرة.

منازل الطريق :

المنزل الذي يلي سميراء هو منزل «الحاجر» والمسافة بينهما ثلاثة وعشرون ميلاً ونصف الميل، ومعروف أن بين كل منزل والذي يليه متعشى نظراً لطول المسافة على الإبل.

ولما كنا مقبلين على وادي الثلبوت (الشعبة حالياً) حيث تكثر البرك حوله.

ولكن لابأس أن نتيامن قليلاً عن الطريق لنصل إلى بركة «الحِسْنَة» التي يقول عنها الحربي ـ رحمه الله تعالى ـ:

(ومن سميراء إلى المشرف أميال طوال يقال لها الحِسْنات، وعلى سبعة

أميال من سميراء يمنة عن الطريق قباب ومسقى وبركة يقال لها الحِسْنة، عندها آبار كثيرة منها بئر يقال لها واقصة لبني نعامة عذبة.

ـ وقال بعد ذلك ـ

وبعدها بثلاثة أميال بركة تسمى العباسية مدورة، خمسون ذراعاً في عمق عشرة أذرع، ويقال احتفرها رجل من بني أسد يقال له العباس تنسب إليه وبعدها بميل وادي الثلَّبُوت.«[1]» انتهى.

ومن الحسنة وصلنا «حُرَيْد» الذي لايبعد كثيراً عنها ومنه نرى «سمار الحاجر» والطريق إليه واضح.

من حريد اتجهنا جنوباً إلى جبل «كتيفة» ـ كتيفان حالياً ـ وإلى جبال «وتدات» الواقعة قريباً من كتيفة جهة الشمال الشرقي.

كنت حريصاً على التجول حول كتيفة لمشاهدة أشجار الدوح الموجودة في الشعاب الواقعة بينها وبين وتدات وشمالاً منهما حيث يقول امرؤ القيس:

وأضحى يسح الماء حول كتيفة   يكب على الأذقان دوح الكنهبل

وقد وجدت كثيراً من الأشجار في تلك الشعاب ولكن كثافتها بلاشك ليست كما كانت عليه في العصر الجاهلي وصدر الإسلام.

انظر إلى الأشجار في المنظر رقم (٦٤) ورقم (٦٥).

وانظر إلى صورة جبل «كتيفة» المنظر رقم (٦٦).

(١) كتاب المناسك: ص ٣١٦.

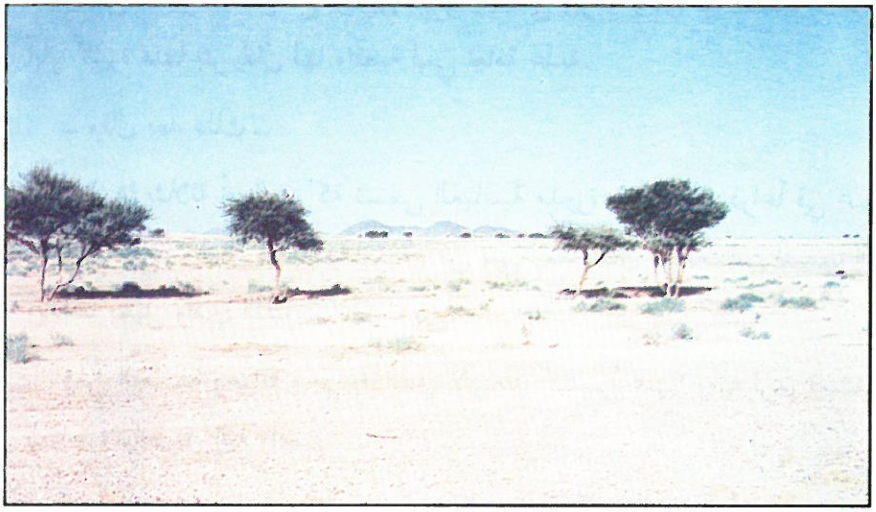

رقم (٦٤) : منظر : شجر الطلح حول «كتيفة» وترى جبال «وتدات» من خلفها .

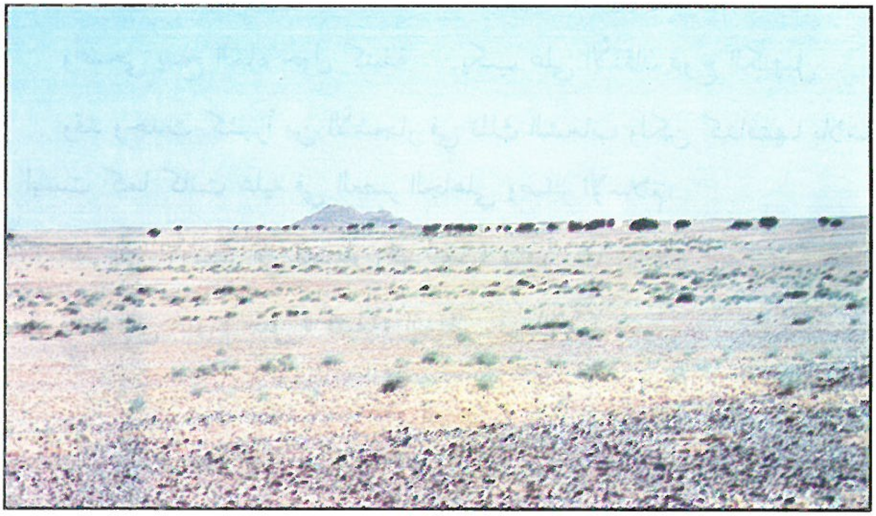

رقم (٦٥) : منظر : أحد الشعاب حول «كتيفة» وترى إحدى الوتدات، كما يرى كثرة شجر الطلح .

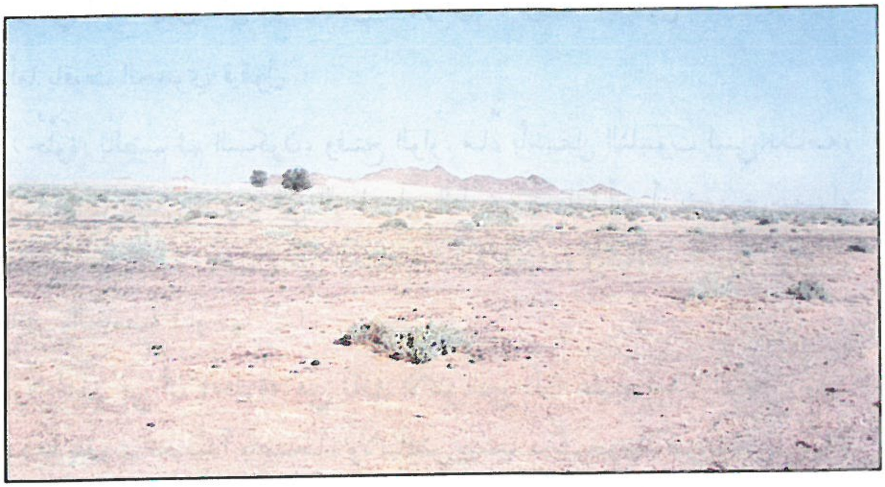

رقم (٦٦) : منظر : جبل «كتيفة» ـ كتيفان حالياً ـ على ضفة وادي الثلبوت الشرقيـــة .

بعد التجول حول كتيفة ووتدات عدنا إلى السير عبر طريق زبيدة وكانت قرية «وسيط» غير بعيدة منا حيث تقع على جانب الوادي الغربي مقابلة لجبل «كتيفة» لايفصل بينهما إلا وادي «الشعبة» حيث يتسع مجراه فيما بينهما.

في جنوبي منازل قرية «وسيط» شاهدنا رجلاً كبير السن جالساً في ظل أحد المنازل فاتجهنا إليه وسألناه عن طريق زبيدة وكان ملماً بخفايا هذا الطريق ويظهر لي أنه عرف ذلك من زيارات بعض المؤرخين و علماء الآثار الذين يترددون على هذا المكان.

وقد أشار إلى آثار واقعة على ضفة الوادي قريباً من البلدة، ويبدو لي أنها آثار آبار مطمورة، كما أشار إلى جانب الوادي الشرقي وقال هناك حول هذه المزرعة آثار برك وآبار قديمة وبالفعل تشاهد تلك الآثار من بعد.

ولا أستبعد أن تكون تلك الآثار هي «حُلْوَة» التي ذكرها الحربي حيث قال:

(وعلى ستة عشر ميلاً من سميراء آبار تسمى حلوة عذبة الماء شبيهات بالأحساء، في قرب مائهن، وهن في بطن واد، يقال له الثلبوت، وهي آخر

حفير بني أسد، وبين كل واحدة من الآبار قريب من نصف ميل[1]).

أما ياقوت الحموي فيقول:

(حُلْوَة: بالضم ثم السكون، وفتح الواو: ماءٌ بأسفل الثلبوت لبني نعامه، وذلك حيث يدفع الثلبوت في الرمة على الطريق، وحلوة أيضاً: بئر بين سميراء والحاجر على سبعة أميال من العباسة عذبة الماء، ورشاؤها عشرة أذرع ثم الحاجر والحامضة تناوحها.[2]).

ولا أشك في أن «حلوة» هي تلك الآثار التي دلنا عليها هذا الرجل، وقد حددها ياقوت تحديداً واضحاً، ولاتناقض بينما ذكره وماذكره الحربي وقد عدهما ياقوت ماءين والحربي حدد البعد بينهما بما يقارب كيلاً واحداً فقط.

وبالفعل فهما متقاربان ويقعان في أسفل الثلبوت كما قال.

ولي عودة إلى عبارة ياقوت: (وذلك حيث يدفع الثلبوت في الرمة على الطريق).

وصدق من قال: (أهل مكة أدرى بشعابها).

وأنا أقول: أهل وادي «الثلبوت» أدرى بمياهه وجباله.

ولذا سألت الرجل عن جبيل صغير يقع بالقرب من كتيفة ووتدات ومن المحتمل أن يكون واقع عنهما جنوباً في أعالي «شعيب أبو عماير».

فقال: الجبل الذي تسأل عنه اسمه «الرُّحيّل» فقلت له: «الرحيل» سبق أن شاهدته وهو ذو قمتين ويعتبر كبيراً بالنسبة للجبيل الذي أسأل عنه.

فقال كأنما تَذَكّر شيئاً: إذاً الجبيل الصغير الذي تسأل عنه قد يكون «ضليع

---

(١) كتاب المناسك: ص ٣١٦.

(٢) معجم البلدان ٢/٢٩٤.

النيص» وهو يقع عن كتيفة التي أمامنا الآن مطلع الشمس غير بعيد منها. وهو قريب من «العماير» ـ يعني بذلك آثار التعدين ـ

شكرنا للرجل تزويدنا بهذه المعلومات القيمة، واتجهنا إلى «ضليع النيص» وحاذينا جبل «كتيفة» من جهة الجنوب، وماكدنا نرتفع حتى شاهدنا هذا الجبيل الصغير وهو يبعد أربعة أكيال فقط، ومن ورائه على نفس الاتجاه والبعد يقع جبل «الرحيل» حيث يقع ضليع النيص بينه وبين كتيفة، وجبل الرحيل تكلمنا عنه في الرحلة السابقة.

مجيمر غطفان :

لقد اختفى هذا المجيمر عن الأنظار ردحاً من الزمن، ولم يهتد إليه الباحثون في عصرنا الحاضر مع وضوح النصوص التي حددت مكانه، وهل أوضح من النص الذي يقول؟

(وفوق ذي العُشَيْرَةِ: مُبْهِل الأجرد، واد لبني عبدالله بن غطفان. وفوق مبهل معدن البئر بئر يسمى بئر بني بريمة. وقريب منها معدن يسمى معدن البئر.

وبنو بريمة من بني عبدالله بن غطفان. وبأعلى مبهل هذا جبل يقال له المجيمر وجبل آخر يقال له «كتيفة» وجبال يقال لها الوتدات لبني عبدالله..[2]).

انظر إلى الخارطة رقم (٥) التي تقدمت معنا في صفحة (٣٥٢) لترى تلك الأعلام ومجرى وادي مبهل التي تقع في أعاليه.

لقد تجولنا حول «ضليع النيص» هذا وقد تبين لنا بالفعل أنه جبيل صغير يصدق عليه اطلاق مسمى «المجيمر» بالتصغير.

ومما استغربناه أنك إذا نظرت إليه من جهة الشمال فإنه يشبه إلى حد كبير

(١) بلاد العرب : ص ٧٤ .

مجيمر بني فزارة الذي تكلمنا عنه طويلاً وحددنا مكانه تحديداً واضحاً وهو الذي عناه امرؤ القيس بقوله:

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة　　من السيل والغثاء فلكة مغزل

ومجيمر غطفان الذي نحن أمامه الآن مرتفع عن مجاري الأودية ولم يقل أحد بأنه الذي عناه امرؤ القيس. ومع التشابه الكبير بين المجيمرين إلا أن مجيمر غطفان يميل لون حجارته للسواد كأنه جمر قد خبأت ناره، أما ذاك الواقع على ضفاف وادي الرمة جنوب عقله الصقور فجمره متوقد.

انظر إلى صورة مجيمر غطفان المنظر رقم (٦٧).

وارجع إلى منظر مجيمر بني فزارة وقارن بين المجيمرين.

رقم (٦٧) : منظر : «مجيمر غطفان» الواقع مطلع الشمس من «كتيفة» .

تيمـــــاء

قال امرؤ القيس في آخر معلقته :

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أطماً إلا مشيداً بجندل

لقد زرنا هذه الناحية التي توجد فيها تيماء وذلك في نهاية الرحلة السابقة عندما زرنا بلدة «البعايث» وروضتها الواقعة عنها شمالاً، ولم نتمكن حينذاك من إكمال البحث والتحري عن «تيماء» وتحديد مكانها نظراً لأن السماء كانت ملبدة بالغيوم والجو ممطر ولا خطوط مزفتة.

وها نحن اليوم نعود إلى هذه الناحية ـ بحمد الله ـ والوقت مازال بعد العصر ومعنا متسع من الوقت، ولم يبق من المواضع التي ذكرها امرؤ القيس في أبياته التي أوردناها إلا هذا الموضع «تيماء» ولعله من المفيد أن نذكر هنا أقوال علماء البلدان في وقتنا الحاضر حول تيماء:

١ ـ قال الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ وهو يتكلم عن هذا البيت لامرىء القيس :

(تيماء هذه : هي تيماء السموءل الواقعة في القطعة الشمالية من نجد وهي بلد قديمة جاهلية بهذا الاسم..[1]).

التعليق : لقد خفيت عليه ـ رحمه الله ـ «تيماء» التي نحن بجوارها الآن، وتبادر إلى ذهنه أنها هي تيماء السموءل وتلك بعيدة عن المواضع التي ذكرها امرؤ القيس، وكأني به لم يطلع على النص الذي أورده الهمداني عن تيماء.

---

(١) صحيح الأخبار : ص ١/ ٣٠ .

٢ ـ أما الأستاذ محمد بن ناصر العبودي مؤلف معجم بلاد القصيم فيقول في رسم «ضاري» وهو يتحدث عن المواضع التي ذكرها امرؤ القيس في آخر معلقته :

(كما ذكر تيماء وهي في تلك المنطقة كما ورد ذلك في نص صريح للهمداني إذ قال:

تيماء منزل كثير النخل عادل عن محجة العراق وهي غير تيماء السموءل.

أقول: ـ القول له ـ يريد بمحجة العراق طريق الحاج الكوفي الذي يمر بسميراء والحاجر ثم النقرة أي تلك المنطقة بالذات وإلى جانب نص الهمداني هذا على أن تيماء ليست تيماء السموءل فإن وجود تيماءَ أُخرى في تلك المنطقة كان قد تقرر في أذهان بعض سكانها ممن ليس لهم اطلاع على التاريخ القديم حدثني كنعان بن عايش السليمي من ولد سليم سكان «البعيثة» وماحولها قال: إنه يوجد مكان إلى الشمال من هجرتهم البعيثة الواقعة إلى الشمال من الحاجر على بعد حوالي أربعة أكيال يسمى «الروضة» جاءهم سيل عظيم فأظهر فيها ١٧ قليباً مطوية عمروا منها الآن قليبين إحداهما عليها آلة رافعة للمياه ويقول:

إن بعضهم قال إن اسمها في القديم كان تيماء، وأن فَغَّانة جبل إلى الشرق منهم اسمه دغَّانة في القديم..[(١)] انتهى.

التعليق :

من كلام المؤلف ظهر لي أنه يميل إلى القول بأن تيماء التي عناها امرؤ القيس هي «الروضة» الواقعة شمال البعايث فيما بينها وبين جبال فَغَّانات.

---

(١) معجم بلاد القصيم : ص ١٣٨٩/٤ .

ولست معه فيما ذهب إليه، مع أنه لم يبعد كثيراً عن مكان تيماء الصحيح حيث أنها لاتبعد عنها بأكثر من سبعة أكيال فقط.

البعايث هي «تيماء قديماً»:

لن نكون بحاجة إلى الحديث عن البعايث وروضتها حيث سبق أن تكلمنا عنهما في نهاية الرحلة السابقة، ومن وقوفي على أطلال الروضة وآبارها بصحبة الأخوين سالم وعبدالكريم ابني رباح بن مطلق تبين لي على الطبيعة أن الروضة غير واقعة في مجرى واد يفترض أنه اجترف نخيلها وهدم مبانيها.

وإنما هي روضة كالرياض الأخرى التي يستقر فيها الماء، وأعزو انطمار آبارها وخراب المباني التي حولها وهي قليلة: ناتج عن رحيل أهلها القدماء لأي سبب من الأسباب أو أنه حصلت معركة بين أهلها وبين قبيلة أخرى فأفسدت الآبار بإلقاء جثث القتلى فيها ودفنها.

ومما فهمته من نزيل الطائف الأخ جار الله بن علي المنقور: أن جماعته الذين تولوا حفر الآبار مجدداً أخرجوا من ضمن ما أخرجوه عظاماً لآدميين.

ولذا فإني أستبعد أن تكون «الروضة» هي «تيماء قديماً».

والآن دعونا ننتقل إلى بلدة «البعايث». لقد وصلناها بعد أن قطعنا طريق زبيدة عندما قدمنا من المجيمر وكتيفة. والبعايث لاتبعد عن طريق الحاج كثيراً فهي محاذية لمنزل «الحاجر» والبعد بينهما أربعة أكيال تقريباً.

لقد صدق الهمداني ـ رحمه الله ـ عندما قال: هنالك تيماء منزل كثير النخل عادل عن محجة العراق.

عندما أقبلنا هذا اليوم على تيماء بدت النخيل في وسط الوادي على امتداده. انظر إلى صورتها من بعد المنظر رقم (٦٨).

رقم (٦٨) : *منظر : وادي الرمة من بعد وتبدو النخيل في بطنه على امتداد مجراه حول بلدة «البعايث» .*

لقد تجولنا بين النخيل وسط الوادي وكأن الزمن يعيد نفسه فقد بعثت تيماء من جديد ولكنها سميت «البعايث» إن نخيلها تبدو سامقة وسط مجرى الوادي، أما مبانيها القديمة التي بنيت في عصرنا الحاضر عندما بعثت فهي مبنية بالطين وقد تهدمت وأنشيء بجوارها مبان على الطراز الحديث.

ومن يتفحص تلك المباني القديمة يلحظ أنها مقامة على أنقاض «تيماء» القديمة الواقعة على ضفاف وادي «الرُّمة». وقد لاحظت أن المباني المتهدمة دخل بناءها بعض الحجارة التي تشبه حجارة الحرة كأنها مصهورة وما هذه الحجارة إلا من مخلفات مباني تيماء القديمة المقامة من الحجارة والتي أشار امرؤ القيس إلى أنها بقيت حيث يقول:

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ... ولا أطماً إلا مشيداً بجندل

رقـم (٦٩) : منظر : النخيل في بطن وادي «الرّمة» وترى من خلفـها جانب من منازل بلدة البعايث القديمة .

رقـم (٧٠) : منظر : جانب من منازل البعايث المتهدمة وهي المنازل المقامة على أنقاض بلدة «تيماء» وترى النخيل في بطن وادي الرمة .

وبالفعل فإن هذه الحجارة هي أنقاض تلك الأطم التي لم يجرفها السيل.

وفي الزيارة الأولى «للبعائث» أوقفنا أميرها وأخوه على البيوت المتهدمة الواقعة على ضفاف الوادي وقالا لنا إنه عندما أراد أحد الناس أن يعمر بيتاً حفر في تلك الناحية من البلدة القديمة فظهر لهم أساس متين مشيد بالحجارة.

ولا أستبعد أن يكون هذا الأساس الواقع تحت المباني الأخيرة ماهو إلا أساس لأحد أُطُمْ تيماء القديمة.

إن الدلائل والشواهد تؤكد بأن «البعايث» هي «تيماء قديماً» وليس غيرها.

انظر إلى صورة النخيل وسط مجرى وادي الرمة بجوار البلدة القديمة وكذا الصورة التي يبدو فيها جانب من أنقاض القرية القديمة.

الصورتين رقم (٦٩) ورقم (٧٠).

(الحاجـر)

عدنا من «البعايث» إلى طريق زبيدة لنصل إلى منزل «الحاجر» الواقع إلى الجنوب الشرقي من البعايث غير بعيد منها، وصلنا إلى آثار هذا المنزل قبل غروب الشمس.

ويستدل على آثار الحاجر الموالية للبعايث بوجود نخلة وأثلة تريان من بعد شمال سمار الحاجر وتقع على خط العرض ٤٧ً ٠٠َ ٢٦ْ وخط الطول ٣٠ً ٥٠َ ٤١ْ.

عندما تقف على تلك الأطلال وتتجه شمالاً تشاهد بلدة البعايث يساراً منك غير بعيد كما تشاهد بطن وادي «الثُّلُبوت» ـ الشعبة حالياً ـ الذي يحاذيه طريق زبيدة، كما تشاهد من بعد جبال «فَفَّانات» وجبال الثلبوت.

انظر إلى الصورتين رقم (٧١) ورقم (٧٢).

(قَرَوْرَى)

عندما خيم الظلام اتجهنا إلى قرية «الحيسونية» الواقعة على طريق «المدينة ـ القصيم» وهناك نمنا حتى الصباح. لقد حرصنا على الوقوف على منزل «قرورى» وهو المتعشى بين منزلي الحاجر والنقرة.

إن قرورى ليس لها علاقة بما نحققه من مواضع ولكن من باب الفائدة والاستفادة أحببنا الوقوف على هذا المنزل والسير في الأرض الواقعة بين الحاجر والنقرة.

ومابينهما قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إن بين النقرة والحاجر لرأياً).

وذلك أن (عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري) كان يسكن في هذا المكان

رقم (٧١) : منظر : من آثار «منزل الحاجر» ويرى جانب من سمار الحاجر .

رقم (٧٢) : منظر : مكان آثار من آثار منزل الحاجر ويستدل عليه بهذه النخلة وبجوارها أثلة .

ويقال: إنه نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يدخل العُلُوج المدينة فلما طعن أبو لؤلؤة المجوسي «عمر» قال مقولته هذه .

وقروري تحدثت عنها المراجع كثيراً ومن الأقوال عنها قول الحربي:

(قَرَوْرَى: على ثلاثة عشر ميلاً من الحاجر، وهي المتعشى، وهي أرض مستوية لاترى فيها جادة . تسمى الصلعاء وفي مثلها توجد الكمأة، وهي أرض معمورة، وهي لبني عمير.

وقَرَوْرَى هو الجبل المشرف على المتعشى، مُفْرَدٌ، وعليه عَلَمٌ بيِّنٌ، وبه بركتان في موضع واحد يمنة ويسرة، عند القصر والقصر يمنة والجبل يسرة، وعليه علم.

وإحدى البركتين زبيدية مدورة والأخرى مربعة يسرة..

وإذا خرج الخارج من قروري فإنه يسير في أرض سهلة دحس لاتبين المحاج فيها.

ومن أراد النقرة أخذ يسرة مع الجبل. ومن أراد معدن القرشي تيامن حتى يلقاه البريد، وربما ضل الناس بالليل فيه.

وعلى ستة أميال من قروري من طريق النقرة بركة مدورة تسمى الحسني، وخلف قروري بميل بركة لأم جعفر ومسجد خرب يمنة الطريق..[(1)]) وانظر رسم قروري عند ياقوت الحموي.

ولقد شهدت هذه الأرض الواقعة بين الحاجر والنقرة أحداثاً في الجاهلية والإسلام، وكانت من منازل بني فزارة.

فقد أغار دريد بن الصمة على أشجع بالصلعاء وهي بين الحاجر والنقرة فلم يصبهم فقال دريد من قصيدة له:

---

(١) المناسك : ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ .

ومرة قد أدركتهم فرأيتهم يروغون بالصلعاء روغ الثعالب

ـ انظر رسم الصلعاء عند ياقوت ـ .

ومن الأحداث التي وقعت في هذه الناحية :

أن خالد بن زهير العبسي ـ أخا قيس بن زهير ـ قتل في «اللقاطة» بالقرب من الحاجر فثارت بمقتله حرب داحس والغبراء بعد أن خمدت. وذلك أن حذيفة بن بدر أرسل خيله وهو مقيم في «هضب القليب» وأوصى فرسانه بقتل خالد فتم قتله هناك غيلة.

وقد انتقم قيس بن زهير زعيم بني عبس في أحداث داحس والغبراء لمقتل أخيه وقتل الرهائن حيث قضى على حذيفة بن بدر وأخيه حمل ومن معهما في «جفر الهباءة» وقد تكلمت عن هذه الأحداث عند تحقيقي لمكان جفر الهباءة في كتابي الأول.

والحديث عن «قرورى» أو الصلعاء يطول وليس هذا مكان الإطالة.

لم يضع علينا كثير وقت للوصول إلى آثار منزل «قَرْوَرَى» نظراً لوضوح وصف الطريق إليها ولبروز قمة الجبيل الذي تقع بجواره الآثار.

لقد تجولنا حول تلك الآثار وهي واضحة المعالم ويمكن تطبيق النصوص التي وصفت هذا المنزل حيث مازالت بواقي أعلام المخارج من المنزل واضحة.

وهذا المنزل واقع على خط العرض ٠٠َ ٤٨َ ٢٥ْ وخط الطول ٣٥َ ٤٢َ ٤١ْ وهو يبعد عن «الحاجر» سبعة وعشرين كيلاً.

انظر إلى صورة جبيل قرورى الصورة رقم (٧٣)

والواقع أن جبيل قرورى ليس جبيلاً منفرداً ولكن هكذا يبدو من البعد، وإنما هو طرف «سناف اللحم» من الجهة الشرقية ولكن تبدو قمته من بعد نظراً لارتفاعها عن مستوى امتداد السناف. الممتد عنها غرباً.

رقم (٧٣) : منظر : جبيل «قَرَوْرَى» من بعد، ومن دونه منزل «قروري».

في طريق العودة :

اليوم الجمعة وقد فضلنا العودة إلى القصيم لأداء صلاة الجمعة. وفي تمام الساعة العاشرة وصلنا «عقلة الصقور» فانتهزت الفرصة لزيارة أميرها الأخ متعب ابن صنهات الشطير حيث كان بيني وبينه اتصال سابق عن طريق الهاتف للسؤال عما إذا كان يوجد بالقرب من عقلة الصقور برك أو آثار لمنزل طريق حاج البصرة الذاهب إلى المدينة المنورة.

وكذا السؤال عن جبيل يقع وسط وادي الرمة يسمى «القليب» بالتصغير.

وهذا الجبيل ذكره لنا رجل وجدناه بالقرب من جبل «المجيمر» في الرحلة السابقة حيث سألناه عما إذا كان يوجد جبيل صغير حول وادي الرمة غير المجيمر هذا فذكر لنا «القليب»: كان الأخ متعب وعدني بأن يجمعني بوالده

وهو رجل كبير السن وله دراية تامة عن خفايا هذه الناحية وتاريخها، ولكن نظراً لعدم مناسبة الوقت لم يحصل الاجتماع به.

ولما كان «القُلَيْبُ» الذي حرصت على الوقوف عليه ومشاهدته عن كثب يقع في مجرى وادي الرُّمة بجوار قرية «الخطيم» فقد اتصل الأخ متعب بأميرها الأخ «عيسى بن هادي بن تني» وسأله عن القليب، فاستعد أن يوقفنا عليه إذا حضرنا إلى الخطيم.

لم نضع الوقت فاتجهنا إلى هناك محاذين لوادي الرمة من الغرب مروراً بقرية «الأفيهد» والخطيم واقع جنوباً شرقياً من جبل «بدن» وعند الوصول إلى جبل بدن كانت فرصة للتحقق من مدفع وادي الجريب في وادي الرمة حيث قيل في بعض المراجع إن جبل بدن يقع على ضفاف الجريب من الجهة الشمالية ولكن اتضح أنه واقع على جانبه الجنوبي فانتبه لذلك انظر إلى صورة جبل «بدن» الصورة رقم (٧٤).

رقم (٧٤) : منظر : جبل «بدن» ومن دونه مدفع وادي «الجريب» في وادي «الرّمة»

كان وصولنا إلى قرية «الخطيم» بعد النداء الأول لصلاة الجمعة، وبعد الصلاة سلمنا على أميرها وبعد احتساء القهوة في منزله قال: وجوهكم ليست غريبة علي فتذكرنا أنه هو من قابلناه عند «المجيمر» في الرحلة السابقة حيث كان يتجول حول إبل له وقد دعانا إلى اللحاق بالإبل ليسقينا من حليبها ولكنا كنا على عجل آنذاك فكان الرجل كريماً في البر وفي الحضر.

لقد قدر استعجالنا فأرسل معنا أحد رجاله على سيارته «الجيب» حتى لانضطر للعودة إلى الخطيم مرة ثانية.

وبعد الوقوف على جبيل «القليب» والتجول حوله تبين لي أنه بالفعل واقع في الوادي وقد يغطي السيل أكثره عندما يجري وادي الرُّمة ولكن بعد المشاهدة على الطبيعة لم أجده ينافس مجيمرنا الواقع بالقرب من الخصيين للأمرين التاليين:

١ ـ إنه جبيل اسمر اللون منبطح على الأرض في مجرى الوادي مما يلي قرية الخطيم ولكن شكله عادي وغير ملفت للنظر ومن يقبل من جهة الشمال قد لايلحظه لأنه يختلط في النظر مع الجبال السود الواقعة من ورائه على ضفاف الوادي.

٢ ـ إنه يبعد عن «المجيمر» جهة الجنوب الشرقي بمسافة ثمانية عشر كيلاً.

الأمر الذي جعلني أستبعد أن يكون «الهاشمي» مر به عندما أضل الطريق مع والده لأنه ليس على طريقه لوقوعه جنوباً.

ومجيمرنا الذي رشحناه هو الواقع بالفعل على طريقهم لأن الهاشمي ذكر أنهم مروا بأبان ثم المجيمر ثم طمية.

والقليب هذا واقع على خط العرض ٠٩ً ٣٨َ ٢٥ْ وخط الطول ٣٨ً ٣٢َ ٤٢ْ.

وبهذه الزيارة الاستقصائية تخلصنا من منافس خطير لمجيمرنا. ولم يبق لدي أدنى شك بأن المجيمر الذي عناه امرؤ القيس في معلقته ومر به الهاشمي عندما أضل الطريق هو ماحددته سابقاً وهو مجيمر بني فزارة، أما مجيمر غطفان فقد حددته هناك بالقرب من كتيفة.

بقي أن أقول بأن المجيمر يسمى في وقتنا الحاضر «الرُّكَيْبَةُ» تصغير ركبة.

وقد آن الأوان بأن يسمى المجيمر باسمه القديم الذي كان سماه به العرب القدماء.

خلاصة البحث

لقد حفظ لنا امرؤ القيس كثيراً من المواضع في الأبيات التي أوردناها من آخر معلقته، ولكن كثيراً من هذه المواضع كانت محل خلاف بين الباحثين في زمننا هذا ولم تحدد ـ في نظري ـ تحديداً صائباً، ولعلي هنا أوجز ماقلته حول تحديد هذه المواضع.

أولاً ـ قال امرؤ القيس :

قعدت وأصحابي له بين ضارج　　　وبين العذيب بعد ما متأملي

أ ـ ضارج :

١ ـ قال عنه الشيخ محمد بن بليهد إنه جبل في بلاد بني أسد تغير اسمه اليوم عن هذا الاسم.

٢ ـ وقال صاحب معجم بلاد القصيم الأستاذ محمد العبودي: إنه مايسمى في وقتنا الحاضر «ضاري» في منطقة الشقة الواقعة إلى الشمال من مدينة بريدة على بعد أربعة عشر كيلاً.

وأنا أميل إلى الأخذ بقول صاحب معجم بلاد القصيم بأن «ضاري» هو (ضارج قديماً).

ب ـ العذيب :

١ ـ عدد الشيخ محمد بن بليهد في كتابه صحيح الأخبار المواضع التي تسمى «العذيب» وخلص إلى القول:

إن العذيب الذي أشار إليه امرؤ القيس قد تغير اسمه في عالية نجد.

ويفهم من كلامه ـ رحمه الله ـ أن العذيب يقع جهة الجنوب من «ضارج» أي في وسط عالية نجد.

٢ ـ أما مؤلف معجم بلاد القصيم فقد خلص إلى أن العذيب الذي عناه امرؤ القيس هو:

مايسمى في الوقت الحاضر «المِعْذَبُ» الواقع في نهاية خُبُوب بريدة الغربية في نقرة منخفضة غير واسعة.

ولست أوافق هذا الرأي وأقول: إن العذيب الذي عناه امرؤ القيس هو العذيب الواقع في شمالي الجزيرة العربية، وهو واقع دون «الكوفة» يمر به طريق حاج البصرة القديم فيما بين منزلي «القادسية» و«المغيثة».

ثانياً ـ ويقول امرؤ القيس :

على قطن بالشيم أيمن صوبه   وأيسره على الستار فيذبل

وروي هذا البيت :

علا قطناً بالشيم أيمن صوبه   وأيسره على الستار فيذبل

أ ـ قطن : جبل مشهور لم يتغير اسمه ولم يختلف في تحديده، وهو واقع بالقرب من بلدة «عقلة الصقور» شمالاً من أبانين.

ب ـ الستار، ويذبل:

اختلف الباحثون في تحديد هذين الموضعين:

١ ـ يقول الشيخ محمد بن بليهد: الستار: جبل في حمى ضرية يعرف بهذا الاسم إلى اليوم بين قرية ضرية وبين شُعَبى الجبل المشهور في حمى ضرية يقع جنوب مسكة الغربي.

أما عن يذبل فيقول: إنها الهضبة المسماة في وقتنا الحاضر «صبحا» الواقعة جنوباً من بلدتي الرويضة، وحلبان.

٢ ـ أما صاحب معجم بلاد القصيم فيميل إلى أن امرأ القيس يقصد بالستار ذاك الواقع بين بلدتي «دخنة» و«الشبيكية» المسمى في الوقت الحاضر «الربوض».

أما عن يذبل فقد أشكل عليه تحديدها وحول القول بأنه «صبحا» قال:

الجواب على هذا من وجهين :

أحدهما : أن يكون هناك جبل آخر كان يسمى «يذبل» وأنه غير معروف لنا الآن بسبب تغيير اسمه.

والثاني: أن كلمة يذبل غير صحيحة في الرواية... ـ انتهى قولهما ـ

أقول : إني أخالفهما في الاتجاه جنوباً للبحث عن الستار ويذبل، والذي أميل إليه أن الستار ويذبل واقعان جهة الشمال من ضارج ومنطقة القصيم لا جنوباً منهما.

ولذا أقول: إن الستار هو الستار المعروف منذ القدم حتى زمننا هذا وهو الواقع في وسط جبال «أجا».

وأن يذبل: إحدى قمم «أجا» أيضاً وقد بسطت الكلام عنهما في صلب البحث.

ثالثاً ـ قال امرؤ القيس :

وأضحى يسح الماء حول كتيفة　　　يكب على الأذقان دوح الكنهبل

كتيفـــة :

١ ـ حددها الشيخ محمد بن بليهد بأنها جبل صغير في أعلى مبهل...

وقال إنها تقع شمالي بقيعا اللهيب جنوبي أبان الأحمر، وأنها التي عناها امرؤ القيس، وهي واقعة من الستار المذكور على مسافة يوم في جهته الشمالية الشرقية. انتهى

أقول: يقصد بالستار الذي حدده بين بلدة ضرية وشُعَبى.

٢ ـ أما مؤلف معجم بلاد القصيم :

فقد حدد كتيفة تحديداً صائباً فقال: إنه جبل أسود فيه حمرة ليس بالكبير يقع إلى الغرب من وادي «مبهل قديماً» وأن اسمه حالياً «كتيفان».

رابعاً ـ *ومر على القنان من نفيانه فأنزل منه العصم من كل موئل*

القنان: لم يختلف الباحثون في تحديدها فقالوا إنها مايعرف الآن بـ «الْمُوَشَّم».

خامساً ـ وقال امرؤ القيس بعد ذلك :

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أُطُماً إلا مشيداً بجندل

تيماء هذه أشكلت على الباحثين كثيراً ومما قالوه عنها:

١ ـ يقول صاحب صحيح الأخبار: إنها تيماء السموءل الواقعة في الشمال.

٢ ـ أما مؤلف معجم بلاد القصيم فيقول:

بعد أن حام حول مكانها الصحيح وقرب منه كثيراً: إنه يميل إلى أنها الروضة الواقعة بين بلدة «البعايث» وجبال «فغانات». انتهى.

ولكنني بعد الزيارة الميدانية والمشاهدة على الطبيعة وتطبيق النصوص الواردة بشأنها توصلت إلى أن «تيماء» التي ذكر امرؤ القيس أن السيل دمر مساكنها واقتلع نخيلها من جذورها: ماهي إلاَّ بلدة «البعايث».

ومن يقوم بزيارة «البعايث» تبدو له الصورة التي رسمها امرؤ القيس واضحة

جلية وجميع النصوص تؤيد ما أميل إليه.

سادساً ـ ويقول امرؤ القيس بعد ذلك :

كأن أباناً في أفانين ودقــــه كبير أناس في بجاد مزمل

أَبَانُ : قد يكون امرؤ القيس يقصد بذلك أباناً الأسود لكونه الموالي له عندما كان قاعداً شمالي «الجواء» أو هكذا تخيل، وقد يكون قصد بقوله هذا «أبانين» فأفرد لفظهما.

لقد شبه امرؤ القيس أباناً والمطر ينزل عليه بشيخ يجلس بين قومه ملتحف بكساء مخطط ونحن عندما ما ننظر إلى المطر ينهمر من السحاب نراه على شكل خطوط فما ثقل مطره منها صار لونه أسود، وماكان مطره خفيفاً فيميل إلى البياض.

وهذا المنظر يشبه العباءة المخططة، وكان كبار السن عندنا يلبسونها في الماضي لأنها مصنوعة من الصوف الأبيض والأسود، ويسمونها «العباءة البرقاء» تشبيهاً لها بالشاة البرقاء التي لونها أبيض وأسود، وكان أسلافنا ينتجون هذا النوع من العبي محلياً.

سابعاً ـ *كأن ذرى رأس المجيمر غدوة من السيل والغثاء فلكة مغزل*

هذا المجيمر خفي أمره على الباحثين فلم يحدده أحد منهم لا قديماً ولا حديثاً تحديداً صائباً يدل عليه.

١ ـ قال عنه الشيخ محمد بن بليهد :

المجيمر : على اسمه إلى اليوم لم يتغير. جبل أسود صغير في أعلى مبهل ومبهل يصب في وادي الرمة يقع في بلاد غطفان ويقال له المجيمر. انتهى

ويغلب على ظني أنه يقصد بوادي مبهل ذاك الذي يصب في الرمة من

جهته الجنوبية واسمه القديم «الريان». وقد أفادنا الأستاذ محمد العبودي بأنه سأل عنه كثيراً وبحث طويلاً فلم يجده.

٢ ـ أما رأي مؤلف معجم بلاد القصيم حول المجيمر فيقول:

إن المجيمر هو مايسمى الآن بـ «المصيقر» وهو واقع بين النقرة وعقلة الصقور يراه السائر على الخط المزفت الممتد من القصيم إلى المدينة المنورة على يساره إذا كان متوجهاً إلى المدينة.

وبما أنني أجزم بأن المصيقر ليس هو «المجيمر» الذي عناه امرؤ القيس فقد ركزت البحث عنه ووفقت بحمد الله إلى تحديد مكانه الصحيح وهو مايسمى في وقتنا الحاضر «الركيبة» الواقع بجوار جبيل «الخصيين» والمجيمر يبعد عن عقلة الصقور جهة الجنوب الشرقي على بعد اثنين وعشرين كيلاً وهو واقع على ضفة وادي الرمة يسفح عليه الماء إذا سال الوادي فيلقي بأغثائه عليه.

ثامناً ـ *وألقى بصحراء الغبيط بعاعه نزول اليماني ذي العياب المحمل*

كأني بامريء القيس عندما مر السحاب متجهاً شرقاً اعتدل في جلسته فاستدار يتابعه بنظره ليكمل تتبع نزول المطر فأفادنا أن هذا السحاب ألقى أخيراً بثقله على صحراء الغبيط.

وصحراء الغبيط تعرف الآن بـ «حفر الباطن وماحوله».

وهذا هو السير الطبيعي لسحاب كونه الله فأسال أعالي وادي «الرِّمة» فدمر مادمر بطريقه.

تاسعاً ـ

كأن مكاكي الجواء غديـة صبحن سلافاً من رحيق مفلفل
كأن سباعاً فيه غرقى عشية بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

استيقظ امرؤ القيس في الصباح الباكر على صوت «المكاكي» في رياض الجواء تعلو في السماء وتهبط مغردة بأصواتها الشجية فرحاً وسروراً بنعمة الله.

وقد وصفها امرؤ القيس في حالة طربها وغنائها بمن شرب الرحيق المفلفل فهو يصفر طرباً .

وأقول : إن هذه المكاكي تسبح لخالقها على ما أنعم عليها بنزول المطر.

(وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم).

والمكاكي: جمع مكاء: وهو هذا الطائر خفيف الحركة عذب الصوت الذي نراه صباح مساء يعلو في السماء ويهبط مغرداً بصوته الشجي واسمه عندهم «أم سالم» وقد صاغ العامة فيه لغزاً فيه شيء من السذاجة فيقال:

ماهو اسم أم سالم قبل أن تلد سالماً؟!

عندما كانت مكاكي الجواء تغني في رياض الجواء، كان في الجانب الآخر سباع ووحوش غرقت عشية البارحة في أقاصي وادي «الرمة» حينما جرفتها السيول المنحدرة من الأعالي.

وقد شبه امرؤ القيس غرقها في السيل وتلطخها بالطين والوحل بالعنصل المنبوش الذي اقتلع من جذوره.

والعنصل: نوع من النبات له فصوص يأكله بعض الناس عند الحاجة.

لكل ماتقدم أقول: إن جميع المواضع التي ذكرها امرؤ القيس في أبياته التي مرت معنا كلها تقع فيما بين أبان وقطن، وبين أعالي وادي «الرُّمة» الشمالية والغربية وبين صحراء الغبيط شرقاً..

وهذا أمر واضح وجلي لكل من يمحص ويدقق.

« كلمة أخيرة »

أكلة الحجارة :

نسمع عن أكلة لحوم البشر، وهذا يحدث على مر العصور والأزمان.

وعندما تَحَضَّر الإنسان زالت تلك الظاهرة، ولو قيل: إن مثل هذا حدث في هذا العهد لما كان شيئاً مستغرباً لحدوثه من قبل.

أما أن يقال: إن في زمننا هذا أكلة للحجارة فهذا هو الشيء المستغرب.

وقد شاهدت أكلة الحجارة هؤلاء في جولاتي الميدانية حيث التهموا جبالاً وهضاباً بأكملها .

إنهم يأكلونها بشراهة زائدة بحيث لاترى من الهضبة الحمراء الشامخة التي عهدتها منذ عدة سنوات إلا بقاياها، وكأنها ناقة افترستها السباع فلم يبق منها سوى جلدها والعظام.

وأكلة الحجارة هم: مصانع الرخام والخزف حيث التهمت تلك المصانع أنوف جبال، وهضاباً بأكملها، ولازالت مناشيرها تعمل ليلاً ونهاراً في التهام المزيد.

ولست ضد الاستفادة من المصادر الطبيعية التي حبا الله بلادنا بالكثير منها مثل جبال الرخام الثمين، ولكني ضد عدم ترشيد هذه الاستفادة.

فكان بودي أن يقتصر أخذ الرخام من الجبال الكبيرة لأن الأخذ منها لن يغير من معالمها كثيراً، أما الهضاب الصغيرة فتترك لأنها مظهر من مظاهر بلادنا الغالية حيث ألفها الناس وأحبوها فهم يستدلون بها في أسفارهم، وقد تغنى الشعراء قديماً بتلك الهضاب ومرابعهم حولها.

وأغلب تلك الهضاب الحمر المنتشرة في أماكن مختلفة من بلادنا ستكون لقمة سائغة ستلتهم مع مرور الزمن بحيث تصبح أثراً بعد عين!!

وعند تحقيقي لهضبة «ثَهْمَد» التي تقع بجوارها برقة خولة التي قال فيها طرفة بن العبد في مطلع معلقته:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وعلوت قمة الهضبة لأول مرة شاهدت جارات لها يقعن عنها جهة الشمال الغربي شمال «منية السوداء» ـ كبدمنى قديماً ـ قد أعملت فيهن المعاول والمناشير وانتشرت في الأرض قطع الحجارة الكبيرة التي أعدت لنقلها إلى المصانع.

ومن ينظر إلى تلك القطع يتذكر جزور امرىء القيس حينما نحر ناقته لإطعام صويحباته حيث يقول في ذلك:

وَيَوْمَ عَقَرْتُ للعَذَارَى مطيتي   فَيَا عَجَباً مِنْ رَحْلِهَا المُتَحَمَّلِ

فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا   وشَحْمٍ كهداب الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ

انظر إلى صورة إحدى هذه الهضاب وإلى أوصال حجارتها المنتشرة فوق الأرض حولها الصورتين رقم (٧٥) ورقم (٧٦).

رقم (٧٥) : احدى الهضاب وقد أكل جانب منها .

رقم (٧٦) : *جانب من الحجارة الكبيرة التي تم اقتلاعها .*

لقد تخوفت كثيراً على أن يزحف هذا السُّعَارُ إلى هضبة «ثَهْمَدَ» حيث أن لونها وتكوينها يشبه إلى حد كبير صويحباتها وجاراتها التي أكلت وتم هضم حجارتها.

ولعلي هنا أُلْفِتُ نظر المسئولين عن إعطاء التراخيص بالاستفادة من هذه الثروة الطبيعية إلى ترشيد هذا الاستهلاك لجبالنا وهضابنا التي ألفناها وأحببناها، وقد أحبها الأسلاف من قبلنا وتغنوا بها. ولهذا أقترح:

أولاً: أن يقتصر أخذ المواد اللازمة للتصنيع مثل الرخام والخزف وغيرهما من الجبال الكبيرة بحيث لايؤثر مايؤخذ منها على منظر تلك الجبال التي ألفها الناس.

ثانياً : عندما تدعو الضرورة القصوى إلى الاستفادة من بعض الهضاب الصغيرة المجهولة الاسم أن يحدد الجزء المراد أخذه منها وألاَّ تلتهم كلها برمتها لتستدل الأجيال القادمة عليها.

ثالثاً: بالنسبة للهضاب المشهورة التي ورد ذكرها في كتب التاريخ والشعر العربي يمنع أخذ شيء منها أو تغيير معالمها.

رابعاً : عندما يتم الترخيص بإزالة هضبة ما أن يؤخذ لها صور فوتوغرافية من جميع جهاتها مع الأعلام المحيطة بها إن وجدت، وذلك قبل إزالتها على أن تضم تلك الصور إلى صورة من الترخيص ومن ثم إحالتها إلى جهة مختصة للإيداع وتسجيل ذلك في سجل خاص للرجوع إليه عند الحاجة.

ويقيني أن الجهة المنوط بها إعطاء التراخيص تعمل الآن بأفضل مما ذكرت هنا، ولكنها فكرة خطرت، وفرصة سنحت.

وختاماً أرجو أن أكون وفقت إلى الصواب فيما حققته من مواضع، وقدمت مايفيد وأوضحت ماكان خافياً.

وماتوفيقي إلا بالله هو حسبي ونعم المستعان، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفهارس

١ ـ محتويات الكتاب .

٢ ـ المصادر والمراجع .

٣ ـ أسماء الأماكن .

٤ ـ الخرائط وصور الجبال والأماكن .

محتويات الكتاب

الصفحة

تقديم بقلم سعادة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري.
أستاذ آثار الجزيرة العربية وتاريخها قبل الإسلام، وعميد كلية الآداب بجامعة الملك سعود.

تمهيد . ٣٣

« البحث الأول »

الكُلاَبُ ٣٩

نبذة عن يوم الكُلاَب الأول، ويوم الكلاب الثاني. ٤٠

رأي الشيخ محمد بن بليهد وتحديده للكلاب، والتعليق عليه . ٤٢

رأي الأستاذ سعد بن جنيدل وتحديده للكلاب، ومناقشة رأيه. ٤٦

القائلون بأن يومي الكلاب الأول والكلاب الثاني حدثا في مكان واحد. ٥٠

تحديد المؤرخين وعلماء البلدان للمكان الذي حدث فيه يوم الكلاب الأول. ٥٣

عودة إلى مناقشة ماورد في معجم «عالية نجد» حول الكلاب. ٥٥

النص الواضح الغامض، وتحليله. ٦٢

السياج العامري حول الكُلاب. ٦٨

سياج لبيد في معجم «عالية نجد»، ومناقشة ماقيل حوله . ٧١

الرأي الآخر لمؤلف معجم «عالية نجد» حول البدي والكلاب. ٨٥

الاستدلال على الكلاب من أبيات لبيد. ٩٠

محاولة الإجابة على السؤال الصعب . ٩٦

وادي «السِّرْداح». ٩٨

وادي «السِّرَّة. ١٠١

زبدة الإجابة عن السؤال الصعب. ١٠٥
قدَّةُ . ١٠٩
سِتار الشريف ١١٣
الشُّعَيْبة . ١١٦
ذو خُشُب . ١٢٣
تمهيد الطريق أمام الرحلة الميدانية . ١٣٢
جدول بمقارنة بين المراجع التي ذكرت يوم الصفقة ويوم الكلاب الثاني. ١٤٧
نتيجة المقارنة بين المراجع . ١٤٨
الرحلة الميدانية . ١٥٤
الرحلة الميدانية الثانية . ١٩٣
نتائج الرحلات الميدانية . ١٩٧
خلاصة البحث ٢١٩

« البحث الثاني »

بين ضارج وبين العذيب ٢٢٧
رأي الشيخ محمد بن بليهد حول الستار ويذبل . ٢٢٨
ماجاء في معجم عالية نجد حول الستار ويذبل . ٢٢٩
ماجاء في معجم «بلاد القصيم» حول الستار ويذبل ٢٢٩
الاثنا عشر بيتاً من آخر معلقة امريء القيس المتضمنة للمواضع مدار البحث . ٢٣٢
ضارج : ورأي مؤلف «معجم بلاد القصيم» والتعليق على بعض أقواله . ٢٣٤
العذيب : ومناقشة رأي مؤلف «معجم بلاد القصيم» حوله . ٢٥٩
العذيب عند قدماء البلدانيين. ٢٦٧

الرحلة الميدانية . ٢٦٩
المجيمر : وآراء علماء البلدان قديماً وحديثاً حول تحديد مكانه . ٢٧١
المصيقر ليس المجيمر . ٢٧٧
قصيبا ليست بطن قوّ . ٢٨٧
ساق الجواء . ٢٩٦
سويقة ليست ساق الفروين . ٣٠٤
الرحلة الميدانية الثانية . ٣١٠
ضِبِع : والأقوال حوله . ٣١٦
ضِبع عند مؤلف معجم بلاد القصيم ومناقشة رأيه . ٣١٨
الرَّحَا : هي ذو طلوح قديماً . ٣٢٢
رَقْدٌ : ورأي مؤلف معجم بلاد القصيم حوله . ٣٢٦
عودة إلى «المجيمر» ٣٣٣
قَطَن . ٣٣٨
كُتَيْفَةُ . ٣٣٩
المحلاني . ٣٤٠
ذو العشيرة . ٣٤٧
الأقوال حول ذي العشيرة . ٣٥٠
وادي مُبْهِل . ٣٥٤
إلى كتيفة وتيماء . ٣٥٨
تمهيد الطريق أمام الرحلة الميدانية الثالثة . ٣٦٢
السِّتار . ٣٦٥
يَذْبُل . ٣٦٧
الرحلة الميدانية الثالثة . ٣٦٩

مُوَاسِل .	٣٨١
إلى سميراء .	٣٩١
مجيمر غطفان .	٣٩٩
تيماء .	٤٠١
البعايث هي تيماء قديماً .	٤٠٣
الحاجر .	٤٠٧
قَرَوْرَاء .	٤٠٧
في طريق العودة .	٤١١
خلاصة البحث .	٤١٥
كلمة أخيرة .	٤٢٢

المصادر والمراجع

١ ـ أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع: بقلم حمد الجاسر. منشورات دار اليمامة/ الرياض الطبعة الأولى .

٢ ـ الاشتقاق : لابن دريد.

٣ ـ الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني. دار الثقافة/ بيروت. الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠م.

٤ ـ الأمكنة والمياه والجبال: محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق الدكتور إبراهيم السلعراني. مطبعة السعدون/ بغداد .

٥ ـ أيام العرب قبل الإسلام: جمع وتحقيق الدكتور عادل البياتي. عالم الكتب. الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م .

٦ ـ أيام العرب في الجاهلية: محمد أحمد جاد وزميليه. منشورات المكتبة العصرية/ بيروت .

٧ ـ باهلة ـ القبيلة المفترى عليها: حمد الجاسر. منشورات دار اليمامة. الطبعة الأولى عام ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠م.

٨ ـ بلاد العرب : الحسن بن عبدالله الأصفهاني: تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي. نشر دار اليمامة/ الرياض الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م.

٩ ـ بلوغ الأرب: محمود شكري الألوسي. نشر دار الشرق العربي، وأمين دمج/ بيروت.

١٠ ـ تهذيب الصحاح: محمد بن أحمد الزنجاني. تحقيق عبدالسلام هارون، وأحمد عبدالغفور عطار ـ دار المعارف.

١١ ـ الجواء: الدكتور صالح بن سليمان الوشمي «سلسلة هذه بلادنا» ـ الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.

١٢ ـ الجوهرتين : الحسن بن أحمد الهمداني. أعده للنشر حمد الجاسر ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧م.
١٣ ـ خزانة الأدب: عبدالقادر البغدادي ـ تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون. الطبعة الثانية ـ الهيئة المصرية للكتاب. نشر مكتبة الخانجي/ القاهرة عام ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م.
١٤ ـ ديوان ابن مقبل: تحقيق عزت حسن. طبع إحياء التراث القديم/ دمشق ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢م.
١٥ ـ شرح ديوان امرىء القيس وأخبار المراقسة: حسن السندوبي. المكتبة الثقافية/ بيروت ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م.
١٦ ـ ديوان حاتم الطائي : دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.
١٧ ـ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: تحقيق إحسان عباس. مطبعة حكومة الكويت عام ١٩٨٤م.
١٨ ـ شرح المعلقات السبع للزوزني: دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.
١٩ ـ شعراء بني عُقَيْل وشعرهم : الدكتور عبدالعزيز بن محمد الفيصل. طبع شركة العبيكان/ الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
٢٠ ـ شعراء ينبع، وبنو ضمرة: عبدالكريم الخطيب. دار الأصالة للثقافة والنشر/ الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م .
٢١ ـ سيرة ابن هشام: لأبي محمد عبدالملك بن هشام. مراجعة وضبط محمد محيي الدين عبدالحميد. مطبعة حجازي/ القاهرة.
٢٢ ـ صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار: محمد بن بليهد ـ الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢م.
٢٣ ـ صفة جزيرة العرب: لأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني.

تحقيق محمد الحوالي، أشرف على الطبع حمد الجاسر، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م.
٢٤ ـ العرب: مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري. تصدر عن دار اليمامة/ الرياض.
٢٥ ـ العقد الفريد: ابن عبد ربه. تحقيق محمد سعيد العريان. نشر دار الفكر.
٢٦ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ دار الجيل بيروت ـ الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م.
٢٧ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق. تحقيق الدكتور محمد قرقزان. دار المعرفة/ بيروت. ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.
٢٨ ـ في شمال غرب الجزيرة : حمد الجاسر. منشورات دار اليمامة/ الرياض. الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.
٢٩ ـ قصائد جاهلية نادرة: الدكتور يحيى الجبوري. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م.
٣٠ ـ الكامل في التاريخ: ابن الأثير. نشر دار الفكر/ بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.
٣١ ـ لسان العرب المحيط : ابن منظور. أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط. نشر دار الجيل، ودار لسان العرب/ بيروت ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.
٣٢ ـ ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه: محمد بن بليهد. تحقيق الدكتور محمد بن حسين مطابع الإشعاع ١٤٠٢ هـ.
٣٣ ـ معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر: سعد بن جنيدل. طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠م.
٣٤ ـ معجم البلدان: ياقوت الحموي. نشر دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

٣٥ ـ معجم بلاد القصيم : محمد بن ناصر العبودي . مطابع الفرزدق الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠م.
٣٦ ـ معجم عالية نجد ـ أحد أقسام المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية : سعد بن عبدالله بن جنيدل . منشورات دار اليمامة/ الرياض ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م.
٣٧ ـ معجم شمال المملكة : حمد الجاسر : منشورات دار اليمامة/ الرياض الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.
٣٨ ـ معجم ما استعجم : البكري . تحقيق مصطفى السقا. نشر عالم الكتب/ بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .
٣٩ ـ معجم معالم الحجاز : عاتق بن غيث البلادي. الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ للجزء الأول.
٤٠ ـ مجمع الأمثال: للميداني. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.
٤١ ـ «المناسك» وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة: الحربي. تحقيق حمد الجاسر. نشر دار اليمامة الرياض. الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م.
٤٢ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب: النويري: مطبعة دار الكتب المصرية عام ١٣٦٩ هـ
٤٣ ـ النقائض ـ نقائض جرير والفرزدق ـ : لأبي عبيدة معمر بن المثنى. طبع في مدينة ليدن. مطبعة بريل ١٩٠٧ م .

فهرس الأماكن

(أ)

أبان ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٦٩

أبانان ٢٦٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٣١٣ ، ٣٣٧

أبان الأحمر ٢٦٩ ، ٣٤٣

أبان الأسود ٢٣٠ ، ٢٦٩ ، ٣١٣

أبا الجرفان ١٠٠ ، ١١٣ ، ١٢٩ ، ١٦٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣

أبا القدّ ١٠١ ، ١١١

أبو خَريط ٣٤٥

أبو خشبة ١٢٧ ، ١٦٧ ، ٢١٢

أُبْلى ٣٤٢

ابنا شمام ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،
١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢١٤

أثال ٢٥٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ ، ٣٠٧

أثلث ٣٦٣

الأثوار ٣٥٤

الأغر (الثور الأغر) ٣٥٧

أثيفية ٢٦٠

أجا ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ،
٣٧٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٨

الأجرعان ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢١٤

أجزاع مأسل ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩

أُحُد ١٥٦

أخراب مأسل ٢٠٧

أُدْمانة ٩٨

الأديراب ١٠١

أرمام ١٠٤

الأروسة ١٠٢

آره ٣٤٥ ، ٣٥٦

أُرْيك ٣٦٨

أَرِيك ٣٦٧ ، ٣٦٨

الإصبعة ٣٢٨ ، ٣٢٩

أضاخ ١٢٣

أطواء ضارج ٢٥١

الأعراض ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٤ ، ٩٤ ، ١٩٧

الأفيهد ٤١٢

إكام ٢٥٥ ، ٢٥٦

الأمار ١٠٠

الأمالح ٢٦٥ ، ٢٦٦

الأميلح ٢٦٥

إمَّرَة ١١٠ ، ٢٢٩

أم الخشب ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢١٢

أم راكة ١٨٢ ، ١٩٤

أم القلات ١٩٠

أم نخلة ١٩١ ، ٢١٣
أم الأرسان ٣٧٩
أنف قديدان ١١٠

(ب)

بارق ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦٧
البتراء ٣٣٧ ، ٣٩١
بجاد ١٠٢ ، ١٠٥
البجادية ٨٦
بدر ٣٦٦
بدن ٢٧٠ ، ٤١٢
البدي ٤٠ ، ٤٣ ، ٥٥ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ٢٠٤ ، ٢١٣ ، ٢٤٣
البدية ١٠٥
برق العناب ٢٦٥
برك ٨٩
البرم ٢١٤
بريدة ٢٣٤ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٩٧
البصرة ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ١٠٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨
بطن قوّ ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣
البطين ٢٨٨

البعايث ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٩٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦
بقيعا اصبع ٣٢٨
بقيعا اللهيب ٣٤٢ ، ٣٤٣
البويب ٢٧٣
بئر بني بُرَيْمَةَ ٣٥٤ ، ٣٩٩
بيشة ١٠٢ ، ٢٠٨

(ت)

تبالة ١٤٩ ، ٢٤٨
تثليث ٢٤٨ ، ٢٤٩
تيشر ٢١٤
تياس ١٠١ ، ١٠٢
التيس ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٦٨ ، ٣٠١
تيما «تيمن» ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ٢٠٤ ، ٢٣٢ ، ٢٩٢ ، ٣٣٩ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٣٩٤ ، ٤٠١ ، ٤٠٢
التين ٣٤٨ ، ٣٥١
التينين ٣٥٠
توارن ٣٧١
تهامة ٢٦٦

(ث)

ثادج ٢٦٩

ثادق ٢٦٩ ، ٣٣٢

ثبير ١٤٩ ، ٢٣٣

الثريا ١٧١ ، ٣٥٧

ثهلان ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٨١ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٣٧٠

ثهمد ٧٥ ، ٣٠٩

ثيتل ٢٣١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥

(ج)

الجار ٢٦٦

جبلة ٤٢ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١١١

جب وعارة ٣٨٧

جبيب ٣٨٦

الجثوم ٣٤٨

جدود ٥٢ ، ٥٣

الجربوعة ٩٩

جراد ٢٠٤ ، ٢٠٥

الجش ٣٧٩

جرش ١٤٩

جزالاء ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥
الجزء ١٩٨
الجفر ٢٧٣
جفر الهباءة ٤١٠
الجمش ٨٦
جلاجل ٢٣٦
جوّ ٣٨٨
الجواء ٢٣٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٢٢ ، ٣٦٣
الجناب ١٢٣
الجوزاء ١٧١

(ح)

الحاجر ٢٧٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٩١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧
حامر ٢٥٥ ، ٢٥٦
حائل ٢٥٢ ، ٣٦٢ ، ٣٦٩ ، ٣٨٨
حائل (المروت) ٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢
حبران ٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠
حبس القنان ٣١٣ ، ٣١٦
الحجاز ٦٠ ، ٨٤ ، ١٩٨ ، ٢٥٠
حدباء قذلة ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥
حُذُنَّة ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ٢٠٤
الحرملية ٢٠٠ ، ٢٠٢

حرة ضارج ٢٩٢
حريد ٣٩٥
الحريم ٢٣٦
حزم العيصان ١٥٦
حزن بني يربوع ٥٣ ، ٥٤
الحسْنَة ٣٩٤ ، ٣٩٥
الحِيسونية ٤٠٧
الحشرج ٢٠١ ، ٢٠٤
الحصاة ٩٣ ، ١٠٥ ، ٢٢٩
حصن ابن عصام ٥٧ ، ١٧٠
الحضر ٢٩٩ ، ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧
حضن ٣٧٧
الحُفْير ٣٧٢
الحُفَيِّرَة ٢٠١
حفرة الهُتْيمَة ٣٩١
حلبان ٢٣١ ، ٣٦٢
حلوة ٣٩٧ ، ٣٩٨
حليمة ١٠٣
حمى ضرية ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٧٢ ، ٣٤٢ ، ٣٦٨
حمرة العرض ١١٤
حُمَيْرَاءُ الصِّير ٣٧٣
الحناكية ٣٨٣
حومل ٢٢٨
حوطة بني تميم ٨٩

(خ)

خب العوشز ٢٩٠
خبوب بريدة ٢٦٠
الخبة ٣٧٧
الخدار ٣٥١
خُشُبُ الأريط ١٢٤
الخشبي ١٢٧ ، ١٣٠
خشم المضباعة ٢٣٧ ، ٣٠٦ ، ٣١٨ ، ٣١٩
الخصيين ٢٨٠ ، ٢٨١
الخضرمة ١٩٩
الخطيم ٤١٢ ، ٤١٣
خلص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ٢١٠
الخنفس ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٩١ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣
خنقة التنيّة ١٩٣، ٢٠٥
خنقة عروى ١٦٥ ، ١٨٠ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢١٤
خنيفسة ٩٩ ، ١٩٠
الخوار ٦٠
الخورنق ١٢٤ ، ٢٣٨
خَوّ ٣٥٠ ، ٣٥٣
خَوَّين ٣٥٠ ، ٣٥١

(د)

دارة محصن ٩٨ ، ١٠٠ ، ٢٠٢
دحيضة ٧٥
دخنة ١١٠ ، ٢٣٠ ، ٣٦٢ ، ٣٧٧
الدخول ١٠١ ، ١٠٢ ، ٢٢٨
درقان ١١٣ ، ١٢٩
دُرَيْمِيحَةُ ٣٠٨ ، ٣٢٢
الدغيبيس ١٩٥
دُقَار ٣٦٧
الدلال ٣٨٦
دليهان ٣٧٧ ، ٣٨٠
دمخ ٤٣ ، ٤٤ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٤٨
الدميثي ١٢٩
الدوادمي ٨٦ ، ١٥٦ ، ٢٠١ ، ٢٦٩
الدهناء ٦٨ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٥١

(ذ)

ذات الأثل ٢٥٠
ذات السِّرر ٣٥٧
ذات العراقي ٢٤٨
ذرو الشُّريف ٥٧
ذقان ١٠٣

ذو بقر ١٢٣ ، ١٣٠

ذو خشب ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٣٦

ذو طلوح ٩٨ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٠

ذو العُشَيرَةِ ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٩٩

ذوقار ٤٢

ذو قلحا ٥٧

ذو المرار ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٨

ذو يَقَنْ ٥٧

الذيبية ٣٠٨ ، ٣١١

(ر)

رامة ٢٣٠ ، ٢٩٨

الرباب ١٢٣

الربايع ٣٤٨ ، ٣٥١

الربوض ٢٢٩

الرحا ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨

الرحية ٣٢٦

الرُّحيْل ٣٥٨ ، ٣٩٨

الرشاء ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠

الرفايع ١٦١

الرعيلة ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٨٦
رَقْدٌ ٣٠٧ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢
الركاء ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٤ ، ٢٤٩
الركيبة ٤١٤
رمل السُّرَّة ١٠١
رمل العُذَيبةِ ٢٦٥
رملات أبيَ بكر ١٠٣ ، ١٠٤
رقم ٢٧٣
الرهط ١٢٦ ، ١٣٠
رهمان ٣٥٧
رهوى ٩٢
الروحاء ٩٨
روضات الرباب ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠
الروضة «البعايث» ٣٦٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣
الرويضة ٦٣ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
١١٨ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٤٤ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ،
١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٩٠ ، ٢١٣
الرويل ١٨١
الرياض ١١١ ، ١٧٢
الريان ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢،
٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٩٠
رياض الخبراء ٢٩٧
ربع المشعر ٩٩ ، ١١١ ، ١٨٧

(ز)

الزبير ١٢١
زَعَّابَةُ ١١٣ ، ٢١٢
الزّعابة ١١٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ٢١٠
الزّغّابة ١٢٥
الزيدي ١٠١ ، ١٨٥

(س)

ساق الجواء ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣١٩ ، ٣٣٠
ساق العناب ٣٢٩
ساق الفروين (الفرو) ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣٣٦
ساق الفريد ٣٠٠ ، ٣٠١
الستار ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٥٥ ، ٣٤٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٩٠
ستار الشُّريف ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢
السحامية البيضاء ٣٤٢
سخنة ٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٤
سخين ٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٤

سد قناة ١٢٠
سدير ٦٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧
السدير ٢٣٨
السديري ١٩٥ ، ١٩٦
سديري الأحاوي ١٩٥
السديري الأخضر ١٩٥
السديري الأسفل ١٩٥
السرة ١٠١
سرة نجد ١٠١ ، ١٠٢
السرداح ١٠٠ ، ١٨٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤
سرداح المثامن ٩٨ ، ٢٠٢
السراديح ٩٨
سرة الركاء ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٩٠ ، ٩٣
السفن ٣٦٩
سلمى ٣٣٢ ، ٣٨١ ، ٣٩١
سمار الحاجر ٣٩٥
سمراء حلبان ١٠١
سمراء وقط ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣٣٣
سميراء ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٦٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٤٠٢
سناف الذيبية ٣١١
سناف اللحم ٤١٠
سنام ١٠٠ ، ١٦٩
سِنْدَاد ٢٣٨

سوفة ٢٠٠ ، ٢٠١
سوفتان ٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣
سويقة ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣١٩

(ش)

الشام ١٢٤ ، ٢٥٦
الشبرمية ٦٦ ، ١٩٠
الشبيكية ٢٣٠ ، ٣٧٧
الشريف ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٢
الشرمية ١٦٧
الشرفة ١١٤ ، ١١٥ ، ٢٠٨
الشط ١٧٢ ، ١٧٤ ، ٢١٤
شط الفرات ٢٥٦
شعبى ٢٢٨ ، ٢٣١
شعب القدّ ١١١
الشُّعَرَاء ٤٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٣ ، ١١٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ٣٧٠
الشعيبة ١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٥٣ ، ١٦٥
الشعيبية ١١٧
شفا العرض ٩٨ ، ١٢٩
الشقة ٢٣٥ ، ٢٥١

الشقة العليا ٢٣٥ ، ٢٥١
الشقة السفلى ٢٣٥ ، ٢٥١
الشقران ٣٨٣
الشموسين ٣٥٧
شمام «جبل» ٤٧ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ١١١ ، ١٧٢ ، ١٧٣
شمام «قرية» ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ١٧٢
الشهباء ١٨٥ ، ١٩٤
شعيب أم الخشب ١٦٧
شعيب أم راكة ١٩٣
شعيب الحصى ١٩٣
شعيب خنيفسه ١٩٠ ، ٢١٣
شعيب ساحب ١٩٣
شعيب ضاري ٢٤١
شعيب طينان ١٩٣
شعيب مبحل ٣٤٥
شعيب مجحود ١٩٣
شعيب مرقان ١٧٨
شعيب المصيقر ٢٧٨
شعيب مويسل ١٩٣
شعيب نخيلان ١٧٨
شعيب الودي ٣٤٧ ، ٣٥٦

(ص)

صاحة ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩
صارة ٣٠٠ ، ٣٣٠
صبحا ١٠١ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٣٦٢
صبيح ٣٠٨
صحا ٣٨٨ ، ٣٨٩
صحي ٣٨٨ ، ٣٨٩
صحراء العقيق ٢٤٩
صحراء الغبيط ٢٣٢ ، ٣٦٣
صحراء قدَّة ١٠٨ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٨٧ ، ١٩٠
الصُّحْرَة ٧٠ ، ٩٢ ، ٩٦
الصخرة ٧٢ ، ٧٣
صفراء الأسياح ٢٩١
صُفَينة ٢٥٠
الصَّهْو ٣٨٧
الصَّهْوَة ٣٨٧
الصير ٣٧٣

(ض)

ضارج ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،
٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ،

٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤
ضاري ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨
ضبع ٢٣٧ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ،
٣١١ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٣٣٦
ضرية ٦٨ ، ٢٢٩ ، ٣٤٢ ، ٣٦٢
ضليع النيص ٢٠٢ ، ٣٩٩

(ط)

طابة ٣٩١
طاحية ١١٣
طحي ١٠٠ ، ١١٣
طخفة ٢٣٠
الطرفية ٢٤٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩١
طميه ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٤١٣
طويق ٨٩ ، ١١٠

(ظ)

الظهران ٣٤٨

(ع)

العالية ٨٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦

عالية نجد ٧١ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٣٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٦٩

العارض ٦٠

عاقل ٢٣٠ ، ٢٣٣

عالج ٧٥ ، ١٠٤

عائرة ١٢٦ ، ٢٠٤

العباسية ٣٩٥

العبد ٣٦٢

العبل ١٦٣

العبلاء ١١٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢

عبل معيقل ١٦٣

العتيبي ١٨٧

العذيب ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧

عذيب القوادس ٢٥٩

عذيب الهجانات ٢٥٩

العذيبة ٢٦٥ ، ٢٦٦

العراق ٤٧ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٨٢ ، ٢٣٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩

عران ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٠

العرض ٨٧ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١١٤ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٥٥ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٤

عرض السُّود ١٩٩ ، ٢١٤

عرض شمام ١١١ ، ١١٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٢٩

عرض اليمامة ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٤ ، ٢٣٧
العرفاء ٣٧٩
عرفة أعيار ٣٣٠
عرفة رَقْد ٣٣٠
عرفة ساق ٣١٤ ، ٣٣٠
عرفة صارة ٣٣٠
عرق سبيع ٣٤٢
العريض ٢٦٣
عريق الدسم ٢٧٠
عروان ١٧٣
عروا ١٥٠ ، ١٦٣
عروى ٦٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ،
١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
٢١١ ، ٢١٢
عَرْوَة ٤٢ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٦٣
عسعس ٢٧٢
العسيبيات ٣٥٧
عصنصر ١١٣
عطا ٢٦٩
عطي ٢٦٩
العظاة ١٠٢
عفيف ١٦٩ ، ٣٥٧
عقب ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩

عقلة الصقور ٢٧٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٨ ، ٤١١
العلم ١٠١
العماير ٣٤٦ ، ٣٩٩
عماية ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ٢٤٨
عمايتان ١٠١
العمودة ٣١٠ ، ٣١١
العميد أبو شليل ٣١١ ، ٣١٣
العُنَّاب ٢٦٥ ، ٢٦٦
عنز ٢٩٥ ، ٣٠١
العوسجة ٢٨٩ ، ٢٩٠
العوشزية ٢٩٠
عيون ابن عامر ٢٨٦ ، ٢٨٨
عيون الأسياح ٢٤٤ ، ٢٨٦
عيون الجواء ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥ ، ٣٠٧

(غ)

الغريري ١٧٨
غول ٩٨ ، ١١١ ، ٢٠٢

(ف)

الفجحاني ١٧٨

الفرع ١٠٠

فرع السُّرة ١٠٣

فرع العرض ١٢٦ ، ١٣٠ ، ٢١٤

فَرْش ٣٠٠

فَغَّانات ٤٠٢ ، ٤٠٧

الفقي ٢٣٥ ، ٢٣٦

الفوّارة ٢٣٠ ، ٢٨٦ ، ٢٩٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٩١

فيد ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٣٨

الفيضة ١٦٧ ، ١٦٩

(ق)

القادسية ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨

قارة الأسلاف ٢٩٨ ، ٣٠٦

قارة حصاني ٣٠١ ، ٣٠٦

القاعية ٧٤

قاع الهتيمة ٣٩١

قحقح ٤٣ ، ٤٥ ، ١٣٧

قدس ٣٤٥ ، ٣٥٦

القد ٤١ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ١٠٧ ،
قِدَّة ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٥٤ ،
١٨١ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥
١٧٢
القَدِيَّةُ ١١١
القديات ٢٣٧ ، ٢٩٥
القرعا ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤
قرن ظبي ٧٥
القرنتين ٤٠٧ ، ٤٠٩
قَرْوَرَى ٢٧٣
قصائره ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣
قصيبا ١١٠ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،
القصيم ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ،
٤١١
القطانية ١٠٢
قطن ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ،
٢٧٣ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨
قطيات ٢٦٣
القعرة ٢٩٠ ، ٢٩١
القفيفة ٣٦٨
القليب ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣
القنان ٢٣٢ ، ٣١٤ ، ٣٤١

قنا ٣٧٩
القنصلية ٣٤٢
قَوّ ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣
قورساق ٣٠٦
القوسة ١٧٥
القويطير ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦
القويع ١٧٠ ، ١٧١
القويعية ١١١ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ، ٢٠٢ ، ٢١٧
القهاد ١٠٠ ، ١١٤ ، ١٣٢

(ك)

كبشات ٧٤ ، ٨٦
كتيفان ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٥٩
كتيفة ٢٣٢ ، ٢٧٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩
كحلة ٣٨٣ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠
كربلاء ٢٦٧ ، ٣٨٦
الكلاب ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٩ ،

١٨٩ ، ٢١٤
الكوفة ٤١ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
٦٨ ، ١٠٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٥٧

(ل)

اللبيد ٨٥
لعلع ١٧٨ ، ٢٦٧
اللقاطة ٤١٠

(م)

مأسل ١٢٦ ، ١٣٩ ، ١٩٥ ، ٢٥٣ ، ٣٨٨
مأسل جأوة ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ٢١٠
مأسل الجمح ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٤
المالّة ٤٥
المباهيل ٣٤٦ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧
مبهل ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٧٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،
٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٠
مبهلان ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧
متالع ٣٤١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨
متالع الأبيض ٣٦٧ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧
متالع الأسود ٣٦٧

متالع شامان ٣٦٧
مجيرات ٤٦ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٨١ ، ١٤٥ ، ١٦٢ ، ٢٠٤
مجيرة ٤٣ ، ٤٤
مجدل ٣٦٧
المجيمر ٢٣٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٣٣٣ ،
٣٣٦ ، ٣٤٤ ، ٤١١ ، ٤١٤
مجيمر غطفان ٢٧٦ ، ٤٠٠ ، ٤١٤
مُحَجَّر ١٠٣ ، ٣٧٧
المُحَفَّرْ ٣٧٦ ، ٣٧٩
مُحَقّق ١٩٩
المحلاني ٢٧٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥
محيرقة ١٧٤
مداخل ٧٠ ، ٩٢ ، ٩٦
مدقة ١١٣ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٦٥
المدينة ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٥٢ ، ٢٧٥ ،
٢٨٩ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٤٠٩
مرقان ١٩٣
المروت ٢٠٠ ، ٢٠٥
المريقد ١٧٥
المزاحمية ١١١
مسكة ٢٢٨ ، ٣٤٣ ، ٣٦٢
مشاحيذ ٣٤٨
مشاش الغَرَّاء ٢٩١

المُشَقَّر ٤١ ، ٦٨ ، ١٣٤
مصودعة ٣٥١
المصيقر ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧
المضباعة ٣١٨
المضجع ١٠٢
المعجز ٢٦٦
معدن البئر ٣٤٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٩٩
معدن العوسجة ١٠٠
المعذب ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥
معشر ١٢٦ ، ٢٠٤
المعطن ١٠٢
المغرة ١٠٠
المغيراء ١٠٠
المغيثة ٢٦٧ ، ٢٦٨
مكة ٢٣٠ ، ٢٦٦ ، ٢٨٩
الملا ٢٩٠
ملقى البدع ١٢٩
ممر عقنقلة ٣٦٨
مناجل ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٢
منعج ١٢٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣
مُواسِل ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ،
٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨
مويسل ٢٠٩ ، ٣٨٧

موش ٣٨٦
الموشّم ٣١٤ ، ٣١٨
موقق ٣٦٨ ، ٣٧٥ ، ٣٨٢

(ن)

الناجية ٢٨٦
النباج ٢٥٥ ، ٢٨٦ ، ٣١٧
نجد ٥٢ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٨٧
نجران ١٤٨
نخلة ١٨١ ، ٢٠٥
نخيل ١٨١ ، ٢٠٥
نخيلان ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ١٩٣ ، ٢٠٥ ،
نساح ٩٨ ، ٢٠٢
نصع ٢٦٦
نطاع ٤١ ، ١٣٤
نفء ١٢٣
نفود السرّ ٢٠٠
نعيجة العذيبة ٢٦٦
النقرة ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٣١٧ ، ٣٩٤ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ،
٤٠٩
النمرية ٣٥١
نهي الأكف ٢٣٤ ، ٢٥٣

نيتل ٢٣١
النير ١٥٦

(هـ)

الهباءة ٢٥٠
الهتيمة ٣٩١
الهدم ٢٧٣
هجر ٤١ ، ١٣٣ ، ١٣٧
هضاب قطيات ٢٦٣
هضب القليب ٤١٠
الهطلاوي ١٧٨
الهلباء ٢٠٠

(و)

واقصة ٣٩٥
وتدات ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩
وحفة القهر ١٦٥
الوريعة ٢٢٨
وسط ٢٧٢
وسيط ٣٩٧
الوشم ٦٠ ، ٢٠٠ ، ٢٦٠

الوطاه ٢٤٤
وادي أبا الجرفان ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٣
وادي البدي ٨٠ ، ٨٥
وادي برك ٨٩
وادي البييضاء ١٠١
وادي التسرير ٧١ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٦
وادي التنيَّة ١٧٨ ، ١٨٥ ، ١٩٤
وادي توارن ٣٧١
وادي الجربوعة ١٣٠
وادي الجرير (الجريب) ٢٢٩ ، ٢٧٠ ، ٣٥٧ ، ٤١٢
وادي الجلَّة ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥
وادي جَوّ ٣٨٨
وادي جهام ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨
وادي الخاصرة ١٠١
وادي الخنقة ١٣٠ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٧
وادي خنيفسة ١٣٠
وادي خنقة عروى ١٩٣ ، ١٩٤
وادى خَوّ ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٣
وادي الخوَّة ٣٤٧
وادي ذي خشب ١٣٠ ، ١٦٥

وادي الرشاء ٦٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ٩٠
وادي الرَكاء ٥٥ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٨١ ، ٨٥ ، ١٠١
وادي الرُّمة ٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٤٠٤ ، ٤١٢
وادي رهمان ٣٥٧
وادي سدير ٢٣٦
وادي السُّرَّة ٥٥ ، ٦٩ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٦
وادي السرداح ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٣ ، ١٦٧ ، ١٨٧ ، ٢١٢
وادي سنام ٢١٣
وادي الشعبة ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٩٧
وادي الشعراء ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٨
وادي الشعبة (الثلبوت) ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٤٠٧
وادي طحي ٢١٣
وادي الطرفاوي ٣٤٦ ، ٣٥٦
وادي عروى ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٨٥
وادي العرين ١٥٥ ، ١٧٣
وادي عصيل ٨١ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٣٧
وادي العقيق ٢٤٩ ، ٢٥٠
وادي عقيق بني عقيل ٢٤٩ ، ٢٥٠
وادي الفرع ١٦٩
وادي الفقير ٢٦٦

وادي قحقح ٤٣ ، ٤٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٩٠ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١٣٧
وادي الكلاب ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ،
٥٨ ، ٦٩ ، ٨١ ، ٨٨ ، ١٤٦
وادي الكلبة ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٦٩ ، ١٥٩
وادي المباري ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣
وادي مبهل ٣٤٤ ، ٣٥٤
وادي مبهل الأجرد ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٩٩
وادي المحلاني ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٧
وادي النسق ١٧٥ ، ٢٠٥
وادي واسط ٢٦٦
وادي وثيلان ١٩٣

(ي)

يثلث (أثلث) ٢٦٣
يذبل ١٠١ ، ١٠٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،
٢٣٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٣٤٣ ، ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ،
٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٨٠ ، ٣٩٠
اليريض ٧٥
اليعمله ٢٥٠
اليمامه ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ،
١٣٩ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٩٨ ، ٢٦٧
اليمن ٤٧ ، ٥٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠
الينكير ١٠٢
ينبع ٢٦٥ ، ٢٦٦

فهرس الخرائط. وصور الجبال والأماكن الصفحة

خارطة رقم (١) مبين عليها: مجرى وادي الشَّعْرَاء، وهضاب: تيمن، وحُذُنَّة، ومجيرات. ٧٧

خارطة رقم (٢) مبين عليها: مجاري أودية جبال العرض وأهمها وادي «الخنقة» الكلاب قديماً. ١٧٧

خارطة رقم (٣) مبين عليها: طريق حاج البصرة من «النباج» إلى «أثال» وعيون الجواء. ٢٩٤

خارطة رقم (٤) مبين عليها: طريق البصرة من عيون الجواء إلى «الفَوَّارة» كما وضح عليها بعض الأعلام المحققة لأول مرة مثل: قور ساق، ورَقْدٍ، وذي طلوح، وضُبعٍ، وساق الفروين. ٣٢١

خارطة رقم (٥) موضح عليها مجرى وادي الرُّمَةِ وبعض فروعه شمال «عقلة الصقور مثل: وادي «ذي العشيرة»، ووادي «مبهل».
كما وضح عليها موقع جبيل «المجيمر»، والمصيقر، ومجيمر غطفان، وكتيفة، وتيماء. ٣٥٢

صورة رقم (١) منظر: شرقي جبل «ثهلان» المسمى «الرَّعن» والوادي يجري بين بلدة الشَّعْراء والجبل. ١٥٨

صورة رقم (٢) منظر: قسم من جبل ثهلان من ناحية الشمال الشرقي. ١٥٨

صورة رقم (٣) منظر: «حُذُنَّة» من جهة الغرب، وهي التي حالت بين «وعلة الجرمي» وقومه المنهزمين. ١٦٠

صورة رقم (٤) منظر : حُذُنَّة، من جهة الشمال وترى مستطيلة الشكل مع انحدار جهة الغرب. ١٦٠
صورة رقم (٥) منظر : وادي «الكلبة» متجها ليدفع في وادي الشعراء شرقي جبل «ثهلان». ١٦١
صورة رقم (٦) منظر : هضبة «تيماء» ـ تيمن قديماً ـ وهي التي فرَّ إليها «وعلة الجرمي» منهزما. ١٦٤
صورة رقم (٧) منظر : عبل مُعيْقل، وترى «حُذُنَّة» شمالاً منه غير بعيد. ١٦٤
صورة رقم (٨) منظر : هضبة «عَرْوَى» من جهة الغرب، وهي التي قيل إن مذحجاً نزلت عندها. ١٦٦
صورة رقم (٩) منظر هضبة عروى من الغرب، ويرى واديها يجري وهو أحد فروع وادي الخنقة (وادي الكُلاَب قديماً) . ١٦٦
صورة رقم (١٠) منظر : آثار بالقرب من مفيض وادي «أبا الجرفان» في وادي «السرداح». ١٦٨
صورة رقم (١١) منظر : قمتي «ابني شمام» من جهة الجنوب الغربي. ١٧٤
صورة رقم (١٢) منظر : آثار مساكن تميمية واقعة في مفيض وادي «النسق» في أسفل «الخنقة». ١٧٦
صورة رقم (١٣) منظر : المخناق الذي تتجمع فيه فروع وادي «الكُلاَب» ـ الخنقة حالياً ـ لتنحدر معه . ١٧٩
صورة رقم (١٤) منظر آخر للمخناق الذي تنحصر فيه فروع وادي الكُلاب. ١٧٩

صورة رقم (١٥) منظر : برج وبئر وآثار قديمة لمزارع تقع بجوار بلدة «نخيلان» من جهة الغرب على ضفاف وادي الكلاب. ١٨٣
صورة رقم (١٦) منظر : متسع وادي الخنقة (الكلاب قديماً) بين بلدتي نخيلان، ومرقان. ١٨٣
صورة رقم (١٧) منظر : وادي الخنقة (الكلاب قديماً) جنوب غرب نخيلان. ١٨٤
صورة رقم (١٨) منظر : وادي الخنقة (الكلاب قديماً) يجرى باتجاه المخناق. ١٨٤
صورة رقم (١٩) منظر : آثار مساكن ومقبرة في «أم راكة» بمنطقة الكلاب قديماً . ١٨٦
صورة رقم (٢٠) منظر : من صحراء «قِدَّة» الواقعة جنوبي «نخيلان» وترى قمتا (ابني شمام) . ١٨٨
صورة رقم (٢١) منظر : من صحراء «قِدَّة» ويرى جبل «العتيبي» في شرقييها، وهو أَحد جبال «القدّ» . ١٨٨
صورة رقم (٢٢) منظر : من صحراء «قِدَّة» ويرى جبال «ريع المشعر» وهي جزء من جبال «القِدّ» . ١٨٩
صورة رقم (٢٣) منظر : أم نخلة «خنيفسة» وهي ماء الخنفس قديماً . ١٩٢
صورة رقم (٢٤) منظر : ماء «التنيَّة» وحوله أثلة، وترى هضبة «عروى» من جهة الجنوب. ١٩٤
صورة رقم (٢٥) منظر : المياه المجتمعة في السد الترابي في أعلى وادي «السديري» أحد روافد وادي الخنقة. ١٩٦

صورة رقم (٢٦) منظر : هضبة سُوفَة . ٢٠٣
صـورة رقم (٢٧) منظر : «القـويطيـر» الواقع شـمـال شـرق مـدينة «بريدة» . ٢٤٥
صورة رقم (٢٨) منظر : هضبة «طمية» الواقعة جنوب غرب عقلة الصقور. ٢٧٢
صورة رقم (٢٩) منظر : هضبة واقعة بين جبلي «وسط» و«عسعس» جنوب بلدة «ضريّة» . ٢٧٤
صورة رقم (٣٠) منظر : جبل «المصيقر» الذي يقول مؤلف معجم بلاد القصيم: إنه هو «المجيمر» . ٢٧٩
صورة رقم (٣١) منظر : جبل «المصيقر» من ناحية الجنوب، وهذه أعلى قمة فيه، وهو واقع في مكان مرتفع . ٢٧٩
صورة رقم (٣٢) منظر : «المجيمر» ، مجيمر بني فزارة وهو الذي عناه امرؤ القيس، المنظر من ناحية الجنوب الشرقي. ٢٨٢
صورة رقم (٣٣) منظر : «المجيمر» من جهة الغرب مما يلي وادي «الرمة» . ٢٨٢
صورة رقم (٣٤) منظر : «المجيمر» من جهة الشمال، ويرى خلفه من البعد جبل «بدن» . ٢٨٣
صـورة رقم (٣٥) منظر : جبل «الخصـيين» الواقع على شاطيء «الرمة» جنوب عقلة الصقور يقع المجيمر بجواره . ٢٨٣
صـورة رقم (٣٦) منظر : جبل «ساق» من بعد وترى قوره الأنساق من دونه جهة الشمال. ٣٠٥

صورة رقم (٣٧) منظر : جبل «ساق الجواء» من جهة الجنوب، ويرى طرفاً من قوره الواقعة عنه شمالاً. ٣٠٥
صورة رقم (٣٨) منظر : أحد أميال طريق حاج البصرة، وحوله «مصلى» وهو يقع شرق جبل «الرحا». ٣٠٨
صورة رقم (٣٩) منظر : «ساق الفروين» ـ العميِّد أبو شليل حالياً ـ المنظر من جهة الشمال. ٣١٢
صورة رقم (٤٠) منظر : «الفروين» وساقه هو طرفه المرتفع من ناحية الشمال، وما تسلسل منه جنوباً «الشّليل». ٣١٢
صورة رقم (٤١) منظر : جبل «ضُبع» الواقع بين «ذي طلوح» و«ساق الفروين». ٣١٧
صورة رقم (٤٢) منظر : جبل «الحِضْر» الواقع جنوب «ساق الفروين» وبلدة «الفوّارة».
صورة رقم (٤٣) منظر : أحد أبراج طريق حاج البصرة فوق جبل «ذي طلوح» من جهة الغرب. ٣٢٤
صورة رقم (٤٤) منظر : أحد أبراج طريق حاج البصرة فوق جبل «ذي طلوح» من ناحيته الشمالية. ٣٢٤
صورة رقم (٤٥) منظر : «الرُّحيَّة» الواقعة بجوار «الرحا» ومن حولهما شجر «الطلح». ٣٢٧
صورة رقم (٤٦) منظر : طرف جبل «ذي طلوح» من الشمال الشرقي، ويكثر حوله شجر الطلح. ٣٢٧
صورة رقم (٤٧) منظر : «الاصبعة» ـ رَقْد قديماً ـ المنظر من جهة الجنوب والحجر المنتصب هو سبب التسمية الحديثة. ٣٣١

صورة رقم (٤٨) منظر : «الاصبعة» رقد قديماً ـ المنظر من جهة الشمال من قرب. ٣٣١

صورة رقم (٤٩) منظر : أحد الأماكن التي تؤخذ منها «الأرحاء» من «رَقْدٍ» تلك الأرحاء التي زَلَّمْتَهَا المناقر. ٣٣٢

صورة رقم (٥٠) منظر : «المغزل» الذي تغزل بواسطته خيوط الصوف قديماً. ٣٣٤

صورة رقم (٥١) منظر : جبل قطن. ٣٤٠

صورة رقم (٥٢) منظر : جانب من جبل قطن من الناحية الشمالية . ٣٤٠

صورة رقم (٥٣) منظر : جبل «الرُّحَيِّل» الواقع جهة مطلع الشمس من جبل «كتيفة». ٣٥٨

صورة رقم (٥٤) منظر : هضيبة «حميراء الصير» ويرى جانب من شمالي جبل «أجا». ٣٧٣

صورة رقم (٥٥) منظر : جبل «متالع» الواقع غربي جبل «أجا» على بعد خمسين كيلاً تقريباً. ٣٧٨

صورة رقم (٥٦) منظر : جبل «حبران» الواقع شمال جبل متالع. ٣٨٠

صورة رقم (٥٧) منظر : قمة «مُوَاسِل» ـ كحلة حالياً ـ منظرها من جهة الشمال. ٣٨٤

صورة رقم (٥٨) منظر : «مُوَاسِل» من جهة الجنوب الشرقي. ٣٨٤

صورة رقم (٥٩) منظر : قمة «مواسل» من جهة الجنوب. ٣٨٥

صورة رقم (٦٠) منظر : هضبة واقعة في الشمال الغربي من جبل «سلمى». ٣٩٢

صورة رقم (٦١) منظر : جانب من حفر «الهتيمة» الواقع جنوب شرق بلدة «طابة». ٣٩٢

صورة رقم (٦٢) منظر : الجانب الآخر من حفر «الهتيمة». ٣٩٣
صورة رقم (٦٣) منظر : جانب من حفر «الوعبة»، أو مقلاع طمية الواقع قرب بلدة «حفر كشب». ٣٩٣
صورة رقم (٦٤) منظر : شجر الطلح حول «كتيفة» وترى جبال «وتدات من خلفهما». ٣٩٦
صورة رقم (٦٥) منظر : أحد الشعاب حول «كتيفة» و«وتدات» وكثرة الطلح فيه. ٣٩٦
صورة رقم (٦٦) منظر : جبل «كتيفة» ـ كتيفان حالياً ـ الواقع على ضفة وادي «الثلبوت». ٣٩٧
صورة رقم (٦٧) منظر : «مجيمر غطفان» الواقع مطلع الشمس من «كتيفة». ٤٠٠
صورة رقم (٦٨) منظر : وادي «الرمة» من بعد، وتبدو النخيل في بطنه على امتداد مجراه حول بلدة «البعايث». ٤٠٤
صورة رقم (٦٩) منظر : النخيل في بطن وادي «الرمة» ويرى من خلفها جانب من منازل بلدة البعايث القديمة. ٤٠٥
صورة رقم (٧٠) منظر : جانب من منازل بلدة البعايث المتهدمة، وهي المنازل المقامة على أنقاض بلدة «تيماء». ٤٠٥
صورة رقم (٧١) منظر : آثار «منزل الحاجر» ٤٠٨
صورة رقم (٧٢) منظر : مكان آثار من آثار منزل الحاجر ويستدل عليه بشجرتي النخلة والأثلة بجواره. ٤٠٨

صورة رقم (٧٣) منظر : جبيل «قروری» من بعد ومن دونه منزل «قروری» . ٤١١
صورة رقم (٧٤) منظر : جبل «بدن» ومن دونه مدفع وادي الجريب» في وادي «الرُّمة» . ٤١٢
صورة رقم (٧٥) منظر : إحدى الهضاب وقد أكل جانب منها . ٤٢٣
صورة رقم (٧٦) منظر : جانب من الحجارة الكبيرة التي تم اقتلاعها ٤٢٤

من محتوى هذا الكتاب

بين دفتي هذا الكتاب بحثان يتضمنان تحقيق أماكن مشهورة في «نجد».

يتردد ذكر هـذه الأماكن في كتب التـاريخ وفي أشعار العـرب ومع هذا لم تحدد أماكنها بـدقة من قبل الباحثين في وقتنا الحاضر؛ بل كـان الاختلاف بينهم واضحاً حولها.

* **البحث الأول:** يتضمن تحقيق موضع «الكُلاَب» ويسمى به موضعين:

الأول: ماء لبني تميم يسمى «الكُلاَب» واقع بين الكـوفة والبصرة حدثت عنده معركة «يوم الكلاب الأول».

الثاني: «وادي الكلاب» الذي تَحَصَّنَتْ فيه قبائل بني تميم وجرت عنده معركة «يوم الكلاب الثاني» بعد حادثة «يوم الصَّفْقَةِ» - المُشَقَّر -.

* **البحث الثاني:** يتضمن تحقيقاً للأماكن التـي ذكرها «امرؤ القيس» في الاثني عشر بيتاً من معلقته ومنها هذا البيت

قَعَدْتُ وَأَصْحَابِي لَهُ بَيْنَ ضَارِجٍ   وَبَينَ العُذَيْب بُعْدَ مَا مُتَأَمَّلِي

إلى جانب تحقيق الكثير من المواضع التـي جاءت مُقْتَرِنَة مَع هـذه الأماكن في النصوص التي أوردها قدماء المؤرخين وعلماء البلدان.

من هذه المواضع مـاكان محل خلاف بين البـاحثين في وقتنـا الحاضر، ومنها مالم يحقق من قبل.

OBEI
8000088
SR 50.00

ردمك ٥ - ٤٨ - ٧٣٨ - ٩٩٦٠

للطباعة الإلكترونية
هاتف 4783582 فاكس 4779883